وجيه أبو ذكرى



مذبحة الأبرياء

فى ٥ يونيه

المكتب المصرى الحديث

مقدمة

لا أنكر أننى كنت من المؤيدين لارسال قوات مصرية لليمن ، ولا أنكر أننى تصورت أن تحرير اليمن من الأستعمار القبلى هو أضافة لقوة مصر ، ولا أنكر أننى تصورت أن القيادة السياسية تضع عينا على ثورة اليمن ، وعينا لا تنام على اسرائيل ، وأن مصر لديها القدرة على معارك اليمن ، والقدرة فى ذلك الوقت على أقتحام حصون اسرائيل ودك مدنها وتحرير أرض فلسطين ...

هكذا كان تصورى فى بداية ثورة سبتمبر ..

حتى كان يوم من شهر يوليو عام ١٩٦٤ .. وكنت فى اليمن ، بعد أن تركت القاهرة بيوم واحد ، وكانت القاهرة تعيش فى أزمات طاحنة ، حتى أنهم فتحوا الصرف الصحى فى الجيزة على ترعة يشرب منها الناس لعدم وجود ميزانية لاصلاح وتركيب مواسير الصرف الصحى . فى ذلك الوقت اقترح على الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية أن التقى بالغادر .

- من الغادر ؟
- قائد القوات الملكية .. وضحك الفريق القاضى .
- وكيف التقى به ؟
- مع العميد محمد أحمد قاسم ضابط شئون القبائل .
- وأين سألتقى به ؟
- فى مواقعهم .
- ولماذا ؟
- اتفاق من وقت لآخر بيننا وبينهم .

انتقلنا بسيارة نصف نقل ، فى داخلها جثة ثقيلة ، كان فى السيارة السائق ، والعميد قاسم وأنا . وسألت مرافقى عن تلك الجثة الثقيلة ، فابتسم ، وقال إنها رشوة للغادر ، نصف مليون ريال فضة ، حوالى اثنين مليون جنيه ، سنقدمها للغادر ليوقف الحرب قليلا ، حتى لا يفصل رؤوس شبابنا عن أجسادهم .

كانت تراجيديا هذه الرحلة نقطة تحول هامة ، لقد تحدثنا طويلا وقضينا الليل فى « خيمة » اللواء عثمان نصار ، وفى الصباح ذهبنا الى الغادر رجل بدوى نحيل الجسد قصير القامة يحمل بندقية على كتفه ، لا يعرف الا القتال والغدر ، وفى رحلة العودة تحدثنا ..

- أعتقد أن قواتنا فى مصر سليمة ..

- ماذا تعنى بسؤالك ؟

- لوغدرت بنا اسرائيل .. فاعتقد أن القوات المصرية فى سيناء كفيلة بضرب اسرائيل .

* * *

وحول إجابة هذا السؤال كان حديث رحلة العودة بالكامل ، قال إن حرب اليمن التهمت كل إمكانيات القوات المسلحة المصرية ، وأن اسرائيل لو قامت بضربة ، فسوف تكون مؤثرة إن لم تكن قاضية .. لماذا ؟

القوة المصرية الضاربة فى اليمن ، ويصعب - بعد تشابك الأحداث - أن تنقل إلى القاهرة ، وإذا نقلت إلى القاهرة فهى فى حاجة الى عام على الأقل من التدريب على مواجهة القوات الأسرائيلية ، وخاصة أن كل إمكانيات التدريب للقوات المصرية الموجودة على أرض الوطن غير متوفرة ، وأن القيادة المصرية لا تتصور أن هناك حربا ممكن أن تنشب فى أى لحظة بين مصر واسرائيل ، لذلك فهى مشغولة بحرب اليمن الساخنة ، ومشغولة بحرب الأنظمة العربية ، وتأتى اسرائيل فى ذيل أهتمامات القيادة السياسية ..

شغلتنى هذه القضية على مدى عام كامل .. وسألت عشرات من كبار ضباط القوات المسلحة فى ذلك الوقت .. وكان أغلب هؤلاء الضباط يؤكدون همسا أن القوات المصرية لم تعبأ ، سواء معنويا أو قتاليا للدخول فى معركة مع اسرائيل ، وأن التوجيه المعنوى للقوات المسلحة منصب على أمرين :

* أولا : قدسية حرب اليمن .
* ثانيا : الأمن السياسى داخل القوات .

- واسرائيل ؟
- لا ... لا يوجد تعبئة للدخول معها فى معركة .

* * *

سألت أحد الضباط عن جدوى حرب اليمن .. قال لى أمرا خطيرا مازلت أتذكره حتى الآن :

- فى فترات الركود القتالى ، يجلس الضباط يتحدثون بحماس عن أحوال الوطن ، وسلبيات النظام وايجابياته ، وربما يتحول الحديث إلى تنظيم والتنظيم الى عمل ، وهى عقدة تمكنت من النظام ، لذلك كان لابد من استمرار « دوران » القوات المسلحة فى حلقة شبه مفرغة ، بحيث لا يتمكن فرد من أفرادها من التقاط أنفاسه ، ويفكر فى كل ما يجرى حوله ، لذلك شهدت القوات المسلحة سلسلة من التحركات داخل وخارج الوطن لم تتوقف أبدا .. ثم كانت حرب اليمن فرصة لذلك .

- واسرائيل ؟
- لا أدرى .. ما اذا كانت القيادة السياسية تعلم نوايا اسرائيل جيدا أم لا .
- وما هى نوايا اسرائيل ؟
- تدمير القوات المسلحة المصرية ، فى لحظة ما ، وبضربة خاطفة وكلما تعيد بناء هذه القوات مرة أخرى تدمرها ، فهى هنا لاتدمر القوات المصرية فحسب . بل تدمر الأقتصاد المصرى ، واذا تم القضاء على الأقتصاد المصرى فان مصر تذهب الى اسرائيل راكعة ، واذا ركعت مصر ، ركع خلفها كل العرب وانتهت القضية الفلسطينية ..

- أتصور أن القيادة تعلم ذلك ؟
- تعلم أو لا تعلم .. ليست هذه القضية ، ولكنها تخطط لغير ذلك .. الصورة هنا كانت قاتمة جدا ..

• • •

أنتقل إلى صورة أخرى ... صورة معاكسة تماما .. وكان هذا الحوار في اليمن .. وكان بيني وبين اللواء عثمان نصار .. ويشهد عليه زميلي الدكتور محمد صلاح قبضايا ، وكان يعمل محررا عسكريا لصحف مؤسسة أخبار اليوم ، وسألت اللواء عثمان نصار لعلمي أنه واحد من المقربين للمشير عبد الحكيم عامر .
- واسرائيل ؟
- لو فكرت في العدوان علينا . فسوف نشق طريقنا الى تل أبيب .. وننهي احتلالها لفلسطين .. لا .. قواتنا بخير .. إنها تحارب هنا - يقصد اليمن - ببطولة سوف يسجلها التاريخ .. وفي ظروف صعبة جدا .. وعدو يصعب رؤيته أو تحديده .. ورجال لا تعرف لمن ينتمون هذه اللحظة .. ولمن ينتمون بعد هذه اللحظة ..

- هم يقاتلون هنا .. ولكن المعركة في الشمال ؟
- نعم القوة الضاربة هنا .. ولكن يمكن نقلها بسهولة .
- نحتاج لأيام . واسرائيل تريد حرب اليوم الواحد ، والضربة الأولى القاضية .
- اسمع .. أنت انهزامي .. هل تريد أن تقول لي - وأنت مدني - أنك تعرف أكثر من كبار القادة العسكريين والسياسيين ؟
ثم سكت وقال
- هل سمعت عن القاهر والظافر ؟
- نعم ..

- اذن .. أسكت .. هل تريد أن ننشر خططنا لكى تطمئن ؟

• • •

كان الرجل خفيف الظل ، وكان يتحدث بثقة ما بعدها ثقة .. وصدقته .. لأنى أرغب فى ذلك .. وأنهى حديثه بنكتة .. وعاد لى الأمل .. فربما هناك أسلحة سرية ، وهناك قوات لا يعلم عنها أحد ، وهناك خطط لمواجهة غدر اسرائيل .. أنا أو غيرى لا نعلمه ..

• • •

كنت فى بيتى على أطراف مدينة المهندسين ، وكان يزورنى والد زوجتى وقال :

- لقد استدعوا أبنى .. يبدو أن هناك حربا .

- قلت : ربما .

- قال ولكن قواتنا فى اليمن .

قلت لدينا مايكفى لتحرير فلسطين .

قال الرجل وهو يتلعثم بين الشك واليقين : لقد كنت فى زيارة لأحد أقاربى بجاردن سيتى ، وشاهدت عشرات الدبابات متجهة الى سيناء ، وسط السفارات ، وأمام عدسات التليفزيون ، ودهشت ، ما أعلمه أن تحرك القوات لابد أن يكون سريا ، فكيف يتم تحريك القوات فى الشوارع ، أتصور أنها مظاهرة قوة فقط ، ولن تكون هناك حرب .

قلت : مشكلتنا أننا أصبحنا جميعا عسكريين .

قال : أنا أقول هذا .. لأن اسرائيل ليست جيشا من العاهرات كما قالت احدى المجلات المصرية .. ولكنه جيش قوى .

يومها .. قلت للرجل الذى اعتبرته دائما فى مقام والدى كلاما لا يليق لم أكن أقول هذا للوالد ، ولكن كنت أقوله لنفسى ، لكى أطمئن أنا .. فمن خلال قراءاتى لفكر العدو الصهيونى كنت أعلم أن الحرب قائمة لا محالة فى عدة حالات :

- فى حالة اغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية .
- فى وصول قوات عربية الى الأردن .
- فى تنفيذ توقيع اتفاق عسكرى بين مصر والأردن أو بين الأردن ومصر .
- فى حالة دخول قوات ثقيلة قطاع غزة .
- فى زيادة العمليات العسكرية ضد اسرائيل أو ما تسميه النشاط الأرهابى .

لقد علموا فى اسرائيل جنودهم أن حالة واحدة من الحالات السابقة تحدث ، فهى تعنى اعلان الحرب ، وإنها لحظات وتطلق اسرائيل الرصاصة الأولى .

وكانت مصر ، قد أقدمت على كل هذه الأجراءات ، وقامت العراق بأرسال قواتها إلى الأردن ، وكانت فى الطريق لتدخل الضفة الغربية .

لذلك .. أخذت من الصور المتناقضة ، ما يدفعنى إلى الأطمئنان ، بأن فى جعبة القيادة الكثير من الخطط التى تواجه بها العدو الصهيونى .

* * *

فى جو الحرب الدراماتيكى ، نسيت كل شىء الا ضرورة أننا سوف نحقق النصر ، لذلك طلبت تصريحا من المخابرات الحربية للسفر إلى مدينة غزة ،لأدخل مع القوات المصرية المنتصرة الى تل أبيب .

وفى الساعة التاسعة .. وكنت فى بيتى .. وكان تليفون زوجة أحد الضباط تخبرنا بأن الحرب قد قامت ، وتقول :

- أن طائرات اسرائيل ضربت مطاراً قريبا منها .

* * *

لم أصدق .. فهل يمكن أن تخترق طائرات لهسرائيل حزام الأمن فى سيناء وقناة السويس ، ثم تصل الى مطار فى قلب القاهرة وتضربه .

وفتحنا المذياع .. فعلمنا من المذيع أننا فى قمة انتصاراتنا ، وأن طائرات العدو تتساقط كالحمام فى ناد . للرماية أمام طلقات رماة مهرة .

وذهبت الى الجريدة ، وكان الناس يهتفون ويهللون كلما سمعوا بيانا بسقوط طائرات العدو ، وتدخل قواتنا فى اتجاه تل أبيب وبير سبع .

فى الجريدة ، حيث توجد كافة وكالات الأنباء العالمية ، ثبت أخبارها من كل أنحاء العالم ، وسألت عن ضرب مطار فى القاهرة ، فكادت أن تحدث مشاجرة بينى وبين زملائى فى قسم الترجمة ، وصل بأحدهم أن وصفنى بعدو الثورة والزعيم عبد الناصر ، فلقد كانت اسرائيل لا تذيع شيئا عن تحركاتها أو تقدمها ، أو معاركها فى سيناء .

اتصل بى موظف الاستعلامات .. وقال لى أن تصريح السفر الى غزة قد وصل ، ومعك محمود عبد الهادى . وحاولنا السفر يوم الحرب . فلم نتمكن ، وفى السادسة صباحا من يوم الثلاثاء السادس من يونيو عام ١٩٦٧ ، ركبت وزميلى محمود عبد الهادى « اتوبيس » متجها إلى الاسماعيلية ، ومن الاسماعيلية سوف نتجه إلى قطاع غزة .

• • •

كان بالاتوبيس عدد قليل من الناس ، وقد اقتربوا من السائق ليسمعوا راديو ترانزستور وضعه السائق بجواره ، وفى الأتوبيس جندى لا يزيد عمره عن عشرين عاما ، وكان يبدو على الجميع أنهم لم يذوقوا طعم النوم ، ولكن عليهم - أيضا - سمات السعادة للأنتصار الذى حققته قواتنا من خلال البيانات التى تذاع من وقت لآخر ، وكانوا يهتفون ويهللون عند سماع كل بيان ، وفى فترة صمت قال الجندى :

- نحن ننسحب من سيناء .

- أخرس ياكلب .

وكادت أن تنشب معركة بين ركاب الأتوبيس وهذا الشاب ، ولولا تدخلى وزميلى محمود عبد الهادى وإلا فتكوا به تماما ، ولم ينطق الجندى بكلمة .. وعندما سكت الركاب ، حيث كانت الكلمة كالصاعقة هدتهم جميعا وصدمتهم جميعا ، ولم يصدقه أحد من الركاب . تسلل الجندى الى المقعد الخلفى ، وبعد فترة ذهبت ، وجلست بجواره ، وأنا فى غاية القلق :

- ماذا تقول ؟
- لاشيء .
- ما معنى لا شيء ؟
- أرجوك .. أتركني وحدى .

وبكى الجندى .. وتركته يبكى .. وبكى كثيرا .

وصاح أحد الركاب :

- ياأستاذ .. أترك هذا الجبان .. وأجلس مكانك .

وتوقف الجندى عن البكاء .. ونظر الى الراكب بغضب شديد وجفف دموعه ، ونظر من النافذة ، ثم عادت دموعه تنهمر على خديه ...

- اهدأ ياصديقى .
- عندما نصل إلى الاسماعيلية سوف تصدقونى .
- بربك .. ماذا حدث ؟

• • •

بعد الحاح شديد ، حكى الجندى قصة غريبة ، عقلى يصدقها ، وقلبى يرفضها ، لقدكان فى موقع بالقرب من قناة السويس على الضفة الشرقية من القناة وجاءت الطائرات الاسرائيلية ودكت الموقع ، لم يكن لديهم مدافع مضادة للطائرات ، كان كل السلاح الموجود فى الموقع عبارة عن رشاشات بورسعيد ، وكان الموقع فى انتظار السلاح الذى لم يصل ، ولا آلات لحفر الخنادق ، فمات من مات ، وبقى عشرة أفراد فى مواقعهم يحملون الرشاشات ، وينتشرون بعيدا عن الموقع .

وفى الثانية ظهرا .. جاء جنود مصريون من موقع يسبقنا .. قالوا أن الطائرات الاسرائيلية ضربت الموقع ، وجاءت أوامر للقائد بالأنسحاب فانسحبنا جميعا الى الضفة الغربية للقناة ، ووصلنا فى السابعة مساء ، وحاولنا أن نسلم أنفسنا إلى أى قيادة موجودة فلم نجد ، فذهبنا نسلم أنفسنا لمحافظ الاسماعيلية فلم نجده ، وقال لنا مسئول كبير فى المحافظة :

- روحوا ... وتعالوا بكره .

فأخذت قطارا الى القاهرة ... وذهبت إلى أسرتى .. كان والدى يعلم أننى أحارب فى سيناء .. حاولت أن أروى له ما حدث .. إلا أنه أخذ يضربنى .. ويركلنى .. ويبصق على وجهى .. ويصفنى بالجبن .. وأننى جلبت له العار بين أبناء الحى .. وهو الذى كان يفخر بأن أبنه يحارب .. ويراه فى بيانات الأذاعة والتليفزيون ..

وخرجت من البيت ... وجلست على مقهى فى باب الحديد فى انتظار أول سيارة إلى الاسماعيلية ، وهى أقرب منطقة لوجود القوات . وركبت هذا الأتوبيس .

- عندما نصل الى الاسماعيلية سوف تصدقنى .

* * *

وأمتلأ قلبى مرارة وقهرا ، وحاولت ألا أصدقه فلم أتمكن ، كل كلمة تنبض بالصدق ، عضلات وجهه تقول الحق ، دموعه تتوسل لى بان أصدقه ، فلقد كان غريقا فى بحر لا يجيد السباحة فى مياهه ..

رغم كل هذا . تمنيت من كل قلبى ألا يكون صادقا ، وأن يكون هذا مجرد حلم ، بعيد عن الحقيقة ، أو ربما حدث له فقط ، ولكن بقية القوات معافية سليمة تشق طريقها نحو تل أبيب .

تركته ، وعدت إلى مكانى وأنا فى أشد اليأس ، وسألنى زميلى عما قاله .. قلت باقتضاب :

- لا شىء ...

ونظرت من النافذة الى المجهول .. وأنا فى شدة حالات الاحباط .. وفجأة .. لاحت بجوارنا دبابة .. عليها جندى .. متجهة من الشرق إلى الغرب .. وعلى وجه الجندى كل إجابات أسئلة ركاب الأتوبيس .. كان وجهه يقول : أننى تركت خلفى كارثة ..

وساد صمت ووجوم بين ركاب الأتوبيس ..

ووصلنا إلى الاسماعيلية ..

ونزل الركاب ..

الاسماعيلية تمتلىء بالجنود والضباط .. لا يتكلمون .. الكل فى حالة ذهول .. وبين الحين والآخر تأتى طائرة اسرائيلية سوداء .. تخترق حاجز الصوت فوق المدينة .. تتصدى لها مدفعية يدوية مضادة للطائرات .. ثم تعود غيرها .. وتلقى بقنابلها عند مواقع هذه المدفعية .. ولم تتمكن فى اليوم السادس من يونيو أن تصيب هذه المدفعية البسيطة والتى حمت آلافاً من الجنود العائدين من سيناء .

آه .. صدقت رواية جندى اتوبيس السادسة صباحا .

بل أن الكارثة أكبر مما تصوره هذا الجندى البسيط .

هنا .. الهزيمة عارية .. بلا بيانات .. ولا أناشيد .

وقضيت عدة أيام ألتقى بالعائدين ، أسمع رواياتهم وأسجلها لتكون جزءاً من هذا الكتاب .

آه .. ما أروع شعب الاسماعيلية .. وما أسوأ حكومة القاهرة .. لقد عاد المئات جرحى من سيناء .. لقد عاد الآلاف محروقين بمسحوق النابالم الحارق ، أمتلأت مستشفيات الاسماعيلية بالجرحى ، ثم فتح الأهالى بيوتهم لهم ، وقام الأطباء المدنيون والعسكريون بعلاج المئات منهم . كان بعضهم لا يجد مكانا . فيقضى ليلته تحت الشجرة ينزف حتى الموت ، وتبرع فتيات وفتيان ورجال ونساء الاسماعيلية بدمائهم لجرحى حرب يونيو ، وكان يمكن انقاذ كل الجرحى لو تركوهم يتجهون الى مستشفيات مصر فى القاهرة وغيرها من المدن ..

ولكن .. لقد صدرت الأوامر بعدم انتقال أحد من القناة الى داخل القطر حتى لا يثيروا الفزع بين الناس ، فالناس حتى التاسع من يونيو لا تعلم حجم المأساة . لذلك .. مات عشرات الجرحى .. فلم تكن مدينة الاسماعيلية مهيأة لهذا الدور . ولكن أهلها قاموا بعمل جبار سواء فى مساعدة الجنود ونقلهم من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ، أو فى ايوائهم فى بيوتهم . أو علاجهم .

واقتسم السكان والجنود كسرة الخبز الموجودة فى الاسماعيلية ، واستمر الحال هكذا حتى رفع الحصار عن سجناء الاسماعيلية مساء يوم ٩

يونيو عام ١٩٦٧ ، عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر خطاب التنحى ...

* * *

استمعنا الى خطاب التنحى فى مبنى محافظة الاسماعيلية .. وكان الحاضرون خليطا بين قادة من القوات المسلحة ، ورجال المحافظة ، وناصرى وقدم عبد الناصر فى خطاب التنحى زكريا محيى الدين خلفا له .. وبعد انتهاء الخطاب المؤثر جدا ، منا من بكى ، ومنا من قال أن التنحى ضرورة ..

ثم خرجت مظاهرة صاخبة من الاسماعيلية ، واتجهت الى مبنى المحافظة .. وكانت تهتف :

اليهود شرق القناة .. عاوزين سلاح ...

ـ وخرج اليهم الشاب الناصرى .. وخطب فيهم .. وأعلن فى هذا الجمع تأييده لزكريا محيى الدين .. وأنه سيتصل به .. ويأتى لهم بالسلاح للدفاع عن الاسماعيلية ..

* * *

اتجهنا الى محطة القطارات ، عندما علمنا أن هناك قطارا سوف يتجه بعد دقائق الى القاهرة ، وذهبنا للحصول على تذكرة فعلمنا أن القطار بالمجان ، بشرط عدم ركوب العسكريين ، وأن وزير المواصلات قد أمر بركوب كل الناس مجانا فى كل القطارات المتجهة الى القاهرة ، لتنضم الى المظاهرات التى تطالب باستمرار الرئيس عبد الناصر بحكم مصر .

* * *

وصلنا إلى محطة مصر بالقاهرة ، الآف من البشر تهبط من القطارات القادمة من أنحاء مصر لتشارك فى مسيرة الصباح ، وهى تهتف للزعيم بأن يبقى . وخرجنا من المحطة ، وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة صباحا ،

لنجد الملايين من البشر فى مسيرات باتجاه قصر القبة ، تهتف بحياة عبد الناصر .

وعدت بصعوبة الى بيتى ، وأنا أبكى أكبر هزيمة لحقت بمصرنا الغالية ثم وأنا فى دهشة من الجماهير الغفيرة والتى لايمكن أن تكون قد نظمت ، وهى تهتف لعبد الناصر .. وتساءلت : هل تعرف الملايين حجم المأساة وعمقها ؟ .. هل تتصور أن « التنحى » جزء من شروط امريكية ، وشعبنا يرفض الشروط ؟ احترت فى الأجابة على هذا السؤال ..

* * *

فى مجلس الشعب المصرى ، رقص بعض النواب وهزوا الوسط ـ ولأول مرة فى تاريخ البرلمان المصرى أو أى برلمان فى العالم ـ يرقص نائب طربا ولم يبق غير فرقة موسيقية لايقاع الرقص ، عندما أعلن أنور السادات رئيس مجلس الأمة . بعدول الرئيس عبد الناصر عن الأستقالة ...
(العشاء الأخير من ؟ !! العضو الذى رقص !)

* * *

استتبت الأمور ، وعلم الشعب ، كل الشعب عمق المأساة ، فخرجت الجماهير ثائرة تطالب بالثأر ، وتطالب أبطال الهزيمة بالرحيل ، وكان ذلك على أثر صدور أحكام قضائية ضد أبرياء من قادة القوات المسلحة ..

كان لابد من ذبح أكثر من كبش فداء لأبطال النكسة الحقيقيين ، وقدم قادة من أعظم قادة مصر إلى المحاكمة بتهمة التسبب فى الهزيمة ، وصدرت أحكام ضد هؤلاء القادة ، وانتشرت شائعات ضد غيرهم من قادة مصر . وكان معظمهم أبرياء .

* * *

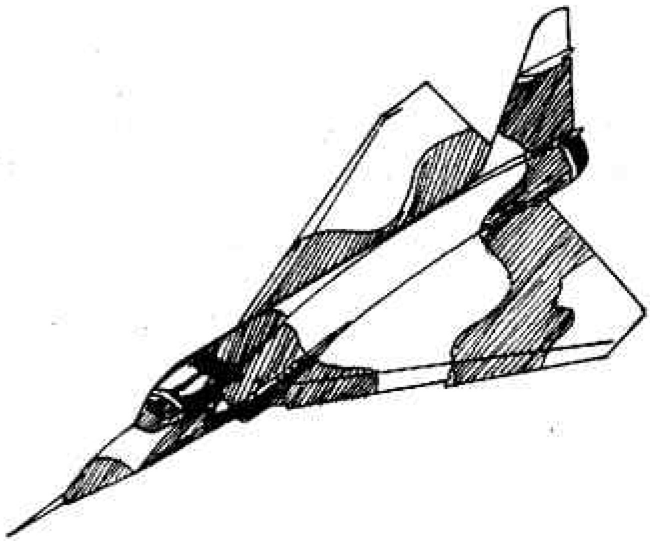
واليوم .. وبعد أكثر من عشرين عاما على أكبر هزيمة لحقت بمصر .. أقول أن صورة الهزيمة ما ضاعت من ذهنى .. وحديث الرجال ما ضاع من ذاكرتى ومذكراتى .. وصراخ الأبرياء ما فارقنى على مدى السنوات الطويلة الماضية .

وهذا الكتاب هو محاولة متواضعة لتبرئة الأبرياء من الهزيمة ... وحتى لا نقيم المشانق للأبرياء أبداً .. فى الوقت الذى نترك فيه المجرمين والقتلـــة.

لقد كانت حرب يونيو مصيدة لقواتنا المسلحة الباسلة .. سقطوا فيها وهم أبرياء .. سقطوا فيها وهم مقيدون .. سقطوا فيها .. والمجرمين خارج المصيدة .. يعبثون .. ورغم الأتهامات الباطلة .. ورغم قسوة النعوت التى تحملوها .. ورغم الحملة الأعلامية ضدهم .. ورغم المحاكمـات الصورية .. فهم أنفسهم هم الذين صنعوا ملحمة العرب الكبرى : حرب أكتوبر .

وأرجوا أن أوفق فى إظهار الحق ، وأن أبرهن أن قادة قواتنا وأفرادها أبرياء من هزيمة يونيو التى قصمت كل قلوب المصريين حزنا وألما .

وجيه أبو ذكرى



الفصل الاول

وثيقة من طرابلس

* طرابلس ـ ٥ يونيو عام ١٩٦٩ ..

أنتم سفلة ..

كل رجال الاعلام فى مصر .. سفلة ..

لقد سقيتم الشعب ، كل الشعب ، بما فيه أفراد القوات المسلحة مخدراً قويا ، وأجبرتوه أن يعيش فى غيبوبة كاملة ، ولم يستيقظ إلا سائراً على الأقدام .. هائما على وجهه فى صحراء سيناء ، بحثاً عن قطرة ماء .. وهروبا من الرصاصات الاسرائيلية التى رشقوها فى ظهور خير شباب مصر ..

* نعم .. أنتم سفلة ..

قلتم لنا بالعناوين الحمراء الفاقعة ، أن لدينا أكبر قوة جوية فى الشرق .. قل لى أين هى .. ونحن نسير فى صحراء سيناء .. وطائراتهم تصب علينا النابالم والرصاص ..

قلتم لنا بالعناوين الحمراء كلون الدم ، أن قواتنا قادرة أن تدك تل أبيب .. فأين هى القوات التى قامت بحمايتنا ونحن فى مواقعنا بلا سلاح فى سيناء .. وليس دك تل أبيب ..

قلتم لنا فى صحافتكم الصفراء .. أن مخابراتنا تملك من القدرة والوسائل والعيون أن تدخل غرفة نوم جولدا مائير وكأنها مراحيض عامة .. فكيف لا تعلم هذا الذى انتظرنا فى سيناء ..

قلتم لنا أن جيشهم من العاهرات والجبناء والمأفونين والأغبياء والجهلة .. وصدقنا ما قلتم .. فخرجوا علينا بكل قوة يحصدوننا ..

• الليلة .. الذكرى الأولى للخامس من يونيو الحزين .. بكيت .. وصرخت بلا صوت ... ووجدتنى أجلس لأكتب لك هذه الرسالة .. أما لماذا أكتب لك ؟ .. فلأننى قرأت لك مقالاً عن المقاومة الفلسطينية .. وقلت أنها أمل تحرير الأرض .. وأنا أقول لك .. أن لن يحرر مصر .. غير شعب مصر .. فبدأت أكتب لك رداً على هذه النقطة بالذات .. ولكن .. كانت الذكرى الأولى الأليمة .. فلم أتمكن أن أخرج من ذكرياتها .. حاولت .. ولكن لم أتمكن ..

• • •

• والآن .. من أنا ؟

أنا .. أعمل جرسونا فى أحد الفنادق الليبية .. تفضلت على الحكومة الليبية بهذا العمل .. وقبلته شاكرا .. أعيش بعيدا عن الأهل والأصدقاء .. أشعر بحنين للوطن .. أبكي .. تنزف عيناى دموعا حتى تجف الدموع .. أعيش فى حزن لا يعرف أحد مداه غير ما تبقى من حطام النفس ..

لقد تخرجت من كلية الهندسة .. وبعد تخرجى التحقت بالجيش لأداء الخدمة الوطنية ، والدى رجل فقير ، يعول أسرة مكونة من أربعة أولاد وأنا أكبرهم .. لذلك طلبت السفر إلى اليمن للاشتراك فى حرب اليمن ، حيث المال الوفير .. بل والراحة .. والسفر والتجارة ..

وقبل أن أودع أسرتى فى طريقى إلى اليمن .. عشت مشهدا .. لم ولن أنساه مدى حياتى .. لأنه فصلة فى مقدمة حرب يونيو .. فأنا من سكان بولاق .. وفى بولاق تقاليد .. هى بقايا تقاليد الفروسية القديمة .. منها أن يقوم شباب الحى بحماية فتياته من عيون أى غريب ..

وفى الحى فتاة جميلة كالبدر ، كانت محل اهتمامى ، وكنت أفكر فى الزواج منها بعد انتهاء تجنيدى ، ورغم جمالها لا يستطيع أى شاب فى الحى

أن يغازلها ، لا لأن هناك شائعات تقول إننى سأتقدم لخطبتها ، ولكن لأنها إبنة الحى .. والدها بقال متواضع ..

ولكن .. واحداً من شباب الحى .. ضرب عرض الحائط بكل تقاليد الأحياء الشعبية .. وغازل الفتاة الجميلة أمام كل سكان الحى .. وطاردها بعنف .. وكأنه يريد أن يأتى بها فى الطريق العام .. وعلى مشهد من كل المارة .. ووصل الخبر إلى والد الفتاة .. فذهب لنجدة إبنته .. ودارت معركة ضرب فيها هذا الشاب ضربا مبرحا ..

ما زلت أذكر كلمات والد الفتاة :

- هل هذه رجولة .. بدلا من أن تحميها .. تفكر فى الاعتداء عليها يا ندل ..

بصقت على وجه هذا الشاب .. بعد مشاركتى فى ضربه ..

كان هذا الشاب نقيبا فى القوات المسلحة ، وكنا سعداء به عندما كان طالبا فى الكلية الحربية ، ثم ملازما حتى تصور أنه أعلى منا وأرقى ، فانفصل تماما عن نبض الحى .

فى المساء .. عاد النقيب ومعه قوة من الجنود .. نزلوا من سيارة أمام محل البقال والد الفتاة .. وأبرحوه ضربا .. فى نفس الوقت اتجه طابور منهم شمالا يضرب كل من يلتقى به ، واتجه طابور يمينا ، يضرب كل من يلتقى به ، وأسرع الناس باغلاق أبواب منازلهم ومتاجرهم .. وكاد الشارع أن يخلو من المارة ..

اتصل البعض بالشرطة .. وعندما شرحت لهم الصورة ، لم يتحرك منهم أحد .

اقتحموا بيتى .. ولكن والدى أجبرنى على الاختفاء « فليس من الحكمة مواجهة القوة الغاشمة » .. وبعد الانتهاء من « تأديب » الحى .. خرج النقيب على رأس قوته ..

سافرت إلى اليمن .. وهذه الحادثة تمثل كل رموز مأساة مصر قبل حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وأثناء تواجدى فى اليمن ، رويت القصة لقائدى ،

الذى غضب غضبة شديدة ، وطلب منى أن أسجلها فى رسالة ، وسوف يوصلها إلى المشير عبد الحكيم عامر ، وسعدت بهذا القائد ، وسجلت الحادثة ، وأخذها القائد .. وفى إحدى زيارات المشير .. قدم القائد إلى المشير قصة هذه المأساة .. قرأها المشير .. وكان تعقيبه مخيفا إلى أبعد الحدود :

ـ ده .. واد مجدع ..

« واد مجدع » .. ذبح القانون .. واغتال التقاليد .. وانتزع الأمان من كل نفوس سكان الحى ..

« واد مجدع » .. انطلق بقوة غاشمة .. تضرب الشرفاء .. والمنتمين .. وتقتل فيهم الفروسية ..

مزق المشير الرسالة .. فلقد كان النقيب أحد أفراد حرسه ..

• • •

فى اليمن عشت فى صنعاء .. لا حرب ولا قتال .. وكان قائدى هو صديقى .. علمنى كيف أحمل هموم الوطن .. كنت أقضى معه الأيام نحكى فى هموم الوطن .. أذكر رأيه فى حرب اليمن .. أن حرب اليمن لن تتوقف .. لأنها خلقت طبقة من المصريين واليمنيين والسعوديين استطاعت أن تكون ثروات طائلة من هذه الحرب .. وهؤلاء هم الذين يملكون قرار وقفها .. أذكر أنه كان دائما يقول لى أن الشعب أعطى كل ما يملك للقوات المسلحة لكى توقف أطماع عدو رهيب فى الشرق .. ويعنى به اسرائيل .. أذكر أنه كان دائما يقول إن الحرب مع اسرائيل سوف تبدأ عندما تنهك مصر عسكريا واقتصاديا .. حتى تتمكن اسرائيل من ابتلاعها بأقل الخسائر ..

• • •

ألا يوجد لديكم كاتب واحد .. يملك من الشجاعة ليكتب الحقيقة عن حرب اليمن ، وآثارها التى دمرتنا ؟

ألا يوجد لديكم كاتب واحد .. يرى ما رآه هذا القائد العظيم ؟

العكس تماما .. قمتم ـ يا اعلاميى مصر ـ بحملة تضليل رهيبة للشعب ولقواته المسلحة .. قلتم إن الطريق إلى تل أبيب لابد وأن يمر بصنعاء .. هل سمعتم عن ساكن فى امبابة ، ذهب إلى مصر الجديدة مارا بأسوان أولا ؟ .. ولكن أنتم استطعتم اقناع الشعب وقواته المسلحة بهذه الأكذوبة ..

• • •

اليمن فى اعلامكم وصحفكم الصفراء .. غير اليمن التى عشت فيها .. فهنا لا حرب .. ولكن اغتيالاً للمصريين .. وهنا استنزاف رهيب لكل موارد مصر وطاقاتها .. وفى صحفكم فان الجيش المصرى منتصر ، وموارد مصر لا تبدد ، وكل شىء متوفر .. والخدمات على أحسن ما يكون ..

كله على الورق الأصفر .. وصندوق الأكاذيب .. وأعنى به تليفزيونكم ..

• • •

سمعنا عن الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية .. وذهبت إلى القائد أستفسر منه .. قال :

ـ أخشى أن يكون هذا كمينا اسرائيليا للقوات المصرية ..

قلت : كيف ؟

قال : إن هذه فرصة ذهبية لاسرائيل لكى تضرب مصر .. فهى تستفز القوات المصرية بحشودها على سوريا .. وقواتنا مبعثرة .. جزء فى اليمن .. وجزء للحراسة .. وجزء فى سيناء .. ثم .. كل هذه القوات فى حالة استرخاء .. فلا مناورات .. لأن المناورة تتكلف الكثير .. وحرب اليمن فى حاجة إلى كل ما ينفق على المناورات ..

ثم قال : ولكن أعتقد أن القيادة السياسية .. وهى تعلم أكثر منا ستسقط فى هذا الكمين ..

• • •

جاءت لنا أوامر بالرحيل إلى القاهرة .. شعرت بالسعادة .. رغم أننى لم أدخر ما كنت أرجوه .. ولكن بعد أيام من وجودى فى اليمن أحسست أن مكان هذه القوات هى أرض الوطن .. إذا أردنا مساعدة اليمن فهناك أكثر من طريق غير الحرب ..

لم أكن وحدى سعيدا بالعودة .. بل كان كل أفراد الكتيبة سعداء بالرحيل .. اتجهت بنا السيارات إلى ميناء الحديدة فوق باب المندب بقليل على الساحل الجنوبى للبحر الأحمر .. وركبنا البواخر .. وودعنا اليمن سعداء ..

• فى الطريق .. قال لى قائد :

ـــ يبدو أننا سننضم إلى التشكيلات المقاتلة فى سيناء ..

قالها وهو فى منتهى السعادة .. وسألته عن حديثه السابق .. عن عدم الاستعداد .. فتحدث معى عكس ما قاله .. لقد كانت سعادته لا توصف .. أنسته الواقع ..

• • •

بعد يومين فى البحر .. جمعنا القائد .. وأخبرنا أن الباخرة سوف ترسو فى ميناء الطور .. لنأخذ مواقعنا فى سيناء .. لنواجه اسرائيل العدو الحقيقى لمصر .

• وهتف الناس لعبد الناصر .. ولمصر ..

وقام ربان السفينة بفتح إذاعة القاهرة على الميكروفونات الموجودة بالباخرة .. وبدأنا نردد خلف عبد الحليم حافظ .. حنحارب .. كل الناس حنحارب .. وخلف أم كلثوم .. راجعين بقوة السلاح ..

واشتعل الحماس فى الباخرة ..

ورددنا الأناشيد .. حتى أصابنا الارهاق .

حتى القائد .. كان يردد معنا تلك الأغانى والأناشيد ..

نزلنا منياء الطور ..

وذهب القائد إلى مقر القيادة ..

بعد ساعات .. جاء لنا بسيارات سوف تنقلنا إلى رفح ..

نعم .. رفح ..

سوف أكون أول من يقتحم حصن العدو ..

سأكون فى الطابور الأول الذى يحرر تل أبيب ..

هكذا قالت لنا صحفكم .. وإذاعتكم ..

وصدقت هذا .. لأننى لا أملك إلا أن أصدق هذا ..

• • •

وصلنا إلى رفح فى هذا المساء ..

فى قطاع غزة .. قال إنه اشترى بالأمس ثلاجة غريبة ـ معه فى الموقع ـ تنتج الثلج أتوماتيكيا ، ووجد عند أحد التجار طقما من الأطباق الصينية ، صناعة فرنسية .

• • •

فجأة .. انطلقت المدافع ..

وفجأة .. اتجهنا إلى الخنادق ..

وفجأة .. صرخ القائد .. السلاح يا أولاد الكلب ..

آه .. سقطت قذيفة على الموقع الذى أنا فيه .. مات كل من فيه وعددهم تسعة .. فيما عداى وصديقى .. استمرت المدافع تدك موقعنا .. والمواقع المجاورة .. وتمنيت الموت .. لأننى لا أنكر أننى عشت الرعب كله .. قذائف ثقيلة .. ولا أملك حتى عصا أدافع بها عن نفسى .. هدأت القذائف .. فخرجت ورفيقى من خندق الموت .. فشاهدت دبابة اسرائيلية تجرى بسرعة كبيرة على الطريق الممهد .. هل شاهدونا ؟ .. هل تركونا ؟ .. لم أكن أدرى .

آه .. لقد جئنا إلى هنا لنقتل .. لا لنقاتل ..

جمع بقايانا القائد .. كانت السيارة الوحيدة التى فى حوزتنا قد دمرت تماما .. واشتعلت فيها النيران .. وما زالت النيران مشتعلة فيها ..

طلب منا القائد أن نتوجه إلى موقع يبعد عنا ثلاثة كيلو مترات .. وطلب منا أن نحمل ما نملك من ماء أو غذاء .. وأن يتجه خمسة أفراد .. ثم خمسة آخرون .. وقرر أن يكون فى المجموعة الأخيرة لحمايتنا .. فهو يحمل مسدسا به أربع طلقات على الأقل ..

• • •

سأطيل عليك .. رغما عنك ..

فان كتابة قصتى .. سواء قرأتها أنت .. أو لم تقرأها .. سواء نشرت أو لم تنشر .. فان مجرد كتابتها أراحتنى ..

سارت المجموعة الأولى .. والثانية .. حتى الأخيرة .. حيث القائد وأنا .. وما أن سرنا لحظات .. حتى جاءت طائرات اسرائيلية انبطحنا أرضا بناء على أوامر القائد .. ثم بدأت الطائرات تطلق علينا الرصاص .. ثم عادت مرة أخرى .. وأطلقت علينا « البودرة » .. والبودرة هى مسحوق النابالم .. كنا سبعة منبطحين أرضا .. قمنا ثلاثة .. القائد .. وزميل .. وأنا ..

صرخت عندما رأيت القائد ..

لقد شوهته هذه البودرة اللعينة التى ألقتها الطائرات الاسرائيلية ..

« لا وقت للصراخ » .. ولا البكاء .. وعلينا أن نسير فى اتجاه الموقع .

هكذا كانت أوامر القائد .. اقترحت عليه أن نتجه إلى المدينة .. ونختبىء فى أحد المنازل .. فصرخ قائلا :

ـــ لقد جئنا للقتال .. لا للاختفاء فى المنازل .. أو السقوط فى أيديهم أسرى ..

سرنا فى اتجاه الموقع .. شاهدنا طائرات .. ولكنها لم تطلق علينا

الرصاص .. شاهدنا الدبابات الاسرائيلية على الطريق الممهد .. وهى أمامنا صيد ثمين سهل .. ولكن ليس فى أيدينا السلاح الذى يدمرها .. إنها حسرة ..

* * *

وصلنا الموقع .. فلم نجد فيه غير خمس جثث لشباب من جنود مصر .. لا أعرف حتى الآن .. هل كان هؤلاء معنا في اليمن ؟ .. هل جاءوا على نفس الباخرة ؟ .. هل كان معهم سلاح ؟ .. وأين هو .. إن القائد بحث فى كل الموقع عن قطعة سلاح واحدة .. فلم يجد ..

* * *

واصلنا السير فى الطريق إلى القناة ، أو إلى أى موقع ، سرنا أياما ، فقدنا فيها الطريق والماء والغذاء ، واقترح القائد أن نتجه إلى الطريق الأسفلت ، فهو يستطيع تحديد اتجاهه من النجوم ، واتفقنا أن نسير ليلا بمحاذاة الطريق ، وفى الصباح ، نختفى خلف الكثبان الرملية ، وإذا عثرنا على موقع مصرى التحقنا به وحاربنا معه ، وإن لم نعثر ، ففى القنطرة على الأقل ، سنجد قادة .. وسلاحاً .. وأوامر .. وماء .. وغذاء ..

• لا أدرى كم ليلة سرنا ..

ولا أدرى .. كيف استطعنا أن نتحمل الجوع والعطش ..

ولا أدرى لنا موقعا ..

كل ما كنا نشاهده ليلا .. بريق كالسراب .. لقتال ما يدور داخل سيناء ..

بعد معاناة .. وصلنا إلى الطريق « الأسفلت » .. وكان ذلك فى الفجر .. وشاهدنا من خلف الكثبان الرملية سيارة جيب على بعد عدة كيلو مترات قليلة .. مقلوبة بجانب الطريق .. وقرر القائد أن نتجه إليها .. فربما تكن صالحة للسير وربما يكون بداخلها مياه .. وحتى لو لم يكن

بداخلها مياه أو غذاء وغير صالحة للسير .. فماء « الرادياتير » قد يشفي العطش ..

وصل القائد إلى السيارة .. وجد على عجلة القيادة شابا برتبة مقدم .. وقد أصيب برصاصة في رأسه على الأقل .. وفي حزن وصمت بحث القائد في جيوب زميله أى أوراق تثبت شخصيته فلم يجد ..كل ما وجده عبارة عن رسالة إلى زوجته التي إسمها « هدى » .. وسلام حار إلى صغيرته ميرفت .. وستة جنيهات .. وأخذ القائد الأوراق .. ووضعها في جيبه .. ثم بدأ البحث عن قطرة ماء في السيارة .. فوجدنا ماء وفيرا في « جركن » .. وطلب منا القائد أن نشرب أولا .. ولا نشرب كثيرا .. خوفا على حياتنا .. وعلمت منه أن العطش لا يروى مرة واحدة .. ولكن قطرة قطرة .. واستمعنا إلى أوامره .. ثم حملنا المقدم الشهيد .. وحفرنا بأظافرنا حفرة له في الرمال .. ودفناه .. ثم قمنا بالصلاة على جثمانه ..

أثناء الصلاة .. سمعنا صوت طائرة .. فكرت لحظة أن أنبطح أرضا ولكن ثبات القائد وهو بين يدى الله جعلني أخجل من نفسي ..

بعد أن قمنا بتأدية الصلاة .. جلس القائد على تل من الرمال وانهمر في البكاء .. حاول زميلي أن يوقفه .. منعته .. فلقد كنت أريده أن يبكي .. ليفرغ شحنة الغضب التي تطبق على أنفاسه ..

واعتذر عن ذلك .. ولم أسأله .. ولم أسمح لزميلي أن يسأله .. أو حتى نواسيه بالكلام ..

قال : يبدو أن السيارة سليمة .. تعالوا نحاول رفعها ..

وقمنا برفعها .. وركب القائد .. وأدارها فدارت .. وهللنا فرحا .. وابتسم هو .. مجرد ابتسامة ..

الآن .. أصبح لدينا سيارة تسير .. ومياه ..

وبدأنا رحلة العودة .. على الطريق الأسفلت ..

بعد نصف ساعة بالسير في اتجاه القناة .. شاهدنا جنديين .. عاريين من أعلى .. يمسكان قطعة قماش بيضاء .. بلا أحذية .. ولا غطاء رأس ..

ولا سلاح .. فوقف لهما القائد .. وما أن عرفا أننا مصريون .. حتى احتضنونا .. وانهمرا فى البكاء .. وركبا معنا السيارة .. وانطلقنا .

- من أنتما ؟

سألهما القائد .. ونحن فى الطريق إلى قناة السويس .. تحدث أحدهما .. هو جندى من طنطا .. أحد أفراد الكتيبة ٣٤٢ بقيادة مقدم عاطف .. أذكر فقط أنهما قالا إن اسمه عاطف .. وكانت هذه الكتيبة تابعة للواء ١١٤ .. ومهمة هذا اللواء حماية الطريق .. والموقع كان جبل لبنى .. لم يكن معنا سلاح ثقيل .. كما لم يكن لدينا ألغام .. وفى أول أيام الحرب .. حاصرتنا أكثر من أربعين دبابة اسرائيلية .. أطلقنا عليها النيران .. فأخرجت حممها .. ثم جاء الطيران ليدك الموقع ..ولا حماية من الطيران المصرى .. ولا أسلحة توقف تقدم هذه الدبابات .. ودخلت على الموقع بلا أى مقاومة تذكر .. وداست من داست .. وحدث أن هرب الجميع من الموقع .. وتفرقنا .. وسار كل منا فى اتجاه .. وبقيت مع صديقى هذا .. نسير بلا ماء ولا غذاء عدة أيام فى الصحراء حتى التقينا بكم .. ولكن هناك معلومات لابد أن أخبركم بها ..

- ما هى ؟

قال : إن كل من ترك موقعه .. سوف يعدم فى القاهرة ..

- من قال ذلك ؟

- ضابط التقينا به فى الصحراء .. ومات بين أيدينا من شدة العطش .

عاد الغضب إلى الضابط .. وأسرع بالسيارة .. ثم فجأة سمعنا أزيز طائرة .. أمرنا الضابط أن نلقى بأنفسنا خارج السيارة .. وفى لحظات كنا الخمسة خارج السيارة .. وفى لحظات .. كان هناك صاروخ من الطائرة أحرق السيارة ..

ثم طلب منا القائد أن نختبىء بسرعة وراء التلال ..

وفى لحظات أيضا كنا وراء التلال .. وفى لحظات أيضا عادت الطائرة

مرة أخرى .. لترش المنطقة « بالبودرة » وطلقات الرصاص .. ولكنها لم تصبنا .

• • •

• قل لى ..

هل هذه حرب ؟ .. رحلة دامية لا نقاتل خلالها ولو لحظة .. ومعنا قائد من أشجع الرجال .. كل مهمتنا خلال هذه الرحلة الدامية أن ندفع الموت عنا ..

• • •

فقدنا السيارة .. والماء .. وابتعدنا عن الطريق .. وكم حاولنا أن نسير فى محاذاته .. سرنا عدة أيام أخرى بلا ماء ولا غذاء .. وخلال هذه الرحلة اشتد اعجابى بهذا القائد .. وأحبه كل من كان معنا فى هذه الرحلة الدامية ..

وشاهدنا عن بعد .. صورة ربما تكون لمياه .. ربما تكون قناة السويس .. ربما تكون سرابا .. وجرينا جميعا فى اتجاه هذا الأمل .. لا .. ليست سرابا .. هى قناة السويس .. جرينا أكثر وأكثر .. ودب الحماس فى عروقنا .. وجاءنا نشاط من عند الله .. آه .. لقد وصلنا إلى الضفة الشرقية من القناة .. نعبرها .. ونصبح فى الضفة الغربية .. وقبل أن نقفز فى القناة .. خرج علينا .. من أين ؟ لا أدرى .. خمسة جنود اسرائيليين .. ومعهم مدافعهم الرشاشة .. وعلى وجوههم شماتة الدنيا كلها .. هذه أول مرة فى حياتى التقى فيها بجنود العدو وجها لوجه .. وعلى أرض بلدى ..

- ارفع إيدك يا مصرى .

ورفعنا أيدينا ..

- مين فيكم ضابط ..

فرد القائد :

- أنا ضابط هذه المجموعة وقائدهم .. وكلهم جنود ..

واقترب الجندى الاسرائيلى من القائد المصرى .. وصفعه بيده على

وجهه .. وهو يقول :

ـ تعال أنت هنا ..

وإذا بالقائد يبصق فى وجهه .. ورد له الصفعة بقوة .. وسرعان ما أطلق أحد الجنود على قائدى الرصاص .. ثم حاول أن يستدير ليطلق علينا جميعا .. فألقيت بنفسي بسرعة البرق فى مياه القناة .. وسمعت رصاصا كثيرا بعد ذلك .. ولا أدرى حتى هذه اللحظة .. هل قتلوا رفاق الرحلة كما قتلوا قائدى .. أم هم الآن فى الأسر ..

• • •

ليس مهما أن تعرف كم أنا حزين على قائدى حتى هذه اللحظة .. ولن أنسى طول عمرى هذا الضابط العظيم بشموخه وكبريائه .. رحمة الله عليك أيها الصديق القائد ..

• • •

وصلت سالما إلى الضفة الغربية ..

لم أجد أحدا فى انتظارى ..

المكان شبه مهجور ..

جلست على الشاطىء بعد رحلة العذاب .. أنظر إلى الشاطىء الآخر .. وأبكى رفيق الرحلة الدامية .. وربما أبكى حالتى .. ربما أبكى وطنى ..

جلست أنظر إلى الشاطىء حيث ودعت القائد ..

فوداعا يا صديقى .. واغفر لى كل أخطائى وخطاياى .. لقد كان يجب أن أموت معك ..

حاولت أن ألتقط أنفاسى لأفكر فى الخطوات القادمة .. وفجأة بدأت ترن فى أذنى كلمات الجنديين :

ـ إنهم يعدمون فى القاهرة كل من ترك موقعه ..

وتساءلت هل هذا معقول ؟ .. وجاء الجواب .. لقد أصبح كل لا معقول

فى مصر .. ممكنا .. ومعقولا ..

ثم .. ماذا لو ذهبت إلى بلدتى ؟

سوف يقبضون على .. وأعلق على حبل المشنقة .. أو أعدم رميا بالرصاص فى جريمة هم الذين ارتكبوها ..

وما الحل ؟ ..

الهروب خارج البلاد ..

كيف ؟

ولم أجد طريقة .. فالسفر بالطائرات والبواخر فى حاجة إلى جوازات سفر .. وأموال .. ووقفت لأدبر هذا حتى ولو كان مزورا .. و أنا لا أملك المال أو الوقت ..

ثم لاحت أمامى فكرة .. الهروب عبر الصحراء إلى ليبيا .. وخاصة .. وقد أصبح لى خبرة فى الصحراء ..

إذن .. إلى المملكة الليبية ..

وتركت الشاطىء .. وأنا مبلل . وشبه عار تماما .. فوجدت مزرعة بها بيت صغير .. وأمامها فلاح عجوز .. وزوجة .. عرفا قصتى قبل أن أبدأها .. قدم لى فنجانا من الشاى .. وقليلا من الطعام .. وأعطانى جلبابه .. ورفض أن يحصل على شىء مقابل كل هذا .. ثم ذهبت فى نوم عميق أمام دار هذا الفلاح ثم استيقظت فعلمت أننى نمت ما يقرب من عشرين ساعة متواصلة .. وعاد الرجل فقدم لى أكواب الشاى وبعض الطعام ..

هذا البيت يقع جنوب الاسماعيلية .. ونصحنى الرجل ألا أذهب إلى الاسماعيلية لأنهم يضعون الجنود فى معسكرات .. ثم يتم ترحيلهم سرا إلى القاهرة وهناك يحققون معهم .

- إذن .. حديث الجندى صحيح ..

كان معى من مدخرات اليمن فى جيبى مائة جنيه كاملة ..

وسرت على أقدامى عدة كيلو مترات من جديد .. حتى وجدت طريق

الاسماعيلية .. فاذا بالطريق عبارة عن سيارات عسكرية .. تذهب فى الاتجاهين .. فاخترقت الطريق حتى وصلت إلى مدينة بلبيس .. واستأجرت سيارة من بلبيس إلى طنطا .. وأقمت عدة ليال فى مسجد السيد البدوى .. وأحيانا خارجه .. واتجهت إلى الاسكندرية .. ومنها إلى مرسى مطروح ..

• • •

دخلت مرسى مطروح فى الصباح .. وعندما نزلت من التاكسى مباشرة .. جاءنى أحدهم .. وقال لى :

ـ أنت جندى .. وقادم من سيناء .. وتريد الهروب إلى ليبيا أليس كذلك ؟

وتصورت فى البداية أننى سقطت فى أيدى السلطة من جديد .. وحاولت الانكار .. ثم اكتشفت ـ بعد ذلك ـ أنه من أبناء واحة سيوة .. وأنه قرر مساعدتى فى الهروب إلى ليبيا دون المرور على نقط التفتيش المصرية .. أعطيته ما تبقى معى من مال .. وركبنا حمارا ، سار بنا فى وديان .. حتى وصلت إلى نقطة التفتيش الليبية .. وألقى الرجل على رجال الحدود الليبية السلام .. وتركنى وركب حماره ورحل ..

• وسألنى رجل الحدود :

ـ أنت من سيناء .

وفهمت بعد ذلك ، إنه يسأل هل أنا جندى من القوات التى عادت من سيناء .. وسمح لى بالدخول .. وجاء أحدهم ونقلنى بالسيارة إلى معسكر على بعد عدة كيلو مترات من الحدود .

دخلت المعسكر .. وإذا بداخله مالا يقل عن مائة جندى مصرى .. جاءوا من سيناء إلى الحدود الليبية .. هربا من هول ما سمعوه .. وهول ما شاهدوه فى سيناء ..

عشنا فى المعسكر عدة أسابيع .. يقدمون لنا الطعام والشراب .. ثم جاء قرار من رئيس الوزراء الليبى عبد الحميد البكوش .. بمنحنا هويات مؤقتة .. والحاقنا بالعمل فى بعض الأماكن فى المدن الليبية ..

كان نصيبى العمل فى فندق جراند أوتيل بطرابلس .. وأعمل جرسونا ..

هذه حكايتي .. لم أكتب لأمي رسالة .. لم أكتب لصديق رسالة .. رغم كل أشواقي للأم .. والأخوة .. والأصدقاء .. رغم كل أشواقي لظلال شجرة التوت الشامخة على ترعة قرية الأقارب في ريف مصر .. رغم أشواقي لنسيم مصر .. ولكن كتبت لك هذه الرسالة .. انشرها .. وإن لم تتمكن من نشرها بين الناس .. لا يهم ما هو إسمي .. فأنا واحد من الآلاف .. ضحايا حرب لم يشتركوا فيها .. فلقد قيدونا بعدم السلاح .. وعدم التخطيط .. وألقوا بنا في النار .. فمتى تحرقهم النيران التي أحرقتنا ..

* سلام على مصر .. وشعب مصر .. وبقايا جيش مصر ..

• • •

انتهت الرسالة المفاجأة والمفاجئة :

لقد وصلتني هذه الرسالة في أغسطس عام ١٩٦٧ .. ولا أدري .. كيف عبرت ليبيا .. ثم عبرت مصر .. لتستقر في يدي .. وقرأتها عدة مرات .. ثم كان هناك استحالة حتى لمجرد التلميح بهذه الرسالة .. واحتفظت بها سنوات طويلة ..

وبعد سنوات طويلة .. جاء عبد الحميد البكوش إلى مصر ، لاجئا سياسيا هربا من حكم العقيد معمر القذافي ، وأعطيته الرسالة .. وسألته .. ما تعليقك على هذا ؟

قال :

* عندما كنت رئيسا لوزراء ليبيا .. اتصل بي وزير الداخلية الليبي وأخبرني بأن جنديا من مصر .. يطلب الدخول إلى ليبيا .. ويرفض العودة إلى مصر .. لأنه من الجنود الذين كانوا في سيناء .. فطلبت من وزير الداخلية أن يبقيه على الحدود مع الجنود الليبيين .. ويقدم له الطعام والشراب .. وفي نفس الليلة اتصل بي وزير الداخلية مرة أخرى وأخبرني أن عدد الجنود قد ارتفع من واحد إلى عشرين جنديا ، وعرضت الأمر على جلالة الملك أدريس السنوسي .. فأمر بعمل معسكر داخل ليبيا .. على مقربة من الحدود ، وإيواء هؤلاء الجنود بداخله ، على أن يعاملوا معاملة كريمة ، ويقدم لهمَ كل مايحتاجونه من مأكل ومشرب وملبس .. في هذا

الوقت .. كان قد وصل إلى القصر تقارير سرية واعلامية عن سير حرب يونيو ، وكان الملك يشعر بالأسى لما حدث ، وقرر الرجل أن كل ما تملكه ليبيا ، تحت تصرف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وفى نفس الوقت إكرام كل من هو قادم من مصر ، لأنه يشعر أن الدولة العربية الوحيدة التى وقفت بجواره ، هى مصر ، وكان دائما يردد رواية الجفاف ، فقبل ظهور البترول فى ليبيا فى أواخر حكم الملك أدريس السنوسي ، حدث جفاف فى ليبيا .. لم تسقط الأمطار ، فلم ينبت زرع ، وجفت الآبار ، ونفق الحيوان وكاد أن يموت الانسان ، فأسرعت مصر .. ومصر وحدها بارسال المواد التموينية بما يكفى الشعب الليبى ، وبدون مقابل طبعا ، كما أن مصر لم تكن تعلم أن فى داخل الأراضى الليبية بترولا ..

الملك .. كان يذكر هذه الرواية كثيرا .. وروايات أخرى كثيرة .. وروايات أخرى عن كرم الشعب المصرى .. ووقوفه دائما إلى جانب ليبيا فى أى محنة تمر بها ..

الحديث ما زال لعبد الحميد البكوش :

- ارتفع رقم الجنود الذين تمكنوا من الهرب إلى ليبيا إلى أكثر من مائة جندى .. وعلمت السفارة المصرية فى طرابلس بحكايتهم .. فطلبت من وزارة الخارجية تسليمهم لمصر .. ووعدوا بعدم المساس بهم ..

* يقول البكوش :

- وعرضت الأمر على الملك .. ورفض .. فاقترحت عليه الحاقهم بأعمال داخل ليبيا .. لانهاء المشكلة .. فوافق على الفور .. فطلبت من وزير الداخلية ارسال بعثة أمنية لسماع أقوالهم .. وكل من تطمئن له .. تعطيه هوية .. وتلحقه بأى عمل .. وتم تنفيذ ذلك خلال أيام قليلة .. وألحق المائة جندى بالعمل فى مؤسسات ليبية ..

* وبعد ..

أى مناخ هذا الذى يمكن أن يحرز نصراً ..

وأى مذبحة هذه .. تقام لآلاف الأبرياء ..

لقد كانت هذه الرسالة .. من الجندى المصرى .. أو الجرسون المصرى الذى يعمل فى ليبيا .. أو المهندس الذى ذهب إلى صنعاء .. فوجد الظروف فى القاهرة تدفعه إلى طرابلس .. هذه الرسالة وحدها ، تحمل كل رموز مذبحة الأبرياء، التى حدثت لهم فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ .. والأيام التى تلى الخامس المشئوم .

• • •

الفصل الثانى

الطريق إلى الهزيمة

جــذور الخلافــات العربيــــة

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان يحركها الثأر لهزيمة الجيش المصرى فى حرب عام ١٩٤٨ أمام العصابات الصهيونية .. وكانت الثورة تعد نفسها بعناية ألا يسقط الجيش فى نفس كمين عام ١٩٤٨ ، وكان الصراع العربى الاسرائيلى هو ما يشغل بال الثورة بعد أهتمامها بالسيطرة الكاملة على الداخل . كما كان الثوار يعلمون جيدا أن الجولة العربية الاسرائيلية الثانية قادمة لامحالة .

وعندما قامت اسرائيل بغارتها الشهيرة على غزة عام ١٩٥٥ ، دفعت هذه الغارة بالرئيس جمال عبد الناصر الى عقد صفقة السلاح المصرية التشيكية ، كاسرا بذلك احتكار الغرب لتصدير السلاح . وقد رفعت هذه الصفقة معنويات وأداء القوات المسلحة المصرية .

ولقد ظهر ذلك واضحا فى أداء القوات المسلحة المصرية فى حرب عام ١٩٥٦ ، فلقد وقف الجيش المصرى فى سيناء يصد بقوة وبطولة محاولة تقدم القوات الاسرائيلية وكبدها خسائر فادحة ، وحتى بعد الأنذار الفرنسى البريطانى ، دب خلاف شديد بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ، فكان من رأى عبد الناصر الأنسحاب الى شرق القناة ، وكان رأى عامر بأن القوات المصرية قادرة على سحق العدوان الاسرائيلى وأنهم - أى قواتنا - تكبد العدو خسائر كبيرة فى أكثر من إشتباك رغم تفوقهم العددى الكبير .

خرج عبد الناصر من هذه المعركة بثلاث نتائج أساسية :

• الأولى : أنه قدم تنازلات جوهرية لاسرائيل ، كانت هذه التنازلات من أسباب حرب عام ١٩٦٧ ، فعندما أبلغت جولدا مائير ، بصفة نهائية ، الأمم المتحدة فى أول مارس عام ١٩٥٧ أن القوات الاسرائيلية سوف تنسحب من سيناء وغزة أتفق عبد الناصر مع همرشولد على منع عمليات تسلل الفدائيين فى المستقبل ، وأن يخول لقوات الطوارىء الدولية القاء القبض على أى متسللين يشتبه فى أمرهم .. وبالرغم من رفض الاسرائيليين السماح بتحديد خط واضح للحدود بحجة أن الهدنة التى قررت هذه الحدود قد « زالت وانتهت » وافق عبد الناصر على أن تقدم الشرطة المصرية والجيش المصرى لقوات الطوارىء الدولية كل المساعدات الممكنة للمحافظة على السلام والهدوء على حدود مصر واسرائيل . ونتيجة لذلك ، فانه ما أن فرضت القيود على الفدائيين وأدرك البدو من أهالى المنطقة أن عمليات عبور الحدود لن يسمح بها سواء من جانب الأمم المتحدة أو من سلطاتهم حتى أصبحت حوادث الحدود بين مصر واسرائيل طوال السنوات العشر التى تلت ذلك من ذكريات الماضى .

والواقع أن تأثير همرشولد كان مهدئا لدرجة أن عبد الناصر وافق فعلا على كل ما اقترحة فيما يتعلق بمهام قوات الطوارىء الدولية وتواجدها على الأرض المصرية رغم امتناع اسرائيل عن الألتزام بالتزامات مماثلة ، وكان أهم ما وافق عليه هو أن ترابط قوات الأمم المتحدة ، عندما ينسحب الاسرائيليون ، فى شرم الشيخ بدلا من القوات المصرية .

لم يكن هناك من يعلم أفضل من عبد الناصر أن هذه الموافقة تعنى نهاية حصار مصر لميناء ايلات الذى توضح أية نظرة سريعة على الخريطة أنها كانت من الناحية العملية كسبا لبن جوريون أهم من أى امتياز يتعلق باستخدام قناة السويس مهما تكن أهمية هذا الأستخدام لهيبة اسرائيل ، ونظرا لأنه كان يدرك أهمية هذا الكسب الاسرائيلى ويذكر حملات الإخوان المسلمين على معاهدة ١٩٥٤ التى عقدها مع بريطانيا فقد شعر أنه من الضرورى أن يحمى نفسه من أى نقد محتمل بأن قدم تنازلات أكثر مما ينبغى لتحقيق انسحاب

اسرائيل الشامل ، ومن ثم أبلغ الدكتور محمود فوزى ، بناء على تعليماته ، كابوت لودج قبل اقتراع الأمم المتحدة النهائى على المطالبة بانسحاب اسرائيل ، أن على واشنطن أن تفهم أن مصر لن تتخلى عن أى حق من حقوقها فى خليج العقبة ثمنا للمساعدة الأمريكية فى حمل الاسرائيليين على الأنسحاب من شرم الشيخ ، وأن القاهرة لا تستطيع لهذه الأسباب أن تقدم تعهدا بالسماح للسفن الاسرائيلية بالابحار من والى ايلات الى أجل غير مسمى كشرط لأنسحاب اسرائيل من سيناء .

لكن على الرغم من كل هذه التحفظات الواضحة كان عبد الناصر يعلم أيضا أن دالاس قد اضطر ، لكى يحمل الاسرائيلين على الأنسحاب الى الموافقة على إحلال قوات الطوارىء الدولية محل القوات المصرية فى شرم الشيخ ومن ثم رفع الحصار المصرى على أساس الأمر الواقع . ولذلك أبلغ عبد الناصر رفاقه أعضاء مجلس الوزراء أنه ليس من الحصافة تحدى القرار الأمريكى خشية اثارة غضب دالاس مما قد يدفعه إلى التخلى عن الضغط الذى يمارسه على بن جوريون ويسمح لاسرائيل بابقاء قواتها فى هذا الموقع الأستراتيجى الحيوى .

وهكذا ، فكما تمتعت حدود النقب وغزة بعد ذلك بفترة من السلام والهدوء النسبيين طوال السنوات العشر التالية ، فقد بدأت الآن فى خليج العقبة حركة ملاحة منتظمة لنقل البترول والشحنات الأخرى اللازمة للأقتصاد الاسرائيلى وظلت مستمرة إلى إيلات حتى ذلك اليوم المشئوم من عام ١٩٦٧ عندما دفع عبد الناصر ، نتيجة أفدح خطأ فى التقدير يرتكبه طوال حياته ، إلى إحتلال شرم الشيخ من جديد بقوات مصرية . لقد التزم المصريون تماما بكل الترتيبات والشروط التى كانت تحكم انسحاب الاسرائيليين باستثناء واحد فقط ..

هذه التنازلات التى قدمها عبد الناصر ، كانت أحد الأسباب الهامة التى دفعت عبد الناصر إلى دخول حرب عام ١٩٦٧ موضوع هذا الكتاب .

ثانيا : خرج عبد الناصر من هذه المعركة زعيما للشارع العربى من المحيط الأطلسى ، حتى الخليج العربى ، فلقد إستطاع أن يجبر قوى ثلاث دول على

الإنسحاب من أراضى مصر ، من بينهم فرنسا التى تحتل الشمال الأفريقى وبريطانيا العظمى التى تحتل الخليج العربى ، ووجدت شعوب هذه الدول فى عبد الناصر البطل والزعيم والأمل فى الحرية .

قبل العدوان الثلاثى ، وقفت مصر وحدها بقيادة عبد الناصر مع الثورة الوليدة فى الجزائر ، ومع تمرد الأسرة المالكة المغربية ضد الوجود الفرنسى ، ومع الحبيب بورقيبة فى تونس ، ومع الملك أدريس السنوسى فى ليبيا ..

وبعد العدوان الثلاثى مباشرة تحولت القاهرة الى قبلة لثوار الأمة العربية وأفريقيا [1]

بيد أن أهم ما تمخضت عنه الحرب من نتائج كان يكمن فى تأثير نجاح عبد الناصر فى تحويل الهزيمة إلى نصر على علاقاته ومكانته فى العالم العربى . فمن المسلم به أنه عندما تطورت أزمة السويس ، كان بعض حكام العرب قد بدأوا يراجعون أفكارهم فيما يتعلق بالاجراء المتعجل الذى أتخذه عبد الناصر فى تأميم شركة قناة السويس بدون التشاور مع حلفائه فى الجامعة العربية . فلم يعد الملك سعود مثلا متحمسا تماما للتحالف مع هذا الحليف المتهور . وبدأ منذ ذلك الحين فصاعدا يكتم شيئا من كراهيته التقليدية للهاشميين ويقيم علاقات أوثق مع زميليه ملكى الأردن والعراق كما أكد نورى السعيد ونجح فى اقناع عدد من المراقبين الغربيين وكنت واحدا منهم بإنه وقد صمد فى الخريف السابق أمام عاصفة من الهياج العراقى الشعبى التى قامت ضده لصداقته للمعتدين على السويس فليس لديه ما يخشاه من تعاظم منزلة عبد الناصر .

ومع ذلك .. فتحت السطح فى العراق كان عبد الناصر يلقى تقديرا واعجابا بالغين لا يقلان عما تردده هتافات المظاهرات الصاخبة فى كل بلد عربى مستقل آخر باعتباره صلاح الدين العصر الحديث ، اذ كان شهيد الأنتقام الغربى قد أصبح بطلا ومخططا لاذلال الغرب وهزيمته . كان مجرد

---

(١) المصدر السابق .

ذكر اسمه يلمس وترا سحريا فى قلب كل وطنى عربى ، وكانت صورته موجودة في الأسواق والمقاهي وداخل سيارات الأجرة والمحال التجارية من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهندى ..

وأصبحت القاهرة فى ذلك الوقت أكثر من ذى قبل قلب العالم العربى ومنبع القومية الجديدة التى كانت تندفع بقوة فى أنحاء الشرق الأوسط وعلى إمتداد شاطىء شمال افريقيا التى يحج إليها كل قادة الفكر « التقدمى » فى العالم العربى لينهلوا من حكمتها ويرتشفوا أفكارها الملهمة .

أما بالنسبة للمصريين أنفسهم فكانت قد تلاشت كل تحفظاتهم الأولى ازاء هذا البكباشى الشاب الذى يتسم بالصراحة وأخذوا من الآن فصاعدا ، بحكم أنهم معتادون على تأليه حكامهم ، يعتبرون « الريس » لا مجرد زعيم عصبة عسكرية فحسب وإنما اله ومنقذ لشعبه ونظمت الأغانى التى تشيد بالبطل الجديد وأخذ رعايا عبد الناصر فى أرجاء أرض الفراعنة يحمدون العناية الالهية التى أرسلته ليخلصهم من أيدى أعدائهم .

ولم يكن تألق نجم عبد الناصر وذيوع صيته الذى بلغ أجواز الفضاء أمرا لايستحقه .. لأنه مهما كانت أخطاء مصر فى ميدان القتال فان خطواته السياسية طوال الأزمة كانت بلا أخطاء فى الواقع .. فمنذ اللحظة التى أعلن فيها تأميم شركة القناة عمل جاهدا على الا يهيىء مطلقا أية ذريعة للتدخل المسلح من جانب دولة من الدول المنتفعة بالقناة ، ومع أنه رفض مقترحات منزيس الخاصة بفرض اشراف دولى على القناة إلا إنه كان على إستعداد دائم لتجربة وسائل أخرى للتوصل إلى تسوية متفق عليها .. وبعدئذ وافق فى شهر أكتوبر ، بعد أن أشار عليه أصدقاؤه العرب وغيرهم مثل تيتو ونهرو ببذل جهد آخر لحل المشكلة ، على أساس المفاوضات لم يستطع حتى وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا أن يرفضاه باعتبار أنه لا يقدم حلا ، ولذلك فعندما وقع عليه العدوان الثلاثى كان فى أقوى موقف يمكنه معه أن يطلب من الرأى العام أن يهب لنجدته .

ومع ذلك ورغم كل هذه العوامل المساعدة له بما فى ذلك التأييد المعنوى من جانب الدولتين الأعظم ، أمريكا وروسيا ، كان يعرف نقاط الضعف فى

موقفه ويسلم بها ، وهكذا فعندما أقتضت الضرورة ذلك كان على استعداد لتقديم تنازلات لهمرشولد وللولايات المتحدة مثلما كان مستعدا لأستغلال قوته كلما كان واثقا من أنه لا يمكن دحض حجته .. وباختصار كان أداء عبد الناصر أداء شخص محنك فى فن التعامل الدبلوماسى ، وهو مايدل على ألمعية وبراعة . لقد برع فى ممارسته بقدر ماكانت معالجته لأزمة ١٩٦٧ الأخيرة تعوزها البراعة .

وكان عامر محقا فى قوله أن المصريين فى سيناء لم تكن تنقصهم بأية حال الشجاعة أو الفعالية ، فقد قاتلوا فى عدة مواقع بعناد وبطولة ضد عدو متفوق في عدد الرجال بنسبة لا تقل عن ثلاثة الى اثنين ، كما أنه اكثر العسكريين الأسرائيليين فى مستوى سكانى لم يستطيعوا فيما بعد الأمساك عن الأشادة بأعمال باسلة مثل مقاومة سرية مشاة مصرية فى سد الروافع فى شمال شرقى سيناء أمام هجمات متكررة من جانب لواء مدرع اسرائيلى مسلح بدبابات سوبر شيرمانالأمريكية (١).

وحتى عندما أصدر الرئيس عبد الناصر أمر الأنسحاب ، وانتصار قراره على قرار عامر ، فلقد عادت القوات المصرية الى غرب القناة سليمة وسالمة ، ولم تفقد مصر فى عدوان عام ١٩٥٦ أكثر من ألف شهيد ، وستة آلاف أسرى فى قطاع غزة ، عادوا بعد نهاية الحرب .
هذه الحرب ، لم يكن الجندى المصرى قد تدرب تدريبا كافيا على السلاح التكتيكى الذى وصل منذ شهور فقط قبل بداية الحرب ، ورغم ذلك قام بمواجهة بطولية للقوات الاسرائيلية الأكثر عددا ، والأكثر عتادا ، والأحدث تسليحا .

أدت هذه الشعبية العارمة لجمال عبد الناصر فى كل أنحاء الوطن العربى إلى إهتمامه البالغ بشعوب الأمة العربية وقضاياها ، دون النظر الى استعدادات اسرائيل وتعاظم قوتها ، وانشغلت كل الأجهزة المصرية بهذه القضايا ، فوقفت مصر بصلابة مع ثوار الجزائر حتى حصلت على

(١) انتونى ناتنج : ناصر : ص ٢١٦ . ترجمة شاكر ابراهيم سعيد .

استقلالها ، وشاركت مصر مشاركة فعالة وسخية فى بناء الجزائر الجديدة .

وقد توجت شعبية عبد الناصر بالوحدة المصرية السورية ، وهى الوحدة التى كان يمكن أن تكون « المخنق » لاسرائيل ، فلأول مرة تصبح اسرائيل محاصرة تماما من دولة عربية واحدة هى الجمهورية العربية المتحدة ولأول مرة يقف على هضبة الجولان السورية قوات مصرية ، كما دخل لأول مرة سيناء قوات سورية .

حاولت اسرائيل ضرب هذه الوحدة أكثر من مرة ولكنها فشلت .. وعاشت اسرائيل فى رعب حقيقى من التواجد الوحدوى فوق هضبة الجولان ، حيث تقف الهضبة السورية شامخة ومنيعة فوق كل اسرائيل .

ولكن .. سوء الأدارة السياسية .. سواء الإدارة المصرية أو الأدارة السورية فى زمن الوحدة أدى إلى انفصامها ، مما ساعد اسرائيل على تنفس الصعداء (١) .

هكذا تحطمت الوحدة بين مصر وسوريا . وعلى الرغم من أنه لأسباب عاطفية أمر عبد الناصر على أن تستمر مصر تعرف بالجمهورية العربية المتحدة فإن أية جهود سياسية على الجانبين ما كانت لتستطيع أن تعيد الوحدة .. ومن المؤكد أن دراسات عديدة قد أجريت لمحاولة معرفة الأسباب الدقيقة لفشل هذه التجربة فالبعض أرجع الفشل إلى تطبيق سياسة التأميم على سوريا بعد تطبيقها على مصر حتى وإن كانت الوحدة فى الواقع ، قد إنهارت قبل أن يتم الأستيلاء على أكثر من خمسة مصانع وتسع عشرة شركة . ورأى البعض الأخر أن فشل الوحدة كان نتيجة لخطأ السراج وجهاز مخابراته العنيف ، ورد السراج على ذلك بقوله أن إجراءات الأمن لم تكن مشددة ، وإنه فى سبتمبر من عام ١٩٦١ كان عدد المسجونين السياسيين فى سجون سوريا أقل من مائة سجين من بينهم ثلاثة وستون شيوعيا وأربعة عشر من أعضاء الحزب القومى وتسعة من أعضاء الإخوان المسلمين المتعصبين ...

---

(١) المصدر السابق .

أما عبد الناصر فقد أبلغ السفير الأمريكى بأن الوحدة قد تمت على الرغم منه .. وكان ينبغى الا تتم الا بعد إقامة أساس متين للسياسات الأقتصادية المشتركة بين البلدين ، كذلك اعترف بأن القاهرة ارتكبت خطأ فاحشا بمعاملة السوريين ، كما لو كانوا مصريين .

وذكر عبد الناصر لدبلوماسيين آخرين أنه طيلة الأعوام الثلاثة والنصف للوحدة لم يكن راضيا بحق على وضع الوحدة لأنه كان يعلم أن المعلومات عن الوضع فى سوريا لا تنقل إليه كاملة ، ولم يكن واثقا من أن القرارات التى اتخذها كانت تدل على فهم حقيقى لرغبات الشعب السورى .. ومن الناحية الأخرى فانه ألقى على رفاقه بجانب كبير من اللوم على ما أسماه بعناصر الأقطاعيين والرأسماليين فى المجتمع السورى التى تآمرت ، بمساعدة السعوديين ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، على الأنفصال عن مصر لحماية ثرواتها الخاصة .

وقال : لقد ارتكبنا خطأ المصالحة مع الرجعية ..

كما كان يشك فى أن للفرنسيين دورا فى المؤامرة فى محاولة منهم للأنقضاض عليه لفشلهم فى مغامرة السويس وللمساعدة التى كانت مصر لاتزال تقدمها لجبهة التحرير الوطنية فى الجزائر ، ولعل اصدق تفسير لأنهيار الوحدة يكمن فى حقيقة أنها بنيت فوق رمال المشاعر المتقلبة .. وأن الذين ساعدوا فى قيامها إما إنهم لم يدرسوا المسألة دراسة متعمقة أو إنهم ببساطة قرروا ، كما فعل الحورانى وغيره من البعثيين ، أن بوسعهم استغلال حماية عبد الناصر ورعايته لتحقيق أهدافهم الشخصية .. أما حقيقة الأمر كما لخصها باتريك سيل ، كانت الحكومة فى سوريا طيلة عمر الوحدة القصير تحمل أمارات الأرتجال وعدم الدوام .. وكثيرا ما يدفع العرب بأن شكل الاتحاد لا يهم « فهم يصرخون » لتكن هناك وحدة وليكن الشكل مايكون » ، إلا أن الوحدة إنهارت بسبب عدم وجود نظام دستورى مقنع ، وللأفتقار إلى مؤسسات تعكس المصالح والرغبات المختلفة للدول الأعضاء ..

كان هذا صحيحا ، لكن السبب أيضا أن عبد الناصر وقع فى شرك دور بطل العرب الذى دعاه اليه قدره ونجاحه حتى أنه لم يستطع أن يتنكر لدعوة الوحدة عندما جاءت ، بالرغم من عدم استعداده واستعداد نظام حكمه ، فلما استجاب لنداء السوريين ، برغم ذلك فان جهله بأساليبهم مع عدم ثقته فى كافة الأحزاب السياسية وعدم قدرته التمييز بين النقد الأمين والمعارضة السافرة ـ حملته على الثقة برجل البوليس مفضلا اياه عن رجل السياسة باعتباره المعبر عن ارادته والحاكم لرعاياه .. ولما ضللته هتافات الجماهير رفض اقامة التنظيم الدستورى المقنع الذى كان يمكن أن يساعد على نجاح الوحدة ، ومن ثم قضى على الأكفاء ، بل ونفروا منه ، وهم الذين كانوا أشد الناس استعدادا على حمل رسالة الناصرية إلى طوائف الشعب السورى جميعا .

مما لاشك فيه ، أن الأنفصال كان أكبر هزيمة لعبد الناصر منذ توليه زعامة الأمة العربية بعد نجاحه الدبلوماسى عام ١٩٥٦ فى إخراج قوات الدول المعتدية الثلاث من أرض مصر ...

وقد أدى فشل الوحدة السورية المصرية إلى دخول مصر فى معارك مع كافة الأنظمة العربية .. وظلت هذه الخلافات مستمرة حتى يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وشغلت هذه الخلافات كافة الأجهزة المصرية عن المعركة الرئيسية بين مصر واسرائيل .

• • •

ونظرة سريعة للعلاقات المصرية العربية ، وهى الدول المساندة لمصر فى أى حرب اسرائيلية مصرية ، نجد الخريطة كالتالى :

• العلاقات المصرية السورية شبه مجمده تماما .

• العلاقات السعودية المصرية مقطوعة تماما بسبب حرب مصر فى اليمن وضرب بعض المناطق السعودية بالقاذفات المصرية ، ومساعدات السعودية للمتمردين اليمنيين ..

• العلاقات العراقية المصرية فى حالة جمود لخلافات مصر مع حزب البعث الحاكم فى العراق .

• العلاقات المصرية التونسية فى حالة شديدة من التوتر بعد تصريحات الحبيب بورقيبة فى أريحا بالضفة الغربية عن ضرورة الصلح بين العرب واسرائيل .

• العلاقات المصرية المغربية فى حالة جمود تام لوقوف مصر مع الجزائر بسبب الخلافات الثنائية حول الحدود ، ودعم مصر لقوات الجزائر بالمعدات .

• العلاقات المصرية الأردنية مقطوعة لأتهام الأردن بالتآمر على الوحدة المصرية السورية ، ثم مساعدة الأردن لقوات الملكيين فى اليمن .

• العلاقات الليبية المصرية مجمدة بسبب أتهام مصر لملك ليبيا بالرجعية ، وتصور الملك أدريس السنوسى بأن مصر تتآمر لخلعه عن العرش .

• • •

وفى تصورى أن هذه الخلافات ، وتبادل الحملات الأعلامية ، كانت من الأسباب الاساسية فى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، لقد كرست كافة الدول العربية طاقاتها للحفاظ على أمنها الداخلى ، واعتبرت أن الخطر الحقيقى الذى قد يعصف بنظامها السياسى هو جمال عبد الناصر ، وبذلك ابتعد شبح التهديد الاسرائيلى من استراتيجيات دول عربية بأكملها .. وقد نسفت الحملات المتبادلة بين مختلف الدول العربية الحد الأدنى من التضامن العربى لمواجهة العدو الحقيقى للأمة العربية .

حرب اليمن
او العملية ٩٠٠٠

كادت الأنظمة العربية - دون استثناء - تحاصر النظام المصرى بما فى ذلك الأنظمة التى تطلق على نفسها « التقدمية » كالعراق وسوريا فى ذلك الوقت . وبعد نجاح القوى المعادية لعبد الناصر من تسديد ضربة له فى سوريا بالحركة الانفصالية ، بدأت تتجه له فى القاهرة عن طريق جماعة الأخوان المسلمين .. وفى هذا الوقت كان النظام وكل أجهزته مشغولة تماما بالمعارك المصرية العربية وكانت المعركة المصرية الاسرائيلية تأتى فى مراحل مختلفة من اهتمامات القيادة السياسية فى مصر .

فمثلا .. ردا على موقف السعودية من الانفصال السورى ، شكلت القيادة السياسية جماعة تعرف **بجبهة تحرير السعودية بقيادة ناصر السعيد ، وهو شاب سعودى ، اختلف مع النظام وهرب إلى خارج السعودية** ، وعاش لاجئا فى مصر ، وكانت المخابرات العامة تساعده مساعدة فعالة فى هجومه على السعودية .. وقد رصدت مصر عدة ملايين من الجنيهات لهذه الجبهة ، وقامت المخابرات العامه بوضع عدة متفجرات فى أماكن كثيرة بالسعودية ، وقد دفعت هذه الأعمال بالعداء السافر للسعودية ، بقيادة الملك فيصل الذى سحب كل اختصاصات شقيقه على أثر فضيحة مساعدته للحزب الشيوعى السورى لضرب الوحدة قبل قيامها ، والشيك الذى دفعه لعبد الحميد السراج رجل سوريا القوى بمبلغ أثنين مليون من الدولارات ليتآمر ضد الوحدة .

ومثلا .. أشتدت المعارك الاعلامية بين سوريا ومصر ، ودفعت مصر الشيء الكثير للاطاحة بالنظام السورى ، وتم الاتفاق لعقد مؤتمر بين السوريين والمصريين فى شتورا بلبنان لتصفية الخلافات بين مصر وسوريا ، وحل المشاكل المتخلفة عن الوحدة المصرية السورية ، ومثل مصر فى هذه الاجتماعات وزراء سوريون من وزراء الوحدة وأقاموا فى القاهرة ، وكسبت سوريا المعركة الاعلامية بلجوء زغلول عبد الرحمن الملحق العسكرى المصرى فى لبنان إلى سوريا وقد عقد المؤتمر .. وعقد عدة مؤتمرات صحفية كشف الكثير من أسرار العلاقات المصرية بالشخصيات العربية .. وقد تفوقت سوريا اعلاميا على مصر فى هذا المؤتمر .

• • •

سدت جميع المنافذ العربية أمام النظام بعد مؤتمر شتورا وخسر كل الجولات التى دخلها مع الأنظمة العربية ، ولذلك بدأ النظام يبحث عن « نصر » عربى قبل أن يفلت منه زمام قيادة الشارع العربى ، والباحث فى صحافة وأجهزة اعلام هذه المرحلة ، يجد أن الاعلام المصرى والذى يعكس بصورة مباشرة اهتمامات النظام وترتيب هذه الاهتمامات ، أن الصحافة فى معركة مستمرة مع كافة الأنظمة العربية ، بل ظهرت فى الصحافة « استراتيجية اعلاميه خطيرة » هى فى الحقيقة تأجيل الجولة المصرية الاسرائيلية المرتقبة ، والاكتفاء بالهدوء الذى تنعم به الحدود المشتركة .. ووجود قوات الطوارىء الدولية .. هذه الاستراتيجية والتى كانت سببا رئيسيا فى هزيمة عام ١٩٦٧ والتى تقول أن الطريق إلى تل أبيب لابد أن يمر من خلال العواصم العربية ، بمعنى اسقاط الأنظمة العربية ، وتكوين أتحاد أو وحدة عربية ، بعدها يمكن أن نتفرغ لاسرائيل .. وكأن اسرائيل سوف تنتظر كل هذه الاستعدادات ليقوم النظام « العربى الموحد » بتسديد الضربة القاضية لها .

• • •

وجد النظام المصرى فى شخصية مواطن يمنى يدعى عبد الرحمن البيضانى الأمل فى كسر طوق العزلة ، حيث أخطرهم بأمكانية قيام انقلاب ضد الأمير البدر ولى عهد اليمن ، فور وفاة والده الأمام أحمد . وبدأ البحث عن تقارير أنتروبولوجية عن اليمن ولكن لم يكن أحد يعلم أى شيء عن اليمن ، إلا رجل واحد هو محمد الجفرى ، وهو مواطن من اليمن الجنوبى ، تعلم فى الأزهر .. وعاد إلى عدن وشغل منصب قاضى القضاه ، وهو منصب خطير جدا فى هذه البلاد ، ثم شكل أول حزب يمنى باسم (رابطة الجنوب العربى) ، يضم المثقفين وينادى الحزب باستقلال « الجنوب العربى » عن بريطانيا ، ويطالب بخروج القوات البريطانية منها ، فقامت السلطات البريطانية بنفيه خارج البلاد فلجأ إلى القاهرة ، وسجنت شقيقة عبد الله فى جزيرة سقراطة فى المحيط الهادى ، ثم نفته إلى خارج البلاد فلحق بشقيقه إلى القاهرة .

وطلب الرئيس عبد الناصر تقريرا عن اليمن وامكانية مساندة عسكرية مصرية ، تقدم للانقلابيين فى حالة نجاحهم ، فكتب تقريرا خطيرا قدمه للقيادة السياسية يرفض فيه أرسال قوات مصرية إلى اليمن ، ويقترح مساندة القبائل القوية لتقف بجوار الانقلاب وأن تشكل حكومة من رجال القبائل القوية ، وبهذا فقط يمكن ضمان استمرار الانقلاب .

وقد أدى هذا التقرير إلى غضب القيادة السياسية المصرية من محمد على الجفرى ، واتهمته الأجهزة المصرية بالرجعية ، وأغلقوا مكتب الرابطة فى القاهرة ، وقد لجأ بعد ذلك إلى السعودية .

قام الانقلاب فور الاعلان عن وفاة الأمام أحمد وتولى ابنه الأمير بدر السلطة فى اليمن ، وذلك فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٦٢ بقيادة العميد عبد الله السلال وسافر على الفور عبد الرحمن البيضانى مع كتيبة عسكرية ترتدى الملابس المدنية ، على أن ترتدى الملابس العسكرية اليمنية فور وصولها إلى صنعاء ، وتقوم هذه الكتيبة بحماية الثورة .

كانت الثورة اليمنية مفاجأة تامة للسعودية ، كما كانت نصرا ساحقا للادارة المصرية ، باعتبارها كسر طوق الحصار العربى الذى فرض على

النظام ، واستطاع الأمير بدر الهرب عبر الجبال إلى السعودية ، وبدأت السعودية فى تنظيم صفوف القبائل للانقضاض على ثوار صنعاء .

وبدأت المعارك ، وتم حصار صنعاء ، وفكر أفراد الكتيبة المصرية فى الهرب إلى عدن ، لأن الانجليز سيكونون أكثر رحمة من رجال القبائل ، بعد أن دخل رجال القبائل فى موقع مصرى خارج صنعاء ، وذبحوا كل الجنود ، وأخذوا معهم رؤوسهم ، وفوجىء الجنود المصريون برفاق السلاح وهم جثث بلا رؤوس .

* * *

حكاية اليمن أليمة .. ولاأريد أن استطرد فى أمرها .. ولكن ..

دفعت مصر بمزيد من القوات « وازداد حجم القوات المشتركة فى القتال حتى فاقت فى وقت من الأوقات حجم القوات الموجودة داخل حدود الجمهورية فتأثرت بذلك الخطط الموضوعة للدفاع عن سيناء لعدم توافر القوات اللازمة ، بل تأثر حجم القوات المتمركزة فى مواجهة القوات الاسرائيلية[1] .

فى اليمن .. وفى عام ١٩٦٤ ، التقيت بالعميد محمد أحمد قاسم ضابط شئون القبائل ، ومن خطورة ما قاله ، قمت بتدوين هذا الحوار الهام ، لقد كان الرجل قد غاص حتى أذنيه فى مشاكل اليمن ، والقبائل التى « جمهرت » وتلك التى ارتدت ، والغادر ، والأمير الحسن ، وأسماء أخرى كثيرة .. وسألته :

ماذا لو قامت اسرائيل بعدوان على مصر ، مستغلة وجود القوات المصرية فى اليمن ؟

تصبح كارثة ..

فى هذا الوقت ، لم أكن أتصور أنها ممكن أن تصبح كارثة ، لقد كانت اذاعات الأردن وسوريا والسعودية ، تقول أن عبد الناصر قد هرب من

شاهد على حرب ٦٧ . للفريق صلاح الدين الحديدى . ص ٥٧

المواجهة الاسرائيلية ، وترك حماية الحدود للقوات الدولية ، كما ترك السفن الاسرئيلية تمر عبر مضيق خليج العقبة ، مما أدى إلى تنمية جنوب اسرائيل ، وتنمية مدينة أم رشاش العربية التى استولت عليها القوات الاسرائيلية وأصبحت الان ميناء ايلات ، وقالت هذه الاذاعات فى حربها ضد الادارة المصرية ، بأن هذا اتفاق مصرى اسرائيلى .

نعم .. كنت اعتبر هذه الكلمات من اذاعات فى معركة مع الادارة المصرية .. وأن هذا مجرد مبالغات ، بل ان الادارة المصرية تعلم الغدر الاسرائيلى جيدا وتعمل له حسابه ، وأن القوات المصرية داخل الحدود تكفى لتدمير اسرائيل عدة مرات ، هكذا صرح قادة القوات المسلحة المصرية « فلدينا أقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط » ..

لذلك .. أصبت بالذعر وأنا أسمع واحداً من رجال « القيادة » يرد على سؤالى بقوله ان عدوانا اسرائيليا الآن يعد كارثة ..

وسألته : كيف ؟

قال : ان تطور القتال قد دفع بالقيادة المصرية بأن ترسل إلى اليمن ، القوة الضاربة المصرية ، وأن القوات المصرية فى سيناء لا يمكن أن تصد عدوانا اسرائيليا ..

* ثم قال ما هو أخطر :

- نحن كعسكريين نعتبر التدريب أو مايسمى « بالبيان العسكرى » حربا صغيرة ، تعمل لها كافة استعدادات الحرب ، وممكن أن يكون « البيان بالذخيرة الحية » وهذا البيان يكلف ما تكلفه الحرب الحقيقية الا قليلا .. ولابد من استمرار البيانات بالذخيرة الحية ، وقد قام قائد لواء بعمل تخطيط لبيان عسكرى على اعتبار ان قواته سوف تدخل الحرب مع العدو الحقيقى (اسرائيل) ، وكتب لنا كشفا باحتياجاته من الذخيرة والدبابات والاسلحة المعاونة ، وذهب للتصديق عليها حتى يتم صرف ما يحتاجه لهذا البيان العملى ، ولكن القيادة لم تتمكن من التصديق على احتياجات قائد اللواء لعدم وجود الذخيرة الكافية ، ولا الدبابات الكافية بل ولا الوقود ، لان كل ذلك تلتهمه حرب اليمن ، مما دفع باللواء إلى الغاء هذا البيان العملى .

• ثم قال ماهو أخطر :

ـ لذلك .. ما حدث لصديقى قائد اللواء .. حدث على مستوى القوات المسلحة كلها ، بما فى ذلك الطيران والبحرية ، مما جعل القوات المصرية بعيدة تماما عن أحداث مسرح العمليات الحقيقى ..

• ثم قال ما هو أخطر :

ـ هناك فى كل جيوش العالم جهاز للتعبئة المعنوية .. وهذا الجهاز يحدد العدو الذى ستقاتله القوات ، ويتم جمع معلومات عنه وتقديمه للقوات للتعبئة النفسية لدخول الحرب اذا وقعت ، ولكن الذى يحدث الان أن التعبئة المعنوية للقوات المسلحة للحرب فى اليمن ، ومسرح عملياتها ، والذى يختلف تماما عن مسرح العمليات العسكرية ، ولأن الجنود كثيرا ما يسألون عن الحرب مع اسرائيل ، فان التعبئة المعنوية هنا خطيرة هى التهوين من قوات العدو،فهم « جيش من المجندات المومسات » ...

القوة الموجودة فى اليمن استمرت حتى بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، بل تحولت اليمن إلى منجم ذهب لافراد القوات المسلحة[١] حتى وصل عدد القوات فى عام ١٩٦٤ إلى ٧٠,٠٠٠ مقاتل مصرى ، وكانت الأعمال التى قامت بها هذه القوات حتى عام ١٩٦٤ كافية جدا من وجهة النظر العسكرية ، وإذا كانت القوات العسكرية المصرية قد حققت السيطرة الكاملة على المثلث الداخلى فى اليمن وهو صنعاء ـ تعز ـ الحديدة ، وكان تعزيز هذه المنطقة وسكانها ، كافيا لانهاء المهمة العسكرية لمصر فى اليمن ، وذلك حتى نوفمبر ١٩٦٤ .. وبتغيير القيادة من الفريق أنور القاضى إلى الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى ، وعودة بعض ألوية يمنية أتمت تدريبها وتسليحها فى مصر ، كى تقوم بواجباتها فى تعزيز وتوطيد الثورة فى اليمن ، تعدلت الاتجاهات العسكرية لتكون السيطرة على مناطق الحدود الشمالية والشرقية لليمن ، وهى مناطق شاسعة جبلية وصحراوية يسيطر عليها عدد من القبائل غير الموالية للثورة ، كما أصبح القائد الجديد مسئولا سياسيا وعسكريا عن مسرح العمليات فى اليمن فى وقت واحد .

(١) حرب الثلاث سنوات ـ مذكرات الفريق أول محمد فوزى ص ٢٤ ـ ٢٥ ..

وقامت هذه القوات المسلحة المصرية الكبيرة وألوية يمنية حديثة ورجال قبائل موالون للثورة ، بعمليات تقليدية ضد عدو ضعيف متناثر فى كل مكان يظهر ويختفى ، يتجمع ويتوزع ليلا ونهارا . ونتجة لعدم امكان التعرف على حقيقة هذا العدو وقوته أو أمكانياته ، عانت القوات المصرية النظامية المقاتلة صعوبات كثيرة . إذ أضطرت أن تسرف أسرافا باهظا فى قوة النيران « اظهاراً للقوة » وتخويفا وأرهابا لهذا الخصم .

وبالتأكيد ابتلعت رمال وجبال صحارى اليمن ، كل هذا الاسراف فى الذخيرة ، وإذا حسبنا القتلى من أفراد القبائل المعادية ، والتى كانت تمثل العدو ، بالنسبة لحساب المستهلك من الذخيرة والقنابل والصواريخ ، لوجدناها أغلى نسبة تكلفة حدثت فى حروب العالم كله .. أما لماذا لم تتخذ القوات المسلحة المصرية أسلوب حرب العصابات فى اليمن ؟ لا أحد يدرى أنما هى السمعة البراقة والمظهر البيروقراطى المستحدث ..

نتيجة لدخول القوات المصرية فى عمق البلاد وبداية مرحلة التعمير والتطور الاجتماعى ، ولضمان السيطرة على الأرض والقبائل ، تولت القوات المصرية مسئولية ادارة شئون الحكم الداخلية ، فعين القادة حكاما عسكريين فى معظم قطاعات ومدن اليمن الساحلية والداخلية ، مما شتت القوات ووضع عبئا اداريا اضافيا على القوات المحاربة علاوة على الاحتكاك الناشىء عن ذلك مع القبائل وأهالى المدن والقرى الصغيرة .

انتهى هذا الموضوع بأن أصبحت القوات المسلحة المصرية مسئولة عن اليمن أرضا وشعبا ، فاضطرت مصر (ج . ع . م) إلى إرسال الدعم المالى والاقتصادى والمعونات .. ووصلت الحالة إلى أمداد القبائل بالاموال والاسلحة .. كما ساعدت فى بعض النواحى الاجتماعية ، مثل فتح المدارس وشق الطرق وإدارة أعمال الميناء الوحيد فى اليمن (الحديدة) ، كما فتح اتجاه سياسى وتأييد ثورى ضد الاستعمار البريطانى فى اليمن الجنوبى أطلق عليه أسم « عملية صلاح الدين » .

ومن الطريف أن اسجل أن اليمنيين لم يرغبوا اطلاقا فى عودة القوات المصرية إلى مصر (ج . ع . م) حتى بعد أن استقر الوضع ، ووقعت

اتفاقية جدة ، وحدثت هزيمة ١٩٦٧ . أذ أننى حضرت تخليص آخر مجموعة لواء مشاه من اليمن فى ٣ / ١٠ / ١٩٦٧ .. وذهبت ممثلا عن مصر (ج . ع . م) ومعى ممثل عن السودان وممثل عن المغرب كلجنة أنهاء مهمة باقى القوات من اليمن . فتظاهرت قوات الصاعقة اليمنية أمام مقر القيادة المصرية فى صنعاء - وتم اطلاق نيران الاسلحة الصغيرة اظهارا لعدم الرغبة فى عودة القوات المسلحة إلى مصر (ج . ع . م) .

كان الجنود يتساءلون : لماذا نحارب فى اليمن ؟ ...

وكان لابد من رشوة هؤلاء حتى يستمروا فى القتال ، أو التواجد فى اليمن ، ومن كثرة « الرشوة » للقوات المسلحة المصرية بل وبعض القبائل ، ومن كثرة الرشوة التى تقدمها السعودية للقبائل ، خلقت اليمن طبقة لها مصلحة فى استمرار الحرب فى اليمن .. بل أصبح السفر إلى اليمن واحدة من أمانى أفراد القوات المسلحة[1] فقد ازداد عدد الراغبين تطوعا فى الرحيل إلى اليمن ، حتى كونت هذه الرغبات - المستندة إلى وساطات - قوة ضاغطة على القيادات والرياسات فأجيبت معظم الرغبات .

* * *

فى اليمن قضيت الليلة فى غرفة مع مقدم ، ووجدته طول الليل يعد فى حبات صفراء غريبة ، ثم يقوم بعملية حسابية فى مذكرة صغيرة بجواره ، فاستيقظت من نومى لاعرف سر هذه « الحبات الصفراء » وعلمت منه أنها « فونية » لباجور الجاز ، فالواحدة رخيصة جدا فى القاهرة ، وغالية جدا فى اليمن ، وهو يقوم بشراء عدة مئات ان لم يكن آلاف من القاهرة ويبيعها فى أسواق صنعاء وعدن ، وطلب منى إلا أخبر أحدا حتى لاتزيد « البضاعة » عن الطلب ، فتقل أثمانها ، وهو - المقدم المقاتل - يشترى دخان النرجيلة من اليمن بكميات هائلة لانه ارخص بكثير من القاهرة ، ويبيعه فى مصر ، وفى سبيل ذلك أشرك قائده فى « التجارة » حتى يسمح له بالنزول والعودة عدة مرات .

أسوق هذه الحادثة ، لاؤكد أن « التفكير القتالى » من عقلية المقاتل المصرى قد انتزعته حرب اليمن ، وحل محلها تفكير المصالح والمكاسب

الذاتية[1] .. لاشك أن الامتيازات الضخمة التى منحت للقوات المشتركة فى حرب اليمن ، كانت مغرية إلى حد بعيد لجميع الرتب ، فنشطت أسواق صنعاء وتعز وعدن فى بيع البضائع الامريكية والاوربية الصنع ، وكانت هذه البضائع معفاه من الرسوم الجمركية ، بل من أجر شحنها ، حيث تكفلت وسائل النقل العسكرية ، من طائرات وسفن ، بنقل هذه الاطنان من البضائع .. وإلى جانب هذه الامتيازات كانت هناك مزايا أخرى مغرية ، كأولوية تأجير المساكن وتركيب التليفونات ، وشراء السيارات « نصر » ونقل الاقارب الموظفين إلى المدن التى يرغبون فيها ، وما إلى ذلك من الامتيازات التى تشعر الجندى فى اليمن بتفوقه على باقى زملائه من المواطنين .

وزاد الموقف تعقيدا فتح باب الترقيات الاستثنائية للضباط والجنود على مصراعيه ، لمن يقوم بعمل خارق أو يحقق نصرا فى ظروف غير عادية ، بعد أن تعدى الامر من قام فعلا بهذا العمل البطولى إلى آخرين .. بالغوا فى وصف ما قاموا به ونقلت أجهزتهم اللاسلكية أنباء عن معارك تدور بينهم وبين العدو ، ثم مواقف بطولية تتغلب فى النهاية على الظروف القاسية التى وصفها خيال المخرجين للمعركة .

وفى الوقت الذى منح فيه بعض الضباط رتبتين استثنائيتين، نقل عدد كبير من الضباط الاحتياطيين إلى الجيش العامل كمكافأه لهم على أعمال بطولية قاموا بها ، بعضها حق وبعضها زيف وتمثيل ، وهكذا سارت الامور من الناحية النفسية فى حملة اليمن ، وتكون خيال الأفراد ، قادة وضباطا وجنودا عن الحرب وشكلها وأهدافها ، حتى أصبح المنتصر الحقيقى فى هذه الحرب وصاحب المصلحة فيها ، بالاضافة إلى مشايخ القبائل والتجارة ، هو كل من حقق مكسبا ماديا أو أدبيا فيها ...

• • •

(١) شاهد على حرب ٦٧ للفريق صلاح الدين الحديدى ص ٥٧ ـ ٥٨ .

إذن .. حرب اليمن .. دفعت بالقوة المصرية الضاربة إلى خارج حدود المواجهة مع اسرائيل وعلى بعد أكثر من ثلاثة آلاف كيلو متر .. وحرب اليمن .. اقتلعت من فكر المقاتل المصرى « التعبئة القتالية » وبدلا منها سادت العقلية التجارية و « عقلية المكاسب الشخصية » .. وبدأت الكروش تتقدم المقاتلين والجيوب تنتفخ .. فلم يكن هناك قتال فى اليمن ، ولم يكن لحرب اليمن أى أضافة قتالية للمقاتلين ، أو للسواد الاعظم من القوات المسلحة فلم تكن الاشتباكات ذات قيمة حربية من الناحية العلمية أو الفنية ، بل كانت مجرد عمليات بوليسية وتأديبية لرجال القبائل المسلحين تسليحا خفيفا لايحسم موقفا أو يحقق نهاية ، فانعدام وجود طائرات للعدو فى الوقت الذى كانت فيه قواتنا الجوية تقوم بمطلق الحرية بتقديم معاونتها الفعالة للعمليات الارضية ، بجانب الغارات المستقلة التأديبية التى كانت تقوم بها مستندة إلى تمتعها بالسيادة الجوية المطلقة ، منع قواتنا البرية من اتخاذ أية اجراءات دفاعية ضدها ، أو اتخاذ اجراءات الدفاع الجوى - الايجابى منها أو السلبى فلم تستخدم الوحدات المضادة للطائرات ولم يراع انتشار يقلل الخسائر ويقلل الرؤية لطائرات العدو ، ولم يلتفت إلى أعمال الاخفاء من طائرات العدو أو التمويه لتضليلها ، وبأيجاز أغفل السلاح الجوى كعنصر له قيمته الفائقة ، ووضعت الخطط لعمليات اليمن وتم التدريب عليها على هذا الاساس ، حتى أصبح تصور الجندى عن المعركة - أية معركة - لايختلف عن خيال أجداده عنها ، ممن قاتلوا فى السودان فى أواخر القرن الماضى ، أو ابائه ممن قاتلوا على الضفة الغربية من قناة السويس فى أوائل الحرب العالمية الأولى ..

كانت هذه الظروف قاتلة لجيش حديث يعد نفسه أساسا لقتال الجيش الاسرائيلى العصرى فى تسليحه وفى تفكيره وأسلوب قتاله ، والذى بنى استراتيجيته العسكرية على أساس الاستفادة إلى أبعد مدى من خواص قواته الجوية .

فى السنوات الأخيرة للوجود المصرى فى اليمن ، تبنت الادارة السياسة المصرية منطق التهويش على العدو الاسرائيلى ، لانها كانت تعلم

حقيقة القوات المسلحة المصرية ، ولقد اعتمدت اعتمادا كليا على الاعلام في حملة « التهويش » ، منها تصريحات كثيرة للفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية بأن « قواتنا الجوية تحمى سماء مصر والدول العربية » ولم تكن تعلم القيادة السياسية ان الجاسوسية الاسرائيلية قد اخترقت اسرارنا العسكرية ، وعلمت الكثير عن وضع هذه القوات فى ظل حرب اليمن ، وكان لابد أن يستند هذا التهويش ايضا على أن حرب اليمن قد أخرجت مقاتلين أشداء ، فبدأت الصحف تتحدث عن بطولات على جبال اليمن ، وعن تشكيل جيل من « أخطر » القادة العسكريين فى العالم » .. وصدق الشعب تصريحات المسئولين التى تنشرها الصحف ، لقد أدت المبالغة[1] فى تضخيم انتصارات الوحدات المصرية وحتى روايات البطولات الفردية والترقيات الاستثنائية والنياشين والاوسمة التى منحت كلها ، جاءت على عكس المقصود منها ، فبينما كانت القيادة المصرية تريد تعبئة معنويات أفراد القوات المسلحة المصرية والشعب ، فان رد فعل هذه المبالغات كان الغرور القاتل والثقة الفارغة بالنفس ، والتقليل من شأن العدو الحقيقى ، الأمر الذى أدى بالقوات المسلحة إلى تصديق ما يظهر فى عناوين الصحف والاذاعات من مجد زائف ، وكفاءة قتالية مظهرية .

لقد وصفت أجهزة الاعلام المصرية أحداث اليمن .. بأنها المعارك ، بينما هى فى الحقيقة أعمال عصابات ، وكان من الأجدر ان تسميها « عمليات تطهير » بدلا من لفظ عمليات حربية .. اذ ان المعركة الحربية يلزم لها طرفا نزاع أو صراع ، بينما ما حدث فى اليمن هو صراع من جانب واحد فقط .. خصوصا إذا علمنا أن رجال القبائل المضادين ليس لديهم أى دبابة أو مصفحة أو مدفع ميدانى أو طائرة من أى نوع .

فى نفس الوقت كتب القادة المصريون فى اليمن تقارير تفيد بأن هذه الحالة هى أحسن مجال لتدريب القوات المسلحة على القتال العملى بالذخيرة الحية وأضافوا « أنه تدريب دموى » ، والحقيقة ليست كذلك على أى مستوى

---

(١) حرب الثلاث سنوات للفريق محمد فوزى ص (٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨)

.. اذ أن ما حدث هو تصادم بأسلوب العصابات ليس أكثر ، ولم تتم أى عملية عسكرية مشتركة بين أسلحة مختلفة .. إذ أن قوة العدو لم تستدع ذلك اطلاقا وترتب على ذلك فقدان القوات المسلحة المصرية واجبها الحتمى وهو التدريب ورفع كفاءتها القتالية على اسلوب العمليات المشتركة ، وهى طبيعة المعركة المنتظرة مع العدو الحقيقى اسرائيل .

لم يكن فى مسرح العلميات أى نشاط جوى معاد .. وعلى هذا لم يتم عمليا تدريب أى قوات للدفاع الجوى .. وبذلك يمكن القول : ان السنوات الأربع السابقة مباشرة لحرب ١٩٦٧ لم يتم فيها تدريب جاد من أى نوع استعدادا للمعركة الفاصلة مع العدو ، وبالتالى لم تعد القوات نفسها للمعركة ..

ولانشغال الدولة وقواتها فى اليمن لم تجهز مصر (ج . ع . م) .. نفسها أو مسرح عملياتها المنتظر (سيناء) للمعركة .. كما تعودت القوات على استهلاك الذخيرة بمعدل ضخم ، كما حدث فى اليمن وهى عادة سيئة .. إذ أن المخزونات وخطوط الدعم من الذخيرة ، عادة تكون محملة على عربات نقل معدلات استهلاكها محسوبة تماما .. وكسر عامل منها يخل بتوازن باقى المعدلات من المخزون أو الاحتياطى القريب .. أو الحملة اللازمة لها ..

إلا أن أخطر خسارة عادت على القوات المسلحة المصرية ، هى اقحام صفات مخلة على تصرفات وأخلاق المقاتلين وهى :

- عدم الأنضباط العسكرى ، وهى صفة أكتسبت فى مسرح اليمن .
- الوساطة والمحسوبية سعيا وراء المرتب المضاعف واستغلال النفوذ لأغراض شخصية .
- الاستهانة بالفاعلية الحقيقية لمطالب القتال ، والإهمال فى العناية بالاسلحة والاحتفاظ بالمعدات الحربية سليمة وصالحة .

ووصلت هذه الحالة المؤسفة إلى حد اقتراح الضباط المصريين فى اليمن ، أن يطلبوا عقد أمتحان شهادة الثانوية العامة لابنائهم وأقاربهم هناك ، وانتقل جميع الدارسين مرتين وثلاثا إلى اليمن ، وأدوا الامتحان ليعودوا

جميعا إلى أرض الوطن ناجحين ، وحاصلين على شهادة الثنوية العامة بتفوق ، فترتب على هذه الحالة كثرة الهمس عن المهمة القومية للقوات المسلحة فى اليمن ، وأشار هذا الهمس إلى اسم الرئيس عبد الناصر ، وضباط مكتب المشير فى هذا الموضوع .. الامر الذى هز الثقة فى بعض القيادات ، وقد عولج الموقف بأحالة بعض الضباط الصغار إلى المعاش وكان وراء ذلك كله الرائد ـ على شفيق صفوت ـ السكرتير العسكرى للمشير عبد الحكيم عامر .

وهكذا فأن تأثير حملة اليمن السلبى على القوات المسلحة المصرية ترتب عليه دخولها معركة ١٩٦٧ وهى غير معدة أطلاقا للحرب الحديثة ، ناقصة التدريب منخفضة المستوى ، كفاءتها القتالية ضعيفة جدا ، فاقدة للانضباط العسكرى ومعداتها التى استخدمت فى اليمن غير مصونة .

ونتيجة لوضع وحجم وحالة القوات المسلحة المصرية فى اليمن ، تقدمت هيئة عمليات القوات المسلحة فى عام ١٩٦٦ بدراسة ، وتحليل استراتيجى عسكرى عن توزيع قواتنا المسلحة فى الاتجاهات الاستراتيجية المختلفة ومنها الاتجاه الاستراتيجى لليمن ، وتورط الحجم الكبير من القوات لمدة غير محددة من الزمن وغير معلنة . وقد أنتهى التحليل إلى نتيجة مؤداها ، أنه لايصح التورط فى القيام بعمليات عسكرية ضد اسرائيل فى هذا الوقت ، ولمدة قادمة طالما أن قواتنا المسلحة متورطة بهذا الحجم فى اليمن ..

وقد وافقت على هذا التقرير ورفعته بمذكرة إلى المشير عبد الحكيم عامر قبل سفره إلى باكستان فى زيارة عسكرية عام ١٩٦٦ ، بصفتى رئيسا لاركان القوات السلحة ، ولا أعلم ماذا كان رأى المشير فى هذا التقرير للان ، ولماذا رفض هذه النصيحة العلمية ..

وتمر الأيام وأكلف فى أواخر اغسطس عام ١٩٦٧ ، وبعد الهزيمة العسكرية بتسلم الأوراق والخرائط السرية للغاية من خزينة منزل المشير عبد الحكيم عامر فى الجيزة ، وكانت المفاجأة أنى وجدت هذا التقرير (دون أن يبدّى المشير عامر عليه أى تعليق) ..

وبعد ..

يكفينى شهادة رئيس أركان القوات المسلحة .. زمن هزيمة عام ١٩٦٧ وهى شهادة أو اعتراف يجب (بضم الجيم) أى شهادة أخرى .



مؤسسة الرئاسة

عندما قامت ثورة يوليو ، تشكل مجلس قيادة الثورة ، وكان القرار يصدر بأغلبية الأعضاء ، ولذلك يمكن القول أن داخل المجلس كانت هناك « فرامل » للشطط ، رغم عدم خبرة الاعضاء فى حكم البلاد ، ولكن يمكن القول أن هناك معارضة - ولو فى الظلام - داخل هذا المجلس ..

وبعد أن قام الرئيس جمال عبد الناصر بحل مجلس قيادة الثورة ظلت المعارضة من الأنداد أعضاء المجلس السابقين وعلى رأسهم عبد اللطيف البغدادى ، وكمال الدين حسين ، ولكن والحق يقال كان عبد الناصر وحكومة الخفاء تريد أن تحكم البلاد ، بلا حوار ، ولامعارضة ، ولامناقشة ، فهى تريد استغلال الظلام فى تحقيق مصالحها ، وتغطية فسادها ، واستطاع الرئيس جمال عبد الناصر - بعد شعبية عام ١٩٥٦ - أن ينفرد بالحكم تماما ، حيث تم اقصاء عبد اللطيف بغدادى ، وكمال الدين حسين ، ولم يبق معه سوى عبد الحكيم عامر ، وحتى عبد الحكيم عامر حاول عبد الناصر أن يقصيه فى أكثر من مناسبة ولكنه عجز عن ذلك تماما ، لأنه رجل القوات المسلحة القوى ..

وأصبح الرجل - أى عبد الناصر - يدور فى دائرتين لا ثالث لهما واكتفى بهما تماما ..

الدائرة الأولى :

وهم مجموعة مكتبه ، وهؤلاء فى غياب الرقابة ، عبثوا بمقدرات الناس ، ولفسادهم ، فلا يمكن لأحد منهم أن يعارض عبد الناصر فى رأى يقوله خاصة أن الرئيس عبد الناصر قد تبنى استراتيجية خطيرة وهى الولاء أولا ، حتى لو كان هذا الولاء من أشخاص فاسدين .. وهو ما أطلق عليه تخفيفا « أهل الثقة وأهل الخبرة » حيث تم استبعاد أهل الخبرة تماما فى كافة المجالات عن المشاركة فى صنع القرار ، وأصبحت الدائرة الأولى هى الحاكمة الفعلية ، وصاحبة القرار والفساد فى مصر .

الدائرة الثانية :

وهى مجلس الوزراء ، والمفروض أن هذا المجلس هو قمة رجال السياسة فى مصر ، وأن القرار أى قرار لابد وأن يعرض عليهم لمناقشته ورفضه أو اقراره ، ولكن هذه الدائرة الثانية محكومة بالدائرة الأولى ، دائرة رجال الرئيس ، فالدائرة الأولى هى الحاكمة الفعلية ، وما هؤلاء إلا أدوات تنفيذية لقرارات الدائرة الأولى ، أى أنهم مجلس للمديرين ، وليسوا مجلساً للوزراء ..

كارثة .. أليس كذلك ؟

أنا أعرف الكثير عن هؤلاء الرجال .. وأعرف الدمار الذى ألحقوه بمصر ، ولسوء حظ بلادى أن الأمور تدهورت إلى الحد السابق مع بداية اتخاذ قرار المواجهة مع اسرائيل ، فكانت القرارات التى أدت إلى الهزيمة .

هؤلاء الرجال حول الرئيس ، سأوضح من هم من خلال تسجيل رجل محايد هو أنتونى ناتنج .. فيقول[1] :

ـ كان سامى شرف ، وهو شخصية سيئة السمعة دأب على حياة الفجور ، قد تورط في مؤامرة فاشلة قام بها الجيش فى عام ١٩٥٤ ، وبرز حين خان رفاقه المتآمرين وأبلغ زكريا محى الدين وزير الداخلية ، الذى عينه فى وقت لاحق فى أحد المناصب بهيئة مكتبه ، وأصبح سامى شرف خبيرا فى نشاط البوليس السرى ، ومع ذلك لم يكن ثمة ود بينه وبين رئيسه ،

فلما طلب عبد الناصر سكرتيرا خاصا جديداً نقله زكريا محى الدين إلى رئاسة الجمهورية حيث أخذ ينتقل من قوة إلي قوة . لقد اعتبره سيده الجديد خبيرا فى جمع الأسرار ونقلها ولابأس به وبدأ فى تنظيم جهاز للمخابرات خاص برئاسة الجمهورية للتدخل فى الأنشطة العامة والخاصة لكل وزير ومسئول كبير ، ولما عين أمين شاكر سفيرا لدى بلجيكا رقى سامى شرف ليتولى منصب كبير الأمناء الذى كان يشغله .

ولسوء الحظ جاء تعيين سامى شرف على هذه الفرصة ليستخدم كل ما أوتى من براعة فى التآمر ، ولم يسمح لغير أفراد قلائل الاتصال بالرئيس عبد الناصر .. وباستثناء السفير اليوغسلافى لم يقابل عبد الناصر هارولد بيلى وجون بادوالى جانب كل سفير أجنبى آخر الا فى مناسبات نادرة ..

هكذا أحاط عبد الناصر نفسه بمجموعة ممن لا يعترضون على شيء ، .. وأصبح عبد الناصر بصورة متزايدة لا يقبل النقد بل أكثر ميلا إلى سماع ما يريد أن يسمعه ، بل وسمح لتقارير غير صحيحة ومبالغ فيها حول أخبار سارة بأن تنشر على الناس ، وبحكم كونه « صعيدى » بالمولد لم يعد على استعداد ، أكثر من أى وقت مضى ، لأن يصغى إلى وجهات نظر وزرائه بل وكان أكثر ميلا إلى الاعتقاد بأن من يهاجم سياسته أنما يتآمر عليه خاصة لو كان سامى شرف وجهاز مخابراته قد نقل إليه صورة غير مرضية عنه .. وكان سيد مرعى وزير الزراعة والمزارع الناجح أحد ضحايا هذا المزيج من عدم التسامح والشك.ولما كان سيد مرعى رجلا أمينا وعمليا أبلغ عبد الناصر أن مطلبه الخاص باصلاح أكثر من أربعين الف فدان سنويا ليس بالاقتراح العلمى ، فى حين أن على صبرى أكد ، بناء على اتصالاته بما يسمى بالخبراء ، أنه من الممكن أصلاح ٢٠٠ ألف فدان سنويا ..

فعندما أعيد إلى ذاكرة عبد الناصر أن سيد مرعى كان عضو برلمان فى عهد فاروق سرعان ما أبعده عن منصبه شأن ثروت عكاشة ، وزير الاعلام والثقافة الذى أرغم على الاستقالة بعد أن اختلف مع عبد الناصر حول سياسة الثقافة ، لقد أصر ثروت عكاشة على أن يكون الكيف وليس الكم هو السياسة الرئيسية فى نشر الثقافة ، وعارض بشدة رأى عبد الناصر فى أن تقدم

الثقافة للناس بنفس أسلوب الصحافة والاذاعة فى الاعلام لكنه عبثا حاول ذلك . ولما عين عبد القادر حاتم مكانه ، اضطر ثروت عكاشة إلى أن يقبل نقله إلى رئاسة البنك الأهلى ..

كان على صبرى أحد الأفراد القلائل من رفاق عبد الناصر الذين استفادوا من انضمام سامى شرف إلى هيئة رئاسة الجمهورية ، فلم يتردد على صبرى فى التودد إلى المساعد الجديد فى رئاسة الجمهورية .. كان على صبرى ، كوزير دولة لشئون رئاسة الجمهورية ، شابا طموحا ومتآمراً بارعا ومتمرسا ماهرا فى جهاز المخابرات الذى أمضى فيه معظم الوقت وهو ضابط بسلاح الطيران ، ولم يكن يتمتع بحب أعضاء مجلس قيادة الثورة وخاصة عبد اللطيف البغدادى وزكريا محى الدين اذ كانت شخصيته غير جذابة ، ولم يكن اخلاقيا ، حيث كان من النادر أن يقول كلمة طيبة فى أحد ، ولكنه أقنع عبد الناصر بأنه مساعد على درجة كبيرة من الكفاءة ابان السنوات التى قضاها فى رئاسة الجمهورية ..

وكثيرا ما كان على صبرى يهاجم شخصا ما حتى يستبعده عبد الناصر على الفور ، ولم تكن لعلى صبرى مبادىء كثيرة ، لو كانت لديه أية مبادىء ، فكان بوسعه مسايرة التيار أينما اتجه ، ففى يوليو من عام ١٩٦١ عندما رأى أن سيده يتحرك بسرعة نحو الاشتراكية عقد على صبرى مؤتمرا صحفيا أشاد فيه بالمزايا التى سوف تعود من التأميم فى تعبئة وتنمية الموارد الاقتصادية فى الجمهورية العربية المتحدة .

وعلى الرغم من انه يعتبر بوجه عام مناهضا لامريكا ومواليا لروسيا فلم يكن أقل من عبد الناصر استعدادا لقبول ما يمكن أن تقدمه أمريكا من معونة ، وكان حريصا ألا يسمح لكراهيته الشخصية للولايات المتحدة التى تولدت فى نفسه لمحاولته الفاشلة فى طلب الاسلحة الامريكية عام ١٩٥٣ ، أن تترك تأثيرها على مايصدره من حكم سياسى ، وخلاصة القول أن على صبرى كان كما أراده عبد الناصر أن يكون وخاصة فى هذه المرحلة ، اذ كان سكرتيرا كفؤا يتبع رئيسه أينما قاده دون جدل أو نقد ..

هذه صورة أو رموز للمؤسسة الحاكمة القوية فى مصر ، وهى مؤسسة الرئاسة ، ولابد أن نضيف اليها رجلا قويا آخر هو الصحفى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، والذى شارك عبد الناصر فى معظم قراراته واستطاع أن يعرف عن عبد الناصر حبه للوشاية . كما ذكر أكثر من شخص . وأصبح هو أهم مصدر أخباره وكل الشائعات فى البلد .. كانت هذه المؤسسة هى التى تشكل الحكومة ، وهى التى تقيلها ، وهى التى تعين رؤساء تحرير الصحف وأعضاء مجلس الأمة والمحافظين .. ولقد أكتسبت قوة غير عادية فى أوساط كل المؤسسات المصرية ...

أنكر . على سبيل المثال . أننى كنت صحفيا مغمورا ، صغير السن ، والتقيت بشاب سورى فى بيروت وقدم لى معلومات غاية فى الخطورة عن مؤامرة اسرائيلية على ما أنكر ، وذهبت إلى رئيس التحرير أخبره فطلب منى أن أقوم بابلاغها « للاستاذ هيكل » ، وطلبت من سكرتيرته موعدا ، وشرحت لها ما عندى من معلومات ، فحددت لى موعدا .

ذهبت إلى مكتب « الاستاذ هيكل » فى الأهرام القديم ، وفى مكتب السكرتيرة ، وجدت ثلاثة من الوزراء فى أنتظار مقابلة « الاستاذ » ، ودخلت إلى مكتب هيكل قبل الوزراء الثلاثة ، وقدمت له ما عندى من معلومات ، ثم بدأ يسألنى عن أخبار اليوم ، كأنه يضيع الوقت معى ، ودخلت السكرتيرة تقول أن مواعيد الوزراء الثلاثة قد مضى عليها نصف ساعة ، ولكنه لم يرد عليها .. ابتسم فقط .. فخرجت ..

واستمر حواره معى بعض الوقت فى لا شىء ، ثم خرجت من عنده وأنا فى دهشة من أمره ، أولا رغبته فى تعذيب واحتقار الناس ، وفى دهشة من أمر وزراء مصر ، الذين ارتضوا هذا الذل وهذه المهانة ..

لقد علمت فيما بعد ، أن « الأستاذ هيكل » ، كان يشارك مشاركة فعالة فى تشكيل حكومات عبد الناصر ، ولم أسمع أن صحفيا يشارك فى تشكيل الحكومات ، فهذه ليست مهمته ..

اذن .. حول الرئيس مجموعة من الفاسدين . كما قال ناتنج . ورجال تحكم تصرفاتهم عشرات العقد النفسية .

تأتى الدائرة الثانية .. الدائرة الحاكمة .. أو مجلس وزراء عبد الناصر .. أو مجلس المديرين وهنا ألتقط صورة لما كان يحدث فى مجلس الوزراء عن لسان عضو هام فى هذا المجلس ، وهو الدكتور ثروت عكاشة أحد الضباط الأحرار ووزير الثقافة والارشاد القومى ، وهو يصف تلك العلاقة الغريبة بين مجلس الوزراء .. ورئيس الوزراء جمال عبد الناصر[1] .

أذكر حادثة وقعت لى فى أحدى الجلسات من مجلس الوزراء عام ١٩٦٩ حين أنبريت أستفسر عن موقف السلاح الجوى بعد أن ذكر لنا الرئيس أن القوات المسلحة المصرية باتت من ناحية القوات البرية فقط على أهبة الاستعداد للمعركة من ناحيتى التسليح والتدريب فسألت بدورى : كلنا يعرف أن قدرة السلاح الجوى محدودة وأن الطائرة الروسية المستخدمة حاليا لاتستطيع أن تتجاوز فى حدودها القتالية والمدى الذى تقطعه وفى حمولتها من ذخيرة وقنابل وصواريخ إلى آخره ، أقول لاتسطيع أن تتكافأ مع طائرة الفانتوم التى تزود بها السلاح الجوى الاسرائيلى ، فهل عملنا على الحصول على طائرات أكثر تقدما من الميج ١٧ أو ١٩ يكون مداها مكافئا لطائرة العدو فتؤدى دور الردع ؟ وإذا كنا قد عملنا ما بوسعنا للحصول على هذه الطائرة فأن التدريب على استخذام الطائرة الجديدة يحتاج إلى فترة قد تمتد إلى شهور ستة أو أكثر ، فهل أرسلنا عددا من الطيارين إلى الاتحاد السوفيتى للتدريب على مثل هذه الطائرة المنشودة حتى نستطيع عند وصولها استخدامها قتاليا وليس فقط من ناحية قيادتها ؟

فسألنى الرئيس :

- ولماذا تسأل هذا السؤال ؟

قلت : كى أستنير .

فرد قائلا :

- لأمش ضرورى تستنير .

وضجّ المجلس بالضحك . ولقد دهشت لتلك الاجابة التى لم أفهم لها سببا ، كما عجبت لضحك الزملاء الذى بدت فيه روح المجاملة للرئيس أكثر

(١) ثروت عكاشة - مذكرات فى السياسة والثقافة - الجزء الثانى ص ٥٢٦ - ٥٢٧

ولكنى تمالكت نفسى حتى انتهائها دون أن استطيع الاشتراك فى المداولات الدائرة بعدما حدث .

و ما أن أنتهت الجلسة فى الحادية عشرة مساء ، حتى اتجهت لتوى إلى منزل جمال عبد الناصر ، وطلبت من سكرتيره الرائد محمود فهيم ضرورة مقابلتى للرئيس ، ولكنه أعتذر بأن الرئيس قد لزم فراشه .

فقلت له هذا غير صحيح ، فلقد تبعته منذ خرج من قصر القبة حتى وصوله وإذا كان لايستطيع مقابلتى فلاتحدث معه تليفونيا .

وانتحى لحظة فى الحجرة المجاورة تحرجا ثم عاد يدعونى لمكالمة الرئيس الذى بادرته بقولى :

- لقد تبين لى الليلة أنى فقدت ثقتك ، ولذا أبادر بتقديم استقالتى ولن أكون من الغد فى مكتبى .

فسألنى عما يدعونى إلى هذه الاستقالة ، فذكرت له أن رده على سؤالى فى مجلس الوزراء كان يحمل فى طياته استخفافا بى لم أعتده ، وأن التصرف الطبيعى فى مثل هذه المواقف أن أترك مكانى لغيرى . فرد فى الحال :

- كم أنت شديد الحساسية . لقد سألتنى سؤالا يشق على أن أجيبك عليه بصراحة حرصا على سرية قرار هام من قرارات الحرب ، ولم أجد مخرجا أمامى من المأزق الذى دفعتنى اليه إلا مافعلت ، واثقا أن تسوية الامور بيننا فيما بعد أهون من الكشف عن سر لم يئن الاوان بعد لاعلانه . وإذا عن لك أى سؤال من هذا القبيل فبابى مفتوح أمامك فى أى وقت لنتشاور سويا .

ثم أعتذر عن رده الغريب على مسترضيا ومعاتبا فى نفس الوقت لانه كان ينبغى فى تصوره أن أكون أول من يتحمله وأنا اعلم ما يكابده من مشاق ومشكلات تطالعه من كل جانب ، فضلا عما يعانى من الام المرض .

ثم ذكرنى بأقواله السابقة فى مجلس الوزراء عن تحذير الزملاء من أن يفلت لسانهم بسر من أسرار مجلس الوزراء . على أنى على الرغم من هذا عقبت بأن هذا الذى حدث بينه وبينى من رد قاس على رفيق من رفقاء

السلاح قد يجعل البعض من الوزراء ممن هم ليسوا على مثل تلك الصلة يحجمون عن الافضاء بآرائهم فى صراحة وعن إثارة الاسئلة التي ما فتىء يشجعهم على توجيهها داخل مجلس الوزراء ، فأجابنى بأنه كفيل بأزاحة هذه السحابة فى أول فرصة .

واقترحت عليه أن قد يكون من الأوفق أن يشكل مجلس حرب من الوزراء المختصين بشئون الدفاع والأمن ليتداول معهم في مثل هذه الأمور السرية أسوة بما هو متبع فى البلاد المتقدمة .

• • •

لقد سقت هذه الحادثة ، لأؤكد أن مجلس الوزراء آخر من يعلم وأن صفة الشك التى اتسم بها الرئيس جمال عبد الناصر ، جعلت من مجلس وزراء مصر مجرد ديكور .. لايشارك فى القرارات المصيرية للأمة .

وهذا مما أدى إلى هزيمة يونيو ..



المؤسسة العسكرية

المؤسسة العسكرية ، هى المؤسسة الثانية الحاكمة فى مصر ، وهى التى تتنازع السلطات مع مؤسسة الرئاسة . والمفروض أن هذه « المؤسسة » هى التى ستقودنا الى نصر ، وأنها هى التى تقوم بحماية مصر من أى عدوان خارجى .

ولكن شعار « أهل الثقة » هى التى قادتنا من هزيمة الى أخرى .. وأنتهى الأمر بهزيمة الخامس من يونيو . لقد كان الرئيس جمال عبد الناصر يعرف جيدا أن طموحات صديقه عبد الحكيم عامر لا تتعدى القوات المسلحة ، قد يدفع بهذه القوات الى اختصاصات جديدة ، ولكن المشير عبد الحكيم عامر لا يغازل على الاطلاق منصب رئيس الجمهورية وهو الذى كان يحرص عليه الرئيس جمال عبد الناصر .

وأذكر هنا حوارا قد دار بينى وبين أحد المقربين من المشير ، وهو العميد طيار تحسين زكى[1] ، وكان من أكفأ الطيارين وأكثرهم شجاعة ، وكان هذا الحوار عقب النكسة مباشرة ، ومحاولة المشير العودة الى سلطاته فى القوات المسلحة ..

قال لى العميد طيار تحسين زكى :

- رغم النكسة .. فان المشير عبد الحكيم عامر لم يفقد شعبيته داخل القوات المسلحة ، وأنه لو ذهب الى قناة السويس ، لالتفت حوله كل القوات

(١) العميد طيار تحسين زكى قائد قاعدة انشاص الجوية فى حرب عام ١٩٦٧ وقد حوكم فيما أطلق عليه مؤامرة المشير عبد الحكيم - بعد النكسة - وحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات .

المسلحة ولأمكن أسقاط عبد الناصر ، فهناك شعور داخل القوات المسلحة بأن المسئول الوحيد عن النكسة هو الرئيس جمال عبد الناصر بسبب ما اتخذه من قرارات ..

ولما سألته عن أسباب محاولته العودة الى قيادة القوات المسلحة مرة أخرى بشكل تآمرى .. قال :

- ان عامر يريد أن يسمع جمال عبد الناصر ، ويريد أن يعود على يديه ، وليس انقلابا عليه ، أن عامر لا يتآمر على عبد الناصر ابدا .. قد يختلف معه ولكنه لا يتآمر عليه ، ولو أنه أراد ذلك لفعل ذلك فى أكثر من مرة نشب فيها الخلاف بينهما ..

وقال الرجل :

- لهذا السبب أبقاه .. رغم فشله فى كثير من المعارك السابقة .. فان عبد الناصر لا يهمه أحراز النجاح بقدر الولاء له . ولا يوجد رجل قوى فى مثل قوة المشير - قبل الهزيمة - ويمنح كل هذا الولاء للرئيس عبد الناصر .

قال الرجل :

- وبسبب هذا الولاء .. أعطاه سلطات واسعة خارج القوات المسلحة ، سواء فى سوريا حيث كان المشير ملكا للاقليم الشمالى ، أو فى الداخل حيث كان يسيطر على القطاع العام والنقل العام ، ووزارة الخارجية وأجهزة الأمن القومى فى مصر .

• • •

حصل المشير عبد الحكيم عامر على صلاحيات واسعة فى ادارة القوات المسلحة ، بل وفى ادارة شئون البلاد ، وكان أعظم وصف سمعته عن هذه الصلاحيات من الدكتور عبد المنعم الشرقاوى استاذ القانون الشهير ، أن رجال المشير كانوا أقسى على الشعب من جيش الأحتلال البريطانى .

لقد نشر رجال المشير الفساد فى القوات المسلحة ، كما نشروا الفساد والخوف فى كل موقع من مواقع الوطن ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر يعرف كل هذا ، ولكن كان يغض النظر عن أفعال تلك الفئة المنحرفة ، التى أغرقت مصر حتى الكارثة .

لقد كان ناصر وعامر صديقين قبل الثورة ، وكان ناصر يثق فى عامر ، وبأنه شخص غير « تآمرى » فيه روح شيخ القبيلة وشهامة ابن البلد ولذلك « أعطاه » أخطر جناح فى مصر كلها ، وهو القوات المسلحة ، لم يكن يأمن لغيره أن يكون مسئولا عن القوات المسلحة التى قامت بثورة يوليو ، واستطاع عامر بشخصية ابن البلد ، أن يحول القوات المسلحة الى قبيلة هو شيخها ، ولقد حاول عبد الناصر عقب كل فشل للمشير أن يبعده عن القوات المسلحة فلم يتمكن ، وظل خائفا منه حتى انتهت مصر بنكسة عام ١٩٦٧ ، ووصل الأمر الى أن المشير عبد الحكيم عامر أصبح أقوى منه ، يفرض رأيه ، ويفرض رجاله ، وعلى عبد الناصر أن يطيع كل ما يطلبه .

ولقد حرص عبد الناصر بعد ذلك على محاصرة هذه الخلافات بينه وبين عامر ، وأخمدها سريعا دون أن يتحدث عنها مع رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يفكر بدهائه فيما يمكن أن يبلغه عبد الحكيم عامر من استقلال بعيدا عن سيطرته ، فنشر حوله وحول اعوانه من القادة العسكريين شبكة من عناصر المخابرات تجمع عن عامر ورجاله كل سكناتهم وتحركاتهم ، وكلما يتصل بحياتهم الشخصية .

ويقال أن عبد الناصر كان مغرما بالوقوف على أدق الاسرار الشخصية لكل من يعمل معه أو يتصل به - ثم يفاجىء هؤلاء بما بلغه عنهم من معلومات ... فعل هذا مع « عامر » حين أخفى عنه علاقته بمطربة غير مصرية ، وحين تزوج من الممثلة برلنتى عبد الحميد - ومع صحفى كبير من أصدقائه القلائل المقربين ، ارتبط بعلاقة حب مع احدى الملكات العربيات السابقات ، وجاء عبد الناصر وأدار أمام هذا الصحفى تسجيلا

لحديث تليفونى دار بين الصحفى وعشيقته ، وقد ظن العاشق أنه قام بكل ترتيبات علاقته وضمان سريتها ، واذا به مجردا من كل ملابسه أمام عبد الناصر .

★ نعود الى عبد الحكيم عامر وقد شعر بالرقابة عليه ، فعمل من جانبه على اجتذاب عناصر المخابرات وقادتهم المنتشرين حوله وحول أعوانه . وليس سرا أن منافسة ضخمة قامت بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، على صلاح نصر ، كل منهما يبذل جهده لكى يبقى مدير المخابرات العامة رجله دون الآخر ، وفى عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ - كان « عامر » يردد فى سهراته بين خلاصة أصدقائه ساخرا من عبد الناصر :

- « الريس فاكر أنه أخذ منى صلاح نصر ... وأنا سايبه يفكر زى ما يعجبه » ..

• ويرد « أفراد الشلة » على المشير عبد الحكيم عامر فى نفاق مدفوع الثمن وهم ينادونه « ياريس » .

- « الى متى تترك هذا الرجل ياريس ، انه لا يدرك أن وجوده رئيسا للجمهورية حتى الآن مرتبط بك وبرضائك عنه » .

• ويقول آخر :

- « آن الاوان ياريس لتأخذ مكانك الحقيقى .. كفاية كده عليه » .

• ويضحك عبد الحكيم عامر فى سعادة محاولا اخفاءها ، ويقول لرجاله وكأنه يؤنبهم :

- « أختشى ياواد منك له ، أيه اللى جرى لعقولكم » .

• كان لعبد الحكيم عامر مجموعة من الفيلات والشقق الفاخرة فى القاهرة والاسكندرية بحجة تأمين حياته ، وفى كل ليلة يقضى سهرته بين شلته ، يدور مثل هذا الحديث ، وذات يوم فوجىء عامر بعبد الناصر يدير أمامه عدة أشرطة لتسجيلات مختلفة دارت فى شقق وفيلات المشير ، وأمسكت المفاجأة بعامر فظل صامتا مستمعا للاشرطة ، وفى النهاية أراد بخبث أن يخرج من المأزق فثار على عبد الناصر لأنه يقوم بمثل هذه

الاعمال الصبيانية بدلا من الاهتمام بمشاكل الجماهير وشكواهم من حكومة زكريا محيى الدين ..

واندفع واقفا فى غضب مفتعل .. بينما خشى عبد الناصر أن يكون قد أغضب عامر حقيقة ، فأخذ يعتذر له معاتبا مستعيدا ذكريات صداقتهما القديمة النادرة ، مستنكرا أن يسمح « عبد الحكيم » لأحد محاسيبه بالخوض فى مثل هذه الموضوعات والحديث عن عبد الناصر بهذا المستوى ..

• • هنا يبرز سؤال هام :

- من أين حصلت كصحفى على مثل هذه المعلومات ، أو هذا الحوار الذى دار فى بيت عبد الناصر ؟.

- لقد روى لى هذه القصص المرحوم لواء عصام خليل وسنتحدث عنه طويلا عبر الفصول القادمة وكان المشير عامر يحترمه ، لانه يحترم نفسه أمامه ... ويفتح قلبه ليحدثه بكل ما جرى بينه وبين عبد الناصر أو بقية أعضاء القيادة السياسية فى مصر .. ومن بين ما روى ذلك الحديث الذى ذكرته فى نهاية المقدمة الطويلة التى أعددتها لتكون مدخلا لهذا الكتاب .

• ولقد قال المشير عامر أكثر من ذلك ... قال أن عبد الناصر لم يعد بالنسبة له صديق الأمس ، وأنه يشعر بكراهيته له - كراهية عبد الناصر - رغم حرصه على أن يبدى حبا وتعاطفا ، ولكنه حب العاجز الذى ينتظر الفرصة لينقض بلا رحمة ، وان عبد الناصر يعتزم أمرا ، ولانه يعرفه اكثر من أى انسان آخر فلا يستبعد أن يفكر فى التخلص منه ... التخلص من عبد الحكيم عامر ..

• وقال المشير عبد الحكيم عامر أيضا :

- انه لو فكر فى عزل عبد الناصر ، فانه سيجد الف مبرر يقدمه للشعب المصرى تبريرا لعزله ، وانه متأكد تماما من تأييد الشعب له اذا أقدم على مثل هذا العمل ... ولكنه لا يجد ما يقوله لقادة العالم فى موسكو وشرق أوروبا والشعوب العربية بصفة خاصة ... وانه من المحتمل أن تقوم موسكو بتوجيه ضربتها لكى يظهر فى مصر حزب شيوعى يتلقى أوامره من الاتحاد السوفيتى ، ولديهم فى القاهرة ، لدى موسكو عدد لا بأس به من القادة

السياسيين والعسكريين والصحفيين يعملون لحسابها ، ولن يتركوا فرصة غياب عبد الناصر دون استغلالها ..[1]

كانت حياة المشير العسكرية سلسلة من الاخفاق والسقوط ، ففى عام ١٩٥٦ عندما حدث العدوان الثلاثي على مصر[2] وبدأ عبد الناصر يرتاب بشدة فى قدرة صديقه عبد الحكيم عامر على قيادة الجيش فى هذا الموقف البالغ الخطورة ويشك فى أن ما يطرأ على مزاجه من تغييرات مفاجئة قد يكون نتيجة لما يعرف عنه من تعاطى الحشيش ، ومن ثم فانه بعد اتمام الانسحاب من سيناء فى ٣ نوفمبر ووقف اطلاق النار بصورة فعالة بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية فى كل مكان ، فيما عدا شرم الشيخ التى سقطت بعد ذلك بيومين فى أيدى الاسرائيليين ، قرر عبد الناصر وعبد اللطيف بغدادى ، أن يسافرا على الفور الى جبهة قناة السويس للاشراف على توجيه المرحلة التالية من الحرب ، ألا وهى نزول القوات الانجلوفرنسية فى بورسعيد .. فكلف زكريا محيى الدين بالاشراف على الحكومة فى القاهرة ، وبدأ الزعيمان رحلتهما الى بورسعيد عن طريق الاسماعيلية رغم اعتراضات قائد الحرس الجمهورى الذى كان يخشى ان تهاجم القاذفات البريطانية السيارة التى يستقلها عبد الناصر ..

كان هذا هو رأى عبد الناصر فى صديقه عبد الحكيم عامر فى عام ١٩٥٦ ، وانتهت حرب عام ١٩٥٦ بهزيمة الجيش المصرى بقيادة المشير عبد الحكيم عامر حيث انهار المشير عامر تماما ، ولم يتمكن من قيادة المعركة[3] ، ثم حوكم اللواء عبد الحكيم عامر صدر حكم بعدم صلاحيته لمنصب قائد عام القوات المسلحة المصرية .. وانصافا له ، فلقد عرض أن يستقيل بعد اصابته بالانهيار ، الا ان عبد الناصر أبى أن يتخلى عن صديقه الأمر الذى أثار خوف عبد اللطيف بغدادى الشديد وقرر بدلا من ذلك أن يجعل صدقى محمود قائد سلاح الطيران المصرى عبرة لغيره ، وكان قد اتخذ احتياطات غير كافية تماما لحماية طائراته من أن تدمرها غارات

(١) مأساة عبد الحكيم عامر - حمدى لطفى ص ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩

(٢) انتونى ناتنج - ناصر - ص ٢١٦

(٣) نفس المصدر السابق - ص ٣٢٠

القاذفات البريطانية وهى جاثمة على الارض ، الا أنه عندما دافع عبد الحكيم عامر عن مرؤوسيه زال غضب عبد الناصر ووافق على منح صدقى محمود فرصة أخرى ..

• • •

انتقل المشير عبد الحكيم عامر من فشله التام فى حرب عام ١٩٥٦ ليصبح ملكا متوجا يحكم « الاقليم الشمالى » سوريا ، بعد عامين فقط من هزيمته عام ١٩٥٦ ، وكان حكم المشير - الذى لا يعلم كثيرا عن طبيعة الشعب السورى واتجاهاته - أحد الاسباب - فى الانفصال بين مصر وسوريا فى عام ١٩٦١ ، بل ان الذى قاد انقلاب الانفصال واحد من المقربين اليه ، وهو عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب المشير بدمشق .

ولقد حدث الانقلاب ، والمشير عامر فى دمشق ، وكانت مهمة عبد الناصر فى القاهرة ان يعود المشير سالما الى مصر ..

• • •

كانت الوحدة المصرية السورية تمثل حصارا حقيقيا على اسرائيل ، وربما كانت هذه الوحدة هى المدخل الحقيقى لتحرير فلسطين ، فلأول مرة تحاط اسرائيل من الشمال والجنوب بقوات تحت قيادة واحدة ، ولأول مرة يقف الجندى المصرى والسورى جنبا الى جنب على هضبة الجولان المنيعة ، وكان احساس اسرائيل بخطورة هذه الوحدة الثنائية يرعبها ، والدليل على ذلك أن مجرد التنسيق بين القوات المصرية والسورية فى حرب أكتوبر جاء بنتائج مذهلة .. الا أن المشير عبد الحكيم عامر قد فشل فى « حكم » سوريا وعاد الى مصر بعد ان انفصلت سوريا عن مصر ، بل وناصبتها العداء ..

وكان هذا الفشل الكبير الثانى فى حياة المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة المصرية .

• • •

بعد الانفصال ، قرر عبد الناصر أن تصبح السلطة على القوات المسلحة فى أيدى قيادة جماعية ، فشكل ما سمى بمجلس الرئاسة ء برئاسته وعضوية عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادى وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وحسين الشافعى وحسن ابراهيم وكمال الدين رفعت وعلى صبرى والدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصى ، وكان الهدف من هذا المجلس هو سحب مسئوليات المشير عامر ، الا أن عبد الحكيم قدم استقالته ، وأراد بهذه الاستقالة أن يغضب صديقه جمال عبد الناصر ، قال فى الاستقالة انه استقال بسبب غياب الديمقراطية ، وأنه يرفض حكم الديكتاتورية . لم تكن تلك الكلمات يؤمن بها عامر ولكنها وسيلة للضغط على عبد الناصر الذى استجاب فورا ، وأطلق عبد الحكيم عامر فى القوات المسلحة وغير القوات المسلحة .

• • •

ثم كانت حرب اليمن ، التى تمثل سلسلة من الفشل والفوضى فى الجيش أدت الى هزيمة القوات المسلحة فى يونيو عام ١٩٦٧(١) .

• • •

* مع مرور الزمن ، نسى القادة أو تناسوا لماذا قاموا بالثورة ؟

لقد انبثقت الثورة ردا على هزيمة الجيش المصرى أمام العصابات الصهيونية فى حرب عام ١٩٤٨ أو ما تسمى « بالنكبة » .. فأين اسرائيل على خريطة اهتمامات القوات المسلحة عام ١٩٦٦ ؟

* الصورة بشعة الى حد بعيد ..

الصورة تؤكد نهاية هذه القوات مع أول ضربة للعدو ، الذى لم ينس أبدا أن مصر هى عدوته الأولى فى المنطقة ..

ماذا كان يدور فى عقل القائد العام للقوات المسلحة ..

كان مشغولا بالعمليات العسكرية فى اليمن ، وكان لها حديث .

كان مشغولا بالسيطرة على القطاع العام ، عن طريق تعيين اصدقائه فى القطاع العام ..

---

(١) انظر حرب اليمن ء

كان مشغولا بأذلال الشعب المصرى فيما سمى بلجنة تصفية الاقطاع .

لقد انطلق جنوده الى منازل المصريين الآمنة من الطبقات المتوسطة ، والفقيرة فى اقسى حملة تشهدها مصر ، تقتحم حرمات البيوت ، تنهب ما فيها ، تعتدى على شرف الأسر ، تصادر كل ما تمتلك ، وكل ذلك بقوة السلاح .. يقول أنور السادات عن هذه اللجنة :

- « لا أستطيع أن أجزم بأن عبد الناصر كان على علم بما حدث .. ولكنى فى الوقت نفسه لا أستطيع تبرئته من المسئولية .. فالرئيس دائما هو المسئول مهما كانت أخطاء معاونيه ومساعديه ومهما كانت نواياه هو ..

وكالعادة فقد كان عبد الناصر يعتبر أن أى احتجاج أو اعتراض أو نقد أو حتى محاولة لتقصى الحقائق ومناقشتها أو مجرد التنفيس عما بالصدور ثورة مضادة .. ولا بد من اجراءات لمواجهتها .. ولذلك فانه بعد عملية الاخوان كان لا بد فى نظره من اجراء مضاد ، وكان الاجراء هذه المرة أقسى وأعنف ما شهدته مصر فى تاريخها ، فقد شكلوا لجنة اطلقوا عليها اسم لجنة تصفية الاقطاع وطبعا تولى رئاستها عبد الحكيم عامر ..

كانت لجنة تصفية الاقطاع تمثل قمة الارهاب والكبت والاذلال .. فقد اعتدوا على كرامة الانسان وهو ما لا يقبله شعبنا تحت أية ظروف ولأى سبب .. فالشعب المصرى يقبل الجوع والفقر والحرمان .. ولكنه لا يقبل امتهان الكرامة .. ولقد وضعوا تحت نظرى فى ذلك الوقت عدة حالات تدل على ما كانوا يفعلون ولكنى لهولها لم أصدق الى أن مارست التجربة بنفسى ..

ففى يوم وأنا فى زيارة لقريتى ميت ابو الكوم وكان ذلك فى سنة ١٩٦٦ التقيت بأحد أبناء القرية وهو مهندس زراعى فسألنى اذا كنت قد اطلعت على قرارت لجنة الاقطاع بالنسبة لمركز تلا وهى بلدة قريبة من قريتى .. فقلت لم اقرأ شيئا بهذا الصدد فأطلعنى على أحدى الصحف اليومية فاذا بى افاجأ بأن عددا من العمد وأهل المنطقة قد وضعوا جميعا تحت الحراسة وعزلوا من مراكزهم .. كنت أعرفهم واحدا واحدا .. وكنت أعلم علم اليقين أنهم من خيرة الناس وأنهم جميعا يؤيدون الثورة بما لايقبل الشك ..

لم أكن أتصور ان الامور قد وصلت الى هذا الحد .. فأخذت سيارتى وعدت فى الحال الى القاهرة وأنا غاضب كل الغضب .. وبحثت عن عبد الحكيم عامر الى أن وجدته ، فاتصلت به تليفونيا وقلت له كيف يحدث هذا ؟ انه عبث بمقادير الناس و ... و... فرد على بهدوء :

- وفيم الغضب ؟ نلغى القرار ..

وفعلا الغى القرار فى نفس اليوم الذى صدر فيه .. وكان هذا هو القرار الوحيد الذى تراجعت عنه لجنة تصفية الاقطاع فى نفس يوم صدوره ..

كانت هذه تجربتى مع لجنة تصفية الاقطاع - ولكننى سمعت بعد ذلك قصصا رهيبة تدل كلها على مدى امتهان السلطة للانسان المصرى والقيم التى نشأ عليها .. فمثلا كانوا يقتحمون البيوت بالليل ويطردون النساء فيخرجن مع اطفالهن فى الطرقات والأزقة يبحثن عن مأوى يسترهن [١] .

* * *

واخيرا .. هذه هى صورة القائد الذى سيقودنا فى حرب عام ١٩٦٧ .. ويالها من مهزلة ..

* * *

نعود الآن الى الوجه الآخر للمشير[٢] .. واستشهد هنا بحوار دار بين الصحفى حمدى لطفى واللواء عصام خليل أحد المقربين للمشير عامر .. يسأل حمدى لطفى اللواء عصام خليل :

• اسمح لى بسؤال : « ألم يكن المرحوم المشير عامر فى تلك الفترة ، قد تزوج من « الممثلة برلنتى عبد الحميد » سرا ؟

- نعم حدث ذلك ، ولقد دعانى أكثر من مرة لتناول العشاء معهما فى بيتهما بالهرم ، ثم أجده يسألنى على أنفراد ما رأيك فيها ؟

(١) البحث عن الذات - أنور السادات ص ١٧٩ .

(٢) حوار الكاتب حمدى لطفى مع اللواء عصام خليل أحد المقربين للمشير عامر ص ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ من مأساة عبد الحكيم عامر .

ولم يكن ينتظر اجابتى ، فيجيب على سؤاله قائلا : « اليست أكثر من رائعة » ..

لقد فتن بها ، والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر لم يكن له حياة خاصة فى شبابه ، ولذلك عندما التقى بها كانت بالنسبة له كالبحر حين يسبح قارب صغير فوقه ... وسأروى لك قصة قصيرة لترى كيف امتلكته عقليا وعاطفيا ..

كان يستعد للسفر الى فرنسا ، ولقاء القادة الفرنسيين سياسيين وعسكريين ، وعلى رأسهم جنرال ديجول ، والتقيت به ليحدثنى عن الرحلة ويطلب منى ان استعد للسفر معه فوجدت بين يديه ست أو سبع ورقات من حجم الفولسكاب يقرأ فيها باهتمام شديد ، واستفسرت منه ... ماهذا ؟ فقال لى بصراحته المعروفة بين أصدقائه :

« كل ورقة هى ملخص لكتاب هام عن فرنسا ، أصدره واحد من مشاهير الكتاب الفرنسيين ، « برلنتى » لخصتهم من أجلى حتى أتحدث فى هذه الكتب ، حين التقى بديجول أو غيره ، فأبدو قارئا جيدا للكتب الفرنسية المميزة » ..

• أسمح لى بتعليق : لقد روى لى السيد محمد رشاد محمود وهو من كبار المسئولين بوزارة الانتاج الحربى قبل الغائها واحالته الى المعاش ، روى لى هذه القصة قبل مرحلة المعاش ..

كانت الفنانة برلنتى عبد الحميد تستقل سيارة برفقة صلاح نصر مدير المخابرات العامة ـ فى طريقها من الاسكندرية للقاهرة ليلا ـ وعند الكيلو ١٠ بالقرب من مينا هاوس توقفت برلنتى أمام فيلا مضاءة وأبدت أعجابها بها ثم طلبت من صلاح نصر أن يدخل معها لمشاهدة الفيلا من الداخل والتعرف بأصحابها » ..

ودخلا .. وعرفا ان صاحب الفيلا هو الدكتور زهير جرانة الوزير السابق فى بداية الثورة والمحامى المعروف ـ وبعد أيام قليلة فرضت الحراسة على الدكتور جرانة ، واكتشف مندوبو مكتب المشير عامر الذين

رافقوا رجال الحراسة لاستلام الفيلا ، ان الدكتور جرانة يملك حديقة الفيلا فقط بينما الفيلا ملك للسيدة زوجته ، فعادوا ليستصدروا فى اليوم التالى قرارا بفرض الحراسة على السيدة زوجة الدكتور جرانة وأولادها أيضا . واخليت الفيلا أجباريا .. وجاءت الفنانة برلنتى عبد الحميد زوجة المشير عامر لتسكن بها ، أقصد لتقضى بها بعض الوقت ، فكما هو معروف كانت تملك السكنى فى اكثر من شقة وفيلا فى انحاء البلاد .... » .

ما رأيك ... فى هذه القصة ... واحدة من قصص برلنتى عبد الحميد ، وفى الجعبة قصص أخرى كثيرة ؟ ..

• وأطرق الطيار عصام الدين خليل صامتا .. ثم رفع رأسه وقال فى ثقة :

ـ « الحمد لله لم أغادر فيلا المرحوم أبى التى يملكها منذ العشرينات .. تزوجت بها وظللت أعيش فيها حتى اليوم دون أن أدخل عليها أى أضافات أو تعديل ... وقد كان ذلك سهلا وبمقدورى قبل ١٩٦٧ .

• • •

اذن .. هذا الرجل هو المسئول عن قيادة القوات المسلحة .. فمن المسئول عن بقاء هذا الرجل على قمة القوات المسلحة بعد انهياره عام ١٩٥٦ ، بعد فشله فى ادارة الامور فى سوريا ، بعد اخفاقه فى اليمن ، بعد افساده فى القوات المسلحة ..

لقد حاول عبد اللطيف بغدادى وكذلك كمال الدين حسين اقصاء المشير عامر ، ولكنهما فشلا تماما ، كذلك حاول ايضا أعضاء مجلس الرئاسة الذى تشكل كحل وسط بين استمرار المشير كنائب للقائد الاعلى بينما أمور القوات المسلحة فى أيدى مجلس الرئاسة .. لماذا فشل ـ حتى هذا الحل الوسط ؟ ..

الأجابة على السؤال .. تحتمل احتمالين لا ثالث لهما . اما أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يخشى المشير بما له من نفوذ داخل القوات المسلحة ، وإما أن جمال عبد الناصر يرى فيه خيرا من غيره فى الامساك بأقوى قوة فى مصر فيقال أن المشير لن يتآمر أبدا على عبد الناصر ، ولهذا أبقاه ،

ومعنى ذلك خطير .. معناه أن عبد الناصر قد عرض أمن مصر للخطر فى مقابل بقاء الوضع على ماهو عليه ، وأنه كان يخشى القوات المسلحة التى خرج منها ..

• • •

سؤال آخر اعتقد انه من أهم الاسئلة فى هذه الدراسة .. هل كان عبد الناصر يعلم الى اى مدى وصل الفساد الى القوات المسلحة ؟ .. هل كان عبد الناصر يعلم أن القوات المسلحة قد وصلت الى حد لا تستطيع أن تواجه اسرائيل ..

أعتقد أن عبد الناصر كان يعلم ، وهذه هى المأساة ، وربما يكون علمه بما وصل اليه حال القوات المسلحة هو الذى أدى الى هذه الهزيمة[١] ، كان يعلم مثلا من هم حول المشير ، بل وصل الأمر الى ان هؤلاء كانوا يهددون جمال عبد الناصر نفسه وعلنا دون أن يتمكن حتى من لومهم ..

يقول عبد الناصر .. والكلام هنا بعد النكسة مباشرة [٢] :

- « غادرنى المشير بعد ذلك واذا هو يتصل بى ليلا تليفونيا .. ليخطرنى بأنه فى حل مما ارتبط به معى ازاء ما فعلته من احالة بعض الضباط الى المعاش واعتقال البعض الآخر .. فأجبته بأن هذا لم يكن ، وليس ثمة ضابط معتقل ولا آخر أحيل الى المعاش غير الذين سبق ان احلتهم الى المعاش قبل النكسة وأنه يعرفهم ..

وبدا لى أن احتاط لما قد يكون ، فأرسلت زكريا محيى الدين الى القيادة العامة ، وأخذت ألم شتات الوحدات ، وأنظر فى أمر نفر من القادة الذين لا هم لهم الا ملء بطونهم فخليت بينهم وبين أعمالهم ليحل محلهم قادة يعتمد عليهم .. واذا شمس بدران هو الآخر يتصل بى يشكو من مراقبتنا منزله ويدعى أن هذه المراقبة لن تفيد شيئا ، وانه اذا كان فى نيته أن يدبر انقلابا

(١) راجع الفصل ص   من هذا الكتاب « حرب أم تهويش » ..

(٢) مذكراتى فى الثقافة والسياسة - ثروت عكاشة ص ١٤٩٨ .

فما اقدره على أن يفعل ذلك وهو ملازم بيته .. فطمأنته وأخبرته أن ما يدعيه من مراقبتنا اياه فى منزله أمر لا حقيقة له ..

فاذا هو يرد على بأن بين يديه مدفعا رشاشا وأنه سيحمله على كتفه وينزل الى الشارع ليثير معركة ، فأجبته أن مثل هذا الكلام لا يصدر الا عن وهم وخبل وضعف ، وأن تلك العبارات هى عبارات الوجل الذى هزه الموقف .

والواقع أنى ابرىء المشير من عملية الاشارات التليفونية لتجميع الضباط .. ولكنى لا ابرىء شمس بدران الذى افسد الجيش بجعل دفعته (دفعة ١٩٤٨) تتصدر كافة المراكز القيادية والحساسة ضاربا صفحا عن أقدمية الضباط مستبعدا الأكفاء ، وبذلك أفسد كيان القوات المسلحة ، وحطم كافة القيم الشريفة التى ينبغى أن يتخلى بها الضباط ، كما عمل على تشتيت المسئوليات داخل القيادة نفسها » .

* * *

كارثة .. تلك التى حدثت .. لقد وضعت أمور القوات المسلحة كلها فى يد شمس بدران مدير مكتب المشير ، وكان عبد الناصر يعلم علم اليقين أن شمس بدران الرجل القوى فى القوات المسلحة يعبث بها ، بل تركه يفعل ما يشاء .. لأنه تصور أن شمس بدران هو رجله ، بينما الرجل كان يلعب على الحبلين - كما يقول المثل الشعبى المصرى - فلقد أوهم عبد الناصر أنه رجله فى القوات المسلحة ،.. وأوهم المشير أنه ذراعه اليمنى فى كل شىء ..

ومن خلال « اللعب على الحبلين » أصبحت مصر بكاملها فى يد شمس بدران ، يقول أمين هويدى[1] :

- « وما من شك فى أن اختيار شمس بدران لمنصب وزير الحربية عام ١٩٦٦ كان مجانبا للتوفيق كل المجانبة مما أثار دهشة بالغة بل خيبة أمل عميقة بين العارفين .. ولا أقول هذا القول لشىء فى نفسى عنه ، ولكن

(١٠) أمين هويدى « مع عبد الناصر » .

لعلمى بقدراته المحدودة وكفايته العسكرية القاصرة .. وأنى لأعجب كيف رشحه عبد الحكيم عامر وزيرا للحربية ، ثم كيف أرضى جمال عبد الناصر هذا الترشيح ، وما أظن أن حجمه الحق كان يخفى عليهما .. وكان أولى بهما إن أحبا رفع شأنه أو استرضاءه ألا يتجاوز ذلك تعيينه فى منصب شرفى ..

وحسبى تدليلا على رأيى ماجره شمس بدران على وطنه من ويلات ومصائب .. وقصة هذا الرجل تبدأ باختيار عبد الناصر له ليكون همزة وصل بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة السياسية ، فاذا هو يصبح المسئول أمامه عن الجيش .. غير أن وضعه هذا جعل كلا من الرئيس والمشير يظن انه رجله ، فأسند اليه كل منهما ما لم يكن يصح أسناده اليه ، مثال ذلك التحقيق فى بعض الشكاوى المدنية التى ترفع الى أى منهما ، وكذا القضايا السياسية الهامة ، ثم ما سمى بحملة تصفية الاقطاع ، كما وضعا تحت تصرفه أجهزة يرأسها من يفوقونه درجة وكفاءة ومقدرة وحسا انسانيا .

الى ان اتت فترة جمع شمس بدران خلالها فى قبضته أجهزة الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية والمخابرات الحربية والمخابرات العامة ومباحث أمن الدولة .. وهى اجهزة رهيبة يثير الواحد منها الفزع ، فما بالنا حين تجتمع كلها فى يد واحدة .. وقد كان من الطبيعى حين يجد شاب لم يتمرس بالحياة ولم يتشبع فكره برؤية سياسية واضحة كل هذه الامكانيات طوع بنانه أن يتصرف على هواه ، وأن يصبح مزاجه الشخصى هو الموجه الوحيد لسلوكه .. وهكذا هوت سياطه على ظهور أبناء وطنه دون رحمة متناسيا أو متجاهلا أنه بذلك أنما يهدم أسس الثورة بل ويطعن قائدها وأبناءها فى ظهورهم ، مبررا أفعاله بانها فى مصلحة الامن الوطنى .

ألا ما أكثر ما يحمل الحكام وزر جرائم ترتكب حماية لهم من أوهام يخلقها المتسلقون زلفى بأكثر مما يحيكه لهم اعداؤهم المتربصون .. ومن عجب أن يجد الظلم دائما الاشخاص الملائمين للاضطلاع به ، بينما لا تجد العدالة الا نادرا من يصلحون لتثبيت أركانها .. لقد بلغت سطوة شمس بدران واتباعه ومن هم على شاكلتهم أن يرتكبوا مثل هذه المثالب فلا تعرف

للخاصة او العامة الا حين عرضت فى محاكمات جرت فى السبعينات ، كما أنها انحراف مخزلا أملك وأنا أحد من شاركوا فى الثورة الا ادانته ..

ولا أنكر أن تأمين الجيش كان من المهام التى تحرص الثورة عليها كل الحرص فى بداياتها الأولى ، وكانت أولى الخطوات فى هذا السبيل وضع عبد الحكيم عامر على رأس القوات المسلحة ، فقد كان موضع ثقة عبد الناصر بقدر ما كانت الثورة نفسها عقيدة راسخة فى اعماق عبد الحكيم .. وكان من طبيعة الأمور بعد ذلك أبعاد من بقى من الضباط الأحرار بالجيش - ولم يكن عددهم يتجاوز آنذاك الأربعين ضابطا - خشية أن يستمدوا من اشتراكهم فى الثورة نفوذا يطغى على نفوذ رؤسائهم فيفسد الانضباط ، وهو قوام الجيش الاساسى .. وكان من الممكن فى نفس الوقت أن يمتص جهاز الدولة مثل هذا العدد الضئيل يستفاد بهم فى مناصب متباعدة وفى مؤسسات مختلفة .. وهو ما حدث بالفعل دون ان يثير أعتراضا من أحد ..

غير أن كارثة ذات شقين تبعت هذا ، وهى ان عددا من الضباط الاكفاء المحترفين الذين أهلتهم الدولة بالدراسات العسكرية العليا والخبرة الطويلة ليكونوا دعامة الجيش وقمته أخذ يطمع فى مزايا بعض المناصب المدنية ، لا سيما مناصب وزارة الخارجية ورياسة الشركات بالقطاع العام .. هذا الى عدد آخر من الضباط الاكفاء ذوى النزاهة والأنفة لم يجد شمس بدران بدا من اقصائهم الى مناصب مدنية بعيدة اذ كانوا من المستعصين عليه عزة نفس واعتداداً بالذات ..

وقد كان هذا قصر نظر شديد من قيادة القوات المسلحة ، لأن تفريطها فى هذه الكفاءات التى يصعب توفيرها الا فى مدة طويلة كان حرمانا لجسد القوات المسلحة من رأسه المفكر .. ولا أقصد بهذا تعميم الانتقاص من قدر زملائى الضباط لأن بعضا منهم حقق فى منصبه المدنى نجاحا مرموقا وكفاءة خارقة ، ولا تخفى اسماؤهم عن الكثيرين ، ولولا أخشى أن أغفل ذكر بعض دون بعض لذكرتهم هنا جملة ..

ثم كان أن دخل شمس بدران بنفوذه الواسع لدى الشركات والمؤسسات - وبخاصة مع اتساع رقعة القطاع العام - محرما شغل أى منصب بدون

الرجوع الى المشير ، أو بمعنى آخر بدون الرجوع اليه نفسه .. وهنا بدأ النزيف داخل القوات المسلحة بتكالب أعداد غفيرة من الضباط على الوظائف المدنية .. وكان سبيلهم الى ذلك طرق بابه بشتى الوسائل للظفر بمنصب هنا أو هناك .. فكان هذا تخريبا فيه شطط للقوات المسلحة من ناحية ، واثارة للأفراد المدنيين فى أجهزة الدولة والقطاع العام من ناحية أخرى ، اذ كان فى تدفق ذلك السيل المنهمر عليهم ما يطيح بحقوقهم وآمالهم المشروعة ..

وبلغ الأمر فى النهاية أن أقحمت المؤسسة العسكرية نفسها فى مجال الاقتصاد عن طريق الشركات الجديدة والمؤممة ، كما زاد عدد العسكريين فى السلك الدبلوماسى والحكم المحلى ، ووضعت مؤسسة النقل العام تحت الادارة المباشرة للقوات المسلحة ، كما شكل مجلس أعلى للمؤسسات يضم وزراء الاقتصاد والصناعة والزراعة والتموين برياسة المشير ، وشكلت اللجنة العليا لتصفية الاقطاع تحت رياسته أيضا .

ولم يكن من المعقول وقد اتسعت مسئوليات المؤسسة العسكرية لتمتد الى هذه الاجهزة المدنية المتعددة والشديدة الاهمية ان يجد المسئولون بها الوقت اللازم لأداء واجباتهم الاساسية نحو القوات المسلحة المنوط بها الذود عن الوطن ، فلا عجب أن يستيقظ العالم كله صباح ٥ يونيه ١٩٦٧ المشئوم ليجد القوات المسلحة المصرية تتلقى ضربات العدو دون أن تملك عليها ردا ..

* وبعد ..

هذه صورة قادة القوات المسلحة الثلاثة .. القائد الاعلى الذى يخشى القائد العام ، والثالث الذى يلعب على الحبلين فتسلم زمام أمور ومقدرات مصر ..

اذن .. كان الزعيم يعلم . فلماذا صعد الموقف .. ووصل الأمر الى حافة الحرب وهو يعلم تماما أن « قواته المسلحة » قد نخر فيها السوس ؟..

* * *



الشعب الجريح

كان لى صديق لا أفارقه ، ولا يفارقنى ، وكان أيضا زميل عمل ، وكنت أمر عليه فى الصباح ، ونذهب سويا إلى عملنا المشترك ، ونعود فى ساعة متأخرة من الليل ، وكان الصديق له إنتماء سابق بجماعة الأخوان المسلمين ، ولقد تركها تماما ، وتحولت اهتماماته الى أهتمامات مهنية صحفية ، بل لا أبالغ إن قلت أنه كثيرا ماغازل السلطة ، ودخل ـ بالقلم معاركها .

وفى أحد الأيام من نهاية عام ١٩٦٦ ، ذهبت إليه كالعادة فوجدت منزله مغلقاً ، فذهبت إلى عملى اسأل عنه ، فلم يره أحد ، اتصلت به تليفونيا فلم يرد على أحد .

فى هذا الوقت ، كان الرئيس جمال عبد الناصر فى طريقه الى جده .. لمباحثات مع الملك فيصل حول قضية اليمن أو « فيتنام المصرية » ، وكان بعض من جماعة الأخوان المسلمين يتبعون الملك فيصل ، فأمر عبد الناصر بالقبض على كل جماعة الأخوان المسلمين ، بواسطة الكشوفات القديمة فيما عدا الذين يعملون فى أجهزة الأعلام ، الا الذين تورطوا فى « مؤامرة » ضد النظام .

وقامت أجهزة القمع المتناقضة بالقبض على ما يزيد عن مائة ألف مواطن من أنحاء مصر ، حتى أن السجون لم تتمكن من استيعاب هذا العدد الهائل ، فقاموا بتحويل بعض دور العلم إلى معتقلات ، وكانت هذه الحملة

التى لم تشهد لها مصر مثيلا ، حتى يذهب الرئيس جمال عبد الناصر الى جدة ويقول للملك فيصل :

- لايوجد لك قدم فى مصر .. لقد تم القبض على كل جماعة الأخوان المسلمين .

* * *

لقد ذهب أحد أجهزة الأمن إلى زميلى ، **ليقوم بالغاء تأشيرة خروج** (١) **كان قد حصل عليها من قبل** ، فلم يجده فترك له رسالة مع البواب يقول أنا الملازم فلان قد سأل عنك ، وذهب زميلى بشكل « متحضر » الى قسم الدقى يسأل عن الملازم فلان ، فقرر المأمور حجزه حتى يعرف الحقيقة .. وظل زميلى متنقلا بين سجون مصر حوالى ثمانية عشر شهرا لمعرفته .. لماذا سأل عنه الملازم فلان !! ؟ .. خرج زميلى بعد النكسة وهاجر !!

لقد كان الشعب كله جريحا ، ويمكن لأى وشاية - غير صادقة بالمرة - أن تودع أعظم شخصية فى مصر فى السجون ، منسية ، لاأحد يعلم عنها شيئا وبالسنوات - ولقد أدى ذلك الى ضرب التكافل الأجتماعى والترابط الأسرى وعدم الأنتماء .

أذكر أن حادثة صديقى - وأسمه رجاء مكاوى - قد تأثرت بها ، فكتبت رسالة الى الرئيس جمال عبد الناصر أسرد فيها وقائع براءة الصديق .. فربما تؤدى إلى براءته فعلا ، و اذا بشخص اسمه نبيل يتصل بى تليفونيا ويقول أنه من أمن الرئاسة ، ويطلب لقائى ، وجاءنى منزلى - دون أن أعطيه عنوان منزلى - وبدأ عملية أرهاب قاسية لمجرد أننى أرسلت هذه الرسالة ، وطلب منى مقابل أن يغض النظر عن هذه الرسالة أن أقدم له تقريرا أسبوعيا عما يدور فى أخبار اليوم . ولم أرفض ولكنى لم أفعل ، وعشت تجربة قاسية وعنيفة ، انتهت بكارثة هزيمة يونيه عام ١٩٦٧ ..

(١) لايمكن لأى مصرى مغادرة مصر إلى بعد الحصول على تأشيرة خروج

كان المطلوب منى أن اقدم تقريرا سلبيا عن زملاء أعيش معهم ، وأخاف عليهم ، وتربطنى بهم علاقات انسانية نادرة ، ولو فعلت ذلك تحت تهديد وسطوة الأجهزة لدمرت ذاتى .. وأتصور أن هناك الملايين التى قبلت عروض هذه الأجهزة ودمرت ذواتهم ، حتى وصل الأمر إلى أن يتجسس الأبن على أبيه .

فى هذه المرحلة ، فقد الشعب الثقة فى كل شىء ، الحكومة كاذبة ، والمدير كاذب ، والكل فى حالة « خوف وكذب » وانكر أن هناك شائعة سرت من أسوان الى مرسى مطروح تقول أن الحكومة تأخذ عنوة من تلاميذ المدارس دماء وأن حالات الأغماء كثيرة فى المدارس ، وخرجت الأمهات من منازلهن فى كل أنحاء مصر ، وفى يوم واحد ، الى المدارس لأعادة الأبناء الى بيوتهم .. فماذا يعنى هذا ؟

يعنى فقدان الثقة التامة بين الشعب والحاكمين ، وأن الحكومة يمكن أن تفعل أى شىء يضير الشعب ، فالشعب ـ فى نظر الحكومة ـ لاقيمة له ، ولا وزن .

والسؤال : هل يمكن لشعب خائف أن يحارب ؟

* * *

وقد جاء الرد على هذا السؤال متأخرا ..

وجاء الرد بعد أن أصبح اليهود شرق القناة ..

ـ وجاء الرد من حيث لا يتوقع أحد ..

جاء الرد على لسان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر معللا أسباب الهزيمة .. قال جمال عبد الناصر

ـ لقد ثبت أن فشلنا راجع إلى أننا مجتمع مغلق ، والحساسية داخل مجلس الوزراء شديدة ، وأرى أنه لابد من وجود معارضة منظمة للحكومة ، معارضة ليست فردية ، فالمعارضة فى مجلس الأمة جبانة ، واذا استمر نظام الحكم على هذه الوتيرة فسيؤدى الى عواقب وخيمة شأنها شأن ما يقع فى دول أمريكا اللاتينية ، اذن لابد من تأمين هذا البلد بعد أن تحولت

الدولة الى امارات مستقلة .. وأمامنا اليوم فرصة للاصلاح فواجبنا العطاء ، العطاء الوفير للبلد ، وأقول وداعا لنظام الشلل والنظام المقفول الذى لا يؤمن البلاد من أخطار المغامرات ، فلقد ثبت لى بما لايقبل الشك فشل تجربة تعلق النظام بشخص واحد .. وآن لنا أن ننشيء نظاما يجعل كل انسان من الكبير الى الصغير يخشى المحاسبة .. هناك أخطاء ارتكبها بعضكم أجازها النظام المقفول ، وان عبارة سيادة القانون وردت على لسانى فى الكثير من خطبى قبل أن أسمعها هنا ، ومن ثم لا اعتراض لى اطلاقا على الدعوة والمناداة بسيادة القانون ، ولابد أن نرسى للناس سبيل الأمان والأمن فى المستقبل نظير عطائهم فى يوم ٩ يونيه . ولذلك فلا معدى عن وجود معارضة حقيقية تتصيد الأخطاء لكم ، فلا أنا ولا مجلس الامة ولا ديوان المحاسبة بوسعه تصيد اخطائكم ....

معنى ذلك أن الإدارة السياسية ، قد أزاحت من أمامها كل أصحاب الرأى فى مصر ، وأصبح الرأى هو رأى واحد فقط ، وهو رأى الرئيس عبد الناصر لا يشاركه فيه سوى المشير عبد الحكيم عامر ، وجماعة قليلة من الفاسدين .. وكان من طبيعة الرئيس جمال عبد الناصر الشك فى أقرب المقربين اليه ، لذلك لم يكن مستغربا أن تتم كافة القرارات المصيرية على الشك ، وخاصة تلك القرارات المقيدة للحريات .

لقد كان الشك هو نقطة الضعف الرئيسية فى عبد الناصر ، لأن عدم ثقته ، كما كان دائما يخبره زكريا محيى الدين ، فى رفاقه لم تثر خلافا بين أعضاء الحكومة فحسب بل كانت تحمله أيضا على التدخل باستمرار فى أعمالهم ، وبذلك أضاف الكثير الى الأعباء الضخمة الملقاة على عاتقه ، هذا فضلا عن أنه كلما كان يشغل نفسه بتفاصيل الإدارة ، كلما ضاق وقته لمناقشة أو بحث الخطوط العريضة للسياسة مع رفاقه .. وكان هذا يعنى ولا شك ، أن القرارات السياسية الهامة كانت تتخذ بعد التشاور مع رفيق أو أثنين ، ثم تفرض على مجلس الوزراء دون أن تبحث بحثا جيدا . بيد أن اعتراضات زكريا محيى الدين لم تجد فتيلا ، وظل عبد الناصر ، يقرر جميع المسائل الكبرى بنفسه ويستفسر عن كل تفاصيل الإدارة ، والأسوأ من

ذلك أنه كان يتدخل فى الحياة الخاصة لوزرائه ، الذين كانت « تليفوناتهم » مراقبة وأية تسجيلات تنطوى على سوء التصرف كانت توضع فى ملفاته الخاصة .. ولقد صعق أكثر من وزير قرر عبد الناصر إبعادهم بسبب عدم كفاءتهم أو معارضتهم لقرار سياسى حين كان يسمع تسجيلا لحديث تليفونى مع صديقة مضى عليه وقت طويل كدليل على أنه ليس أهلا من الناحية الأخلاقية أن يتولى منصبا وزاريا ...

وعلى الرغم من أن عبد الناصر نفسه لم يكن فاسدا ، فانه لم يصر على أن يحذو رفاقه حذوه والواقع أنه لم يعترض على رفاق أمثال عبد الحكيم عامر وعلى صبرى وشمس بدران فى الاستفادة من مراكزهم بشرط أن يكون على بينة من حقيقة أمرهم .. وطالما أنهم لا يتورطون فى خيانة ..

وبهذه الطريقة كان يجمع ضد كل واحد منهم الدليل الذى يستطيع من خلاله متى قرر الأستغناء عن خدماته ، كذلك كان عبد الناصر يحب الوشاية ، ولهذا أصبح محمد حسنين هيكل ، الذى استطاع بذكائه الوقاد وأذنه الصاغية أن يعرف الكثير مما يدور من أحاديث حول ما يجرى من أحداث سياسية واجتماعية فى القاهرة أصبح واحدا من رفاقه المقربين ، وكان هيكل قد التقى بعبد الناصر لأول مرة فى منزل محمد نجيب عشية الثورة عندما كان مراسلا شابا لصحيفة « أخبار اليوم » .

وفى تلك اللحظة كان عبد الناصر ينظر ، بطبيعة الحال ، الى وجود أى صحفى بعين الشك البالغ .. وعلى الفور طلب من محمد نجيب التخلص منه ، غير أنه التقى به فى وقت لاحق عن طريق الأخوين على ومصطفى أمين اللذين كان هيكل يعمل لديهما ، وسرعان ما أعجب عبد الناصر بذكاء هيكل وسرعة بديهته ، وحتى قبل تعيينه رئيسا لتحرير الأهرام عقب تأميم الصحافة كان هيكل قد أصبح المستشار الصحفى غير الرسمى لعبد الناصر ، وما أن عين فى الأهرام حتى جعل من نفسه المتحدث بلسان رئيس الجمهورية ...

كذلك فان حب عبد الناصر للوشاية حقق له أحدى صداقاته الحميمة النادرة مع الجنس الآخر .. فلم يكن عبد الناصر فى العادة يشعر بالارتياح

مع النساء اللآتى كان حديثهن يبعث الملل الى نفسه ولم تشذ عن هذه القاعدة غير علياء الصلح أبنة رياض الصلح رئيس وزراء لبنان الراحل ، وكانت علياء صحفية شابة تتمتع بجاذبية بالغة وذكاء لماح ، أتخذت من القاهرة مقرا لها ، وعلى الرغم من أن عبد الناصر أحس بخجل كالعادة عند أول لقاء معها فى عام ١٩٥٥ ، الا أنه سرعان ماتحمس لهذه الفتاة التى تنتمى الى نظام حكم قديم ، فلم يجذبه نحوها مظهرها العصرى بقدر ما سحره حديثها الذى لا ينتهى عن بلدها لبنان مسقط رأسها ، بل لم يعترض على الدخول معها فى جدل حول الأمور السياسية الا فى حضرة زوجته ...

وكان يحاول أحيانا أن يتملقها بالقول مثلا أنه من أجل ارضائها ذكر أباها فى حديث اذاعى أخير له حول لبنان ، رغم أنها كانت تعلم حق العلم أنه انما فعل ذلك من أجل التأثير على مستمعيه اللبنانيين .

• • •

واذا عدنا الى بقية المؤسسات المشاركة فى الحكم ، نجد أنها فقدت فاعليتها تماما ...

فمجلس الأمة .. هو مجلس معين .. لا يشارك فى الحكم على الأطلاق .. وقد تحول الى « ديكور » للنظام الشمولى الذى أدى الى النكسة ..

والصحافة .. بعد تأميمها .. قد أبعدت كل أصحاب الرأى ، ولم يعد الا الرأى الواحد المنافق للحكومة ..

كان غياب المشاركة فى القرار المصيرى أحد الطرق الى الهزيمة .. بل لا مبالغة فى القول أن غياب الحرية ، كان الطريق الرئيسى الى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ....

ولكن ... لابد من العودة الى ما قبل الهزيمة مرة أخرى ، قبل هذا الأكتشاف لابد من العودة الى مستند خطير .. هذا المستند عبارة عن رسالة كتبها كمال الدين حسين أحد الضباط الأحرار وعضو قيادة الثورة الى المشير

عبد الحكيم عامر فى ٢٥ أكتوبر عام ١٩٦٥ ... تقول هذه الرسالة : (١)

ياعبد الحكيم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. كلمة صريحة (وأخيرة لن تنزعج بعدها) .. ياعبد الحكيم .. لم أجد بدا من أن أقولها لك بعد كل ما حدث وأن كنت قد ترددت كثيرا فى الكتابة لك فأنى حين نويت لم أتردد قط فى أن أكون صريحا .

اليوم أصبحت ياعبد الحكيم أعتقد أنه لا حياة لى فى بلدى الذى أصبحت أرى فيه جزاء لكلمة (أتق الله) هو ما أنا فيه وما أهلى فيه ...

عندما قلت لكم أتقوا الله قصدت أن تتقوا الله فى هذا الشعب الذى قمنا لخلاصه واسترداد حريته .

قلت لكم أتقوا الله بعد أن ألجمتم جميع الأفواه الا أفواه المنافقين والمنزلقين والطبالين والزمارين ..

قلت لكم اتقوا الله فى الحرية التى قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها وكنا نأمل أن تنفتح لها براعم نامية نطمئن حين نمضى من هذه الدنيا أننا قد أدينا امانتنا فنترك بعدنا هذه البراعم وقد نضجت وأصبحت قوية قادرة على الصمود ...

قلت لكم أتقوا الله لأنكم أردتم استنعاج هذا الشعب وأنا لم أكن أرضى ذلك ولذلك أصبحت لا أطيق الحياة فى هذا الجو الخانق وأرجو أن يتيسر لك معرفة درجة الأختناق فى هذا الجو واذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم ، فاذا كانت قد بقيت لكم بقية من أخوة كانت بيننا يوما من الأيام فأنى لا أطلب سوى أن أخرج أنا ومن يريد من أسرتى التى نالها أيضا نصيب وافر من اجراءاتكم الى السعودية لا بقى الى جوار رسول الله حيث أقضى ما بقى من حياتى مخلصا لها حيا لنفسى ودينى لله .. فاليوم يمكننى أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن بعد ماكان جزائى أنا الند على كلمة الحق (أتق الله) ما أنا فيه .

---

(١) الصامتون يتكلمون ـ سامى جوهر ـ ص ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١

وأنت تعلم ياعبد الحكيم أنكم لن يمكنكم أن تكبلوا روحى وأن اعتقلتم جسمى وانت تعلم ياعبد الحكيم أنكم لا تملكون أى حق شرعى فيما قمتم به نحوى الا حق الدكتاتورية والطغيان .. اذا جاز أن يكون لها حق ...

وأنت تعلم ياعبد الحكيم أنكم اذا لم تتقيدوا بشرع تجاهى فالناس يعلمون .. ومن زمن .. أنكم غير مقيدين بشرع تجاههم .. وهم اذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فانهم سيعرفون معناه جيدا الآن .

أنا آسف أن تتحول ثورة الحرية الى ثورة أرهاب لا يعلم فيها كل انسان مصيره لو قال كلمة حرة يرضى بها ضميره ووطنه .. فاذا قيل لى أو للناس أن هناك مفهوما آخر للحرية فهذا هو التضليل وحكم الهوى الذى يضل به الشيطان أولياءه لينسوا قانون الله وشرع الله وشرع الاسلام الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العبد الى عبادة رب العباد .. حرية يتساوى فيها أبناء آدم وحواء أمام الله .. أمام الشرع أمام الحكم الآلهى الذى لا يقبل التأويل واللف والدوران .

ياعبد الحكيم .. مهما كانت التفاسير والشعارات فالحرية هى الحرية التى عبر عنها عمر بن الخطاب حين قال (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا وحين قيل له (أتق لله) قال لا خير فيهم اذا لم يقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها ...

وأنت يا عبد الحكيم أننى لن أستعطف أحدا ولن أخاف الا الله ...

وأنا حين أكتب إليك الأن فانى لا أطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الأرض التى يئست أن تقال فيها كلمة حق فضلا عن أن يقام فيها ميزان عدل .. وان ابيتم علىّ ذلك فان ولى هو الله عليه أتكل وأنيب وأنا لله وإنا إليه راجعون ...

يا عبد الحكيم أن اجراءاتكم هذه التى اصابتنى ان كنت قد تحملتها فى صبر فان الصدع الذى أصاب مشاعرى تجاه من أمر بها صدع يصعب رأبه .. وبقائى هنا مشقة لى ولكم وأنت تعلم ياعبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس ١٩٦٥ وقلت لك أننى مستعد للأعتقال أو القتل .. أو أى شىء أخر

قلت من نفسك (اعتقال أيه يا شيخ ... والله أنا اللى ييجى يعتقلنى أنا أضربه بالرصاص .. أنا فكرت فى هذا ولكنى لم استصوبه لأن هذا ينافى ايمانى .. وجاء يحدثنى هلال كرجل وعلى لسان رجل أو رجال ، ومع ذلك كانت النتيجة أن فتش منزلى وحجرة مكتبى ورقة ورقة وحجرة نومى وعائلتى وحتى ملابسى ومتعلقات السيدات ، وأعتقل أهلى وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ .. وأنا لا أعرف مصيرهم حتى الآن تماما كما لا يعلم أحد من أفراد الشعب سبب أو مكان ولا مصير أى شخص يعتقل منهم ..

واذا مات أحدهم .. لأى سبب يكتفى بأن يخطر أهله بأنه قد هرب أو أنه قد دفن فى مكان كذا وتحت رقم كذا .. مجرد رقم .. كان انسانا حيا فأصبح رقما مدفونا ..

يا عبد الحكيم ان ما قمتم به نحوى جريمة تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه المواطنين .. طبعا مع تغيير فى الشكل ...

وكانت الرجولة ياعبد الحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم .. لأعلم منه ماذا جرى .. لماذا أنطبقت السماء على الأرض من كلمة حق تصيح فيكم (ان اتقوا الله) .

ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم هذه المواجهة واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ولا يكبل ضميرا حيا ولا يئد ايمانا وتقوى ولكن يورث النفس مرارة وأسفا .. فاذا لم يواجهنى أحد منكم فلماذا لا اواجه بمحكمة عادلة شرعية على الأقل لاعرف ماهى التهمة الموجهة لى مادام قد أصبح أمرا طبيعيا .. فى زمن الحرية .. ان يعتقل الناس وتصادر حرياتهم دون ان توجه لهم تهمة ..

أنا أتحدى أى أتهام وأنا أتحدى أن يواجهنى أحد بأى اتهام يبرر ما حدث .. طبعا أننى أخرج من حسابى عمليات التلفيق لأنى مازلت أنكر عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك ..

ياعبد الحكيم .. ألم أقل لك فى مارس الماضى ما هى الضمانات للحرية .. قلت ، نحن ضمانات الحرية ، وقلت لك أنى لا أثق فى ذلك ..

وهذ الأيام تأتينى بالبرهان بأن للحرية ضمانات وأنتم الضمانات .. كل شيء جايز ..

ألم أقل لك يومئذ أنه إذا لم يتنازل عن تألهه وفرديته فلا فائدة للعمل معه .. فهل ياترى هذا الذى جرى لمواجهة كلمة أتق الله هى دليل هذا التنازل ؟ ..

كلمة صريحة أقولها لك يا عبد الحكيم أنا أرثى لهذه الحال ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله لا تغضب أنت الآخر ياعبد الحكيم .. راجع نفسك .. ولا يغلبك الهوى والغرض .. راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو وعلى مدى سنين من هذه الثورة ثم انظر أين ينتهى بكم الطريق .. طريق الحرية أقدس ما منح الله للأنسان ..

يجب أن تعلم ياعبد الحكيم رأى الناس فيكم وما يحسونه نحوكم .. لقد أصبحتم وياللأسف فى نظر الشعب جلاديه .. نتيجة تدعو للرثاء وحصاد مر لثورة ٢٣ التحررية الكبرى تتجرعه الملايين المستذلة بعدما وضعت فى تلك الثورة وقياداتها آمالها وأعطتها الكثير وأستأمنتها على الكثير ... على الحرية .. ولكن أين الأمانة الآن والله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، لقد بددت الأمانة لقد وئدت الحرية ونعيش هذه الأيام وكأنها فى ليل لا يبدد له فجر ...

يا عبد الحكيم لا تتصور أنى مبتئس لما جرى ولكننى حقيقة أشعر بالأسف وأقول ياحسرة على الرجال ياخسارة على الرجال على الثورة وأشعر بذنب واحد وهو أن ثقتى الغير محدودة .. الغير محدودة فيكم مكنت للطغيان أن يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وانسانيته ومهما كانت الشعارات الزائفة التى تردد والأدعاءات التى تقال فالناس جميعا يعرفون حقيقتها والسلام .

امضاء

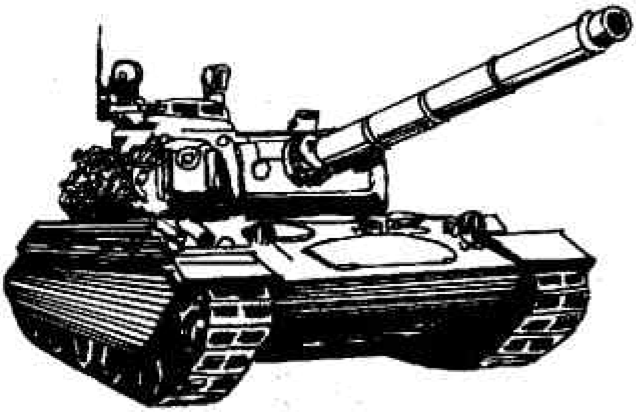
كمال الدين حسين

٢٥ / ١٠ / ١٩٦٥

أعتقد أن رسالة أو شهادة كمال الدين حسين ، وهو واحد منهم ، تؤكد ماوصلت اليه الحال فى مصر ، حيث تحولت مصر الى عزبة خاصة .. يتحكم فيها شخصان فقط هما الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ...

السؤال الآن : أين قادة الفكر فى مصر ؟ .. أين أصحاب الفكر العسكرى المصرى الذين قادوا ـ قديما ـ مصر الى الأنتصارات والفتوحات ؟ ثم .. ألم يكن الرأى الواحد .. مدخلا حقيقيا للهزيمة ؟ ..





العلاقة بين الجيش والشعب

مع بداية عام ١٩٦٦ ، كانت القيادة السياسية فى واد والقيادة العسكرية فى واد آخر ، وتحولت الحكومة برئاسة عبد الناصر إلى حكومة لا حول لها ولا قوة ، وأصبحت القيادة العسكرية هى التى تتحكم فى مقدرات البشر ، .. وتحولت القوات المصرية إلى مايشبه قوات الاحتلال الأجنبية ، بل أن البعض كان يقول أن قوات الاحتلال كانت أرحم على الشعب من قواته المسلحة عليه ..

ولقد ساءت العلاقة بين الجيش والشعب إلى أدنى حد ، وكان رجال المشير عامر يشبهون التتار فى معاملتهم مع الناس ، بل يمكن أن يقال أنهم اغتالوا الأمل فى نفوس البشر ، بحيث لم يعد الانسان المصرى فى ذلك الزمن آمنا على نفسه أو بيته أو عرضه .

لقد أطلقت يد المخابرات العامة فى اعتقال ما تشاء من البشر ، بسبب أو بدون سبب يذكر ، ويساق المواطن إلى المعتقلات البعيدة فى الطور بسيناء .. فى الواحات ، فى السجن الحربى ، فى سجن المخابرات العامة ، ولم يخرج أحد من السجن سليما ..

وقد أدى بطش هؤلاء إلى انتشار الفساد فى كل أرجاء الوطن ، بل أن هناك مجموعة من الفنانات كانت لهم سلطات أقوى من سلطات أقوى وزير ، فقط لمجرد وجود علاقة بينها وبين أحد هؤلاء الرجال « الأقوياء » .

ووصلت قمة المأساة بتشكيل لجنة تصفية الاقطاع .. يقول سيد مرعى فى مذكراته عن هذه اللجنة :

ـ ومن المفارقات المدهشة التى أكتشفتها ـ من خلال تلك المحاضر ـ أن عبد الحكيم عامر نفسه كان يمثل العنصر المعتدل فى مناقشات تلك اللجنة وإلى حد ما ، كمال رفعت وشمس بدران .. أما المتشددون والمتطرفون فى المعاملة غير الانسانية للمواطنين وقتها فكانوا على صبرى وشعراوى جمعة وكمال الحناوى وعبد الفتاح أبو الفضل وصلاح نصر وعبد المحسن أبو النور وحمدى عبد وسامى شرف ..

وقد وصل التطرف إلى درجة أن طالب على صبرى فى أجتماعات اللجنة بتخفيض الحد الأعلى للملكية الزراعية إلى خمسة وعشرين فدانا .. وأيده فى ذلك الوقت عبد المحسن أبو النور ولكن عبد الحكيم أعترض على هذا الأتجاه مبررا ذلك بأنه : « لايجب أن نخرج عن الميثاق بأى شكل وإلا أهتزت الثقة فى الحكم إلى الأبد » .

ووصل الأمر إلى حد أن أحد أعضاء اللجنة العليا لتصفية الاقطاع ـ وهو السيد أحمد كامل ، شكا إلى المشير عبد الحكيم عامر فى اللجنة من أن طريقة التنفيذ تأخذ طابعا إنسانيا أكثر من اللازم ولابد من مزيد من : العنف و « البهدلة » للملاك .. ومن أنه اضطر أن يردع أحد الملاك ـ بعد ابعاده عن القرية ومصادرة أرضه ـ قائلا له :

ـ مع السلامة ..

وعندما سأله المشير :

ـ ولماذا قلت له « مع السلامه » ؟

ورد أحمد كامل :

ـ لأن التعليمات تقضى بأن يكون الابعاد دون عنف .. ونريد أن ننفذ بالطريقة التى نراها ..

وهنا يقول عبد الحكيم عامر :

ـ نفذ .. ولكن بغير بهدلة الناس ..

وفى أجتماع آخر يطالب السيد عبد الحميد غازى ـ عضو اللجنة ـ بأن تشمل قرارات الابعاد والاستيلاء والمصادرة كل ممتلكات الاسرة ـ وليست الأرض فقط .. وتشمل أيضا الاولاد البالغين والقصر .. وليس الأب والأم

فقط لأن هؤلاء هم « أعداء بالطبيعة » للثورة نفسها ..

ويطالب حمدى عبيد .. وزير الادارة المحلية وعضو اللجنة - بالنسبة إلى ملاك الأرض بأنه « إذا سرنا فى عملنا الثورى فسوف ينكمشون ، خصوصا إذا جردوا من سلاحهم الاساسى الذى يعتمدون عليه .. لأنهم إذا علموا أنهم مهددون فى لقمة العيش سوف يلتزمون الصمت ويتعلمون كيف يكتسبون عيشهم ..

ويطلب على صبرى استخدام العنف مع الملاك على حساب العدالة لانه « لأبد من أشعار الناس أننا فى ثورة جديدة فى الريف » .. ويؤيده فى هذا الأتجاه شعراوى جمعة وحمدى عيد « لأن هذه الفرصة مناسبة للقيام بتصفية » ..

ولكن كمال رفعت يرد بأنه « ليس معنى الاجراء الثورى أن يتسم بالعنف » .. ثم يرد عبد الحكيم عامر نفسه بأن « الثورية ليس معناها عدم العدالة » .

على أنه فى الصورة الاجمالية فأن لجان تصفية الاقطاع كانت تتخذ قرارات ابعاد الناس وفرض الحراسة عليهم واعتقالهم ومصادرة املاكهم بمنتهى السهولة والظلم وعدم المسئولية .. بحيث أن اعمال اللجنة قد خلقت فى الواقع جوا من الارهاب شمل البلد كلها وجرد الناس من أى احساس بالامن على أنفسهم أو ارزاقهم أو املاكهم وجعلهم يتشردون لمجرد أن « مزاج » اللجنة قد شاء ذلك .. لمجرد أن انسانا ما هو « مالك » معناها أنه يتساوى مع أبليس الذى تجب مطاردته وابادته وتصفيته .

* وجاءت الهزيمة ..

ومن ناحية أخرى كان الموقف العام فى مصر هو أيضا مثيرا لعدم الارتياح .. فلقد بدأ الموقف الاقتصادى فى التدهور .. وبدأت قبضة المخابرات العامة وأجهزة الأمن تشتد ، والكبت السياسى يتزايد ، وبروز مراكز القوى يتضح وثراء بعض القيادات بطريق غير مشروع يتضخم وضغوط حرب اليمن على الميزانية المالية ترتفع ..

وكان جمال عبد الناصر فى الواقع يتميز بحساسية شديدة ، بل وكان لماحاً تماما ، لتلك المظاهر المتزايدة من السخط الداخلى .

وفى وسط هذا الجو جاءت أنباء الحشود العسكرية الاسرائيلية ضد سورية فى مايو سنة ١٩٦٧ ..

• ويتحدث أنور السادات عن السخط الشعبى قبل الهزيمة بأيام .. فيقول :

ـ كان هذا الموقف هو المقدمة الأولى لهزيمة ١٩٦٧ .. فقد انصرف عبد الحكيم عامر إلى تثبيت مركزه ليس فقط داخل القوات المسلحة بل فى البلد كلها .. وهكذا دخلت مصر اسوأ دوامة يمكن أن تدخلها ..

فالقوات المسلحة التى فاجأها الانفصال وهى فى حالة عدم استعداد زاد فيها الاهمال .. ثم جاءت حرب اليمن فبدلا من أن تكون مجال تدريب وتجهيز لقواتنا المسلحة أصبحت عملية انتفاع واستغلال .. ولم يكتف عامر بهذا فلكى يثبت أقدامه فى جميع المجالات سعى إلى ان يعهد بالمؤسسات المدنية إلى الضباط وكذلك كان لابد أن يكون رؤساء المؤسسات من الضباط السابقين .. ونفس الشيء بالنسبة لرؤساء المدن وجميع المراكز الحساسة فى البلد حتى الشقق عندما تكون خالية يتدخل الجيش فى توزيعها ..

كان عبد الحكيم عامر يتصور أنه بهذه الاجراءات يثبت نفسه عند الشعب ولكنه لم يكن يعلم أن العكس هو الذى يحدث .. فقد زادت هذه التصرفات من سخط الناس عليه وتبرمهم بالنظام بأجمعه .. وفى أعقاب الانفصال كانت البلد ممزقة نتيجة لكبت الحريات وعدم وجود الديمقراطية بأى شكل من الاشكال .. مما شجع العناصر الغير راضية على أن تتحرك وهكذا ازداد تململ الشعب ..

وقد صور كل هذا إلى عبد الناصر على أنه ثورة مضادة وبناء عليه فرضت الحراسات على السياسيين القدامى .. ولكن لم يكن هذا الاجراء كافيا لامتصاص غضب الناس وتذمرهم بل علّى العكس ربما زاد ولذلك لجأ عبد الناصر إلى اجراء آخر وهو انشاء لجنة تأسيسية .. أو كما أسموها حوار مكونة من أكثر من مائتى شخص أغلبهم من المثقفين .. عهد بأمانتها

إلى وكنا نجتمع فى قاعة مجلس الامة وكان عبد الناصر يحضر أغلب جلسات هذه اللجنة ويشترك فى مناقشاتها التى نشرت على الناس فى الصحف ..

فقد كان الهدف من العملية كلها أن يظهر عبد الناصر بمظهر من يشارك الناس همومهم ويسعى إلى حل مشاكلهم .. ولذلك نجده يرحب بما استقر عليه رأى اللجنة فى النهاية وهو اصدار ما يسمى بالميثاق يحدد فيه خط الثورة وأهدافها وسياستها ، فقد كان هجوم أعضاء اللجنة من المثقفين منصبا على عدم وجود أى منهج .. وفعلا وضع الميثاق وتقدم به عبد الناصر إلى المؤتمر القومى الكبير الذى عقدناه .. وقرأه مادة مادة وصدق عليه الحاضرون وحقق بعض الغرض من صدوره فقد شغل الناس بمحاولة استيعابه وتفهم النواحى الايديولوجية التى كان يحتويها ..

فى هذه الاثناء كان التنظيم السياسى موجودا ولكنه كان بالتعيين لابالانتخابات فهو اعرج لايملك من أمر نفسه الكثير لذلك نجده لايقوى على أن يضع الميثاق موضع التنفيذ .. لقد صدر الميثاق فعلا وأصبح يدرس فى منظمات الشباب والجامعات ولكن شيئا مما نص عليه لم ينفذ ..

• يضيف السادات :

ـ فى سنة ١٩٦٥ كانت حالة البلاد الداخلية قد وصلت إلى مرحلة يرثى لها فعلى صبرى كرئيس للوزراء لايتخذ قرارا فى شىء .. لانه بطبعه يخشى المسئولية .. وبما لهذا السبب وقع اختيار عبد الناصر عليه .. فعبد الناصر بطبيعته الديكتاتورية كان يتطلب من رئيس وزرائه أن يكون مجرد مدير مكتب ينفذ أوامره وحسب .. وهكذا كان على صبرى .. فاذا أضفنا إلى هذا ميله الطبيعى إلى التجسس على الناس وتدبير المؤامرات والعمل فى الخفاء لادركنا سر تبرم الناس به .. فماذا يمكن للبلد أن تستفيد من حكومة هذا شأن رئيسها ..

ومما جعل الحالة تزداد سوءا أن مشاكل الخدمات عندنا من تليفونات ومواصلات واسكان وخلافه أخذت تؤجل ابتداء من سنة ١٩٦٧ على اساس حلها بخطط طموحة لم تكن قابلة للتنفيذ .. مما جعل هذه المشاكل تزداد

وتتراكم سنة بعد أخرى .. بحيث أصبح من العسير حلها .. وكان العذر الذى يتذرع به المسئولون فى هذا أن الخدمات والمرافق يمكن التضحية بها فى سبيل اقامة مصانع للانتاج بالاشتراك مع السوفييت ..

• ويمضى السادات :

- استجاب عبد الناصر لمشاعر الجماهير فى نهاية ١٩٦٥ فعزل على صبرى من رئاسة الوزراء وعين بدلا منه زكريا محى الدين .. ولكن زكريا لم يمكث فى منصبه إلا شهورا قليلة ، اذ سرعان ما اختلف مع عبد الناصر .. ولو أن وراء هذا الخلاف كان عبد الحكيم عامر الذى كان يكره زكريا ويفضل أن يرأس الوزارة رجل من أتباعه .. وقد تحقق له ما أراد فعين صدقى سليمان رئيسا للوزراء بدلا من زكريا .. ولكن هذا لم يمنع عامر من استمرار زحفه على السلطة حتى أصبح كل شىء فى البلد يعهد به إلى القوات المسلحة أو البوليس الحربى ..

النقل العام مثلا فى حالة سيئة فيتبع القوات المسلحة لاصلاحه .. الثروة السمكية تشرف عليها القوات المسلحة .. وفى سنة ١٩٦٥ عندما قيل أن هناك مؤامرة يدبرها الأخوان المسلمون تولى أمرهم البوليس الحربى وشمس بدران أهم معاونى عامر .. وكما اتضح بعد ذلك كان هناك تعذيب واهانة وامتهان لكرامة الانسان ..

• ويصف السادات أيام ما قبل الهزيمة :

- أنتهت سنة ١٩٦٦ والصراع بين عبد الناصر وعامر على أشده فكل منهما متربص بالآخر وخاصة أن عامر كان كل يوم يوسع رقعة لسلطانه .. فعن طريق لجنة الاقطاع والتعلل بالثورة المضادة استطاع أن يضرب من يشاء وأن يعزل أو يبقى من يشاء فى مؤسسات الدولة وجميع مناصبها بما فى ذلك النوادى الرياضية بل أن شكاوى الهيئات العامة أو الأفراد كانت تحال إلى القوات المسلحة للنظر فيها وحلها حسب ما يتراءى لها .. وهكذا تراكمت السلطات فى يد عامر حتى أصبح الآمر الناهى والمتحكم فى مصير الناس وفى كل ما يتعلق بالبلد من أحداث ..

هذه هى الصورة التى كانت عليها مصر فى مستهل سنة ١٩٦٧ ، فكيف كانت فى عيون من تبقى من رجال الثورة فى الحكم .

خرج زكريا محى الدين من رئاسة الوزراء وفى حلقه غصة .. ولكنه من النوع الكتوم لا يتكلم كثيرا .. أما عبد الناصر فكان يراقب ما يفعله عامر وهو ايضا ملىء بالمرارة عاجز لا يستطيع أن يفعل شيئا ـ بينما كان عامر يزيد كل يوم من رقعة سلطته بل كان يسعى إلى رئاسة الوزراء ليضع السلطة فى يده كاملة ..

هكذا دخلنا سنة ١٩٦٧ والكآبة تخيم على مصر فالبلاد مفلسة لان الخطة طموحة ولا يوجد المال الكافى لتمويلها ومشاكل الخدمات التى أجل على صبرى حلها منذ سنة ١٩٦٢ تتراكم يوما بعد يوم وذلك حتى يتظاهر أمام عبد الناصر بأنه يبنى صناعات لم تكن تقوم فى الحقيقة على أى أساس .. وأخطر من هذا كله الصراعات التى بلغت أشدها بين من يحكمون من رجال الثورة وأذنابهم ..

ففى يوم جمعة فى فبراير سنة ١٩٦٧ ذهبت لزيارة عبد الناصر على غير موعد كعادته معى .. فسألت الضابط المختص إذا كان عبد الناصر قد استيقظ من النوم فأجابنى بأنه استيقظ منذ مدة وهو الآن فى حجرة مكتبه ، فدخلت الحجرة ورأيت عبد الناصر يجلس وقد وضع رأسه بين يديه حزينا مهموما .. وقفت أراقبه حوالى دقيقتين ثم فاجأته بسؤالى :

ـ جرى أيه ياجمال ؟ مالك ؟

التفت إلى فى دهشة فقد كان واضحا أنه لم يحس بدخولى الحجرة وقال

ـ أيه اللى جابك النهارده ياأنور ؟

قلت : النهاردة الجمعة ـ وأنا لى مدة لم أرك ـ قلت أفوت عليك أدردش معاك شوية وأنا عارف أنك يوم الجمعة بتبقى لوحدك ..

قال لى :

ـ والله عملت طيب .. أقعد ..

جلست وسألته مرة أخرى :

- مالك شايل الدنيا على دماغك ليه ياجمال ؟ واضح أنك شايل الدنيا على دماغك ..

قال : أيوه .. فعلا أنا شايل الدنيا على دماغى .. ياأنور البلد بتحكمها عصابة وأنا مستحيل أكمل بهذا الشكل .. أنى أبقى الرئيس المسئول واللى بيحكم هو عبد الحكيم وينفذ اللى عاوزه .. طيب أخرج أنا أحسن وأروح أقعد فى الاتحاد الأشتراكى ويتولى هو رئاسة الجمهورية .. وأنا مستعد لأن أسأل عن الفترة اللى قعدتها لغاية ما حاخرج .. أجاوب عن أى شىء ..

كان واضحا ان عبد الناصر كان على معرفة بما يجرى فى البلد ، .. المشاكل المتراكمة منذ سنة ١٩٦٢ وماتفعله لجنة الأقطاع بالناس - وضراوة مراكز القوى سواء من ناحية عامر أو شعراوى جمعه وسامى شرف أو على صبرى أو مستشاره الصحفى .. وحجرهم على الحريات .. واحتكارهم لجميع الامتيازات ...

* قلت له :

مش معقول ياجمال تسيب رياسة الجمهورية وتقعد فى الاتحاد الاشتراكى عشان عبد الحكيم وأعوانه يحكموا مصر .. أنت عارف عبد الحكيم اسوأ من يختار معاونيه - هم اللى تسببوا فى فشل الوحدة مع سوريا - ومع ذلك فعبد الحكيم متعصب لمعاونيه تعصب قبلى تقول له نشيل صدقى قائد الطيران يقول قبل ما تشيلوه شيلونى أنا .. خلقته كده .. ولذلك أعتقد أنه أفضل شىء أنك تجيبه وتكلمه بينه وبينك وبالشكل ده ممكن توصلوا لحل مع بعض ..

* قال جمال :

- والله الصورة سيئة ياانور وأنا حاسس أن احنا داخلين على كارثة .

* ويقول السادات :

- بعد ذلك ببضعة أيام ذهبت لزيارة عبد الناصر فقالوا لى ان عنده ضيفا وانتظرت فى حجرة مكتبه إلى أن يخرج الضيف .. وبعد فترة جاء عبد الناصر وبادرنى بسؤال :

- تعرف يأنور مين اللى كان عندى دلوقتى ؟

قلت : مين ؟

قال : شمس بدران - فاكر حديثنا اللى قلت لك فيه على حكاية العصابة ؟

قلت له : آه ..

قال لى :

- ياسيدى الحكاية كملت .. شمس بدران جاى دلوقتى بيطلب رسمى أن المشير يأخذ رياسة الوزراء .. وحجته أيه ؟ ان البلد بتشتكى .. مش عارف أن معظم الحاجات اللى بتشتكى منها الناس هى تصرفاته وتصرفات أتباعه و ...

قلت له :

- طيب أنت قلت أيه ؟

قال : والله انا خدت الموضوع ببساطة .. قلت له انا ما عنديش مانع قل له انا موافق بس يترك القوات المسلحة وياخذ رياسة الوزراء - أنا حلاقى مين يمسك الوزارة أحسن من عبد الحكيم ؟

قلت له :

- أنا مازلت عند رأيى إنك تقابله وتتكلموا مع بعض وأنت عارف أنه بيقبل منك مالا يقبله من أى شخص آخر - بالشكل ده ممكن الموضوع يتلم والمسائل تتحل ..

قال عبد الناصر :

- لا يأنور .. العملية ماشية فى اتجاه غلط ..

طبعا كان رد عامر على رسالة عبد الناصر بالنسبة لرئاسة الوزراء هو الصمت فهو يعتبر القوات المسلحة مكانه الطبيعى ولا يمكن أن يتخلى عنها لأى سبب من الأسباب فهى مركز القوة الأول .. بعد ذلك تطورت الامور فى لجنة الاقطاع فبلغت اقصى الضراوة فى مارس وابريل ومايو حيث عقدت آخر اجتماعاتها وكانت متجهة فى تلك الفترة بالذات إلى تصفية العائلات .. وهى فى رأيى مسألة خطيرة .. فى تقديرى - والله اعلم - أن

مستشارى جمال كانوا يغذون هذا الاتجاه فى نفس عبد الناصر .. وكان اهمهم وهو مستشاره الصحفى .. فهو يمقت العائلات ويتحين الفرصة للشماتة فيها .. ولذلك كان يطيب له ضرب العائلات كلها واذلال وامتهان كرامة الانسان .. حتى أن اهل الصعيد عندما كانت تفرض عليهم الحراسة كان الرجل يصرخ محتجا : « أخذ نفقة زى الست » ؟

فقد كانوا يطلقون على المبالغ الضئيلة التى يدفعونها لمن تفرض عليه الحراسة مقابل ما اصابهم كلمة « نفقة » وهى نفس الكلمة التى تطلق على المبلغ الذى يدفعه الزوج ليعول مطلقته ..

استمر الحال على هذا النمط إلى منتصف مايو حيث كان من المقرر أن يتم القضاء على العائلات جميعها ابتداء بعائلات محافظة البحيرة .. ولكن دخلت علينا السحابة الرهيبة القاتمة فى اواخر مايو واوائل يونيو فأوقفت تلك الاجراءات فكل كارثة لها جانب آخر .. يقول المثل الانجليزى : « كل سحابة دكنة لها شريط فضى يبرق وسط العتمة » .

* ويصف موسى صبرى[1] جانبا من الصورة فيقول :

- عبد الناصر بالغ فى اجراءات حماية نفسه .. لقد سمح بإنشاء أجهزة الأمن .. وبأنشاء أجهزة خاصة تتبعه شخصيا .. كما أن عبد الحكيم عامر والمستفيدين الملتفين حوله .. أرادوا أن يفرضوا حمايتهم على عبد الناصر .. باكتشاف مؤامرات وهمية .. والقضاء عليها بأبشع الوسائل الاجرامية .. التى وصلت إلى التعذيب حتى الموت .. ويؤكد كل الثقاة .. ان قضية الاخوان التى اعدم فيها سيد قطب ، كانت من اختراع شمس بدران ، وزبانية البوليس الحربى .. وكان التعذيب فى هذه القضية هو قمة المأساة .

وكانت هى عربون الصلح والثقة الذى قدمه عبد الحكيم عامر إلى جمال عبد الناصر فى مرحلة الصراع العنيف بينهما الذى استمر حتى عام ١٩٦٤ .. وجاءوا بهذه المؤامرة المفتعلة .. لكى يصبح عبد الناصر فى قبضتهم تماما .. وتحول كل واحد من الزبانية إلى دكتاتور صغير .. يستطيع أن يقتل

(١) موسى صبرى - وثائق ١٥ مايو صص ٣٢١ - ٣٢٢

وهو آمن من أى حساب .

• ويمضى موسى صبرى قائلا :

. وساعد على تقبل عبد الناصر لسياسة تعذيب الخصوم .. ان المحيطين به كانوا يتحدثون اليه ، من قاعدة التقديس .. وانه لو خسرته مصر .. لانتهى العالم العربى إلى الأبد .. وأن حياته تساوى حياة الملايين .. اذن .. فكل متهم بالتآمر ضد عبد الناصر ، أو بالتشهير بنظام حكمه إنما هو متآمر ضد مستقبل الامة العربية كلها وحياتها ..

فاذا أنهوا حياة المتآمر بالتعذيب حتى الموت .. فهو ليس إلاصفراً ليس له كيان أو حساب ، فى سبيل الحفاظ على كيان الامة العربية كلها .. التى لن تعيش بعده ..

وتطور الأمر .. حتى أصبح موضوع تأمين حياة عبد الناصر .. من أهم الاعمال التى أنشغل بها كرئيس للجمهورية .. وتكاثرت أجهزة الأمن كما قلت .. وسيطرت على عبد الناصر سيطرة كاملة .. وضاعف ذلك من طبيعة سلوكه .. ومن طبيعة اعتداده برأيه .. وبأنه وحده صاحب القرار .

ولعل هذا يفسر وقوع التعذيب على ضباط القوات المسلحة ، الذين اتهموا فى مؤامرة عبد الحكيم عامر .. بقيادة شمس بدران .. على الرغم من أن صلاح نصر .. كان يحاكم فى نفس الوقت ، بتهمة التعذيب فى قضية الدكتور عبد المنعم الشرقاوى ..

كل هذه العوامل .. التى تدرجت من طبيعة الشك فى نفس عبد الناصر .. إلى الامتلاء بالذات بعد حرب ١٩٥٦ .. إلى اقناع من حوله له ، بأنه هو وحده الحاضر والمستقبل للملايين ومن سواه لاشىء .. ثم تطور الصراع .. إلى صراع مع عبد الحكيم عامر الصديق الابن .. ثم استغلال أجهزة الأمن لكل هذه العوامل وخضوع عبد الناصر لسيطرتها الكاملة .. رغم انه صاحب الأمر وصاحب القرار .. كل ذلك أنتهى إلى جرائم التعذيب حتى الموت ..

والرئيس أنور السادات له رأى فى كل هذا ، أعلنه امام مجلس الشعب

.. حينما فهمت الجماهير خطأ كلمة عابرة خلال خطابه الذى اعلن فيه تغيير مجالس ادارات الصحف .. بعد الاتهام الذى وجهه جلال الدين الحمامصى إلى ذمة عبد الناصر .. وثبت أنه غير صحيح ..

* * *

هكذا وصلت العلاقة بين السلطة والشعب .. ورغم ذلك فأن الشعب ـ كل الشعب ـ حتى هؤلاء الذين كانوا فى المعتقلات ، وحتى هؤلاء الذين أضيروا من لجان ما اسمته الثورة بتصفية الاقطاع .. كل هؤلاء نسوا ما حدث لهم ، ..ووقفوا خلف « الثوار » وفى كل تصورهم أن قواتنا المسلحة بخير ، وأنها قادرة على احراز النصر ، وانها حقا تتوغل داخل اراضى اسرائيل .. وأنها اسقطت للعدو كل طائراته .. ولكنها لم تكن تعلم أن الثورة قد « شاخت » ودب فيها المشيب ، وأن الفساد الذى عم الأجهزة الحكومية قد استفحل فى القوات المسلحة ولم يكن الشعب يدرى ، فكانت مرارته قاسية حتى اليوم وستظل هذه المرارة عدة أجيال قادمة ..

القوات المسلحة من الداخل

آه .. يا وطنى ..

كنت فى اليمن .. بين قواتنا هناك .. وكنا كثيرا ما نتحدث كثيرا عن المواجهة مع اسرائيل .. وكان هناك شبه إجماع بأن هذه المواجهة سوف تؤجل الى مابعد اليمن بسنوات .. لأن حرب اليمن .. أستنفدت الرجال .. وأفسدت الكثير .. واستهلكت السلاح .. وأبعدت الجنود عن روح القتال .. وكان المشير فى أجتماعه مع قيادة القوات فى اليمن يقول لن نسمح بأن تجرنا اسرائيل الى معركة تحدد هى موعدها ...

آه .. يا وطنى ..

لقد سمعت هذا مرارا ، وذات مرة سألت الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن عن المواجهة مع اسرائيل ، وقواتنا على بعد أكثر من ثلاثة آلاف كيلو متر عن موقع المواجهة الحقيقية ، ولما كرر ما قاله المشير دائما ، وقاله عبد الناصر من قبل ، ونشره محمد حسنين هيكل فى مقالات ..

قلت له .

- وماذا لو فرضت عليكم اسرائيل موعد هذه المواجهة ؟

قال : لا أعتقد ..

قلت : لنفرض ..

- قال : تصبح كارثة ..

• • •

لقد كان هذا الحوار فى مكتب أنور القاضى فى صنعاء ، وقبل مذبحة يونيو عام ١٩٦٧ بسنوات قليلة ، وكم تأثرت بهذا الحديث ، ولكن يوم خمسة يونيو عام ١٩٦٧ ، وعندما بدأت الحرب تذكرت هذا الحوار ، وغيره من أحاديث جرت بينى وبين عشرات الضباط حول هذه النقطة بالذات .. وكنت دائما أسمع أن اسرائيل لو فرضت المواجهة ، سوف تصبح كارثة ، رغم هذا تصورت أن القيادة السياسية المصرية ، والقيادة العسكرية المصرية قد تداركت الأمر ، وشكلت قوات جديدة ، وأنها تملك خطة محكمة ستقودنا الى تل أبيب وتحرير فلسطين .

ولكن .. كان تصوراً .. مجرد تصور .. بينما الواقع أن الأمور سارت من سيىء الى أسوأ .. كيف ؟

• • •

لكى نجيب على هذا السؤال لابد أن نعود إلى الوراء .. إلى يوم قيام ثورة ٢٣ يوليو .. لقد كان عدد الضباط الأحرار يعد بالمئات فى القوات المسلحة ، وكان هؤلاء « الثوار » من أكفأ الضباط فى القوات المسلحة المصرية وعندما نجحت الثورة ، أتخذ مجلس قيادة الثورة قرارا بتعيين كل الضباط الأحرار فى وظائف مدنية ، وكان هذا القرار قد أتخذ لعدة أسباب :

أبعاد الضباط عن مراكز القوة فى القوات المسلحة ، حتى لا يشكلوا - فيما بعد - قوة ضاغطة على مجلس قيادة الثورة ، أو فرض الأمر بالقوة .

تقديم مكافأة لهم عن إنضمامهم إلى الضباط الأحرار ..

« تثوير » الحياة المدنية فى مصر ..

وللأسف الشديد .. فقد أدى ذلك إلى الكثير من العوامل السلبية .. سواء داخل القوات المسلحة أو فى الحياة المدنية ..

وفى القوات المسلحة : فلقد خرج منها أكفأ الضباط من مختلف الرتب ، مما أدى إلى ضعف القوات المسلحة وظهر ضعف هذه القوات فى حرب

عام ١٩٥٦ أى بعد قيام الثورة بأربع سنوات فقط ..

فى الحياة المدنية : شكل البعض تقليدا خطيرا وهو المناصب فى الحياة المدنية هى « غنائم » لنجاح هؤلاء ، ومكافأة لهم على تعريض حياتهم للخطر بالانضمام الى صفوف الضباط الأحرار ، وقد أدى ذلك الى « كارثة » فى الحياة المدنية ، وأحس هؤلاء بأنهم طبقة الأمراء والنبلاء الجدد ، وعاش بعضهم عيشة الأسرة المالكة ، ولقد كانت الأسرة المالكة عدة أفراد قليلة ، الا أن « الأمراء » الجدد كانوا بالمئات ، فنهبت القصور الملكية ، واستولوا على الأراضى ، كما استولوا على القصور ، وأشاعوا فى مصر الخراب ، وعندما كانت تصل الى مسامع القيادات العليا ما يحدث وحدث من « الضباط الأحرار » أصحاب الحصانة ، كان يقال هم على الأقل أهل ثقة ، وهم حماة الثورة ..

وأنتقل الى شعار أهل الخبرة وأهل الثقة من الحياة المدنية الى الحياة العسكرية ، فكانت الكارثة .. واسمحوا لى أن أناقش هذه القضية التى أدت بنا الى أكثر من كارثة ، أسوأ فى الحياة السياسية أو فى معاركنا الداخلية ، الى معاركنا الساخنة مع العدو الصهيونى ..

أهل الثقة من وجهة نظر « ثوار يوليو » هم هؤلاء الذين ينفذون ما يصدر إليهم من تعليمات سواء كانت هذه التعليمات خاطئة أو غير ذلك ، أى أنهم « أداة » فى أيدى رؤسائهم ، لا رأى لهم ولا خبرة ..

وأهل الخبرة .. هم هؤلاء الذين يعارضون الخطأ من منطق المعرفة والعلم ، وهؤلاء الخبراء فى كل مجال كانوا خارج نطاق العمل لتقدم الوطن ..

وقد أدى هذا إلى ظهور مرض خطير ، ينهش حتى الآن فى جسد المجتمع المصرى ، وهو « النفاق » لأن أهل الثقة هم طبقة المنافقين فى كل موقع ، هم طبقة « كله تمام ياأفندم » .. هم طبقة الجهل ...

• • •

اسمحوا لى باستراحة قليلة ... لأبعد قليلا عن موضوع القوات المسلحة ..

وليسمح لى أستاذى مصطفى أمين أن أروى هذه الرواية ...

فى عام ١٩٦٦ تم القبض على مصطفى أمين ، وكان الكاتب الكبير يضم حوله « أهل الثقة » ، وكان الرجل يسمع منهم ما يطربه ، بل كان أحدهم يحفظ ما يكتبه حفظا تاما ، ويدخل فى الصباح الباكر على الكاتب الكبير يقول له :

ـ كنت قادما من مصر الجديدة .. وكاد المترو أن يخرج على الخط .. وتحدث كارثة فطية بسببك ..

فيرد الكاتب الكبير :

ـ بسببى .. كيف ؟

ـ كان يقرأ مقالك .. وهو يقود المترو .. ولم يلتفت الى المحطة .. فدخل على قضبان أخرى .. لولا أن الركاب قد هللوا .. وصاحوا لما شعر بأنه يقدم على كارثة .. وعندما تمكن من أيقاف المترو .. قال للركاب :

ـ لقد استغرقتنى مقالة مصطفى أمين !!

ويسعد الكاتب .. ثم يبدأ « واحد من أهل الثقة » يحشر كلمات المقال التى حفظها عن ظهر قلب أمامه ... فيسعد الكاتب أكثر ..

كان هذا نموذجاً « لأهل الثقة » ..

وعندما تم اعتقال مصطفى أمين .. كان أعضاء « جمعية أهل الثقة » هم أول من ولوا له ظهورهم ، بل وهاجموه بشدة على صفحات جريدته .. فى الوقت نفسه فإن « أهل الخبرة » ترفعوا أن ينجرفوا إلى هذا المستنقع ..

وعندما عاد مرة أخرى .. حاولوا الالتفاف حوله .. وشبه أحدهم الكاتب الكبير .. بأنه خليفة « محمد رسول الله » ..

* * *

• آه يا وطنى ..

لو عدنا إلى الوراء قليلا .. لوجدنا أن الرئيس جمال عبد الناصر .. وبقرارات جمهورية أقحم القوات المسلحة فى الحياة المدنية .. بل وأكثر من هذا أصبحت فوق القانون ..

• أصدر الرئيس عدة قرارات ، أعطت للمشير وحده كل السلطات فى القوات المسلحة ووزارة الحربية ..

• أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارات جعلت الأمن الداخلى فى يد المشير عبد الحكيم عامر ..

• أصدر الرئيس جمال عبد الناصر عدة قرارات جعلت من المشير وأعوانه أداة بطش للشعب ، سواء باسناد رئاسة لجنة تصفية الاقطاع له أو لجنة « القضاء على الرأسمالية المستغلة » أو غيرها ..

• أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بإشراف القوات المسلحة على مرافق مدينة فى الدولة مثل مرفق « النقل العام » .

• • •

تغلغلت القوات المسلحة فى الحياة المدنية ، وأذكر حادثة هنا تدل على أن مصر ـ قبل الهزيمة ـ تحولت إلى غابة ، عندما حدث خلاف بين رئيس مجلس ادارة دار التحرير « جريدة الجمهورية » وبعض العاملين ، وكان رئيس مجلس الادارة من المقربين للمشير عامر ، فقام يشكو العاملين للرجل القوى ، فأرسل عامر قوات من الجيش ، ضربت من ضربت من المحررين والعمال والموظفين ، واعتقلت من اعتقلت ، وكأن هذه الدار حظيرة للحيوانات ..

وإذا تحدثنا عن القوات التى دخلت بيوت مصر الآمنة تحت ستار « تصفية الاقطاع » فلن نتوقف ، فلقد أهينت كرامة الانسان المصرى الذى

دخلته المجموعات المسلحة من رجال المشير ، حيث الاعتقال والاهانة والسرقة ..

* * *

* يقول الفريق محمد فوزى فى معرض حديثه عن الخلافات بين عبد الناصر ، وما آلت إليه قواتنا المسلحة[1] :

- وانتهت مشكلة الصراع على السلطة بتعيين الوزير الجديد للحربية الصغير السن القليل الخبرة ، شمس بدران عام ١٩٦٦ إلى أخطر نتيجة شهدتها القوات المسلحة كما شهدها الشعب وأحس بها وهى « الأمن » .

بدأت بأمن القوات المسلحة ، واشتق منها أمن الثورة ثم أمن الدولة فأمن القائد ، وهكذا دخل موضوع الأمن ليطغى على كل شىء انتاجى أو فكرى أو إعداد وتدريب فى القوات المسلحة حتى عام ١٩٦٧ ..

كما نتج عن هذا المفهوم انفراط قيادة الثورة الجماعية ، حيث أصبح القائد الدستورى الشرعى « جمال عبد الناصر » يدير شئون الدولة ويسيطر عليها عدا شئون الدفاع والقوات المسلحة .. كما ركز الرئيس اهتمامه الأكبر على شئون السياسة الخارجية وتفرغ لها ، بينما أصبح المشير عبد الحكيم عامر ومجموعته والقوات المسلحة هم القوة المؤثرة فى شئون الدفاع عن الدولة ..

وقد جاء طغيان الأمن نتيجة طبيعية لاقتصار السلطة على أفراد رفع عنهم الشعب ثقته ، وكان التهليل والترحيب من جملة الأفراد الانتهازيين الذين ركبوا موجة هذا الشقاق ، وقد كان لهذه الحالة تأثيرها الكبير فى معركة ١٩٦٧ .

---

(١) حرب الثلاث سنوات - فريق محمد فوزى ص ٤٠ - ٤١

وارتضى جمال عبد الناصر مؤقتا هذا الموقف الذى أظهر أن السيطرة الحقيقية فى القوات المسلحة فى يد المشير عامر ومجموعته .. كما ظلت مظاهر الصداقة قائمة بينهما .. ولم يقم الرئيس بأى اجراء ضد المشير سوى تعيين على صبرى رئيسا لمجلس الوزراء بعد حركة الانفصال مع سوريا . وبقدر ما كان على صبرى مقربا من الرئيس جمال عبد الناصر ، فإنه لم يكن على وفاق سياسى أو شخصى مع المشير عبد الحكيم عامر ..

ومنذ عام ١٩٦٥ بدأ الرئيس يوكل إلى المشير وأعوانه وإلى القوات المسلحة مهمات داخلية حساسة . مثل القضاء على الاقطاع وتطبيق تحديد الملكية والقضاء على الرأسمالية المستغلة ، حيث رأس المشير لجنة تصفية الاقطاع بنفسه وكان الاسلوب الذى اتبعه يمثل تجاوزا للقانون ، وامتهانا للانسانية الأمر الذى كان له تأثير سيء ومضاد للقائمين بالتنفيذ ، وخاصة الشرطة الجنائية العسكرية وهم قسم أنشىء حديثا ضمن الشرطة العسكرية بالقوات المسلحة ..

• وبعد أن يتحدث الفريق فوزى عما وصلت إليه القوات المسلحة ، يصل إلى عدة نتائج هامة هى :

• بروز سخط شعبى واضح على ما بدا من ظلم وتعسف فى تصرفات القوات المسلحة وأجهزتها ..

• انشغال القوات المسلحة فى مهمات غير منوطة بها أصلا ، مما شتت جهودها وجهود قائدها ..

- شملت السلبية معظم الضباط الذين ليس لديهم مقدرة الوصول إلى مكانة المقربين ، فظلوا مع جنودهم يؤدون ما يطلب إليهم من أعمال اكتسبت صفة السلبية المطلقة ..

كما لم تنج القوات المسلحة من أسلوب القسر والاجراءات العنيفة ، فكان الطرد والمحاكمات السرية ، والاحالة إلى المعاش عن غير الطريق التأديبى وهى إحدى السلطات التى أضيفت إلى المشير من نصّيب عدد كبير من ضباط القوات المسلحة ..

وقد تأثرت القوات المسلحة تأثرا سلبيا بكل هذا ، إذ أضعفت القدرة القتالية لها رغم التسليح الروسى الضخم وتفشى بين أفرادها عنصرا الخوف والسلبية بالاضافة إلى التظاهر بالولاء الشخصى للمشير ومجموعته . وطغت المظهرية على الفاعلية الحقيقية ..

* * *

• آه .. يا وطنى ..

هل كان كل ما يحدث داخل القوات المسلحة إهمالا وصل إلى حد الخيانة ؟ .. أم أن هناك مؤامرة لاحباط واضعاف القوات المسلحة ؟

فى عام ١٩٦٦ .. بل وفى الأشهر الأخيرة منه .. أى قبل حرب يونيو بعدة أشهر ، صدرت حركات التعيينات الجديدة ، والترقيات الجديدة ، والابعادات الجديدة ..

وقراءة فى هذه الحركة ، نجد أن اسرائيل ذاتها ، لو أرادت تشتيت الكفاءات القيادية والقتالية من القوات المسلحة ، لما استطاعت أن تفعل أكثر مما فعلته أيدى قادة القوات المسلحة ..

فمثلا .. فى القتال لابد أن يكون القائد قد عايش المقاتلين ويعرف كل قدراتهم ، حتى يستطيع أن يقود الحرب بكل منهم حسب كفاءته .. ولكن فى هذه « النشرة » كما يطلق عليها العسكريون ، فلقد تم تغيير كل القادة أو معظمهم ، مما خلق الغربة بين القائد ورجاله ، وخلق عدم المعرفة بين الاثنين .

ومثلا .. تم إبعاد الكثير من قادة التشكيلات الميدانية ، .. وهؤلاء من أكفأ المقاتلين ، ولذلك حرموا من المشاركة فى القتال ..

ومثلا هناك الكثير من القادة ، حصلوا على دورات تدريبية فى الاتحاد السوفييتى وبعض الدول الاشتراكية ، وعادوا باضافات عسكرية جديدة وبعلم عسكرى متقدم .. وهؤلاء قد تم ابعادهم فى هذه النشرة ..

ثم .. هناك فى القوات المسلحة تقليد شبه القانون ، أنه من الضرورى

أن يخدم الضابط مدة ما فى التشكيلات المقاتلة حتى يمكن ترقيته إلى الرتب العليا فى القوات المسلحة .. وكان رجال المشير عبد الحكيم عامر ، ورجال العميد شمس بدران قد عاشوا فى الغرف المكيفة بالقاهرة ، حتى وصلوا إلى مراتب عليا ، وكان من الضرورى أن يخدموا فى التشكيلات الميدانية ، حتى يرتقوا إلى أعلى رتب القوات المسلحة ، فعين هؤلاء برتبهم الكبيرة نسبيا فى التشكيلات الميدانية ، .. فقادوها بلا كفاءة .. قادوها بمنطق الغرف المكيفة ..

• وفى هذا الصدد يقول الفريق صلاح الدين الحديدى[1] :

ـــ وعندما كثرت الأقاويل والتعليقات على هذه الطبقة ، التى أمضت مددا طويلة فى هذه المكاتب الفاخرة ، ووصل أفرادها إلى رتب كبيرة لا تتحملها الوظائف التى يشغلونها ، لم يكن هناك مخرج إلا نقلهم من مناصبهم التى شغلوها سنوات طويلة فى الرئاسات المختلفة ، ليبدأوا عملهم فى الوحدات والتشكيلات الميدانية ، بصرف النظر عن احتمال فشلهم فى وظائفهم الجديدة ..

وقبل هذا ، كان الانفصال الفكرى بين الوحدات المقاتلة والتشكيلات من جانب ، والرئاسات المختلفة من جانب آخر ، سببا فى مشاكل وحساسيات كثيرة أدت فى النهاية إلى تعميق جذور الخلاف ، وهى : لمن الغلبة ؟ وأيهما أولى بالتطبيق ؟ الناحية النظرية أم الناحية العملية ؟ ولا سيما أن طبيعة أرضنا الصحراوية المفتوحة تختلف عن باقى أنواع الأراضى ، وخاصة الضيقة منها ، والتى وضعت على أساسها النظريات العلمية البحتة ..

وقد كانت الانتفاضة الكبرى فى هذا السبيل ، عندما عاد المبعوثون الذين أوفدوا إلى الاتحاد السوفييتى للدراسة فى معاهده وأكاديمياته العسكرية لمدد تراوحت بين العام الواحد والثلاثة أعوام للدورة الدراسية ، وعند عودتهم تولوا قيادات الوحدات والتشكيلات ، واستطاع بعض منهم - من الذين أحسن اختيارهم على أساس الكفاءة والولاء للعمل وحده - أن يوائم بين

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ..الفريق صلاح الدين الحديدى ص ٢٥ - ٢٦ - ٢٧

النظرية والواقعية ووصلت الوحدات المقاتلة فى هذا الوقت ، إلى كفاءة عالية وثقة فى العمل ، صاحبها ضعف فى أجهزة القيادة العامة ، نتيجة عدم تأهيل العدد الكافى من ضباط هذه الأجهزة من طبقة أصحاب المكاتب المكيفة ، ووصل الموقف إلى ذروته باضطرار القيادة العامة إلى مساواة الضباط الذين يخدمون فى التشكيلات والوحدات الميدانية بزملائهم الضباط فى الرئاسات المختلفة ، من الناحية المادية ، ومنحوا علاوات سميت بعلاوة التشكيل ، زادت قيمتها المادية ـ فى بعض الرتب ـ عن علاوة أركان حرب التى كان يتمتع بها ضباط الرئاسات دون غيرهم .

وقد أخذ هذا النظام عن الجيش السوفييتى المطبق فيه نظام الحوافز ولكن هذه الانتفاضة ما لبثت أن خبت بمرور الزمن ، ونقل الكثير من قادة الوحدات والتشكيلات المؤهلين إلى خارج الوحدات المقاتلة ، بعضهم إلى التقاعد ، .. وبعضهم إلى وظائف مدنية خارج القوات المسلحة ، وآخرون إلى الرئاسات والقيادة العامة أو التشكيلات الجديدة التى تنشأ تنفيذا لسياسة التوسع .. فلم يعد العدد الباقى من المؤهلين لشغلها جميعا ، وعادت الحال ثانية إلى ما كانت عليه من ضعف مستوى قادة الوحدات المقاتلة التى تعتبر بحق القلب النابض للقوات المسلحة ..

نعود ونقول أن التعيينات والتنقلات التى صدرت فى صيف عام ١٩٦٦ ، وكان الدافع الرئيسى لها الولاء بصرف النظر عن الكفاءة ، تضمنت أيضا حالات لا تخدم صالح القوات المسلحة ، كما خدمت أصحاب هذه الحالات .. فقد كان هناك بعض مناطق فى سيناء وفى قطاع غزة ، لها من الامتيازات المادية ما قد يعوض خشونة الحياة وجفافها فى تلك المناطق ، وكانت الخدمة فى تلك المناطق مرموقة نظرا لهذه الامتيازات ، ولا سيما بعد أن زالت قسوة الحياة فيها بانشاء (الميسات) والاستراحات والنوادى المتعددة ، وفى نفس الوقت ، كان العمل فى هذه المناطق حساسا ، ويحتاج إلى كفاءة ويقظة واحتراف حقيقى للجندية ، عند تلقى الصدمة الأولى فى حالة صدام مسلح مع اسرائيل على الحدود ، وقد شمل مبدأ الولاء قبل الكفاءة هذه المناطق الهامة ، وعين فيها الأكثر ولاء دون النظر إلى كفاءتهم الحقيقية وأصالة روح القتال فيهم ..

اننى حينما أشير الى الكفاءة .. أعنى الكفاءة فى قيادة الوحدات الميدانية والتشكيلات .. الكفاءة المبنية على العلم العسكرى الحديث والخبرة الميدانية وممارسة قيادة الوحدات ، ومن حق القارىء على أن يسأل عن مقاييس هذه الكفاءة التى ذكرت أهميتها ، وهنا أجيب :

- أنه ليس هناك ميزان مادى للحكم على هذه الكفاءة ، ولكن هناك شواهد تعارفت عليها الأجيال المتعاقبة فى القوات المسلحة ، تؤدى فى النهاية الى الحكم السليم على مدى كفاءة القادة على مختلف المستويات ، فالقوات المسلحة ، مرهفة الحس ، تشعر بأقل الفوارق وأقل الموازين كما فى تبين القائد الكفء من القائد غير الجدير بقيادته واحساسها لايخيب أبدا فبعد مدة وجيزة تظهر الصفات الحقيقية للقائد ، سواء على ألسنة الجنود تحت قيادته والذين يتأثرون مباشرة بهذه الصفات .. أو على كفاءة الوحدة كمجموعة أفراد .. فى العمل وتنفيذ المهام ، أو على حالة المعدات والاسلحة والمركبات ، أو على مستوى تدريب الافراد أو روحهم المعنوية ، وحبهم لوحدتهم وتعاونهم فى كافة المجالات .

وأخيرا فى التفافهم حول قائدهم لرفع مستوى الوحدة فى جميع النواحى القتالية - وفى الحقيقة فحالة الوحدة الحقيقية - بصرف النظر عن الواجهة قد تبدو أحيانا لامعة زيفا - تعتبر بحق مرآة صادقة لضباطها وعلى رأسهم قائدها ، وقد قال نابليون فى هذا الصدد .. :

- « ليس هناك وحدات رديئة ، ولكن هناك ضباطا تعوزهم الكفاءة » .

* أنتهى حديث الفريق صلاح الحديدى ..

* * *

التدريب نوع من القتال على المعركة الحقيقية ، بل أن التدريب هو المدخل الحقيقى للمعركة والتعامل مع السلاح ومقاتلة العدو ، ولكنى - أثناء وجودى فى اليمن وحوارى مع عشرات الضباط أجزم بأنه لم يحدث تدريب حقيقى على القتال مع العدو الحقيقى اسرائيل ، وأن كل التدريبات كانت تلغى لعدم وجود الامكانيات المالية ، سواء فى احتياج الجيش للسلاح والذخيرة

والوقود بسبب حرب اليمن ، وهى مسرح عمليات عسكرية مختلف اختلافا جذريا عن مسرح عمليات سيناء ، سواء فى العدو الذى يقاتله جنودنا ، أو طبيعة أرض المعركة أو طريقة القتال ، أو نوع السلاح الفعال فى المعركة ..

لذلك .. دخلت القوات المسلحة حرب يونيو بلا استعداد .. ولا تدريب ..

وليس هناك أبلغ من شهادة واحد من أكبر قادة حرب يونيو وهو الفريق محمد فوزى والذى كان يشغل رئيس هيئة العمليات فى القوات المسلحة .. يقول الفريق فوزى[1] :

- وفى كل سنوات ما قبل ١٩٦٧ التى عشتها كرئيس لهيئة اركان حرب القوات المسلحة ، كنت أرسل للمشير خطة التدريب العام الموضوعة بمعرفة هيئة التدريب عن السنة المعنية بالنسبة للجيش فقط .. كانت الخطة تشمل كل أنواع وأشكال التدريب المثالية والمطلوبة لتشكيلات ووحدات الجيش (التدريب الانفرادى ثم التدريب المشترك ابتداء من الفرد المقاتل وحتى مستوى تدريب اللواء) ..

وكان المشير يصادق على هذه الخطة ، ثم يعيدها الى هيئة التدريب للتنفيذ والمتابعة .. وتقوم الهيئة بدورها بأخطار الاسلحة والتشكيلات الميدانية ومراكز التدريب بالخطة الواجب تنفيذها فى العام التدريبى المعنى ..

والمفروض أن يبدأ العام التدريبى بتنفيذ الخطة حتى شهر أبريل أو شهر مايو ، حيث يصبح الدور على تدريب اللواء .. ورغم ذلك افاجأ بأن المشير نفسه أصدر توجيهات جديدة ، بعدم تنفيذ باقى الخطة ، أو ارجاء تنفيذها ،.. وضرورة العودة الى تدريبات الفرد ، بحجة عدم اتقان الافراد لتدريبهم .. وأعلم بعد ذلك أن بعض قادة الألوية ، المقربين ، طلبوا من المشير عدم اتمام الخطة حتى لا يحاسبون أو تتم متابعتهم ، لتخوفهم من

(١) حرب الثلاث سنوات ص ٦٠ - ٦١

ظهور نتائج سيئة ، فكانت النتيجة أنه لم يتم تدريب أى لواء من الجيش فى سنوات ما قبل ١٩٦٧ .

شاهدت هذه المأساة بنفسى تتكرر طوال أعوام ٦٥ - ٦٦ - ١٩٦٧ .. وفى أغلب الأحيان تأتى تقارير ضرب النار ، وهى تدريبات غاية فى الأهمية .. وترتب عليها القيادة العليا قياسا معينا لدقة الاصابة ، كثيرا ما تأتى هذه التقارير غير صحيحة ، ومدون بها بيانات زائفة .. وهى أخطر ما وصل اليه حال التدريب القتالى الفردى الجماعى فى القوات المسلحة .

ولعل أفضل دليل عملى على ما سبق ، هو نتائج التدريب عموما فى القوات المسلحة ، والتى تظهر فى التقارير الختامية لكل عام تدريبى .. أذكر منها على سبيل المثال :

* نتائج تدريب وحدات الدبابات للمعاونة القريبة مع المشاه : لم تطلق طلقة واحدة من أى دبابة داخل تشكيلات المشاه عن العام التدريبى ٦٥ / ١٩٦٦ .

* استهلكت دبابات المشاه من الوقود المخصص للتدريب ، عن العام التدريبى ٦٥ / ١٩٦٦ مقدار ١١٪ فقط من الوقود المخصص لها فى التدريب فى السنة نفسها .

* وعن نتائج التدريب للعام نفسه أيضا ، جاء فى التقارير :

- « حققت القوات البرية ، كافة المهمات التى كلفت بها داخل « ج . ع . م » وخارجها . بروح عالية وتصميم أكيد للحصول على المستوى الرفيع المأمول لقواتنا هادفة الى تحمل الجهود والتضحيات التى تتطلبها الأحداث لتحقيق آمال الأمة العربية فى الحياة الحرة الكريمة » .

ان أوجه النقص ونقاط الضعف فى العام الماضى لها ظروفها الموضوعية التى فرضها التطور الشامل للقوات المسلحة .. وهى فى مجموعها لا تؤثر على الكفاءة القتالية للقوات ..

• • •

* معذرة ياسادة ..

سوف أعترف هنا اعترافا خطيرا ..

لقد كنت جنديا فى الجيش قبل النكسة بعشر سنوات ، وكنت فى كتيبة واحدة من عدة كتائب ، كانت هذه الكتيبة منبوذة تماما من كل الضباط وصف الضباط فى المعسكر الذى أنا فيه ، لانها « كتيبة المؤهلات » .. هكذا كانوا يطلقون عليها ..

لقد التحقت بالقوات المسلحة ، لأكون مقاتلا ، فأقوم بحماية وطنى أتدرب على السلاح والقتال وأذهب الى مسرح القتال ، وتتحول طاقة كراهيتى لاسرائيل الى عمل عسكرى علمى ، فأقود دبابة ، أو أطلق صاروخا على طائرة اسرائيلية ..

• ولكن .. ماذا حدث ؟

كنت أجلس فى « الكانتين » ، أقرأ أحدى الصحف .. ودخل ضابط صغير فى السن ، أقل منى عمرا .. وما أن رآنى اقرأ صحيفة حتى صاح فى وجهى :

- ماذا تفعل ياروح أمك ؟

آى والله .. هذا حدث ..

وكتمت غيظى .. وقررت « التظلم » .. ولم أرد عليه .. فأمرنى أن أرد عليه .. بألفاظ سوقية .. فقلت له :

- اقرأ صحيفة .. فى فترة استراحة .

- يعنى مثقف قوى .

فلم أرد عليه .. وقرر « هو » « تكدير » كل كتيبة المؤهلات .. ومعنى « التكدير » هو عدة طوابير اضافية ، وحرمان من الاجازة ..

قررت « التظلم » كأى فرد فى القوات المسلحة لا « وساطة » له . ولكنى وجدت نفسى سوف أظلم ان لم يكن لى « وساطة » تأتى لى بحقى .

المهم .. خرجت من القوات المسلحة بعد « أداء » الخدمة العسكرية ، وحالى كالآتى :

• أولا : لم أطلق رصاصة واحدة .

• ثانيا : لم يحدث أن قمت بتدريب عسكرى واحد .

• ثالثا : لتحصل على حقك .. لابد أن تكون على قرابة بأحد

الضباط .. وكلماً زادت الرتبة .. كلما عشت مدنيا مرفها فى القوات المسلحة ..

* رابعا : أن الضباط يكرهون كراهية التحريم جنود المؤهلات .

* ومعنى ذلك :

أن وجود حملة المؤهلات فى القوات المسلحة غير مرغوب فيه ، وأن « الجيش الجاهل » خير الف مرة من « جيش المؤهلات العليا » .. لماذا ؟

قديما .. كان هناك نظام « المراسلة » .. أى وجود « جندى » فى بيت الضابط لخدمته ، وخدمة أسرته ، يكنس ، ويمسح ، ويغسل ، ويأتى بالخضار ، هو خادم فى منزل الضابط ..

وعندما جاءت الثورة ، قامت بالغاء هذا النظام ، الا انه ظل باقيا ، وبشكل أشد ، ولكنه مختلف ، حتى عام ١٩٦٧ .. وهذا ما ترفضه المؤهلات ، لذلك لم يعتمد الجيش قبل عام ١٩٦٧ على « جيش المؤهلات العليا » بل اعتمد على « الجيش الجاهل » ..

بالاضافة الى ان هناك تقليداً غريباً ، ظل فى القوات المسلحة حتى عام ١٩٦٧ ، وهو أن « الضباط يمثلون حماية الثورة » والمثقفين يمثلون « الثورة المضادة » .. واستمر هذا العداء بين الضباط والمدنيين المثقفين فى الجيش والحياة المدنية حتى عام ١٩٦٧ ..

ونتيجة لذلك ..

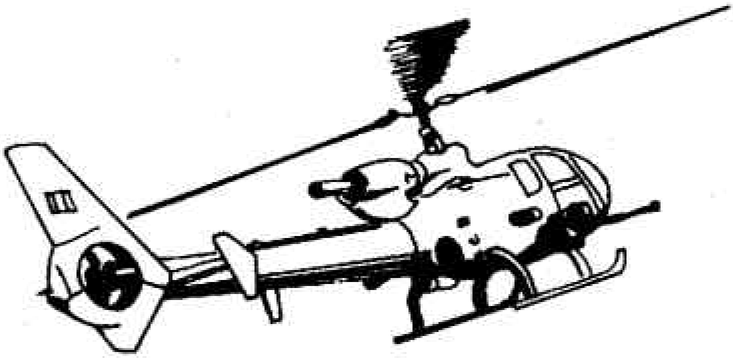
دخلنا حربا حديثة .. بجنود لا علاقة لهم بهذه الحرب الحديثة .. وهذا كان واحدا من مداخل الهزيمة ..

• • •

* رغم تراكمات كثيرة ..

ورغم ما تحمله الشعب من قواته المسلحة ، الا أنه كان صبورا .. فالجيش سوف يحمى مصر عندما تحين الساعة ..

ولقد تحمل الشعب الكثير ..



هيكل .. والهزيمة

في تصوري أن من أخطر الأدوار التي لعبها محمد حسنين هيكل في حياته السياسية ، هو دوره في الهزيمة ، فلقد كان بحكم عمله كمستشار لجمال عبد الناصر ورئيس تحرير جريدة الأهرام ، ثم مشاركته في صنع القرار السياسي .. كل هذا يحمله مسئولية تاريخية بأنه واحد من قلائل مسئولين تماما عن نكسة عام ١٩٦٧ ..ماذا ؟

قاد محمد حسنين هيكل معركة شرسة ضد حرية الصحافة ، وفرض الرقابة على الصحف خلال فترة حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، لذلك قامت أجهزة الاعلام - بما فيها محمد حسنين هيكل ومقاله الشهيرة بصراحة - في خداع الجماهير .. وأصبحت مهمة أجهزة الاعلام هو تبرير القرارات وتجميلها وتقديمها للشعب ، حتى لو كانت هذه القرارات في غير صالح الأمة ..

شارك ، بل قاد . محمد حسنين هيكل خداع الأمة بما في ذلك القوات المسلحة ، بأن مصر قادرة على اجتياح اسرائيل ، وأن كل قواتنا المسلحة بخير ، وأن حرب اليمن لا تؤثر في القوة القتالية لأي جولة جديدة بين مصر واسرائيل .

وكان أخطر مقال - وهو الذي يعلم كل الحقائق - مقال الضربة الأولى ، وهذا المقال - بصفة خاصة - كان يجب أن يقدم إلى المحاكمة من أجله .. فلقد أصبح هذا المقال هو استراتيجية الشعب والجيش في حرب يونيو ،

حيث قال أن مصر سوف تتلقى الضربة ، ثم ترد عليها بالثانية وهى أعنف ..

لم تكن مقالات محمد حسنين هيكل فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مجرد رأى كاتب ، بل كانت منهاج عمل تضبط كل أجهزة الدولة أداءها عليه .

فى هذا الزمن ، التقيت بسفير مصرى فى عاصمة أوربية ، وجاء ذكر تعليمات وزارة الخارجية للسفارة والمنهج السياسى الذى تصنعه الوزارة لسفراء مصر فى الخارج .. وخاصة ازاء قضية مطروحة بشكل ملح على الساحة الدولية .. فإذا بى أعلم منه أن وزارة الخارجية طلبت من السفير انتظار مقال بصراحة يوم الجمعة فى الأهرام ، والذى يكتبه محمد حسنين هيكل ليكون منهاج عمل له .. فلقد كان هيكل فى ذلك الوقت أقوى من وزير الاعلام ووزير الخارجية .. بل يمكن أن يقال دون أدنى تجن على الحقيقة أن الصراع بين الكبار ، كان بين المشير وصلاح نصر وشمس بدران ضد جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل ..

بمعنى ان هؤلاء الخمسة هم الذين حكموا مصر فى مرحلة ما قبل الهزيمة ..

ومعنى ذلك .. أن محمد حسنين هيكل لم يكن يجهل الوضع الحقيقى للقوات المسلحة من الداخل ، كما أنه لم يكن يجهل ـ بحكم ثقافته .. واطلاعه ـ الوضع الحقيقى للقوات الاسرائيلية وكيفية استقرارها ، وأهدافها .. ومتى يمكن أن تحارب ، ولكن بدلا من كل هذا خرج لنا باستراتيجية « الضربة الأولى لاسرائيل » و « الضربة الثانية لنا .. وستكون أقوى وأشد » ..

قال لى اللواء عبد المنعم انه عندما قرأ ما أعلنه محمد حسنين هيكل ، تأكد لى أنها ستكون كارثة ، لان الضربة الاولى ـ فى كل الحروب تكون مؤثرة إلى حد كبير ، وتحتاج القوات إلى فترة طويلة حتى تجمع شملها لتسديد ضربة مؤثرة فى قوات العدو . الا أننى تصورت أن معلوماتى ليست كافية عن كل القوات المسلحة ، وأن هناك « قوة سحرية » ستشاركنا فى الضربة بعد الضربة الاسرائيلية الأولى ..

يقول اللواء عبد المنعم خليل[1] أنه لم يحدث من قبل أن أعلنت دولة استراتيجيتها العسكرية علنا ، حتى أننى تصورت فى البداية أن مقال محمد حسنين هيكل هو لخدعة العدو ، إلا أن الأوامر التى صدرت فى ذلك الوقت تؤكد أن مقال هيكل هو ما تم الاتفاق عليه ، وهو استراتيجية حرب يونيو ١٩٦٧ ..

والآن .. لقد أدى محمد حسنين هيكل ، أو فلتقل تعليمات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عبر مقال هيكل الخاص الضربة الاولى إلى استرخاء فى القوات المسلحة ..

يصف لى أحد الضباط الذين شاركوا فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وكان موقعه بالقرب من مدينة رفح ، أن الضباط والجنود ، عندما قرأوا مقال هيكل علموا أنه لا يوجد حرب طالما أن مصر لن تبدأ بالقتال ، وأن اسرائيل هى الأخرى لن تبدأ بالقتال لتفوق مصر تماما على اسرائيل ، وأن المعركة إذا نشبت ـ سوف تنتقل فورا إلى قلب اسرائيل ، وسوف تخسر بذلك المعركة ، واسرائيل إذا دخلت قوات اراضيها فلقد خسرت الحرب .. وانتهى وجودها .. وهناك استحالة من أن تقدم اسرائيل على تدمير نفسها .. فالاعلام المصرى قد قام بتضخيم غير حقيقى لحجم وقوة وتسليح القوات المسلحة ، حتى ـ نحن كأفراد لهذه القوات ـ خدعنا الاعلام ، وهدفنا خيالا وسرابا ، بينما الواقع كان غير ذلك بالمرة ..

يقول الضابط :

ـ قرأنا هذا .. وعلمنا أن الحرب قد تأجلت إلى أجل غير مسمى .. وذهب الضباط والجنود لشراء ما يحتاجونه من مدينة غزة .. وعاد هؤلاء بالثلاجات والأجهزة الاليكترونية والكهربائية وظلت معهم فى مواقعهم ـ بدلا من السلاح ـ حتى دمرتها الطائرات الاسرائيلية فى « الضربة الأولى » .

قال لى العميد طيار تحسين زكى قائد قاعدة انشاص الجوية أن الأوامر

(١) المجلة العسكرية ـ للقوات المسلحة المصرية ـ عدد مارس ١٩٧٦ رقم ١٨٥ (الضربة الأولى فى الميزان) لواء خضر خضر الدهراوى .

حتى صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، كانت تؤكد أن مصر لن تدخل الحرب وفقاً لما جاء في مقال محمد حسنين هيكل « بصراحة » ، حيث كنا نستمد منه المعلومات واتجاهاته الدولية السياسية ..

ويروى عبد اللطيف البغدادى بعضا من ذكرياته عن حرب يونيو لسامى جوهر فى كتابه « الصامتون يتكلمون » أن عبد الناصر كان فى مركز القيادة وأن صورة الهزيمة كانت واضحة من خلال البيانات الميدانية ، إلا أن عبد الناصر طلب من محمد حسنين هيكل الموجود فى غرفة عمليات ادارة حرب يونيو ، وطلب منه أن يذيع بيانا على الناس ، وكتب محمد حسنين هيكل بيانا يخدع فيه الجماهير إذ يقول البيان أن قواتنا تتوغل فى أرض العدو بينما هى فى الواقع على عكس ذلك تماما ..

• • •

نعود إلى الاستراتيجية التى خدع محمد حسنين هيكل كل الشعب بل وقواته المسلحة ، والتى تؤكد أن مصر سوف تتلقى الضربة الأولى ، ثم تقوم بالضربة الثانية وستكون أقوى وأشد ، ولنسمع لرأى العسكريين عن حقيقة الضربة الأولى :

- من خبرة الحروب السابقة ثبت ان الضربة الجوية المفاجئة تصيب العدو بشللفى جميع النواحى .. وقد تحدد مصير الدولة منذ الأيام الأولى للحرب .. وقد ظهر ذلك بوضوح فى الحرب العالمية الثانية عندما تعرض الأسطول الأمريكى للهجوم الجوى اليابانى المفاجىء فى معركة « بيرل هاربور » ، حيث أصيب الاسطول بخسائر جسيمة ولازال تأثير هذه الهزيمة عالقا بالأذهان ..

كما ظهر ذلك فى حرب يونيه ١٩٦٧ عندما قام السلاح الجوى الاسرائيلى بتوجيه ضربة مفاجئة للقوات الجوية المصرية قضت على معظم طائراتها ..

وفى الحروب التى تستخدم فيها الأسلحة التقليدية .. توجه الضربة الجوية الأولى إلى الأهداف الحيوية فى الدولة ، بغرض الحصول على

السيطرة الجوية ، وذلك بتدمير الطائرات المعادية فى الجو وفى المطارات والقواعد الجوية ، أو بغرض احباط عملية هجومية ثم اكتشاف تحضيراتها ، وذلك بتدمير التجميع الرئيسى للقوات القائمة بالهجوم .. وضرب الاحتياطيات والكبارى وطرق المواصلات .. أو التأثير فى معنويات الشعب بضرب المراكز السياسية والادارية والمراكز الصناعية والاقتصادية الهامة التى لها تأثير على حياة الشعب ..

وكانت القدرة على توجيه الضربة الأولى تعنى القدرة على تدمير اسلحة العدو الهجومية بالقيام بهجوم مسبق بأستخدام الصواريخ والطائرات . ثم كان الرأى الراجح أن أحسن دفاع هو الهجوم أى أن قدرة الدولة على تدمير العدو أولا - بصرف النظر عما يفعله هو - هى أحسن رادع للهجوم ، فمن المحقق أن القدرة على ما يسمى ، « الدمار الأكيد » ويقصد بها القدرة على تدمير أجهزة العدو السياسية والصناعية والاجتماعية والعسكرية - تمثل حجر الاساس فى أى قوة دفاع فالدمار الأكيد مطلب مطلق لا يمكن الانتقاص منه .

• • •

أن كل المصادر تؤكد أن قرار عدم قيام القوات المسلحة بالضربة الأولى قد اتخذه عبد الناصر بعد استشارة مستشارية ، وبما أن عبد الناصر لم يكن له غير مستشار واحد هو محمد حسنين هيكل ، فأن مسئولية هيكل كمشارك فى صنع القرار يصعب تبرئته منها .. والدليل على ذلك أن هيكل قام بالترويج وتسويق هذا القرار للشعب المصرى وللقوات المسلحة ، وأيضا العربى الذى كان يتابع أخبار الحرب من خلال مقالات بصراحة محمد حسنين هيكل ..

ولقد بنى عبد الناصر وأيده محمد حسنين هيكل قراره على عدة اعتبارات .

أولا : أن العالم كله سيقف موقفا عدائيا من الدولة التى ستبدأ بالضربة الأولى ، ولذلك فأن اسرائيل لن تقوم بها ، وبذلك تكون مصر قد كسبت

الجولة دون طلقة واحدة ، ويكفى قرار أغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية .

ثانيا : أن فرنسا قد حذرت كلا من اسرائيل والدول العربية ببدء الحرب ، ويبدو أن ديجول كان يخشى على العرب من الضربة الأولى الاسرائيلية ، .. فلقد كانت القوات العربية مخترقة من أجهزة المخابرات العالمية ، وقد ثبت ذلك بعد نهاية الحرب ..

ثالثا : ان الاتحاد السوفيتى ، بل والولايات المتحدة الامريكية قد حذرت أيضا دول المنطقة من بدء الحرب .. والغريب هنا أن تتفق واشنطن وموسكو على هذا ...

• • •

هذا هو دور محمد حسنين هيكل .. الرجل القوى فى جهاز الحكم للرئيس جمال عبد الناصر ، والذى قام بدوره فى ترويج وتسويق سلعة الضربة الأولى التى خدعت كل الشعوب العربية وقواتها المسلحة ..

ختام الفصل الثانى

• هذه ياسادة صورة مصر فى مايو عام ١٩٦٧ ..

الثوار .. اغتالوا الحرية ، واعتقلوا الاحرار وصراع فى القمة بين عبد الناصر ، ملك الشارع المصرى ، وعبد الحكيم عامر ملك القوات المسلحة ..

وغاب القانون والتكافل .. وتحولت الدولة إلى أقطاعيات كل « ثائر » يملك ويحكم ويتحكم فى اقطاعية ..

ورحل عن البلاد ملك فاسد .. وجاء بدلا منه مئات من الملوك الفاسدين ..

ولجان - بعد قيام الثورة بخمسة عشر عاما - تحط على البيوت وتستولى على الممتلكات ، وتنتهك الاعراض تحت شعار تصفية الاقطاع .

و « حكومة ثورة » .. تنتقل من فشل إلى آخر ، بل وتفشل فى القضايا الصغيرة .. فلا تتمكن « الحكومة » من اصلاح مرفق اتوبيسات القاهرة .

وحرب للاستنزاف المصرى .. بشريا واقتصاديا وعسكريا على بعد ثلاثة الآف كيلو مترا من ارض الوطن .. اسمها حرب اليمن .

ومجلس وزراء لايثق رئيسه فى اعضائه .. ولايثق العضو فى الآخر .. ويسخر من أى وزير يطلب المعرفة من رئيس الوزراء ..

وقائد عسكرى ، يضع أنفه فى كل شىء ، وبلا علم ولاخبرة ولادراية

.. فتحولت مصر إلى غابة .. لا ..بل إلى اطلال وآثار .

وانتقلت غرفة عمليات القوات المسلحة إلى بيوت الفنانات ، ومن هذه البيوت كانت تدار القوات المسلحة ، سواء الموجودة فى الوطن ، أو الموجودة فى اليمن « ولصوص الثورة » ينهبون القطاع العام فأصبح عاجزا عن القيام بمهامه ..

و « لصوص المشير » ينهبون البيوت والارض والعرض ..

و هيكل يكمم الصحافة ، ويضع ستارا كثيفا على « عار الثورة » ويبرر كل خطاياها ، ويعد الناس بالأمل القادم فاذا بالأمل القادم هو الكارثة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ..

والسؤال الآن .. هل يستطيع مثل هذا النظام أن يشن حربا .. هل تستطيع القوات المسلحة بعد أن تم تفريغها من أهل الخبرة ، أن تدخل معركة .. هل يستطيع جهاز الأمن المشغول بأسرار الناس أن يأتى بسر من داخل اسرائيل؟هل تستطيع المخابرات العامة ـ وقد أغرقت على طريقها ـ أن تقدم للقيادة العسكرية الرأى الصائب ، وبناء على معلومات أكيدة ؟

وسؤال آخر .. هل كان عبد الناصر يعلم إلى أى مدى وصلت إليه الأمور فى القوات المسلحة ؟ .. هل كان يعلم مدى الفساد الذى يعانيه القطاع العام المساند للمعركة ؟ ..

وسؤال آخر .. إذا كان عبد الناصر يعلم .. فلماذا اتخذ كل هذه الاجراءات ؟

• • •

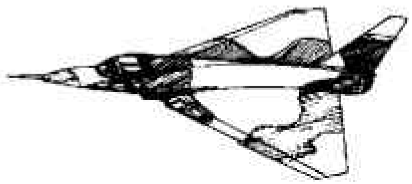
• آه ياوطنى ..

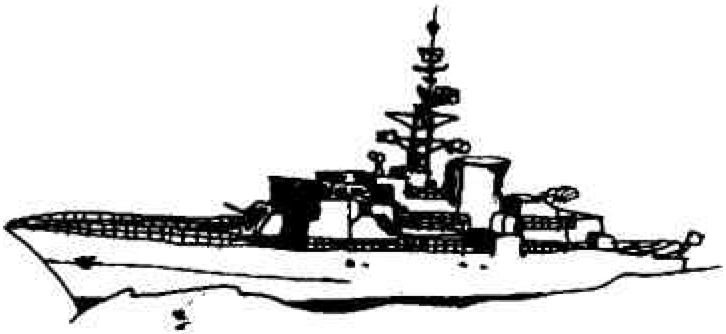
كل من يستطيع أن يتقدم الصفوف ، ويقدم روحه رخيصة فى سبيل الوطن .. اغتالوه أو اعتقلوه ..

كل من يستطيع أن يقول كلمة حق فى سبيل الوطن كمموه ، وتركوا مبرر الخطايا محمد حسنين هيكل وحده الذى يقول ، ويتحدث باسم

« مصر » وباسم النظام ، فقام بحملة تعتيم اعلامى عن فساد النظام ، لم تحدث فى كل تاريخ مصر ..

وكان جنود الاحتلال أكثر رحمة من جنود المشير على الشعب





الفصل الثالث

كمين .. أم مؤامرة

* كمين اسمه :

الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية ..

كل شيء هادىء على الجبهة المصرية ، لا حشود مصرية ، ولا حشود اسرائيلية ، والقيادة العسكرية مشغولة تماما بالهجوم على البيوت المصرية الآمنة باسم تصفية الاقطاع ، والمخابرات العامة مشغولة بالتجسس على كل القيادات المصرية ، وكل فنانات مصر ، واعتقال كل من له رأى .. حتى لو كان الرأى مؤيدا للنظام ..

كل شيء هادىء على الجبهة المصرية ، فلقد استطاعت الثورة القضاء على كل معارضيها ، حتى هؤلاء الذين شاركوا فى صنع الثورة ، ولا اعتراض على أى قرار تتخذه الحكومة ، فالكل يصفق للقرار ، ويصفق لالغائه طالما أنه من السلطة ..

كل شيء هادىء على الجبهة المصرية ، فمصر آمنة من الخطر الاسرائيلى خلف قوات الطوارىء الدولية التى انتشرت عقب حرب السويس ، والسفن الاسرائيلية تمر من خليج العقبة ، والقيادة السياسية الواعية تؤكد أن اسرائيل لن تجرنا إلى حرب .. ولكن مصر هى التى ستحدد مكان وموعد المعركة ..

كل شيء هادىء فى مصر .. فلقد أجبر الشعب بالقهر أن يعطى القيادة السياسية تفويضا كتب بدم الأبرياء والمناضلين أن تفعل بهذا الشعب كما تشاء دون الرجوع إليه ..

كل شيء هادىء في مصر .. فلم يعد فى مصر صحافة ولا برلمان له رأى أو صوت ، ولا مجلس وزراء له حق النقاش ..

الموقع الوحيد الثائر هوالقيادتان السياسية والعسكرية ، حيث وصل الخلاف إلى أقصاه ، إلى درجة أن الرئيس جمال عبد الناصر قد شكل جهاز أمن خاصا به ، ويتبعه مباشرة خوفا من قيام المشير عبد الحكيم عامر - أقوى رجل في مصر - بانقلاب ضده ، بل لديه المبررات الكافية « للبيان الأول » في هذا الانقلاب بل أنه كتب فعلا ذلك البيان عندما قدم استقالته للرئيس جمال عبد الناصر ، حيث قال في الاستقالة كل سلبيات الحكم ، وتحدث في هذه الاستقالة عن الحرية والديمقراطية وأمن المواطن ، وهى آمال بدت كالسراب للشعب من شدة قبضة الحاكم على الشعب .

كل شيء هادىء في القوات المسلحة .. فلم تكن القوات المسلحة جزيرة منعزلة عما جرى للشعب ، فلقد تم إقصاء كل من له رأى ، وكل من له صوت ، وتم تعيين من يوافق على الرأى ونقيضه فى آن واحد ..

قواتنا فى اليمن .. تحارب أو لا تحارب . فهى بعيدة عن الوطن ..

اعلامنا .. لا هم له إلا أن يسب كل العرب ، حيث كان النظام فى معارك مع كل الأنظمة ..

• • •

وفى بداية مايو .. سربت القيادة السوفيتية تقريرا إلى السفارة المصرية في موسكو ، يؤكد التقرير أن هناك حشودا اسرائيلية هائلة على الحدود السورية .. وأن هذه الحشود تهدف إلى احتلال الجولان السورية واسقاط دمشق ..

• • •

بعد هذا التقرير مباشرة ، صدرت أوامر الرئيس جمال عبد الناصر إلى القيام بحملات اعلامية ضد اسرائيل ، ودخلت أجهزة الاعلام المعركة ، قبل أن تدخلها القوات المسلحة ، أو حتى قبل أن تتحرى مسألة الحشود ..

والغريب فى الأمر .. أن دمشق نفسها أصيبت بالذهول من الحملة الاعلامية المصرية التى قامت بتضخيم قضية الحشود ، وكأن مصر قد استكملت استعداداتها العسكرية وتريد أن تدخل المعركة فورا .. بل امتلأت شوارع العاصمة بلافتات تذكر بأن قواتنا ستلقى باسرائيل فى البحر ، بل سوف تدوسها بالأقدام ..

فى هذا الجو المحموم ، جاء عبد الناصر بالمشير « الجدع » وسأله أمام الجميع عن استعداده ، فكان رده « كجدع » هو :

- برقبتى يا ريس ..

* * *

برقبة المشير - يا سادة - استعدت القوات المسلحة ..

برقبة المشير - يا سادة - استطعنا سحب القوة المصرية الضاربة من اليمن ..

برقبة المشير - يا سادة - وضعنا خطة القضاء على اسرائيل كما قالت لافتات مايو وشعاراته ..

برقبة المشير - يا سادة - قمنا بتدريب القوات المسلحة التى لم تتدرب أبدا ..

برقبة المشير - يا سادة - قمنا بحشد القوات المسلحة فى المواقع الاستراتيجية للانقضاض على اسرائيل ..

كل شىء جاهز .. برقبة المشير ..

* * *

وبدأت المعلومات تتدفق بغزارة على مصر .. كل المعلومات تؤكد حقيقة كبيرة ، هذه الحقيقة تقول أنه لا يوجد حشود اسرائيلية على الجبهة السورية .

ويقول الفريق صلاح الحديدى أن أجهزة الدولة قد قدمت ما يفيد بعدم

وجود حشود اسرائيلية لغزو سوريا ، بل أن القيادة المصرية ، قد أرسلت اللواء محمد فوزى رئيس العمليات فى ذلك الوقت إلى دمشق ، وعندما عاد أكد فى تقرير رسمى عدم وجود حشود اسرائيلية على سوريا ، يقول :

فى ١٩٦٧/٥/١٤ كلفنى المشير عبد الحكيم عامر بالسفر إلى دمشق فى مهمة للتحقق ، ومعرفة مدى صحة المعلومات التى وصلته من دمشق والاتحاد السوفيتى ودول أخرى ، عن الحشد الاسرائيلى على حدود سوريا ..

سافرت فعلا إلى دمشق فى اليوم نفسه ، ومكثت ٢٤ ساعة تفقدت فيها قيادة جبهة سوريا ، كما سألت المسئولين العسكريين فى قيادة الأركان والجبهة عن صحة المعلومات الخاصة بحشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية .. وكانت النتيجة أننى لم أحصل على أى دليل مادى يؤكد صحة المعلومات بل العكس كان صحيحا إذ أننى شاهدت صورا فوتوغرافية جوية عن الجبهة الاسرائيلية ، التقطت بمعرفة الاستطلاع السورى يوم ١٢ ، ١٩٦٧/٥/١٣ ، فلم ألاحظ أى تغير للموقف العسكرى العادى ..

وأثناء وجودى فى دمشق ، أخطرت رئيس الأركان السورى اللواء أحمد سويدان بالاجراءات العسكرية التى اتخذت فى مصر (ج . ع . م) وأكدت عليه للمرة الأخيرة ضرورة تنفيذ ما تم الاتفاق عليه من تنسيق بيننا للخطط العسكرية وتبادلت معه وثائق الاتصال الكودى لجميع النداءات اللاسلكية والمترجمة ، لخطط وإجراءات اتفق عليها مسبقا ..

وكلمة « التنسيق » فى العلاقات القيادية بين قوتين متحالفتين من الناحية العسكرية لا تلزم بالتطبيق الجبرى ، مثل ما كان سيحدث لو أن القيادة العسكرية بين البلدين موحدة ..

عدت إلى القاهرة يوم ١٩٦٧/٥/١٥ وقدمت تقريرى إلى المشير عبد الحكيم عامر ، وهو التقرير الذى ينفى وجود أية حشود اسرائيلية على الجبهة السورية .. فلم ألاحظ أى ردود لديه عن سلبية الوضع على الحدود السورية الاسرائيلية ، ومن هنا بدأت أعتقد أن موضوع الحشود الاسرائيلية

على حدود سوريا هو - من وجهة نظر المشير ، ليس سببا وحيدا أو رئيسيا فى اجراءات التعبئة والحشد التى اتخذتها مصر بهذه السرعة ..

إذن .. ما هو السبب فى استمرار مصر بدق طبول الحرب بعنف .. وهى تعلم تمام العلم بأن هناك أكذوبة .. بعث بها السوفيت إلى مصر .. وأكدوها أكثر من مرة ؟

هناك من يقول أن موسكو أرادت القضاء على المشير « الجدع » وعلى عبد الناصر المتقلب ، ليخلو المناخ أمام على صبرى ، ليقوم بتحويل مصر إلى « ولاية » سوفيتية ، تنطلق منها إلى العالم العربى وأفريقيا ، وتدويل الصراع العربى الاسرائيلى إلى الأبد ..

• • •

• يقول أنور السادات فى « البحث عن الذات » :

ـــ فى عودتى من موسكو كان يرافقنى إلى المطار سيمينوف نائب وزير الخارجية ومعه رئيس البرلمان السوفييتى .. وتحدثنا طويلا إذ تأخرت الطائرة ساعة أو أكثر وكان حديثهما معى يدور حول موقف سوريا وكيف حشدت اسرائيل عشرة لواءات على حدودها .. وعندما عدت إلى مصر وجدت أنهم قد أبلغوا عبد الناصر نفس الخبر وبعدها صرح أشكول رئيس وزراء اسرائيل أنه إذا اقتضى الأمر فسوف تحتل القوات الاسرائيلية دمشق ..

فى ذلك الوقت كانت بيننا وبين سوريا اتفاقية دفاع مشترك .. وإلى جانب هذا كان الروس على طريقتهم يمارسون لعبة ضرب الزعماء العرب بعضهم بالبعض .. كما حدث أثناء حكم عميلهم قاسم فى العراق .. وفى هذه المرة استثاروا عبد الناصر وضربه بالقيادة السورية على أنها أكثر تقدمية ولذلك أعطى الأوامر لعبد الحكيم عامر بحشد قواتنا فى سيناء وكان الهدف الحقيقى من هذا تخويف اسرائيل ..

ولكن ما لبث زمام الأمور أن أفلت من يديه ففى ذلك الوقت كان الكثيرون من إخواننا العرب يعايرون مصر بأنها تركت مضايق تيران

مفتوحة حتى أن عامر وهو فى زيارة لباكستان تضايق من المزايدات العربية بالنسبة لمضايق تيران فأرسل برقية يطلب فيها اغلاق المضايق .. على أى الأحوال جمعنا عبد الناصر على هيئة لجنة تنفيذية فى أواخر مايو سنة ١٩٦٧ كان فيها عامر وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنا وعلى صبرى وصدقى سليمان رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .. وقال لنا :

ــ إن حشودنا فى سيناء تجعل الحرب محتملة ٥٠٪ أما إذا أقفلنا المضايق فالحرب مؤكدة مائة فى المائة ..

ثم التفت إلى عامر وقال له :

ــ هل القوات جاهزة يا عبد الحكيم ؟

فوضع عامر يده على رقبته وقال :

ــ برقبتى يا ريس .. كل شيء على أتم استعداد ..

بل وأكثر من هذا .. اتصلت القيادة العسكرية المصرية بالمندوب السورى فى القيادة العربية الموحدة ، فأكد أنه لا يوجد حشود ، وأنه يعرف النظام الحاكم فى سوريا وأنه ابتدع مسألة الحشود للاستهلاك الداخلى ، بل أن المندوب السورى أبدى دهشته لرد الفعل المصرى .

* * *

ويروى ثروت عكاشة ، وكان وزيرا للثقافة فى وزارة يونيو عام ١٩٦٧ ، مؤكدا أن مصر علمت فى النصف الأول من شهر مايو ١٩٦٧ عن طريق سفارتنا فى موسكو أن الحكومة السوفيتية قد أنهت إليها وجود حشود اسرائيلية على حدود سوريا ، ثم ما لبثت الحكومة السورية أن أيدت هذه الأنباء حين اتصلنا بها .. ومع ذلك أوفدت مصر رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة إلى سوريا لاستجلاء حقيقة الأمر ، فعادت السلطات السورية وأنكرت وجود هذه الحشود ..

* * *

وهنا شهادة الفريق صلاح الدين الحديدى حيث يقول عن الحشود :

ـ لقد التقيت يوم ١٩٦٧/٥/١٥ مع أحد كبار المسئولين فى جهاز الحصول على المعلومات ، ولعظم دهشتى ، علمت منه أن معلوماته لا تؤكد أنباء الحشود العسكرية المعادية تجاه سوريا ، وأنه لا يرى ضرورة لاعلان حالة الطوارىء القصوى فى القوات المسلحة ، ومع ذلك ، فقد بدأت الاجراءات التنفيذية المعقدة والمرهقة فى نفس الوقت ، لرفع درجة الاستعداد ..

• • •

• وفى كتاب الدكتور عبد العظيم رمضان « تحطيم الآلهة » يقول :

ـ وقد أكد الفريق صلاح الحديدى هذه الحقيقة فى عبارة صريحة فأورد أن أجهزة الحصول على المعلومات فى مصر قد قامت بواجبها فى نفى أنباء الحشود الاسرائيلية لغزو سوريا .. وهذا الذى ذكره الفريق صلاح الدين الحديدى .. أكده الفريق عبد المحسن مرتجى ، قائد جبهة سيناء فى حرب ١٩٦٧ .. فقد أورد أن المعلومات التى توصل إليها الفريق عبد المنعم رياض ، رئيس أركان حرب القيادة الموحدة ، عقب التحرك المصرى يوم ١٥ مايو ، قد أكدت له عدم وجود هذا الحجم من الحشود الاسرائيلية .. وأن الوجود الفعلى لا يتعدى قوات رمزية ستشترك فى الاستعراض العسكرى الذى أقيم فى القدس احتفالا بعيد انشاء دولة اسرائيل ..

وأورد أنه منذ البداية ، أى منذ يوم ١٤ مايو ، وبحلول مساء ذلك اليوم ، أرسلت المخابرات المصرية تحليلا للموقف إلى القيادة العليا شرحت فيه احتمال أن تكون الأزمة وليدة خطة مفتعلة ، ونصحت بالتريث انتظاراً لمعلومات مؤكدة ..

ومن المهم ما ذكره الفريق عبد المحسن كامل مرتجى من أنه :

« مما يلفت النظر أن رئيس شعبة المخابرات بالقيادة العربية الموحدة ، وهو سورى الجنسية .. صرح بأن الحكومة السورية تقوم بحركة سياسية تستهدف تدعيم مركزها داخليا .. وأنه يستبعد حدوث أى اشتباك بين سوريا واسرائيل » ..

« وقد أكد شمس بدران هذه الحقيقة فى حديثه مع الكاتب جلال كشك الذى نشرته جريدة الجمهورية فى أوائل سبتمبر ١٩٧٧ .. فقد ذكر أنه فى زيارته لروسيا أثناء الأزمة ، عقد اجتماعا مع جريشكو ، وقال له :

- لقد أرسلنا محمد فوزى إلى سوريا ، وقامت الطائرات باستكشاف جوى ، ولم نجد عسكريا اسرائيليا واحدا ، وقلت لجريشكو ، بحضور مراد غالب :

- سيصلكم وفد سورى برئاسة رئيس الوزراء غدا ، فاسألوه » ..

• • •

• وأختتم هذه الشهادات ، بشهادة أنتونى ناتنج فى كتابه « ناصر » ، حيث يقول :

- فى الواقع أنه من المحتمل أن الاسرائيليين فى ذلك الوقت كانوا يخططون لعملية على غرار غارة غزة فى عام ١٩٥٥ أكثر منه لغزو شامل لسوريا .. فقد كان أهم هدف بالنسبة لهم هو جر عبد الناصر إلى الدخول فى معركة وكان عمق وأمد الهجوم على الأراضى السورية يتوقف على المدة الزمنية اللازمة لحدوث رد الفعل المصرى المطلوب .

وتحقيقاً لهذا الهدف فقد شرعوا ، فيما يبدو عن عمد فى اقناع الروس ومن ثم المصريين بأن هجوما ضخما يوشك أن يقع على سوريا ، وباستخدام طريقة ذكية تجمع بين تسريب محسوب للأنباء تستفيد منها السفارة السوفيتية فى تل أبيب وإذاعة رسائل لاسلكية زائفة افترضوا بحق أنه سوف يتم التقاطها ونقلها إلى القاهرة بواسطة السفن الروسية التى تجوب شرق البحر المتوسط .. تأكدوا من أنه سيتم على الفور إبلاغ عبد الناصر بأن حلفاءه السوريين على وشك أن يتعرضوا للغزو ، كذلك بينما كانوا حريصين على عدم المبالغة فى الدور الذى يعتزمون القيام به بحشد القوات على حدود سوريا بل وتوجيه الدعوة فيما بعد إلى السفارة الروسية لتفقد الحدود لاستطلاع الايحاء بأنهم يعدون تشكيلاتهم المدرعة للعمل باستبعادها بصورة واضحة من العرض العسكرى الذى أقيم بمناسبة عيد الاستقلال بمدينة القدس فى ١٥ مايو ..

أعتقد بعد كل هذه الشهادات .. فلم يكن هناك حشود اسرائيلية على الجبهة السورية ..

وكان يمكن لمصر .. طالما أنها سوف تتخذ عدة قرارات مصيرية مرتكزة على هذه النقطة ، أن تتحرى بواسطة أجهزتها مدى صحة هذه الحشود .. سواء عن طريق التصوير الجوى أو عن طريق المعلومات من عملاء مصر داخل اسرائيل ..

ورغم أن رئيس هيئة العمليات المصرية قد سافر إلى دمشق وعاد ليقدم تقريرا يؤكد فيه عدم وجود حشود اسرائيلية .. إلا أن القيادة السياسة أسرعت باتخاذ قرارات انطلاقاً من وجود هذه الحشود ..

• • •

سنفترض وجود هذه الحشود .. فهل معنى أن نضرب رؤوسنا فى الحائط .. طالما أننا لسنا على استعداد لدخول معركة عسكرية مع اسرائيل وطالما أننا نعرف ما وصل إليه حال قواتنا المسلحة ، وطالما أننا نعرف أن المعركة لن تكون لصالحنا ..

سنفترض وجود هذه الحشود .. وليس فى قدراتنا منعها بالقوة .. كان يمكن تكثيف العمل السياسى دون استفزاز اسرائيل حتى لا نحقق لها ما تريده من هزيمة ساحقة لمصر .. أكبر الدول العربية ..

• ولكن .. لماذا ؟

لماذا أكدت سوريا وجود هذه الحشود ، وهى غير موجودة على الاطلاق ؟

لماذا .. سرب الاتحاد السوفييتى تقريرا لسفارة مصر فى موسكو مؤكدا على وجود هذه الحشود وهو يعلم ، أكثر مما تعلم القيادة السياسية ، كل أحوال قواتنا المسلحة ، عن طريق الخبراء السوفييت فى قواتنا المسلحة ؟

ولماذا .. لم يقدم السوفيت النصيحة لمصر بعدم استفزاز اسرائيل باجراءات ما قبل الحرب .. وهم يعلمون حالنا جيدا ؟

ولماذا لم يطلبوا من اسرائيل عدم بدء الحرب .. وإلا ساندوا العرب مساندة حقيقية ؟

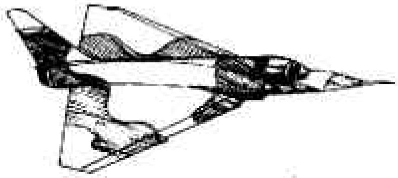
ولماذا .. عادت اسرائيل لتؤكد وجود الحشود بل وأعلن أشكول أن القوات الاسرائيلية سوف تدك دمشق ؟

ولماذا .. سربت المخابرات الأمريكية مجموعة الأنباء الصحفية التى تؤكد وجود الحشود الوهمية ؟

* * *

ربما الصفحات القادمة تجيب على هذه الأسئلة الحائرة فى أكبر مأساة حلت بمصر فى كل تاريخها ..

* * *



الحشود المصرية

رغم أن كل المعلومات التى وصلت الى القيادتين المتنافرتين المتصارعتين - السياسية والعسكرية - ما تؤكد عدم وجود حشود اسرائيلية على الجبهة السورية .. الا أن جمال عبد الناصر ، قد طلب من المشير عبد الحكيم عامر حشد قوات مصرية فى سيناء ..

وسأل عبد الناصر المشير فى اجتماع اللجنة التنفيذية :

- هل أنت مستعد يا عبد الحكيم ؟

- برقبتى ياريس .

* * *

ألم أقل لكم أن المشير « كان آخر مجدعة » .. كان يتصرف كشيخ قبيلة ، وليس كقائد عام لقوات مسلحة تواجه واحدة من الدول التى تحيا على قواتها العسكرية ، وكان عبد الناصر يعلم أن المشير عامر لا يستطيع أن يقود معركة .. عسكرية ، وأن معلوماته قد توقفت عند رتبة « الصاغ » ، وهى الرتبة التى أسند له فيها عبد الناصر قيادة القوات المسلحة بالكامل بعد نجاح الثورة ، كما كان عبد الناصر يعلم رد الفعل من المشير فى اجتماع عام ..

كان المشير « فوضوى التفكير » ، ولم يكن واقعى التفكير أو علمى التفكير ، لذلك فاذا كان عبد الناصر يريد احراجه أمام أعضاء اللجنة التنفيذية ، فانه سيحبط هذه المحاولة بأنه جاهز « برقبتى ياريس »[١] .

---

(١) انظر وثيقة التعبئة - ص (٤٢١) من هذا الكتاب

بعد اجتماع اللجنة التنفيذية ، أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارا بحشد القوات المسلحة فى سيناء ، واعلان التعبئة العامة ، ولكن الحشد هنا كان مهزلة .. بل كان مقدمة حقيقية لهزيمة ساحقة ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر يعلم مدى استعداد القوات المسلحة لخوض هذه المعركة ، فلقد وصلت هذه القوات الى أسوأ حالاتها أو الى ذروة السوء .. وعندما وصلت الى هذا الحد من السوء طلب الرئيس جمال عبد الناصر حشدها لتدخل الحرب مع اسرائيل بقيادة المشير المجدع والثعبان شمس بدران .. وكلاهما لا يصلحان لقيادة معركة[1] .

* * *

كانت القوات المصرية ، بما فى ذلك الدبابات والتى نقلت من غرب القاهرة الى سيناء ، كانت تسير مخترقة شوارع القاهرة - غير محمولة - وسط طبول الحرب التى أطلقتها اجهزة الاعلام .. فلقد صاحب الحشد العسكرى تعبئة اعلامية لم تحدث من قبل ، سواء من الاذاعات المصرية أو التليفزيون أو الصحافة .. ولم يحدث فى تاريخ الحروب الحديثة أن ذهبت القوات الى ميدان القتال بهذا الصخب الاعلامى ، والسماح بتصويرها ، بل ونقلها الى كل أنحاء الدنيا[2] .

* * *

ثم جاء استدعاء الاحتياطى .. وكان هذا مهزلة أخرى .. فلقد تم جمع الاحتياطى فى المدارس .. ثم أرسالهم الى سيناء بالجلاليب ، دون أن يعلم أحد منهم ماذا سوف يفعل فى سيناء ، حتى أن الكثير سقط فى الأسر وهم يرتدون « الجلاليب » .. دون أن يمسكوا بندقية قبل الحرب أو خلالها ، وبالتالى لم يطلقوا طلقة واحدة ..

لم تكن جنود الجلاليب هم مأساة الحشد الوحيدة .. بل كانت مأساة فى سلسلة متصلة من المآسى التى لم تمر على كل تاريخنا ، حتى فى زمن الحرب بالقوس والسيف ..

---

(١) انظر مشهد من غرفة العمليات

(٢) انظر الملحق المصور اى آخر الكتاب

هرولة داخل سيناء .. بلا خطة ولا هدف ..

قال المشير عامر أنه يستطيع أن يحشد أثنين مليون « مقاتل » .. فأصدر تعليماته بحشد « أكبر » عدد ممكن من جنود الاحتياط ، حتى بلغ عددهم يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ عشرة آلاف ضابط و ١٣٠ ألف جندى من هؤلاء ٨٠ ألف احتياطى ، لم يمسكوا بندقية منذ عام ١٩٥٦ ، كما لم يتدربوا على القتال ، بل لم يتم أستدعاء أحدهم من قبل ..

• سأروى هنا قصة طريفة مضحكة حتى البكاء ..

لقد التقيت بأحد الجنود الذين تمكنوا من عبور قناة السويس فور قرار الانسحاب ، وكان يرتدى الحذاء العسكرى ، ثم البنطلون العسكرى ، وفوق كل هذا جلباب ، وعلى الجلباب الجاكت العسكرى ، ولا يحمل معه سلاح .. وعندما شاهد دهشتى .. قال :

- لقد جئت بالجلباب من باب الاحتياط .. حتى اذا صدر قرار الانسحاب - كما حدث عام ١٩٥٦ - خلعت ملابسى العسكرية وارتديت ملابسى المدنية حتى يتركنى الاسرائيليون أرحل الى قريتى ..

- والسلاح ، هل تركته ؟

- لم أتسلم سلاحا .

- أين كنت ؟

- لا أدرى ..

- ماذا كان يجب أن تفعل ؟

- لا أدرى ..

- وماهى التعليمات التى أصدرها لك قائدك ؟

- لا شيء ..

- الم تطالبون بالسلاح ؟

- القائد نفسه لم يكن معه سلاح .. القائد نفسه كان كل ما يشغله تدبير الغذاء لنا والماء لنا ، وكان يضحك معنا ، ويقول أنه لو دخل بنا معركة ضد أرانب الصحراء ، فسوف تنتصر علينا الأرانب ..

• • •

كان هتلر يقول أن الجندى غير المدرب فى حاجة الى أربعة جنود مدربين لحمايته ، فما بالكم وأن سبعين فى المائة من القوات المحتشدة غير مدربة .. ثم زيادة على كل هذا فأنها تتوقع الفرار كما حدث لها عام ١٩٥٦ ، ثم زيادة على كل ما سبق أنها لم تكن تملك السلاح الذى تدافع به عن نفسها فى كثير من المواقع ..

آه .. جهل وصل الى حد الخيانة ..

آه .. جهل أذل مصر فى شرفها العسكرى ..

آه .. جهل دفع بنا للوراء سنوات طويلة ..

آه ياوطنى من شلة الأنس والجهل ، التى تحكمت فى بلدى سنوات طويلة .. ورحلت بعد أن جاءوا لنا بالتتار الجدد شرق القناة .

* * *

جندى آخر .. كتبت له النجاة .. واستطاع أن يعبر قناة السويس .

- اين كنت ؟

- فى موقع بالقطاع الأوسط ..

- هل كنت بالموقع .. منذ فترة ؟

- منذ ساعات فقط .

- كيف ؟

- كنت فى اليمن .. وجاءت الأوامر بنقلنا الى سيناء لمحاربة اليهود .. كنا سعداء .. وركبنا البواخر .. وكنت من الأفواج الأولى التى أبحرت من ميناء الحديدة .. ووصلنا ميناء الطور .. وأخذونا ـ بعد رحلة عذاب الى موقعنا .. تعطلت بنا السيارات .. هبت علينا العواصف الترابية .. لم يكن لدينا ماء .. كما لم يكن لدينا غذاء .. كما لم يكن لدينا خيام نبيت فيها ..

- والسلاح ؟

- كان معنا سلاح خفيف .. حملناه معنا من اليمن .

- ثم ماذا ؟

- انتظرنا الأسلحة .. والخطة .. وقبل أن تصل الأسلحة .. أو نعرف ماذا سنفعل .. جاءت الينا الطائرات الاسرائيلية .. وحصدت منا الكثير ..

- ومتى جاءت ؟
- فى الثالثة من يوم الخامس من يونيو ..
- ومتى عرفتم بالحرب ؟
- من الراديو .
- وأجهزة الاتصال ؟
- كانت فى الطريق الينا .. كما أخبرنا القائد .
- متى بدأ الانسحاب ؟
- فور اغارة الطائرات الاسرائيلية على الموقع ..
- من أصدر لكم أوامر الانسحاب ؟
- القائد .. طلب منا أن نعود الى القناة .. وركب السيارة الوحيدة واتجه الى القناة .. ومعه بعض الضباط ..
- وكيف عدتم ؟
- سيرا على الأقدام ..
- ومن استشهد ؟
- الكثير ياسيدى .
- وكيف ؟
- بعضنا من شدة العطش .. رفعنا « الفانلات » ، لكى تهبط الطائرات وتعطينا نقط ماء .. أو تأخذنا أسرى بدلاً من الموت عطشا فى الصحراء ، ولكن كانت الطائرات تكاد تلامس الارض .. ونتصور أنها ستقف .. ولكن خرجوا علينا وقتلونا جميعا بمدافع رشاشة من طائراتهم .. وقد نجونا لكثافة غبار الرمال الذى أحدثته الطائرة عند اقترابها من الأرض ..

وساد صمت رهيب ..

وأغرورقت عينا الجندى بالدموع ..

ثم سألنى سؤالا غريبا ..

- هل يمكن أن تغير الطائرات الاسرائيلية على السفن القادمة من اليمن ؟
- أرجو ألا يحدث .

- ان بها أعز الاصدقاء .. وأعز الرفاق .. ولن يتمكنوا من صد الطائرات الاسرائيلية المغيرة .. لانهم قادمون فى سفن مدنية ..

أرجو ألا يحدث ..

* * *

كانت هذه اللقاءات فى الاسماعيلية ، أبتداء من يوم السادس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وقد علمت فيما بعد أن القوات العائدة من اليمن ، نزلت فى ميناء جنوب سفاجا اسمه أم الغصون ، حتى تكون بعيدة عن الطائرات الاسرائيلية ..

* * *

أمامى وثيقة صادرة عن هيئة التنظيم والادارة بالقوات المسلحة عن فوضى الحشد فى الخامس من يونيو ، تقول الوثيقة الخطيرة :

« أعلنت حالة الطوارىء فى القوات المسلحة الساعة ١١٠٠ يوم ١٤ من مايو ١٩٦٧ كنص تعليمات العمليات الحربية رقم ٦٧/١ لنقل القوات المسلحة من حالة الاستعداد الدائم الى حالة الاستعداد الكامل للقتال طبقا للخطة المقررة بتوجيهات التنظيم رقم (١) بحيث تتخذ كافة القوات حالة الاستعداد الكامل للقتال الساعة ١٤٠٠ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ .

ثم صدرت توجيهات وقرارات القيادة العليا للقوات المسلحة الساعة ١٢٠٠ يوم ١٤ مايو لتعبئة القوات المسلحة المقرر حشدها فى جبهة سيناء طبقا للخطة « قاهر » ، وما أسفرت عنه دراسة أعادة التوازن فى تنظيم القوات المسلحة التى تمت فى خريف عام ١٩٦٦ ، على أن تتم التعبئة فى بحر ٤٨ ساعة الى ٧٢ ساعة مع تخطيطها بما لايؤثر على كفاءة واستمرار الانتاج بالقطاع المدنى بدرجة كبيرة تحقيقا لسياسة النفس الطويل (أنظر الملحق أ) ..

وبدأت هيئة التنظيم والادارة فى اصدار تعليمات تعبئة القوات المسلحة اعتبارا من الساعة ١٢٣٠ يوم ١٤ مايو لتنفيذ خطة التعبئة المعتمدة فى يناير

١٩٦٥ وبما يتلائم مع توجيهات اعادة توازن القوات المسلحة ، هادفة الى الوصول بالوحدات والعناصر المختلفة والعناصر المختلفة الى مرتبات الحرب علاوة على انشاء وحدات جديدة سبق التخطيط لها بحيث تتم كل هذه الاجراءات قبل نهاية يوم ١٧ مايو ١٩٦٧ .. للوصول الى الحجم الاجمالى المقرر للقوات البرية ، وكذا استكمال الحجم المقرر للقوات البحرية باستدعاء ٦٣٠ رتب أخرى لها والقوات الجوية باستدعاء ٢٦٣٦ رتب أخرى لها (أنظر الملحق ب) .

ووضعت هيئة التنظيم والادارة جدول أسبقية باحتياجات التعبئة .. وبدأت فى اصدار اوامر الاستدعاء والتشكيل والانشاء لتنفيذ الخطة الموضوعة واعتمد على التنفيذ على ثمانية مراكز لتعبئة افراد الاحتياط ، ضئيلة الامكانيات والقدرات التخطيطية والتنفيذية والمتابعة .

* وتمضى الوثيقة .. وتقول :

- واعتبارا من يوم ١٧ مايو بدأت هيئة التنظيم والادارة تتلقى توجيهات من القيادة العليا للقوات المسلحة بتعبئة وانشاء وحدات وعناصر جديدة لم يسبق التخطيط لها فى خطة التعبئة المعتمدة ولا تتمشى مع الشكل العام المتفق عليه مسبقا بين الأجهزة المعنية خلال دراسة اعادة توازن القوات المسلحة التى استمرت مدة أربعة أشهر فى خريف ١٩٦٦ .. وترتب على ذلك أن تم تعبئة الكثير من الوحدات والعناصر الجديدة تماما فيما بين ١٧ مايو - ٥ يونيه وتطلب ذلك وضع تنظيمات مبتكرة وجداول مرتبات مؤقتة لتعبئة هذه الوحدات .

وبينما كانت التعديلات والاستحداثات تتزايد على جهاز التعبئة .. وتخرج بتخطيطها المسبق عما رسمته خطة التعبئة ودراسات اعادة توازن القوات المسلحة ، كان من الواضح أمام هيئة التنظيم والادارة ، بل وأمام هيئات القوات المسلحة أن بعض الوحدات والعناصر المطلوب تعبئتها خارج الخطة المعتمدة ليست وليدة دراسة تعبوية أو تكتيكية قامت بها أجهزة العمليات لسد نقص ميدانى فى المسرح أو لاداء مهمة قتال تطلبتها الخطة الدفاعية المعتمدة « قاهر » كما لم تكن أيضا نتيجة دراسة تخصصية من

أجهزة التنظيم والادارة أظهرت طاقات وقدرات معطلة فى امكانيات قوات الاحتياط ، تدعو المصلحة العامة الى المبادرة بالاستفادة منها بتعبئتها واعدادها لما هو غير متوقع .. ويفصح عن ذلك بوضوح أن الأطار العام للخطة التعبوية لتخطيط وادارة اعمال القتال فى جبهة سيناء ظل مغلفا بالغموض حتى بدأت الحرب ، وتأرجح بين شكل الدفاع ، والدفاع مع شن عمليات تعرضية ذات مهام محدودة ، والدفاع للتحول للهجوم العام بسرعة الى قلب أرض العدو ..

* وتتحدث الوثيقة الهامة عن المشاكل التى واجهت أجهزة التعبئة :

ـ وتضاعف العبء الملقى على عاتق أجهزة التعبئة والاستدعاء نتيجة للمؤثرات التالية :

١ ـ الاحتفاظ بالقوات النظامية اعتبارا من أول مايو ١٩٦٧ فى مستوى مرتبات السلم المخفض وذلك بتسريح دفعة أحتياط من الوحدات قبل موعدها بشهرين مع تأخير استعواضها بالمستجدين لمدة ثلاثة أشهر بهدف ضغط المصروفات فى الباب الأول من ميزانية القوات المسلحة ، ولقد ترتب على هذا الضغط للاقتصاد أن فوجئت القوات المسلحة بالازمة السياسية فى ١٤ مايو وهى تعانى نقصا فى مرتباتها ، بلغ أجماليه ٣٧٪ ، ٣٠٪ من الرتب الأخرى ، وتفاقم النقص فى القوات الميدانية فبلغ ٤٠٪ نقصا فى الضباط ، ٤٤٪ نقصا فى الرتب الأخرى عن المرتبات الموضوعة . وكان هذا هو الوضع فى القوات المسلحة العاملة قبل بدء القتال بستة وثلاثين يوما فقط .

٢ ـ الغاء أساسات الاسلحة البرية والقاء عبء التدريب وتبعئة الاحتياط على الوحدات والتشكيلات الميدانية مع مطلع عام ١٩٦٧ ، فلما أن بدأت القوات البرية عصر ١٤ مايو فى تنفيذ عملية الحشد والفتح التعبوى فى جبهة سيناء .. وتحركت تبعا لذلك أغلب هذه التشكيلات والوحدات الى أماكنها بالمسرح ،.. خلفت وراءها فراغا كان من المتعذر ملؤه بما يضمن استمرار عملية التعبئة والانشاء بسلاسة وانسياب حسبما كانت تهدف خطة التعبئة نفسها ..

٣ ـ تراخى الادارات والتشكيلات عن تقديم مطالبها مبكرا لاستكمال

مرتباتها بمجرد اعلان التعبئة ، وتأخرها فى تنفيذ ذلك حتى أعلنت حالة الطوارىء فى القوات المسلحة ، فترتب على ذلك حدوث الخلل والثغرات الواسعة عند تنفيذ الاستدعاء لتكملة المرتبات للوحدات العاملة والنظامية والوصول بها الى مرتبات الحرب ..

٤ ـ مداومة الالغاء والتعديل فى توجيهات القيادة العليا الى هيئة التنظيم والادارة فيما يتعلق بالتعبئة .. بل وصدور بعض التوجيهات بتعبئة أجزاء (نسب) من وحدات وعناصر لا تتضمنها خطة التعبئة المعتمدة مسبقا بدلا من تعبئتها بالكامل ، ولقد أدى ذلك مع ما كانت عليه أجهزة تسجيل وتصنيف أفراد الاحتياط من ضعف وقلة تنظيم الى الشك فى أن هذا الجزء أو ذلك من الوحدة الجديدة المطلوب انشاؤها وتعبئتها يحوى من الافراد من هم فعلا مؤهلين لشغل الوظائف المطلوبة ، ونتج عن ذلك أن شغل الكثير من أفراد الاحتياط وظائف لا تتوفر لهم المعلومات الاساسية عنها .

٥ ـ قلة الأسلحة والمعدات والحملة الميكانيكية الموجودة بمستودعات القوات المسلحة لتعبئة واستكمال القوات ، الأمر الذى وقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق المستوى المطلوب من الاستكمال لهذه القوات قبل الزج بها فى مسرح العمليات ، ولقد بلغ قدر هذا النقص بوجه عام صبيحة يوم المعركة فى ٥ يونيه ١٩٦٧ النسب العامة التالية :

فى الاسلحة الصغيرة ٣٠,٥٪ نقصا عن المرتب المقرر ..
فى قطع المدفعية والقوانف ٢٤٪ نقصا عن المرتب المقرر ..
فى دبابات التعاون الوثيق ٤٥٪ نقصا عن المرتب المقرر ..
فى الحملة الميكانيكية من ٤١ ـ ٧٠٪ نقصا عن المرتب المقرر ..

• ثم تتحدث الوثيقة عن أن التعبئة جاءت كشكل مظهرى بحيث يتم تعبئة أكبر عدد ممكن حتى لو كانوا بلا فائدة تذكر .. تقول الوثيقة :

وفيما بين ١٥ مايو و ٥ يونيو ١٩٦٧ كان قد تم صدور أوامر استدعاء وتعبئة وانشاء بلغ عددها ٢٠١ منها ٨٢ أمرا تتضمنها خطة تعبئة القوات المسلحة الموضوعة مسبقا و ١١٩ امرا بانشاء جديد لم يسبق وضع خطة تعبئة له ولم يرد له ذكر بالشكل العام للقوات المسلحة أو فى دراسة اعادة

التوازن السابق الاتفاق عليه ..

ولم تكن هناك خطة تعبئة موضوعة لعام ١٩٦٧ .. فلما أعلنت الطوارىء وتطلب الأمر استدعاء حوالى ١٢٠,٠٠٠ فرد أحتياط ، بدأت التعبئة باستدعاء الاحتياط طبقا للخطط السابقة ، وترتب على عدم انطباق سجلات هذه الخطط القديمة على الواقع وقتئذ أن كانت نسبة الاستجابة ضئيلة ، مما دعا اجهزة التعبئة الى رفع نسبة الاستدعاء الى ١٥٠٪ للتغلب على النقص المنتظر ورغم كل ذلك فقد بلغ الرقم الاجمالى للاستجابة حوالى ٨٢,٠٠٠ فرد ، وتخلف عن الحضور ٣٨,٠٠٠ فرد أى نسبة ٣٢٪ من الاستدعاء الأول ..

والى أن بدأت الحرب كان حجم الاستدعاء والتعبئة والانشاء قد وصل بقوات الاحتياط التى دفعت بمجرد تعبئتها الى المسرح بما يزيد على نصف اجمالى الأفراد بمسرح سيناء ، اذ بلغ عدد أفراد الاحتياط ١٣٠٩ ضابط ، ٨٠٦٥٠ رتب أخرى من جملة ١٣٠,٠٠٠ فرد تم حشدهم بالمسرح ..

• • •

• وتمضى الوثيقة فى الحديث عن أمر خطير ، وهو تجنيد الاحتياطى دون الاستفادة بقدراته التى اكتسبها فى القوات أثناء خدمته فتقول :

وقع عبء هذا المجهود الكبير لتعبئة قوات الاحتياط ، واقتصر الأمر فى هذا الشأن - وتحت دواعى ضغط المصروفات والاقتصاد - على عقد مشروع استدعاء وحدة احتياطية واحدة عام ١٩٦٥ بغرض اختبار درجة استجابة الأفراد إلى أمر الاستدعاء فحسب ، ولم يكن هناك أى تخطيط واقعى لمداومة تدريب قوات الاحتياط تدريبا انفراديا ومشتركا وعقد المناورات لها بما يضمن وصولها إلى درجة الكفاءة القتالية المناسبة عندما تفرض ظروف الحرب عليها فى الميدان ، كما انعدمت أيضا أجهزة التقييم والاختبار للوقوف على حقيقة المستوى القتالى والتكتيكى والفنى والادارى والمعنوى لقوات الاحتياط ..

وكان التوصيف الوظيفى المبين فى بطاقة بيان خدمة الاحتياط يبين

المهنة بشكل عام بينما هذه المهنة تصنف ذاتيا إلى مهارات تخصصية مختلفة ، وينشأ عن هذا أن يخصص لوحدات مدرعة وظائف مهنية كانت أصلح مثلا للمدفعية أو للمشاة وعلى سبيل المثال بالبطاقة تبين أن الفرد سائق عجل بينما التصنيف التخصصى لهذه الوظيفة يمكن أن يكون سائق حاملة مدرعة أو سائق جرار أو سائق فنطاس وقود أو سائق عربة خفيفة أو سائق ناقلة دبابات وكل من هذه الأنواع يكاد أن يختلف تماما فى المهارات والقدرات المطلوبة من سائق إلى آخر سواء فنيا أم تكتيكيا ..

ونأخذ قافزا المظلة مثالا آخر ، فهو مسجل فى بيان خدمة الاحتياط على أنه (فرد قافز) .. والحقيقة أنه قافز من طائرة اليوشن ٢٨ ، والتعبئة تطلب قافزاً من طائرة أنتينوف ولا يصلح قافز اليوشن للأنتينوف إلا بعد تدريب تخصصى طويل .. والمثال الثالث : المدفعى المضاد للطائرات فالبطاقة تسجل أن الفرد الاحتياط مدفعى م / ط ، وذلك دون النظر إلى الاختلاف الكبير بين عمله على الرشاش ١٢,٧ مم ، أو ١٤,٥ الفردى أو الثنائى أو الرباعى أو المدفع ٣٧ مم .. أو المدفع ٣٧ مم ، ٨٥ مم ، ١٠٠ مم فكلها أمام بطاقة بيان خدمة الاحتياط مهنة واحدة ..

هذا فضلا عن التخصص داخل طاقم المدفع الواحد .. وبلغ أمر عدم دقة بطاقات بيان خدمة الاحتياط وسجلاتها المنتشرة بين ادارة السجلات وادارة التجنيد ومكاتب التعبئة بأقسام ومراكز الشرطة ، ومراكز التعبئة بالمحافظات أنه عندما حاولت ادارة السجلات العسكرية مراجعة أسماء أفراد الاحتياط الذين استدعوا للخدمة بكل وحدة احتياطية على كشف أسماء الذين سرحوا منها بعد الغاء التعبئة فى شهر يوليو ١٩٦٧ ، ظهر أن هذه الأسماء لا تنطبق مع بعضها البعض ، وظهر على سبيل التحديد من مراجعة سجلات اللواء ١٢١ المشاة الاحتياط تحت حرف (الفاء) أنه من جملة ٦٩ اسما فى كشف الاستدعاء لم ينطبق منها سوى خمسة أسماء فى كشف الغاء التعبئة .. أما الباقين والبالغ عددهم ٦٤ فقد توزعوا على وحدات أخرى خلاف اللواء ١٢١ المشاة الاحتياط ..

وبلغ الأمر بهذه القوات درجة الخطر عندما دفع البعض منها بمجرد

انتهاء المهلة البسيطة التى أتيحت لها للتعبئة على الخطوط والمناطق الأمامية من الجبهة وهى تعانى نقصا واضحا فى الأفراد والمعدات والأسلحة والحملة بلغ قدره فى اللواء ٢٧ حرس وطنى مثلا ٥٠٪ عجزا فى الأسلحة الصغيرة (البنادق) وهو اللواء الذى تعرض للضربة الرئيسية المعادية صباح يوم ٥ يونية فى المنطقة شمال رفح ، كما بلغ أمره فى اللواء ١٢٥ مشاة الاحتياط ٨٠٪ عجزا فى الحملة الميكانيكية ، ٩٧,٥٪ عجزا فى قطع المدفعية بل وتواجد منه فى الميدان زهاء ٢٠٠ فرد كانوا يرتدون الملابس المدنية التى حضروا بها إلى مراكز التعبئة عند الاستدعاء وهذا هو اللواء الذى وقعت عليه مهمة انشاء ستارة مضادة للدبابات فى قلب سيناء لتدمير أكبر قوة من دبابات العدو وخلف الظروف المواتية لدفع الفرقة ٤ المدرعة للاشتباك لهزيمة العدو ومدرعاته ..

• وتتحدث الوثيقة عن دفع الاحتياط إلى ميدان القتال بلا سلاح وأحيانا بالجلاليب .. فتقول :

ـ وكان الاستدعاء للتعبئة يتم بأن ترسل ادارة السجلات العسكرية كشوفات المطلوب استدعاؤهم إلى ادارة التجنيد التى ترسلها بدورها إلى مكاتب التعبئة بأقسام ومراكز الشرطة التى توفد مندوبيها للمرور على محال اقامة الأفراد لاستدعائهم .. ثم يتوجهون إلى مراكز التعبئة القريبة فى المنطقة التى ترحلهم إلى مكان تشكيل الوحدة المحدد ، وهنا فقط تبدأ عملية تشكيل واعداد الوحدة الاحتياط بصرف الملبوسات والمهمات والأسلحة والمعدات من المستودعات الرئيسية إذ لا توجد مستودعات فرعية للتعبئة ، ونتيجة للضغط الكبير الذى يقع على هذه المستودعات الرئيسية فى فترة التعبئة المزدحمة بالعمل ، حدث أن تركت الوحدة نصيبها من الأسلحة والذخائر على أمل أن يدفع إليها بالميدان ثم حال الضغط والنقص فى وسائل النقل والمواصلات دون تنفيذ ذلك ..

وكانت الأجهزة المعنية بهيئة التنظيم والادارة تشعر بهذه القيود والنقائص الكبيرة فى قدرات الاحتياط ، ودأبت على النصح فى أوامر الانشاء التى أصدرتها بتذييلها بما يشير إلى ضرورة التأكد من حقيقة مستوى

استكمال التدريب والكفاءة القتالية للوحدة الصادر بشأنها أمر التعبئة قبل الزج بها في المسرح ، كما عانت قيادة الجيش الميداني من هذه الوحدات أثر وصولها إلى المسرح ، وعندما أيقنت من انخفاض كفاءتها التكتيكية والفنية والادارية لنقص الموجود بها من الأسلحة والمعدات والحملة عن المرتب المقرر ولضعف مستوى التدريب والمهارة الميدانية بها بدأت في اخراجها من المسرح - لاعادة تنظيمها وتدريبها ..

وهكذا ومع فجر يوم ٥ يونيه كانت قوات الاحتياط الكثيرة التي دفعت إلى المسرح قد تسلح البعض منها بأسلحة شرقية والآخر بأسلحة غربية .. والكل مازال ينتظر نصيبه من الأسلحة التي تحملها السفن إلى موانيء الجمهورية لاستكمال مرتباتها المقررة ..

• • •

وتنتهي الوثيقة العسكرية المؤلمة إلى أن خلاصة الأمر أن العوامل المعرقلة اجتمعت كلها لتسبب فشل نظام واجراءات التعبئة التي دارت على مدى نيف وثلاثة أسابيع كاملة فيما بين ١٥ مايو ، ٥ يونية ١٩٦٧ وكانت نتائجها لا تبرر الجهود العريضة التي بذلت لتنفيذها .. ويمكن أن يقال دون مبالغة أنه كان من الأفضل الاقتصار خلال هذه المدة على استكمال القوات العاملة النظامية للوصول إلى مرتبات الحرب المقررة لها مع تعبئة تلك القوات المنصوص عنها في خطة تعبئة القوات المسلحة الموضوعة في يناير ١٩٦٥ ، مع فتح أغلبها في مناطق خلفية واتجاهات ثانوية وعدم الزج بها إلى مناطق ذات أهمية حيوية بالمسرح ، يتوقف على التشبث بها الاتزان التعبوي العام بالمسرح ..

وكانت الغاية من تعبئة القوات المسلحة طبقا لتعليمات العملية الحربية رقم (١) للفتح التنظيمي وشكل القوات المسلحة للمعركة هي زيادة حجم القوات البرية والقوات الجوية بانشاء وحدات جديدة تدخل ضمن خطة التعبئة الصادرة في يناير ١٩٦٥ ، وكذا انشاء وحدات أخرى لا تدخل ضمن الخطة ..

• • •

أنتهت الوثيقة .. فماذا تعنى ؟

أولا : هرولة الحشد الأكبر من عدد من الأفراد ممكن أن يخيف اسرائيل فحسب ، ولكن بلا أى فاعلية قتالية ..

ثانيا : عدم وجود سلاح حتى لهؤلاء الذين دخلوا المعركة بلا تدريب .

ثالثا : فوضى فى اسناد المهام التى يمكن أن يقوم بها المقاتل فذهب رجل المدفعية إلى مهام مشاة ، وذهب رجل المشاة إلى دفاع جوى ، مما أفقد الذين يمكنهم القتال فاعلية القتال ..

مأساة كاملة ..

* * *

وهناك معنى خطير جدا لهذه الوثيقة ..

معنى أن الاحتياطى لن يحارب ..

ومعنى ذلك أن المقاتلين يشكلون ما مجموعه ٣٠ ألف مقاتل فقط ، بل أن الاحتياطى يعطل القوة المقاتلة ، فإذا أضفنا إلى ذلك النقص الشديد فى السلاح والذخيرة ، وعدم وضوح الرؤية عن الأهداف القتالية ، علمنا أن الهزيمة قد بدأت قبل اطلاق اسرائيل رصاصاتها الأولى ..

* * *

حشد هائل بلا طائل ينذر بالهزيمة حتى قبل نشوب الحرب ..

فإذا أضفنا إلى ذلك ارتباك القيادة العسكرية فى غرفة العمليات واصدارها أوامر غير واضحة الأهداف ، غير محددة المعالم ، والغاء خطط واستحداث خطط جديدة ، علمنا لماذا كانت الهزيمة بكل هذا الحجم . هناك آلاف الأمثلة على ذلك ، ولكن هناك مثال واضح ، من وثيقة عسكرية ، يعكس لنا بوضوح حجم المأساة لقادة القوات المسلحة للهزيمة ، تقول الوثيقة :

ظهر لقائد الجيش الميدانى أن استمرار التغيير والتبديل فى المهمة

التعبوية للجيش فى سيناء قد تسبب عنه غموض المهام مما دعاه إلى ايفاد مدير عمليات الجيش للحصول على اجابات من رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة على الأسئلة المحددة الآتية :

- ما هى المهمة العامة للجيش الميدانى بالتحديد ، وما هو التخطيط العام لاستخدام الجيش من وجهة نظر القيادة العليا ؟

- ما هى خطط العمليات التعرضية ومدتها ، وأين تقع الضربات الرئيسية والضربات الثانوية ، وما هى المهام المباشرة والمهام التالية لها ؟

- ما هى مهمة الفرقة (٤) المدرعة ، وما هو خط الدفاع للاشتباك بها ؟

- ما هى أوضاع وتجميع قوات العدو وما هى احتمالات نواياه ؟

- ما هى مقارنة القوات العامة وعلى كل محور فى اتجاه كل ضربة فى نظر القيادة العليا ؟

وقد عاد مدير عمليات الجيش دون تلقى اجابة شافية على هذه الأسئلة المحددة ..

• • •

ولا بد هنا من قراءة وثيقة عسكرية أخرى خطيرة ، هذه الوثيقة عبارة عن تقرير من قائد المنطقة العسكرية الشرقية ، يتحدث فيها عن حالة القوات ، وامكانية تنفيذ العملية الدفاعية « قاهر » ، وانتهى التقرير بالاحتياجات اللازمة لوضع القوات فى حالة دفاع تنفيذا للعملية قاهر والوقت اللازم لذلك ... وتنتهى الوثيقة بالوقت اللازم الذى يجب أن يستغرقه تجهيز دفاعات العملية الدفاعية قاهر :

• دفاعات النطاق الدفاعى الأول :

١ ـ تجهيز نطاق الأمن بجزء من قوات هذا النطاق ويستغرق ستة أشهر ..

٢ ـ تجهيز دفاعات التمد ويستغرق ثلاثة أشهر ..

٣ ـ تجهيز دفاعات القصيمة ويستغرق خمسة أشهر ..

٤ ـ تجهيز دفاعات أم قطف ويستغرق شهرين ..
٥ ـ تجهيز دفاعات العريش (وموقع كتيبة الحرس الوطنى فى الريسة) ويستغرق ثلاثة أشهر ..

• **دفاعات النطاق الدفاعى الثانى :**

ويستغرق تجهيز واقامة الدشم الخرسانية فيه مدة أربعة أشهر ثم تستكمل ٦٠٪ من الأسبقية الأولى للأعمال الهندسية الميدانية خلال المرحلة التحضيرية أى فى مدة الأربعة أيام السابقة على بدء هجوم العدو ..

• **أماكن تمركز الاحتياطات التعبوية :**

ويتم تجهيز ٦٠٪ من الأعمال الهندسية للأسبقية الأولى فيه خلال المرحلة التحضيرية ولمدة الأربعة أيام السابقة على بدء هجوم العدو ، بواسطة أفراد هذه الاحتياطات فقط ..

• **دفاعات النطاق الدفاعى المتوسط :**

ويقوم ٨٠٠٠ فرد من احتياطات المنطقة واحتياطى عام القيادة العليا بتجهيز الأعمال الهندسية الميدانية فيه خلال الأربعة أيام السابقة على بدء هجوم العدو ، وأثناء معركة النطاق الأول أيضا ..

وتمضى الوثيقة السابقة ، تتحدث عن الاحتياجات والوقت ، وترسل إلى القائد العام أو نائب القائد الأعلى ، ولكن لا يلتفت لها ..

* * *

كانت طريقة الحشد المصرى ـ كما ذكرت ـ أول فصول مهرجان الهزيمة ، وتبع ذلك ـ أيضا ـ عدة قرارات تعتبر الفصل الثانى فى هذا المهرجان الردىء ، منها تعيين القيادات الجديدة .. وتغيير قيادات ، وتغيير مواقع .. ومن أبشع الأمثلة على ذلك ، تعيين قيادة للجبهة (أطلق عليه اسم القيادة الأمامية للجبهة) ، تصدر الأوامر إلى كل القطاعات والتشكيلات فى سيناء ، وتم اختيار لهذه القيادة عناصر من أكفأ العناصر العسكرية المصرية ، والمفروض أنها تتلقى الأوامر من القيادة العليا وتحولها إلى أوامر لكل التشكيلات ، وأخذت هذه القيادة أهبتها واستعدت للعمل .

ولكن .. القيادة العليا .. الممثلة فى المشير عبد الحكيم عامر وصديقه شمس بدران ، كانت تصدر الأوامر للتشكيلات مباشرة ، وكانت التشكيلات - تبعا لذلك - ترسل تقاريرها إلى القيادة مباشرة ، فماذا تفعل هذه القيادة ؟

بدأت ترسل اشارات انشائية بلا مضمون ، تحث الجيش على القتال وانتهت الحرب ولم تصدر هذه القيادة أمرا واحدا ذا قيمة ..

• • •

• وأكثر من هذا يا سادة ..

أصدقاء المشير .. الذين تركوا الجيش .. وعاشوا فى الحياة المدنية .. أخذهم الحماس الذى كان يقوم به أحمد سعيد وجلال معوض من خلال ميكروفون الاذاعة ، وذهبوا للمشير للمشاركة فى الحرب ..

عرض .. حماس ..

هذه العروض .. تحولت إلى واقع .. فتم اسناد قيادة بعض التشكيلات الميدانية لهؤلاء المدنيين ، إلى درجة أن بعضهم لم يرتد الرداء العسكرى منذ عشر سنوات ، ولم يعد له علاقة بالعسكرية على الاطلاق ، ويضرب الفريق صلاح الدين الحديدى مثالا على ذلك ، أنه تم تعيين ضابط كبير ، كان يعمل فى العاصمة فى ألمانيا الغربية ، وفى عمل متصل باحتياجات القوات المسلحة من أوروبا قائدا لتشكيل سيناء بعد أن ساقته الظروف إلى زيارة خاصة مفاجئة للقاهرة ، لم يقض فيها إلا بضعة أيام ، ولكنها كانت كافية لتقع عليه عيون المسئولين ، فيوضع فى هذا الاختبار الصعب ، ومن سوء الطالع أن يطالب هذا الزائر بتعيين صديق له ليعمل رئيسا لأركان تشكيله وكان هذا يشغل وظيفة تعليمية كبيرة بالقاهرة ، فأجيب إلى طلبه ، فيصبح على رأس التشكيل قائد ورئيس أركان لا تربطهما به سابق معرفة وقرار آخر مشابه تضمن نقل قائد فرقة ليتولى قيادة فرقة أخرى قبل الاشتباكات بأيام معدودة فلا هو استطاع أن يتفهم خصائص الذين يشتركون معه فى المباراة المرتقبة ، ولا استطاعت فرقته القديمة أن تتعرف على طباع قائدها الجديد ..

هذا هو الحال للقوات المسلحة المصرية صباح يوم الخامس من يونيو والذى قال عنه موشى ديان أننى لو أردت القيام بعملية انتشار للقوات المسلحة المصرية فى سيناء لكى يهزمها بسهولة جيش الدفاع الاسرائيلى ، لما استطعت التوصل إلى خطة انتشار كتلك التى كانت عليها القوات المصرية المسلحة فى سيناء يوم الحرب ..

ومعنى هذا .. فإن الحشد .. بهذا الشكل كان هزيمة محققة لقواتنا قبل اطلاق رصاصة واحدة من العدو ..

ومعنى هذا .. أن الأوامر التى أصدرتها القيادة العسكرية المصرية وحدها تؤدى إلى الهزيمة .. وكان انتقال القوات المسلحة من موقع إلى آخر ومن هدف إلى آخر ، قد أنهك القوات قبل أن تدخل المعركة ..

إن أوامر غرفة العمليات فى القاهرة إلى قيادات التشكيل فى سيناء قد أدت إلى عدم وضوح الهدف الذى من أجله حشدنا هذه الأعداد الضخمة فى سيناء ، وزيادة فى سوء الطالع ، أو قل جهل القادة ، قد أدى كل هذا إلى تزامن غريب ، بين استرخاء القوات المسلحة بعد تنقلات عصبية من موقع إلى آخر ، وبداية الحرب فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ..

• • •

قرار بلا غطاء
وحرب .. لا مفر

بعد قرار حشد القوات ، لم يكن عبد الناصر بعيدا عما حدث فى سيناء .. وكان يعلم جيدا حالة القوات ، ورغم ذلك اتخذ قرارين من أخطر القرارات التى تعجل بالحرب بحيث أن أى شخص لديه المام ولو قليل بالاوضاع في الأرض المحتلة .. يعلم تماما أن مصر قد أعلنت الحرب على اسرائيل ..

كان القرار الأول يوم ١٦ مايو ، أى بعد قرار التعبئة بيومين اثنين ، وهو قرار سحب القوات الدولية من على خطوط الهدنة على الحدود الشرقية ، وهو قرار كان يمكن تأجيله ، حتى يتم الحشد العلمى للقوات وتزويدها بخطة واضحة المعالم ، ومهام محددة ، وقد تقدم بالطلب اللواء محمد فوزى رئيس هيئة العمليات إلى القائد العام للقوات الدولية فى سيناء الجنرال أندرجات ريكى « هندى » ، وقد بعث بالطلب المصرى إلى يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة ، إلا أن رالف بانش السكرتير العام المساعد للمنظمة الدولية ، قد اقترح على يوثانت أن يبلغ عبد الناصر ، إما بقاء القوات الدولية بالكامل فى مواقعها المتفق عليها بعد انسحاب اسرائيل من سيناء عام ١٩٥٦ أوسحبها بالكامل .. ووافق عبد الناصر على الخيار الأخير ..

وبدأت القوات الدولية تنسحب من خطوط الهدنة ، وتتجمع فى مدينة بور سعيد ، وتم سحب كافة القوات حتى مساء ٢١ مايو عام ١٩٦٧ ..

ومعنى ذلك أن القوات المصرية ، أصبحت فى مواجهة القوات الاسرائيلية بحشد مصرى هائل العدد ..

إلا أن المفاجأة حدثت .. وتصورت اسرائيل أن مصر سوف تهجم خلال ساعات عقب ذلك القرار الخاص باغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة البحرية .. وكان عبد الناصر يعلم تمام العلم أن اغلاق خليج العقبة ليس لها غير معنى واحد : الحرب .

• • •

كان أمل اسرائيل ، بعد قيامها (١٥ مايو ١٩٤٨) الوصول إلى البحر الأحمر حتى تستطيع أن تصل إلى كل اسيا وشرق ووسط وجنوب افريقيا عن طريق خليج العقبة ، ولم تكن قواتها قد استطاعت الوصول إلى البحر الاحمر ، ولكنها جمعت قواتها فى ضربة عسكرية واستطاعت احتلال الميناء الفلسطينى أم الرشاش على رأس خليج العقبة ، والمجاور تماما لميناء العقبة الأردنى ، وتم لها ذلك فى ١٠ مارس ١٩٤٩ وحولته إلى ميناء ايلات الحالى ..

إلا أن حكومة الملك فاروق ، جاءت فى أول عام ١٩٥٠ وارسلت قوات إلى رأس نصرانى واعلنت اغلاقها مياه الخليج فى وجه الملاحة البحرية ، واستعدت لضرب أى سفن اسرائيلية تمر من خلال مضيق تيران البحرى ..

وبقرار حكومة مصر فى يناير ١٩٥٠ ، تمكنت من تفريغ احتلال اسرائيل لميناء أم الرشاش من فحواه وفائدته ..

وظلت القوات المصرية الملكية ، تفرض الحصار على ميناء ايلات الاسرائيلى حتى قامت حرب ١٩٥٦ ، واحتلت اسرائيل كل سيناء ، وعندما بدأ تسوية العدوان الثلاثى على مصر ، وانسحاب القوات المعتدية ، أصرت اسرائيل على عدم عدم أرسال قوات مصرية مرة أخرى إلى رأس نصرانى لتغلق مضايق تيران فى وجه الملاحة الاسرائيلية مرة أخرى ، وطالبت بوضع قوات طوارىء دولية مكان القوات المصرية ..

بل أنسحبت اسرائيل من الضفة الشرقية للقناة ووقفت فى وسط سيناء عند خطوط اطلق عليها فى ذلك الوقت « خطوط المساومة » ، وقام جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا باعلان أن مضايق تيران مياه دولية ، وذلك فى ١١ فبراير ١٩٥٧ ، بل أن جولدا مائير وزيرة خارجية اسرائيل فى ذلك الوقت طلبت مذكرة أمريكية بذلك وكان لها ماارادت ..

ووافقت مصر على ذلك ..

واحتلت قوات الطوارىء الدولية شرم الشيخ ، وبدأت السفن الاسرائيلية بكل انواعها تعبر مضيق تيران من وإلى إيلات ، وخلال سنوات قليلة أصبح ميناء إيلات أهم الموانى الاسرائيلية ، وأحيا هذا الميناء الجنوب الاسرائيلى ، وأنعش الاقتصاد ، وزاد حجم التجارة الاسرائيلية مع دول شرق وجنوب افريقيا ، .. وعدد آخر من الدول الأسيوية ..

• • •

قال موشى ديان قائد حرب عام ١٩٥٦ ، لو أن حرب عام ١٩٥٦ ، قد اعطتنا المرور فى خليج العقبة عبر مضايق « إيلات » فان حملة السويس قد حققت اهدافها بالكامل ..

• • •

معنى ذلك أن حملة السويس ، قد حققت أهدافها بالنسبة لاسرائيل عندما حققت حرية المرور فى خليج العقبة ، بل ان جولدا مائير قد أعلنت فى فبراير عام ١٩٥٧ أن اسرائيل لن تسمح للمصريين باغلاق خليج العقبة مرة أخرى فى وجه الملاحة الاسرائيلية ، حتى لو اضطرت إلى خوض غمار حرب جديدة ..

• • •

لقد استطاع النظام أن يخفى مرور السفن الاسرائيلية فى خليج العقبة منذ عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٦٧ ، وذلك عن طريق عزل سيناء بالكامل

عن الوطن الأم ، ومنع الدخول أو الخروج منها إلا بتصاريح وكأنها دولة أخرى .. بالاضافة إلى التعتيم الاعلامى من خلال الرقابة الصارمة على كافة وسائل النشر والاعلام .. لذلك كان اغلاق خليج العقبة مفاجأة تامة لعامة الشعب المصرى ..

• • •

أن اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية وازالة الحاجز الدولى بين القوات على جانبى خط الهدنة يعنى أن الحرب خلال ساعات .. وهذه مسألة لاتحتاج إلى كثير من التفكير ..

• • •



قــادة المأســاة
أو رمــوز الهــزيمــة

سجنوا الشعب وأذلوه ، وعندما أعلنوا الحرب على اسرائيل فى مايو ١٩٦٧ ، وقف الشعب خلفهم ، وتناسى كل آلامه ، وصفق لهم ، وساندهم .. فهم سيأتون للشعب بالنصر ، ولم يكن الشعب الجريح يعلم أنهم عصابة مسلحة أمام شعب أعزل ، ولم يكن يعلم أن الجهل قد نخر فى عظامهم ، ولم يكن يعلم أنهم أسود من الورق ، ولم يكن يعلم أن العار هو انتاجهم ..

فالرئيس جمال عبد الناصر صاحب القرار السياسى الوحيد ، على خلاف مع صاحب القرار العسكرى وهو المشير عبد الحكيم عامر ، والرئيس جمال عبد الناصر لم يكن يعلم مدى خطورة سحب قوات الطوارىء الدولية واغلاق خليج العقبة ، متصورا أنه سيحرز بذلك نصرا سياسيا ، دون وقوع الحرب ..

يعترف هنا محمد حسنين هيكل بمسئولية جمال عبد الناصر عن الهزيمة فيقول :(١)

- ان مسئولية جمال عبد الناصر - فى الدرجة الأولى - تنبع من سببين :

السبب الأول : الخطأ فى حسابات عملية اغلاق خليج العقبة ..

السبب الثانى : الخطأ فى ترك المشير عبد الحكيم عامر يقود المعركة فعلا ، بينما هو - علميا - لايصلح لقيادتها ، لانه تحول فى الحقيقة عند رتبه رائد ، من ضابط إلى سياسى ..

* * *

(١) محمد حسنين هيكل - لمصر لالعبد الناصر ص ٧٤ ..

أذن .. عبد الناصر ارتكب جناية فى حق الشعب عندما أعلن عن أغلاق خليج العقبة ، وهو يعلم أن هذا القرار لن يتمكن صديقه اللدود المشير من تغطيته عسكريا ، فهو - علميا - توقف عند رتبة رائد .. اذن لماذا اتخذ هذه الخطوة ؟ ..

ثم لماذا ترك شرف أمة فى يد صاغ أو رائد كما أطلق عليه هيكل ..

* * *

لقد قرأنا .. وعلمنا أن اغلاق خليج العقبة يعنى الحرب .. فهل عبد الناصر لم يكن يعلم هذه الحقيقة السياسية البسيطة ؟

لقد قرأنا وعلمنا - ربما البعض بعد الهزيمة - أن عبد الحكيم عامر لايستطيع أن يقود طابور كشافة .. فهل عبد الناصر لم يكن يعلم هذه الحقيقة وهو الذى جاء اليه بالفشل فى كل معركة خاضها الرجل .. فاذا كان يعلم فتلك مصيبة .. وبقية المثل معروف[1] ..

هذا هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ، أو صاحب القرار السياسى الوحيد ..

* * *

يأتى بعد ذلك ، القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، والذى سيقود هذه الأمة إلى النصر ، والذى وصفه هيكل مرة بأنه « حمار » أثناء محادثات الوحدة ، ووصف معلوماته العسكرية بأنها قد توقفت عند رتبة « الرائد » ..

كان عبد الناصر يعرف جيدا قدرات المشير عبد الحكيم عامر العسكرية .. فلقد سبق وجربه أكثر من مرة فى أكثر من موقعة تاريخية ، ففى حرب عام ١٩٥٦ ، أنهار المشير ، وفى سوريا قام مدير مكتبه بالانقلاب العسكرى عليه - عبد الكريم النحلاوى - وفى اليمن ، كان سلسلة من الاحباطات للمشير ، وكان يعلم - فى نفس الوقت - أن الرجال الذين يلتفون حوله من

---

(١) راجع ص (   ) من هذا الكتاب .. لماذا اتخذ جمال عبد الناصر كل هذه الاجراءات بدون غطاء عسكرى .

أفسد رجال القوات المسلحة ، وكم من مرة .. حاول جمال عبد الناصر اقصاء هؤلاء الذين حول المشير ولكنه فشل ، وكان عبد الناصر - الديكتاتور القوى - يخشى المشير عبد الحكيم عامر ، فهو لا يملك قوة مسلحة تأتمر بأمره ، ولكن عبد الناصر كان يرى فيه أنه الوحيد الذى لا يمكن أن يتآمر عليه ، صحيح أن معلوماته العسكرية تتوقف عند رتبة الرائد ، ولكنه لن يتآمر ، .. وقد تكون هذه الميزة غير موجودة إلا فى المشير ..

اذن .. عبد الناصر يعرف قدرات المشير العسكرية وترك له قيادة المعركة العسكرية ..

اذن .. القائد السياسى يعرف ، وترك شرف أمة فى يد رجل لايملك قدرات صونها ..

* * *

يأتى بعد ذلك العقيد شمس بدران ، الذى أصبح القائد الثانى للقوات المسلحة المصرية ، والذى قام بتعيين معظم قيادات القوات المسلحة من أصدقائه .. وأصبح الرجل القوى فى كل أفرع القوات المسلحة ، وهو لم يقم بتطوير نفسه عسكريا ..

والغريب فى الأمر ، أن العقيد شمس بدران الذى أصبح وزيرا للحربية .. وقد توقفت معلوماته العسكرية عند رتبة يوزباشى « نقيب » وهى الرتبة التى كان عليها يوم الثورة ، هذا النقيب قد سمح له بأن يعطى درسا لمجلس وزراء مصر .. وبحضور جمال عبد الناصر ، وجلسوا يستمعون إليه فى إصغاء شديد .. والدرس عن المعركة القادمة الفاصلة مع اسرائيل ، ويقول ثروت عكاشة(١) .

- « ففى مساء يوم الاربعاء الحادى والثلاثين من شهر مايو ١٩٦٧ كانت ثمة جلسة لمجلس الوزراء ، وفيما المجلس مجتمع دخل علينا فجأة وزير الحربية السيد شمس بدران ، وكان هذا فى أثر عودته من الاتحاد السوفييتى يصحبه ضابطان يحمل كل منهما خرائط .. وما أن استقر به المقام حتى بسط بين يدى المجلس تلك الخرائط التى كان يحملها الضابطان ،

وأخذ يشرح فى اسهاب الخطة التى اعدتها القوات المسلحة للهجوم على العدو الاسرائيلى ، والتى كان الهدف من ورائها اختراق النقب والفصل بين القوات الاسرائيلية شمالا وجنوبا ، .. وكانت سيماء التفاؤل يفيض بها وجهه .. وحين سأله وزير العمل السيد أنور سلامه عما هو معد لمواجهة الاسطول السادس إذا ما دخل المعركة .. كان جواب شمس بدران فى ثقة واطمئنان ..

- وراءنا من القوة ما سيحطمه ..

وكان يشير بهذا إلى ما كان يدور بخلده من تدخل الاتحاد السوفييتى إلى جانب القوات المسلحة المصرية .. ولقد فهمنا من عرضه للموقف العسكرى انه على يقين من تدخل القوات السوفيتية ومؤازراتها لنا ، فقد كان هذا الحديث على أثر عودته من موسكو ، فاطمأنت القلوب شيئا ملقية التبعة على وزير الحربية .

غير أنى فى الحق لم أطمئن كثيرا لهذ التصريح ، فعلمى أن الاسطول السادس ليس من الهوان بمكان حتى يسحق بهذا اليسر الذى خطر ببال شمس بدران .. ثم إنى كنت أشك كثيرا فى أن الاتحاد السوفييتى سيتورط فى دخول معركة قد تجره إلى حرب عالمية .. ويعلم الله أنى انصرفت إلى بيتى قلقا مشغول الفكر متوجسا من عواقب ما سيكون ، وقضيت ليلة نكراء لم أذق فيها طعما للنوم .. وما أن اطل اليوم الأول من شهر يونيه حتى قصدت مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة المعد لادارة العمليات الحربية بمدينة نصر لالقى هناك المشير عبد الحكيم عامر ، وما كان هذا عن موعد سابق ، فاستقبلنى كعادته باسما مرحبا ، وأفضيت إليه بمخاوفى وبما جاء على لسان شمس بدران فى مجلس الوزراء واحتمال وقوع الشر والبلاء .. لكنه طمأننى وصحبنى إلى غرفة الخرائط ، وهناك أخذ يشرح لى مبينا على الخريطة المعلقة على الحائط خطة الهجوم فى تفصيل يزيد على ما أجمله لنا وزير الحربية .. محددا أن الهدف هو احتلال بئر سبع وفصل النقب عن شمال اسرائيل ، فأحسست ببعض الاطمئنان لتلك الثقة التى وجدتها تملأ قلب المشير ، ولم أر داعيا لشغله عن عمله بما هو أكثر .. فعدت إلى مكتبى ..

وهناك شهادة بليغة عن الرجل الثالث الذى قادنا إلى الهزيمة وهو العقيد شمس بدران .. شهادة أمين هويدى :[١]

ـ وما من شك فى أن اختيار شمس بدران لمنصب وزير الحربية عام ١٩٦٦ كان مجانبا للتوفيق كل المجانبة مما أثار دهشة بالغة بل خيبة أمل عميقة بين العارفين .. ولا أقول هذا القول لشىء فى نفسى عنه ، ولكن لعلمى بقدراته المحدودة وكفايته العسكرية القاصرة .. وأنى لاعجب كيف رشحه عبد الحكيم عامر وزيرا للحربية ، ثم كيف أمضى جمال عبد الناصر هذا الترشيح ، وما أظن أن حجمه الحق كان يخفى عليهما ..

وكان أولى بهما إن أحبا رفع شأنه أو الاسترضاء الا يتجاوز ذلك تعيينه فى منصب شرفى ..

وحسبى تدليلا على رأيى ما جره شمس بدران على وطنه من ويلات ومصائب .. وقصة هذا الرجل تبدأ باختيار عبد الناصر له ليكون همزة وصل بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة السياسية .. فاذا هو يصبح المسئول أمامه عن الجيش .. غير أن وضعه هذا جعل من الرئيس والمشير يظن أنه رجله ، فأسند إليه كل منهما مالم يكن يصح أسناده إليه ، مثال ذلك التحقيق فى بعض الشكاوى المدنية التى ترفع إلى أى منهما ، وكذا القضايا السياسية الهامة ، ثم ما يسمى بحملة تصفية الاقطاع .. كما وضعا تحت تصرفه أجهزة يرأسها من يفوقونه درجة وكفاءة ومقدرة وحسا إنسانيا ..

إلى إن اتت فترة جمع شمس بدران خلالها فى قبضته أجهزة الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية العسكرية والمخابرات الحربية والمخابرات العامة ومباحث أمن الدولة ، وهى أجهزة رهيبة يثير الواحد منها الفزع ، فما بالنا حين تجتمع كلها فى يد واحدة ..

* * *

ألم يكن هذا تهريجا ؟ .. ألم يكن هذا أسفافا ما بعده أسفاف ؟ .. الذين

---

(١) مع عبد الناصر ـ امين هويدى

يستطيعون قيادة مصر إلى النصر مبعدون ، وجهلاء القوم هم الذين يحكمون ويتحكمون فى مقدرات هذه الأمة ، شرح الأمي المعركة على الورق ، ولمن ؟ لمجلس وزراء مصر !! ، ثم أكده أمر آخر ، فالأول توقف علميا عند رتبة « نقيب » .. والثانى توقف علميا عند رتبة رائد .. وهما .. سويا .. يقودان مصر .. ولكن إلى الهزيمة !!

* * *

والآن .. دعونا ننهى قصة شمس بدران الذى قاد معركة يونيو جنبا إلى جنب مع المشير ، باعتراف مثير من القائد الأعلى للقوات المسلحة ، ومن صاحب القرار السياسى الذى يحتاج إلى تغطية عسكرية .. حيث قال لثروت عكاشة عن شمس بدران :

- لقد كنت أعلم حق العلم مكانة شمس بدران كفاية وعلما ، اذا كان معتقد هذه كما يعتقد ذاك ، هذا إلى ما كان يتميز به من غباء مطبق .

ولاتعليق .. بعد ذلك !!

* * *

ثم يأتى الحديث بعد ذلك عن الرجل الثالث فى المعركة وهو الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية ، وهو القائد الوحيد فى العالم الذى دمر العدو سلاحه مرتين وهو على قمة السلاح .. والحق يقال أن الرئيس جمال عبد الناصر قد حاول اقتلاعه أكثر من مرة ، ولكنه فشل ، وفى حديث خاص معى قال العميد طيار تحسين زكى وهو من أكفأ الطيارين المصريين وقائد قاعدة أنشاص فى حرب عام ١٩٦٧ ، أن الفريق صدقى رجل تشريفات أكثر منه قائدا للقوات الجوية ، وهو أخلص الرجال للمشير عامر ، وهذه ميزته الوحيدة .

ويقول عبد الناصر عن صدقى محمود ، والذى يعلم جيدا قدراته فى قيادة القوات الجوية ، وهو أخطر سلاح وخاصة فى حرب الصحراء ... يقول الرجل لثروت عكاشة :

وهناك قائد الطيران الذى كان يقضى ليلة الحرب من مساء الاحد فى سهرة عشاء بانشاص دارت فيها كئوس الخمر حتى الفجر ، وإذا بالاعتداء على المطارات يقع فى التاسعة صباحا ، وهناك قادة قواعد جوية استقلوا عرباتهم مغادرين مواقعهم بعد قذف المطارات .. ولطالما ألححت على المشير منذ أكثر من عشر سنوات أن يتخلص من قائد الطيران .. وفى ة ١٩٦١ حاولت أن أحرر سلاح الطيران منه بترشيحه وزيرا للحربية ، .. ولكنه أبى مؤثرا البقاء فى موقعه ...

وفى نهاية الأمر عندما اقترحت عليه مدكور أبو العز ليكون قائدا لسلاح الطيران قبل المشير على أن يتم هذا الأجراء على مراحل ، فيعين مدكور رئيسا لأركان حرب الطيران كخطوة أولى .. ولكن ما كادت الآثار المترتبة على حركة الانفصال فى سوريا تزول حتى تراجع المشير ورفض تنفيذ الاتفاق ودبر المحيطون به مؤامرة تخلصوا بهامن مدكور .. لقد كان وضعى دقيقا للغاية ، ولم يكن مسموحا بالتدخل فى شئون الجيش بأى حال من الأحوال ...

• • •

يأتى بعد ذلك الفريق سليمان عزت قائد القوات البحرية وقد كان ملكا غير متوج فى الأسكندرية ، وقد حاول عبد الناصر أن يبعده عن البحرية المصرية ولكنه لم يفلح ، فعندما سافر لأول مرة إلى الجزائر بالباخرة الحرية كانت فى حراسته مدمرتان مصريتان وقد أصابهما قبل الوصول بعض الأعطال .. مما يؤكد الاهمال فى السلاح البحرى المصرى ، وأكمل عبد الناصر الرحلة بدونهما وعاد بالطائرة وفور عودته طلب من عبد الحكيم عامر اقصاء الفريق سليمان عزت ، ولكن المشير قال :

ـ « أنا المسئول » ..

وسكت عبد الناصر .

يأتى بعد ذلك رئيس هيئة أركان حرب القوات اللواء محمد فوزى ، واللواء محمد فوزى ظل على مدى خمسة عشر عاما مديرا للكلية الحربية ،

ولا علاقة له بأركان حرب القوات المسلحة نفسها ، ولقد جاء إلى هذا المنصب لا لكفاءته لشغل هذا المنصب ، فربما يكون أكثر كفاءة لمنصب آخر ، إلا أن مواصفات هذا المنصب الهام جدا في الحرب لاتنطبق عليه ، حتى هو نفسه يعترف بشجاعة ، فيقول :

ـ وكان تعييني في مارس ١٩٦٤ رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة خلفا للفريق أول على عامر ، مفاجأة لي شخصيا ، وكان موقفي الموضوعي خلال ممارستي الرمزية القليلة طوال مدة عملي بهذا المنصب غريبا ، إذ أنني لا أتذكر أنني قمت خلال هذه الفترة بعمل ما في القوات المسلحة وكنت صابرا ، لثقة وأمل الرئيس عبد الناصر في شخصي من جهة ، ورغبة المشير عامر وحرصه على سحب مسئولياتي وسلطاتي من جهة أخرى ..

أتذكر أنه لم يبق من مهمات وظيفتي .. سوى تكرار الأمر ، أو التوجيه أو التعليمات أو تفسيرها ، وإعادة طبعها ، وتوزيعها على القوات المسلحة .. وحتى التنسيق بين أفرع القوات المسلحة الرئيسية في وقت السلم ، كان مستحيلا ، بسبب ترتيبي في أقدمية الرتب بين القادة .. إذ كان الفريق أول سليمان عزت قائد القوات البحرية ، والفريق أول محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي والفريق أول محمد فؤاد الدجوى قائد السواحل ، والفريق أول يوسف العجرودي .. قائد قطاع غزة أقدم مني ، فكانت صفة الأمر وصدوره مني شخصيا غير مقبول لديهم الأمر الذي استحال معه دخولي في موضوع القيادة أو السيطرة ، أو حتى التنسيق بالنسبة لهؤلاء القادة جميعا ..

ولم يبق من القادة البارزين سوى الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى قائد القوات البرية إذ كان القائد الوحيد الأحدث مني ، وحتى هو قد استبان لنفسه بسلطات وصلاحيات للقيادة والسيطرة ، والادارة على قواته البرية أشبه بما كان يتمتع به فعلا كل من قائد القوات البحرية والجوية ..

وحتى ضباط مكتبي الخاص تم ادماجهم في مكتب نائب القائد الأعلى

للقوات المسلحة ، فتم تعيين اللواء على عبد الخبير مديرا للأركان العامة بالقيادة العليا للقوات المسلحة ، وبذلك فقدت إدارة التنفيذ الخاصة بعملى .. وكان العرف قد جرى فى القوات المسلحة ، على أن يكون رئيس الأركان من ضباط المشاة على أعتبار أنهم أكثر عددا .. وهو تقليد كان سائدا قبل الثورة ثم أستمر بعدها .. ولم يعتبر هذا الوضع إلا عند تعيينى رئيسا للأركان .. فأنا من سلاح المدفعية ولم يكن تعيينى فى هذا المنصب تخطيطا من القيادة العسكرية ، بقدر ما كان ترضية لرغبة الرئيس جمال عبد الناصر .. لكن بعد تعيينى بدأت اختصاصات وسلطات هذه الوظيفة تتحول بالتدريج إلى جبهات أخرى ..

والغريب فى الموضوع ، أنه بقدر ما كان المشير يظهر لى رغبته فى سماع آرائى ويصر على بقائى معه أكثر من الوقت المألوف للمقابلات عادة ، بقدر ما كان يتجاهل فى التنفيذ هذه الآراء والأفكار ..

وكانت تحتدم داخلى صراعات نفسية متلاحقة ، عندما أجد تيار الانهيار فى القوات المسلحة يزداد ، نتيجة اصدار المشير لتوجيهات أعلم أنها استجابة لآراء شمس بدران أو اصدقائه من ضباط القوات المسلحة .. كتسليح وحدات الصاعقة بأسلحة ثقيلة وهى أبعد ما تكون عن تنظيمها الاصلى ، بل غير مطلوبة فى مهماتها القتالية ، ثم أعلن بعد ذلك أن هذا التسليح لأغراض الأمن ، أو الاصرار على تمركز وحدة مدفعية ميدان مضادة للدبابات ثقيلة العيار فى مكان ما فى الماظة خارج تشكيلها الأم وتعديل اسلوب السيطرة عليها لتكون تحت القيادة المباشرة لمدير المدفعية لاغراض الأمن أيضا وضد احتمال قيام وحدات دبابات من معسكر قريب بأعمال مضادة لنظام الحكم ..

وهكذا تدنى مفهوم القوات المسلحة نتيجة لهذه الظروف والحوادث ، إلى مفهوم قوات مسلحة لأمن الثورة ، أكثر منها قوات مسلحة تجيد القتال الحديث قيادة وتنظيما وتدريبا ، وحل أمن الثورة مكان رفع القدرة والكفاءة القتالية ..

فضلت ازاء هذه الحالة السلبية أن أرحب بالرحلات والزيارات

الخارجية فقمت فعلا بزيارة يوغوسلافيا ، والهند وبعض الدول الغربية والدول الأفريقية ، التى كانت تدعونى لزيارتها .. كل ذلك قتلا للوقت ، وبعدا عن الظروف التى كانت حولى خلال مدة وجودى فى مركز رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ...

وأيقنت أخيرا أن تعيينى فى هذا المركز ، ما هو إلا جزء من خطة كبيرة تخص أمن القوات المسلحة .. كما أحسست بأن الثقة كانت متوفرة بل ومؤكدة من الرئيس عبد الناصر بينما هى مفتعلة وغير حقيقية من المشير عامر ، وحتى بعد بدء القتال فى ٥ / ٦ / ١٩٦٧ كانت حدود أعمالى ونشاطى فى مهمات القوات المسلحة محض شكلية .

• • •

بل وأكثر من هذا .. لقد كان اللواء فوزى وهو رئيس هيئة أركان القوات المسلحة ، أى المايسترو الذى يربط بين كل القوات ، فلقد كان أحدث رتبة من قائدى القوات البحرية أمير البحر سليمان عزت ، والفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية ، لذلك لم يكن يعرف كيفية أصدار الأوامر لهما ..

هل هناك فى جيوش العالم مهزلة أقصى من هذه المهزلة ، يتم تعيين رئيس لهيئة أركان القوات المسلحة ، لاعلاقة له بها ، ولا أحد مستعد لسماع اوامره .

• • •

ويضيف الفريق صلاح الحديدى بكل صراحة برأيه فى اللواء محمد فوزى .. فيقول :

- ومن المؤسف أن نذكر هنا أن رئيس الأركان الذى اختاره القدر ليكون على رأس القوات المصرية فى عمليات يونيو ١٩٦٧ لم يكن من المؤهلين تأهيلا عاليا حديثا ، بل كان من البعيدين بحكم عمله فى الكلية الحربية أكثر من سبعة عشر عاما متصلة .. عن التقدم العلمى الذى وصلت إليه القوات

خلال هذه السنوات الطوال ولم تكن مناهج طلبة الكلية الحربية بطبيعة الحال تتجاوز فى مستواها الثقافى السرية المشاه أو المدرعة ، وهذا المستوى يعتبر تافها لمن يشغل وظيفة رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، وقد حاول جاهدا أن يدرك الموقف بحضوره المشروعات والمناورات التى تقوم بها القوات فى تدريبها ، ولكن هذا التدارك احتاج إلى وقت طويل بطبيعة الحال ليزيل صدأ خمسة عشر عاما ..

* * *

• وبعد ..

هذه هى القيادات التى قادت حرب يونيو .. هل كان العدو الصهيونى يأمل فى أكثر منها حتى يحقق النصر علينا ؟

لاأعتقد ..

* * *





أجهزة الأمن

عمل المخابرات العامة ، وان حملت أسماء « ك . جي . بي » أو « سي . أي . أيه » أو « د ١٦٠ » أو «الموساد » ، هي حماية الوطن من « القوى الخارجية » ، والعمل على تقدم الوطن وتنميته ، واعطاء المواطن قدرا ضخما من الأمان في الداخل ، بأن مخابراته مستيقظة ..

لذلك تحدد كل أجهزة المخابرات أهدافها ، ثم تنشأ أفرع لتحقيق هذه الأهداف ..

فمثلا .. أن أهم فرع في المخابرات السوفيتية حاليا هو « الأمن الصناعي » ، ومهمته سرقة التكنولوجيا والعلماء من الغرب ..

ومثلا .. إن أهم فرع في « الموساد » هو الخاص بالمنظمات الفلسطينية ، لانها تشكل لاسرائيل حاليا خطرا على الأمن الاسرائيلي ..

وقد تتعاون المخابرات العامة مع أجهزة الأمن الداخلية وخاصة المخابرات العسكرية في أكثر من عمل ، لتحقيق أمن الوطن ، وبالتالي أمن المواطن من أي اقتحام خارجي ..

وتكلف بأعمال خاصة خارج البلاد ، اذا كانت هذه الأعمال ستعود على الوطن بالفائدة ، سواء الفائدة العلمية أو العسكرية ، كسرقة زوارق الصواريخ الثلاثة بواسطة الموساد من ميناء شربورج الفرنسي الى حيفا باسرائيل ، وكتدمير الحفار الاسرائيلي في البحر الأحمر بواسطة المخابرات المصرية بعد حرب عام ١٩٦٧ ..

كما تكلف بعمليات داخل البلاد فى اطار الأمن القومى ، كمراقبة بعض الأشخاص المشتبه فى تعاونهم مع قوى أجنبية ..

هذه صورة سريعة لعمل المخابرات فى كل دول العالم ، لها أهداف ثلاثة :

١ ـ أمن الوطن ...
٢ ـ أمن المواطن ..
٣ ـ تنمية الوطن ..

• • •

ولكن ..

لكى يتحقق ذلك ، لابد من تعيين رجال أكفاء فى هذا الجهاز بعد سلسلة من الاختبارات الدقيقة ، للتأكد من صلاحيتهم للعمل فى جهاز مهمته حماية الوطن ، ولقد قام جهاز المخابرات المصرية فى بداية تشكيله بأعمال خارقة ، ربما كانت هى الأساس لكل المعلومات والأعمال الهامة التى قام بها هذا الجهاز ..

وأهمية هذا الجهاز أنه تمهيد للهزيمة أو النصر ، فبدون المعلومات السليمة عن العدو ، يمكن أن نسقط فى كمين ، وهذا ما حدث فى عام ١٩٦٧ ..

• • •

لقد انشغل جهاز المخابرات المصرى بعدة أمور مغرية فانساق فيها وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الجهاز ، بل أن كل امكانيات الجهاز الضخمة سخرت تماما بعيدا عن أهداف تشكيله :

لقد دخل الجهاز صراع السلطة بين عبد الناصر والمشير ، لذلك بذل جهدا كبيرا فى تتبع رجال عبد الناصر ، وأذكر ـ على سبيل المثال ـ أن الجهاز جاء للرئيس عبد الناصر بتسجيل صوتى بين صحفى وثيق الصلة بعبد الناصر ، وصديقته الزوجة اللبنانية الجميلة والشهيرة ، وطلب عبد

الناصر أن يأتوا له ، بالعلاقة مسجلة صورة وصوتا ..

وانتشرت أجهزة المخابرات فى بيوت الناس لتسجل بالصوت والصورة حياتهم الخاصة ، لتعريتهم أمام الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ..

بل أصبح مجال عملهم الفنانات ، وعلاقتهن بالعرب ، وهو اهتمام خاص كان يبديه عبد الناصر ، وكلنا نذكر حكاية التسجيل - بالصوت والصورة - للسيد على صالح السعدى ممثل العراق فى محادثات الوحدة ، وهو فى غرفة نوم راقصة ، وهو يقبل ساقيها ويقول لها :

- عشان ساقيك .. سأسوى الوحدة ..

وعشرات القصص عن نشاط المخابرات فى هذه الفترة السوداء من تاريخ مصر ..

* * *

أمر آخر خطير ، اهتمت به المخابرات العامة وهو الأمن السياسى للنظام .. وفى سبيل ذلك أكثرت من العملاء ، ودمرت الأسر ، واعتقلت بالمئات ، وعذبت الآلاف ، وحولت مصر الى سجن كبير ، وهناك آلاف الروايات عن هذه القضية سيظل عارا على جبين النظام ..

* * *

ثم كانت حرب اليمن ، فانشغل الجهاز بتتبع الأمير البدر وأعوانه ، فى السعودية وفى العالم ..

* * *

ثم كانت طموحات عبد الناصر فى فرض سيطرته على العالم ، دفع بالجهاز الى تتبع الملوك والرؤساء العرب والزعماء السياسيين ليجمع فضائحهم ..

وأكثر من هذا .. لكى يكتب محمد حسنين هيكل مقالا يهاجم فيه الملك

سعود ، وكان الملك فى طريقه الى الولايات المتحدة الامريكية ، فأوفدت المخابرات مجموعة كاملة إلى امريكا لتتبع الملك ، وأنفقت هذه المجموعة عدة ملايين ليقول محمد حسنين هيكل أن أعين عبد الناصر كانت تتابع الملك حتى فى غرفة نومه ..

* * *

ووصل فجر القائمين على الجهاز ، ان امتدت اعتقالاتهم الى غير المصريين ، فاعتقلت المخابرات ذات مرة ثلاثة ارباع الحكومة اليمنية ..

* * *

والعدو ..
واسرائيل ..
والمعركة الحتمية معهم ..
جاء الصراع المصرى الاسرائيلى فى الدرجة الرابعة أو الخامسة من اهتمامات الجهاز ..

ولقد أمدت المخابرات العامة ، القيادة السياسية والعسكرية بمعلومات خاطئة عن العدو عندما نشبت أزمة مايو وانتهت بنكسة يونيو ..

* * *

انعكس الصراع بين عبد الناصر والمشير على جهاز لا يقل خطورة عن المخابرات العامة ، وهو المخابرات الحربية ، فلقد جاءت اهتماماته خوف احدى القيادتين من قيام عناصر بالقوات المسلحة بانقلاب لصالح أحد المتصارعين ، بالاضافة الى الاهتمام البالغ بوضع القوات المصرية فى اليمن ، والعائدة من اليمن ، لذلك .. فلقد ضعفت رؤية هذا الجهاز لأوضاع العدو ..

وشاهدى على ذلك ، ما جاء من اقوال الفريق محمد فوزى فى كتابه « حرب الثلاث سنوات » :

حتى عام ١٩٦٧ لم تكن ادارة واجهزة ووحدات عنصر الاستطلاع فى

القوات المسلحة المصرية قد استكملت ، تشكيلا وتدريبا فى الهيكل التنظيمى للقوات المسلحة ، وعنصر الاستطلاع يعتبر القناة الطبيعية التى توفر المعلومات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية للقوات المسلحة عن العدو سواء فى وقت السلم أو الحرب ..

ولغياب هذا العنصر حلت ادارة المخابرات الحربية وأجهزتها وفروعها مكانها ، فى توفير المعلومات للقيادة العليا وأفرع القوات المسلحة الرئيسية والتشكيلات الميدانية وظل اسلوب توصيل المعلومات يعمل مثل وقت السلم ، حتى لو كانت المعلومات واردة من مركز المعلومات الامامى فى العريش مثلا ، فان المعلومات تصل الى المركز الرئيسى للمعلومات فى مكتب وزير الحربية شمس بدران فى كوبرى القبة للاطلاع عليها ويقوم بارسالها الى القوات الامامية فى سيناء وهو اسلوب غير سليم فى وقت الحرب أو وقت الاستعداد لها علاوة على التأخير فى وصول هذه المعلومات .. وكان مدير ادارة المخابرات وجميع ضباطه موضع ثقة خاصة لدى المشير عبد الحكيم عامر ووزير الحربية شمس بدران ، وزادت هذه الثقة أكثر بعد أحداث « الأمن » التى مارستها هذه الادارة فى سنوات ما قبل عام ١٩٦٧ .. وبذا كانت المعلومات عن العدو الصادرة من هذه الادارة أو فروعها موضع ثقة وتصديق لدى القيادة العليا ..

• يضيف الفريق محمد فوزى :

ـ ولكن ثبت من تطور الأحداث فى الفترة الزمنية للفتح التعبوى للقوات فى سيناء والتخطيط للعمليات المنتظرة مع العدو والفكر العسكرى لنائب القائد الاعلى للقوات المسلحة بين ١٩٦٧/٥/١٥ حتى ١٩٦٧/٦/٥ ، أن جميع المعلومات أو التقديرات أو تحليلها عن العدو أو مقدرته القتالية أو اسلوب قتاله أو قدرة ومدى عمل طيرانه ، كانت خاطئة الأمر الذى جعل تخطيط العمليات الحربية التى اقرها المشير عبد الحكيم عامر والتى اعتمدت على معلومات وتقديرات المخابرات الحربية خاطئة كذلك .. كما أن أوضاع القوات وتمركزها فى سيناء خلال هذه الفترة ، والتى تغيرت أربع مرات تطبيقا لخطط العمليات كانت خاطئة كذلك ، وبذا أصبحت أوضاع التشكيلات

الميدانية فى سيناء صباح ١٩٦٧/٦/٥ غير سليمة ، الأمر الذى مكن العدو من الحصول على نصر سريع فى معركة ١٩٦٧ ..

* ويعطى الفريق فوزى تقريرا موجزا عما ارسلته المخابرات الحربية ابتداء من يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ حتى نشوب الحرب :

ـ ١٩٦٧/٥/١٥ « مازالت هناك تجمعات عسكرية اسرائيلية فى المنطقة الشمالية من اسرائيل ٥ ـ ٧ ألوية » وهذا خطأ اذ ان هذا العدد من الألوية الاسرائيلية لم يكن موجودا على الجبهة السورية ..

ـ ١٩٦٧/٥/١٦ : « اسرائيل سوف تعيد التفكير قبل أن تقدم على تصعيد الموقف » وهذا التقرير يدلل على تردد اسرائيل وخوفها ، وهذا غير صحيح ..

ـ ١٩٦٧/٥/١٧ : « الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى منخفضة وهناك حالة منتشرة من الخوف والتساؤل » .. وهذا تقرير غير صحيح ويدلل على حالة خاطئة بالنسبة للشعب الاسرائيلى ، تعكس انطباعات غير سليمة على قواتنا المسلحة ..

ـ ١٩٦٧/٥/١٨ : « عن استمرار اسرائيل فى تعبئة احتياطى الخط الأول ، وقدر التقرير حجم القوات الاسرائيلية أمام الجبهة المصرية ، ٦ ألوية مشاة ولواء مدرع وكتيبة دبابات » ، كان هذا الحجم من القوات الاسرائيلية غير موجود فى هذا التاريخ ..

ـ ١٩٦٧/٥/١٩ : « الأحداث التى جرت فى المنطقة قللت من فرص اسرائيل فى تحقيق المبادأة ودفعها الى اتخاذ موقف التريث والحذر » .. أدى هذا التقرير الى الاستهانة بقوات العدو ..

ـ ١٩٦٧/٥/٢١ : « ظهر نشاط جوى الى الجنوب ـ جنوب النقب ـ والظروف الراهنة ليست ملائمة من وجهة نظر اسرائيل لشن عمليات شاملة نظرا لفقدها عامل المبادأة والمفاجأة علاوة على حاجتها الماسة الى الدعم العسكرى الخارجى » ..

بدأ هذا التقرير يلفت نظر القائد والقوات الى المحور الجنوبى كما أن

التقرير أشار إلى ظروف ليست صحيحة فى اسرائيل مما أدى الى استرخاء فى قواتنا المسلحة ..

ـ ١٩٦٧/٥/٢٢ : « عزز العدو قواته أمام الجبهة المصرية بلواء مدرع ودفع أسرابا مقاتلة اسرائيلية الى مطارات النقب الجنوبى (حلشور - أبراهام ـ ديمونا ـ مشاد ـ مشابيه زامون) التقرير لفت نظر القائد المصرى الى الاتجاه الجنوبى وثبت أنه خاطىء ، كما أن الطائرات الاسرائيلية لم تعمل إلا من المطار الأول فقط فى هذه المنطقة » ..

ـ ١٩٦٧/٥/٢٤ : ذكر التقرير الموضوعات التى تمت فى مؤتمر قيادة الجيش الميدانى الذى حضره جميع قادة الفرق وتمت فيه قراءة تقارير المخابرات عن مقارنة قواتنا بقوات العدو على الجبهة المصرية ، وهى :

	القوات المصرية	القوات الاسرائيلية
المدرعات :	٣	١
المشاة :	٣	١
المدفعية بالقطعة :	١٠٠٠	غير معروف

وقد ثبت خطأ هذه النسب فيما بعد واتضح أن النسب الحقيقية فى القوى هى :

	القوات المصرية	القوات الاسرائيلية
مشاه	١	١,٧
مدرعات	٠,٦	١
المدفعية	١	٠,٥
طائرات	١	٢,٥
طيارون	١	٢,٧
مركبات جنزير	صفر	١
ونصف جنزير	صفر	١

وقد أعطى تقرير المخابرات الخاطىء أنطباع الاستهانة بقوة العدو بينما لو علمت القيادة العسكرية حقيقة قوة العدو لترددت أكثر من مرة فى وضع قرار الحرب .

• ١٩٦٧/٥/٢٥ : « عن سفر وزير الحربية الى موسكو ومغادرة السكرتير العام للأمم المتحدة بعد فشل مهمته فى القاهرة يوم ١٩٦٧/٥/٢٣ » .. اعتبر السكرتير العام للأمم المتحدة أن « مهمته ناجحة » ..

• ١٩٦٧/٥/٢٦ :

« ذكر التقرير اهتمام اسرائيل بمنطقة ايلات وجمع قوات اضافية بها وأن حجم القوات الاسرائيلية فيها وصل الى : ٣ ألوية مدرعة ، ٣ ألوية مشاة كتيبتين مدرعتين علاوة على لواء ميكانيكى ولواء مشاة احتياطى » ..

كان هذا التقرير تأكيدا على نية اسرائيل للعمل على المحور الجنوبى ضد قواتنا المتمركزة فى سيناء مما جعل المشير عبد الحكيم عامر يركز حوالى ٧٠٪ من قواته فى سيناء على هذا المحور .. واتضح فيما بعد أن هذا التقرير خاطىء .. وكان تأثيره مدمرا بالنسبة للأوضاع الخاطئة لقواتنا فى سيناء ، اذ لم يكن لدى العدو فى هذا الاتجاه وفى هذا التوقيت حتى بدء المعركة سوى لواء ميكانيكى واحد .. اعتقد أن خطة خداع العدو لمخابراتنا قد نجحت ..

• ١٩٦٧/٥/٢٧ :

« زيادة نشاط العدو تجاه المنطقة الجنوبية للنقب وتعزيزها بلواء آخر » أى استمرار فى الخطأ وتأكيد له ..

• ١٩٦٧/٥/٢٩ :

• « أكد التقرير على نشاط أكيد للعدو فى منطقة وادى الجوانى » ، ووادى لصان والمعين « وهى نفس المنطقة الجنوبية للنقب » « وذلك بهدف القيام بعملية هجومية » ..

نفس الخطأ يتكرر مرة أخرى فأماكن تجميع العدو خاطئة كما أن نية العدو فى الهجوم من المحور الجنوبى مضللة ، وقد نوه هذا التقرير بأن قيادة

الجيش الميداني قد أصدرت تعليماتها بضرورة تأمين الاتجاه التعبوى الجنوبى وهى فى الحقيقة صدى لخطأ معلومات المخابرات ..

• ١٩٦٧/٦/١ :

« أكد مكتب مخابرات العريش عزم العدو الوشيك على القيام بعملية تعرضية هجومية ضد الاتجاه الجنوبى ، واحتمال اسقاط جوى معاد جنوبى الكونتلا » . وهذه المعلومات كلها خاطئة ومضللة سواء بالنسبة للاتجاه أو بالنسبة لنية العدو ..

• ١٩٦٧/٦/٢ :

« ان اسرائيل لن تقدم على عمل عسكرى تعرضى « أى هجومى » وأن الصلابة العربية الراهنة ستجبر العدو بلا شك على أن يقدر العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع شرارة الحرب فى المنطقة » ..

بالرغم من أن التقدير الوارد فى هذا التقرير كان خاطئا وتأثيره على القوات المسلحة المصرية كان مدمرا فقد أمر المشير بتوزيعه على جميع القوات حتى مستوى القادة الأدنى علاوة على أن توقيت اذاعة هذا التقرير على القوات جاء مناقضا لتأكيد الرئيس عبد الناصر فى اجتماعه مع المشير والقادة فى نفس اليوم (١٩٦٧/٦/٢) .. بحتمية العدوان الاسرائيلى خلال يومين أو ثلاثة ..

★ ١٩٦٧/٦/٣ :

- « ذكر التقرير مراكز تجمع القوات الاسرائيلية وقوتها على طول المواجهة المصرية وجاء التقرير على المحور الجنوبى لقوات العدو والتى لا تزيد عن كتيبة نحال ، وكتيبة أقليات للمراقبة ، وخلفها لواء ميكانيكى وبعض الدبابات » .. وهى أولى المعلومات السليمة عن قوات العدو وأمام المحور الجنوبى لانها كانت حصيلة أول استطلاع ناجح قامت به قواتنا الجوية ظهر يوم ١٩٦٧/٦/٢ فوق منطقة النقب الجنوبى ولعمق ١٥ كلم داخل حدود اسرائيل ..

ولكن كانت هذه المعلومات السليمة عن قوة العدو وعلى المحور الجنوبى متأخرة جدا ، ولم يحاول المشير بعد وصول هذه المعلومات أن

يغير أوضاع القوات فى سيناء كما لم يعلق القادة المجتمعون فى قيادة الجيش فى « بشات لحمان » مساء نفس اليوم على سبب تجميع أغلب قواتنا فى المحور الجنوبى أمام قوة العدو الضعيفة ، التى ذكرت فى تقارير المخابرات لهذا اليوم .. أنه الارتباك الذهنى للقادة والقوات بسبب كثرة التوجيهات وكثرة تغيير أوضاع القوات ، وخطأ معلومات المخابرات الحربية منذ يوم ١٩٦٧/٥/١٥ ..

• • •

وتعالوا نتوقف قليلا عند يوم ٢٤ مايو عام ١٩٦٧ ، لنقرأ النسب الحقيقية لقواتنا وقوات العدو ، لنعلم أن قدرات العدو فى استثمار حتى القوى البشرية القليلة ، استثمارا خطيرا ، لقد واجه كل عشرة جنود مصريين بسبعة عشر جنديا اسرائيليا ، وواجه كل ست مدرعات بعشر مدرعات اسرائيلية ، وواجه كل طائرتين مصريتين بخمس طائرات اسرائيلية وواجه كل عشرة طيارين مصريين بسبعة وعشرين طيارا اسرائيليا ..

• • •

للأسف .. حتى معلوماتنا عنهم لم تكن دقيقة ، وكانوا هم يرصدوننا بشكل جيد ، وعندما أرسلنا مجموعة استطلاع قبل الحرب بأسبوع ، سقطت هذه المجموعة فى أيديهم ليكونوا أول أسرى هزيمة يونيو ..

عبد الناصر
لم يكن جادا فى دخول المعركة

فان الطفل الصغير الصغير فى اسرائيل يعلم أن الحرب سوف تبدأ خلال أيام فى الأحوال الآتية :

- انطلاق الفدائيين الفلسطينيين من قواعدهم فى دول مجاورة ، وزيادة نشاطهم داخل الأرض المحتلة ..

- دخول قوات عربية الى الضفة الغربية ، لأن اسرائيل لا تملك أن تخسر معركة ، ومعنى وجود قوات عربية فى الضفة الغربية ، أنها اذا تقدمت خطوة واحدة فانها قد اقتحمت اسرائيل ..

- دخول قوات مصرية ثقيلة الى قطاع غزة ، لنفس السبب السابق ،

- وجود حشود على هضبة الجولان ، فالهضبة السورية تشرف على شمال اسرائيل « الجليل الأعلى » بكثافته السكانية اليهودية ، وأن طلقة واحدة من فوق الهضبة يعنى الموت لالآف اليهود ، لذلك كانت اسرائيل تشعر برعب من التفوق الطبوغرافى السورى ، بل أن أشعارهم تحمل هذا التخوف ..

ثم ... والأهم :

- اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الأسرائيلية فهذا يعنى باختصار شديد ، أن ثلث تجارة اسرائيل عل الأقل قد توقفت ، وأن امدادات البترول لها قد ارتفعت أسعار نقلها ، وفى عام ١٩٥٧ قالت جولدا مائير صراحة بأن اغلاق خليج العقبة يعنى موت اسرائيل ، وعليها أن تشن حرب حياة أو موت فى سبيل فتح الخليج أمام الملاحة الاسرائيلية ..

هذه الحالات يحفظها عن ظهر قلب كل طفل اسرائيلى ، وكل جندى اسرائيلى ، ولا تحتاج الى جهاز أمن لمعرفة هذه الحقائق البسيطة عن اسرائيل ..

فاذا نظرنا الى الأجراءات التى اتخذتها مصر فى أعقاب رواية الحشود الاسرائيلية ، نجد أنها اتخذت هذه الأجراءات :

- حشد ضخم فى سيناء ..
- قوات مصرية تدخل قطاع غزة ..
- سحب قوات الطوارىء الدولية ..
- اغلاق خليج العقبة ..

وكل اجراء من هذه الاجراءات ، هو اعلان حرب من جانب مصر ، حتى ولو لم تطلق رصاصة واحدة ، وأن الحرب ، أو بمعنى آخر الرصاصة الأولى سوف تنطلق من الجانب الأسرائيلى ، فى معركة حياة أو موت ...

فاذا أضفنا الى ذلك ، تحرك القوات العراقية فى اتجاه الضفة الغربية والحشود الاسرائيلية على الجولان ، ووجود قوات مصرية رمزية فى الضفة الغربية .. لذلك .. بدأت اسرائيل الحرب يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ..

* والسؤال :

- لماذا قامت اسرائيل باختيار الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ؟

* والجواب :

- قبل أن تصل القوات العراقية الى الضفة الغربية ، وتقوم بضربها قبل أن تقترب حتى من الضفة الشرقية لنهر الأردن ..

الغريب فى الأمر ان تحرك القوات العراقية تم الأعلان عنه ، بل كانت اذاعة صوت العرب تتحدث بحماس شديد عن تحرك القوات العراقية ..

« أيها الأخوة العرب فى كل مكان .. هاهى قوات العراق الشقيق .. تشق طريق النصر فى الطريق لتأخذ مواقعها فى الضفة الغربية .. أسمعوا أيها الصهاينة .. قوات العراق المظفرة قادمة للأنضمام الى شقيقاتها القوات العربية .. أنه يوم النصر .. انه يوم الوحدة العربية ...

هكذا كانت تتحرك كل القوات العربية ...

لذلك قامت الطائرات الاسرائيلية ، بالإغارة على القوات العراقية قبل أن تدخل الضفة الشرقية ، فى منطقة « ه ٣ » وعطلت وصولها لتأخذ مواقعها فى الضفة الغربية ..

• • •

هذه مقدمة طويلة ... للسؤال التاريخى :

• هل كان الرئيس عبد الناصر .. يقوم بهذا الحشد العسكرى للدخول فى حرب .. أم أنه مجرد تهديد وتلويح بالقوة العسكرية دون استخدامها ؟

وتعالوا نصدر الحكم فى البداية .. ثم نذكر بعدها كل الحيثيات :

أن الرئيس جمال عبد الناصر لم يفكر فى الدخول فى حرب مع اسرائيل وقد أراد تصفية بقية عدوان عام ١٩٥٦ ، دون أن يدخل فى حرب مع اسرائيل وفى نفس الوقت يكسب من جديد الشارع العربى ...

واليكم الحيثيات :

كان الرئيس عبد الناصر ، أكثر الناس معرفة ، بحالة القوات المسلحة وأن حالة القوات المسلحة بقياداتها وتدريباتها ، وانشغالها خارج مصر فى اليمن لا تستطيع أن تدخل معركة مع اسرائيل والا خسرتها .. وقد شرحنا فى أبواب سابقة حالة القوات المسلحة ...

• • •

أن الرئيس جمال عبد الناصر ، كان يبحث عن خروج مشرف من اليمن الا أن الأطراف المتصارعة لم تكن تسمح له بهذا الخروج ، ولكن فى حالة احتمال معركة عسكرية مع اسرائيل ، فهى أكثر من خروج مشرف من اليمن ، لتنضم القوات المتحاربة فى اليمن ، الى القوات التى تحارب اليهود ...

• • •

إن اذاعة الرياض .. واذاعة عمان .. واذاعة دمشق واذاعات أخرى .. بالإضافة إلى صحف بيروت ظلت تقول أن جمال عبد الناصر يختبيء خلف حائط القوات الدولية الموجودة على خطوط الهدنة بين مصر واسرائيل ، وهو فى نفس الوقت يسمح للسفن الاسرائيلية والعلم الاسرائيلى يرفرف فى المياه الأقليمية المصرية فى خليج العقبه ، وهو ما أخفاه تماما عن عامة الشعب المصرى .. فهو بهذا الحشد العسكرى يمكن له سحب قوات الطوارىء الدولية واغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية دون اطلاق رصاصة واحدة ..

* * *

وقد أحس جمال عبد الناصر فى الفترة الأخيرة أن الحملة الاعلامية التى قادتها كل من الأردن والسعودية قد نالت من شعبيته فى الشارع العربى ، وهو ما كان شديد الحرص عليه ، وانه بهذه الأجراءات سوف يسترد شعبيته فى الشارع العربى والمصرى دون أن يدخل حربا ، حتى انه قال للسيد عبد اللطيف البغدادى أنه أتخذ هذه الأجراءات « لأننى لاقيت الشارع العربى نايم قلت أصحيه » ، بل أنه قال للسيد ثروت عكاشة أنه أرسل محمد حسنين هيكل إلى احدى دور السينما ليأتى له برد الفعل الشعبى عندما تظهر صورته فى السينما ، وكان يعرض فى ذلك الوقت فيلم عن مؤتمر باندونج ، وعاد محمد حسنين هيكل وأسعد الرئيس عبد الناصر ، حيث قال له أن الناس صفقت بشدة عندما ظهرت صورته على الشاشة ، واستراح عبد الناصر عند سماعه هذا من مستشاره السياسى والصحفى ...

ثم .. بدأ الشارع الفلسطينى ـ عماد عبد الناصر فى شعبيته ـ يلتف حول قيادة فلسطينية جديدة ، هى منظمة فتح وزعيمها ياسر عرفات ، والتى اتخذت من دمشق مقرا لها ، وبدأت عمليات عسكرية ضد العدو الصهيونى ، وكانت أول هذه العمليات فى ليلة الأول من يناير عام ١٩٦٥ ، وفى نفس الوقت فان منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الأستاذ احمد الشقيرى لم تقم بعملية عسكرية واحدة ضد العدو الصهيونى ... لذلك بدأت أبصار الشعب

الفلسطينى فى المخيمات وفى الضفة الغربية وغزة تحول بصرها من القاهرة حيث عبد الناصر والشقيرى ، الى دمشق وياسر عرفات ومنظمة فتح ..

ـ حتى أن عبد الناصر ، فى وقت لاحق ـ بعد النكسة ـ طلب من محمد حسنين هيكل مستشاره الصحفى ، أن يأتى بياسر عرفات ليسلمه قيادة المنظمة ، ويبعد عنها صديقه أحمد الشقيرى ، وقام محمد حسنين هيكل بهذا الدور جيداً ..

لذلك .. فلقد أغلق خليج العقبة ... وطلب سحب قوات الطوارىء الدولية .. فأسقط بذلك كل الدعاية المضادة .. وفعلا عادت أبصار الشارع الفلسطينى تتجه من جديد الى القاهرة حيث عبد الناصر ...

ثم .....

ـ هناك رأى جدير بالدراسة ..

لقد اكتسح عبد الناصر كل رفاق الثورة ، ابتداء من محمد نجيب ، الى يوسف صديق ، الى خالد محيى الدين ، الى كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم .. الى آخر الرفاق ، الا أن المشير عبد الحكيم عامر الذى شكل مركز قوة بدأ يفرض فى أى أزمة كل شروطه ، ولم يكن أمام عبد الناصر الا الإذعان للمشير القوى ، بل وصل الأمر الى أن شكل المشير حكومة تحكم مصر ، تتكون من شمس بدران وصلاح نصر ، والفريق صدقى محمود ، والفريق سليمان عزت ، وسيطرت على القطاع العام وعلى الكثير من الوزارات ، والتمثيل الدبلوماسى ، بل وأكثر من هذا بدأت تسجل كل مكالمات رئيس الجمهورية وكافة المسئولين فى مصر ، حتى ان الرئيس عبد الناصر فكر فى تركيب تليفونات خاصة يصعب مراقبتها ، وخاصة تلك التى تصل بينه وبين كبار المسئولين فى الدولة .. وأكثر من هذا ، كانت حكومة المشير عبد الحكيم عامر ، قد وصلت الى حد اقصاء كل من له صلة بالرئيس عبد الناصر فى القوات المسلحة ، أو تسليه اختصاصاته ، كما حدث للواء محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، ولقد حاول عبد الناصر استمالة رجال المشير ولكنهم جميعا رفضوا ذلك ، وقال صلاح نصر مدير المخابرات بعد اطلاق

سراحه من السجن للكاتب الصحفي حمدى لطفى أن ناصر حاول أن يجنده ويجند جهازه للتجسس على عبد الحكيم عامر ، ولكنه رفض ذلك فأنشأ عبد الناصر جهازا جديدا وأسند رئاسته الى سامى شرف .

كانت مهمة هذا الجهاز الجديد تقديم المعلومات الشخصية عن الأسماء العامة والبارزة فى المجتمع العربى ، وما أكثر سعادة عبد الناصر حين تقع عيناه على تقرير سرى حول تصرفات مشبوهه جنسيا ، أو تصرفات غير اخلاقية لأحدى الشخصيات العامة مثل الصحفي الكبير الذى كان يتمتع بصداقته وثقته ، ولكنه كان يخفى علاقته بأحدى السيدات العربيات الشهيرات ممن يعشن بمصر ، وقد جاءوا اليه بشريط تسجيل صوتى لمطارحة غرامية بين هذا الصحفى الكبير والسيدة العربية ، فطلب عبد الناصر التسجيل بالصورة أيضا ..

ووصل الأمر بحكومة المشير عبد الحكيم عامر - كما يقول الكاتب الصحفى حمدى لطفى فى كتابه مأساة عبد الحكيم عامر - أن حكومة عامر القوية قد هددت عبد الناصر ذات مرة بنفيه الى يوغسلافيا ، وكان عبد الناصر يخشى هذه التهديدات لأنه يعلم امكانيات حكومة عامر فى تنفيذ هذا التهديد ..

بعد هذا التمهيد .. نصل إلى الرأى ..

يقال أن عبد الناصر ، لم يكن يجهل تلك الأجراءات التى اتخذها ، وردود الفعل اليقينية لدى اسرائيل ، وهى الحرب ، وهو أراد بهذه الأجراءات أن تدخل اسرائيل الحرب لتهزم المشير عبد الحكيم عامر الذى لم يتمكن من هزيمته وبذلك يطيح به وبحكومته ، ولم يكن يتصور أن الهزيمة بهذه الفداحة ، بحيث أنها أطاحت بالمشير وحكومته القوية ، بل أطاحت بعبد الناصر نفسه ...

واسمحوا لى أن أقدم دليلا واحدا على الرأى السابق ، وهو أعتراف من الرئيس جمال عبد الناصر للسيد ثروت عكاشة وزير الثقافة .. حيث قال له عبد الناصر :

ـ بعد صدور الميثاق فى عام ١٩٦٢ لم أكن مستريحا للأوضاع القائمة ، واقترحت على اخوانى القدامى ترك العمل التنفيذى وتشكيل مجلس رياسة للم شمل البلاد ، على أن يمثل مجلس الرياسة الاستمرارية ويتخلص من الأقطاعيات المحمية ، وأعلنت أنى على استعداد لتسليم مهام رئيس الجمهورية الى هذا المجلس .. وقد نال اقتراحي موافقة الجميع بما فيهم عبد الحكيم عامر ، فحددت موعدا أعلن فيه هذا النبأ فى التليفزيون .. استدعيت بعد ذلك عبد الحكيم لاناقشه فيما سيضطلع به بعد تركه القوات المسلحة ، وبينت له ـ كما بينت لزملائه من قبل ـ أننا نتطلع الى جيش متفرغ يتولى قيادته أكفأ الضباط لمدة محدودة ، ويتولاها بعده غيره من المشهود لهم بالكفاءة أيضا ، لا سيما أننا أصبحنا سياسيين لا عسكريين .. فإذا عبد الحكيم يعقب قائلا : سيتولى مناقشة هذا الموضوع عنى شمس بدران ..

وجاءنى شمس بدران فى اليوم التالى ليبلغنى أن المشير لن يترك القوات المسلحة . وحين لفت نظره الى أن المشير قد وافق على هذا الرأى استمسك ببقائه ، وأضاف أنه لابقاء له هو الآخر فى القوات المسلحة اذا خرج منها المشير . فما كان منى الا ان قلت له :

ـ ليكن لك ولعبد الحكيم ما تشاءان ..

وأخذ عبد الناصر يبرر تسامحه هذا بما كان يرى من أن مقاليد الأمن كلها فى القوات المسلحة كانت بين يدى شمس بدران ، وكان فى استطاعته أن يعزز تهديده هذا ..

واستطرد عبد الناصر يقول :

ـ « من أجل هذا تركت له الحرية فى أن يفعل ما شاء .. وما من شك فى أنى لم أكن على حق فيما فعلت . ولكن حرصى على الا تتعرض البلاد لعاصفة مدمرة هو الذى دفعنى الى هذا ..

كان الرئيس عبد الناصر ، يعلم أن رجل أمريكا فى لبنان هو صائب سلام رئيس وزراء لبنان الأسبق ، وخلال فترة « التهويش » باستخدام القوة اتصل عبد الناصر بسفير مصر فى بيروت ، وطلب منه ارسال صائب سلام

إلى القاهرة ، ولم يكن صائب سلام رئيس وزراء لبنان فى هذا الوقت .. وجاء صائب سلام الى القاهرة فى مظاهرة اعلامية ، والتقى بالرئيس عبد الناصر ، وصدرت التعليمات باذاعة خبر هذا اللقاء فى كل نشرات الأخبار وفى الصفحات الأولى ، وقال عبد الناصر للزعيم اللبنانى :

- انه لن يترك طوبة فوق طوبة فى اسرائيل ، وأنه تلقى أسلحة فتاكة من السوفييت ، وأن صواريخ بعيدة المدى تطول كل المدن الأسرائيلية أصبحت الأن فى حوزة مصر ، وأن الدول العربية - رغم الخلافات - قد عرضت بتقديم سلاحها الجوى بما لديهم من طائرات وطيارين الى مصر ...

وكانت هذه رسائل تهديد من جمال عبد الناصر الى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون ، ليعمل على تسوية الأزمة سلميا ، ويكون بذلك قد قطع الطريق أمام سخرية أذاعتى الرياض وعمان ..

ولم يكن يعلم أن كل أسراره مخترقة تماما ، لانشغال الجهاز بأمور أخرى غير أمن الوطن ، وأن اسرائيل لديها صورة واضحة ، بل أوضح مما لدى عبد الناصر عن أحوال القوات المسلحة .

* * *

لم يكن عبد الناصر جادا فى دخول حرب مع اسرائيل ..
واليكم هذه الوقائع :

بعد الحشد الغريب ، يقول الفريق محمد فوزى فان القادة والضباط والجنود تساءلوا عن سبب هذا الحشد ، وهو سؤال موضوعى جاء فى وقته ، لكن لم يحظ الجميع بأجابة أو رد يقنع ، والسبب هو عدم اعلان توجيهات سياسية ورسمية من القيادة السياسية ، أو مجلس الدفاع الوطنى ، وهو المجلس المختص بمثل هذه الأمور ..

ووقع القادة والضباط والجنود فى حلقة « الأشاعات » ، الأمر الذى جعلنى وزملائى ، نتشاءم من هذه البداية .. ورغم ذلك كثرت التكهنات التى تجيب على سبب التعبئة ثم الحشد .. فقد قيل مرة أنه سبب التزام مصر (ج . ع . م) . بالقيام بمظاهرة عسكرية تجاوبا مع سوريا .. التى ارتبطت

معها باتفاقيات دفاع مشترك ثنائية عام ١٩٦٦ .

وقيل مرة أخرى ان الحشد واجراءات التعبئة هدفهما الضغط العسكرى والنفسى على اسرائيل حتى لا تجرؤ على مهاجمة أو تهديد سوريا .. فبادرت مصر الى اعمال التزامها القومى بالدفاع عن الشعب العربى فى سوريا

ويعتقد الفريق فوزى ان هذا الرد الأخير هو الأقرب الى الحقيقة - فى ذلك الوقت - بالاضافة الى استفادة مصر من هذا الموقف فى رفع وازالة قوات الطوارىء الدولية من حدود مصر واعادة التمركز فى شرم الشيخ ، واستعادة مصر لسيادتها على مياهها الأقليمية ، والتحكم فى الممر المائى فى مضيق تيران .. أى السيطرة على خليج العقبة ..

كانت المشكلة التى واجهت قيادات الجبهة هى تخبط الأوامر وعدم مطابقتها للقرارات السياسية .. فمثلا أعلن جمال عبد الناصر قرارا باغلاق الملاحة البحرية أمام السفن الأسرائيلية .. ولم تصدر أوامر للقوات المصرية فى شرم الشيخ باغلاق خليج العقبة .. وأعلنت مصر بأنها قامت بتلغيم الممر المائى عند تيران - ولم يحدث ذلك ..

يقول الفريق فوزى أن أكثر القادة احراجا فى سيناء هو قائد قوة شرم الشيخ نفسه .. فعلى سبيل المثال كان يطلب الأجابة الصريحة على الحالات الاتية :

السماح أو المنع للسفن الحربية ...

- السماح أو المنع للسفن الأجنبية التى تحمل بضائع أو سلعا استراتيجية لاسرائيل .. أو حتى بضائع تموينية ..
- السماح أو المنع لناقلات البترول ..
- السماح أو المنع لسفن حراسة حربية تحرس سفينة اسرائيلية ..
- السماح أو المنع لسفن اسرائيلية ترفع علما دوليا أو أجنبيا ..
- السماح أو المنع لسفن اجنبية مؤجرة لاسرائيل ومتجهة اليها .

وهكذا ظلت هذه التساؤلات تأتى من قائد منطقة شرم الشيخ ابتداء من يوم ٢٠ / ٥ / ١٩٦٧ حتى يوم ٢٣ / ٥ / ١٩٦٧ ، الى أن صدرت

توجيهات المشير بالتفصيلات النهائية بالغلق ، اعتبارا من الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ٢٢ / ٥ / ١٩٦٧ ووصلت هذه التعليمات الى القائد الساعة ١١,٥٩ مساء يوم ٢٢ / ٥ / ١٩٦٧ ، رغم أن هذا القرار أذيع على العالم كقرار سياسى منذ يوم ١٨ / ٥ / ١٩٦٧ ..

ويقول الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه « تحطيم الالهه »

ـ أن السبب الحقيقى يكمن فى الرغبة المشروعة للقيادة المصرية فى الأستفادة من الموقف كله ، الذى يشتبك فيه السوفييت والسوريين معا ، فى استعادة حق مصر الضائع فى السيطرة على مضيق تيران منذ عام ١٩٥٧ ، وحرمان اسرائيل من الملاحة فى خليج العقبة .. والأستفادة بموقعها الذى أغتصبته على البحر الأحمر .. وقد عبر عبد الناصر عن ذلك يوم ٤ يونيو بقوله :

ـ أن ماحدث هو أننا استعدنا حقنا فى خليج العقبة .. فلقد كانت الأمور فى خليج العقبة سنة ١٩٥٦ كما هى الآن .. ولكن نتيجة للعدوان البريطانى الفرنسى ، سحبنا قواتنا من سيناء ، وحضرت قوات الطوارى الدولية .. وبهذا كان علينا أن نستعد لمعركة فاصلة مع العدو ، وحين شعرنا بأننا على أستعداد ، استعدنا حقنا : خرجت قوات الطوارىء الدولية ، ثم عدنا الى خليج العقبة ، ثم أغلقنا خليج العقبة ، ...

وهذا الحديث عن استكمال الأستعداد ، يعد تكرارا لكلمة كان قد ألقاها عبد الناصر قبل أيام (٢٩ مايو ١٩٦٧) فى أعضاء مجلس الأمة ، قال فيها : ـ قلت قبل الآن أننا سنقرر الوقت ، وسنقرر المكان ، ولن نتركهم ليقرروا الوقت والمكان ... وقد تمت الأستعدادات ، ونحن على استعداد لمواجهة اسرائيل ..

وفى خطاب يوم ٩ يونيه ١٩٦٧ ، كرر عبد الناصر ماذكره عن الأستعدادات ، فقال :

ـ كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة ، بما بلغته من مستوى فى المعدات والتدريب ، قادرة على رده وردعه .. وكنا

ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم ، وقبلنا بالمخاطرة ..

ويقول الدكتور عبد العظيم رمضان :

ـ لم تكن اذن مسألة الحشود الاسرائيلية ، التى ثبت زيفها ، هى أسباب الحشود المصرية فى سيناء ، وأنما كانت ـ كما ذكرنا ـ الرغبة فى تجربة قدرة مصر على طرد قوات الطوارىء الدولية ـ واستعادة حقوق ممارسة السيادة المصرية على مضيق تيران .. ونرى أن هذا هو السبب الذى دعا عبد الناصر لأن يعلن على الجماهير فى ذلك الحين ما لايتفق مع الحقيقة التى زودته بها المخابرات المصرية ، وثبتت له بتحريات قواده على الجبهة السورية .. ففى خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، ذكر أن الجانب المصرى قد قام بتحقيقات المعلومات التى وصلت من سوريا عن الحشود الاسرائيلية ، وتأكد لنا أن اسرائيل تحشد أمام سوريا ما لايقل عن ١٣ لواء » ..

بالنسبة للتصريح الأخير للرئيس عبد الناصر فاعتقد أنه مناف للحقيقة تماما ، لأن كافة المعلومات التى وصلته ـ من غير السوفيت ـ تؤكد عدم وجود حشود .. حتى أن رجله فى القوات المسلحة الفريق فوزى قد عاد وأكد ذلك ..

• • •

• ويقول عبد اللطيف البغدادى حول مايهدف اليه جمال عبد الناصر من تحريك قواتنا العسكرية الى سيناء ، إنه لا يمكن أن يكون جادا فى الدخول فى معركة حربية مع اسرائيل ، وإنما هو يهدف فقط إلى الحصول على نصر باستعادة شرم الشيخ وتهديد ملاحة اسرائيل فى مضايق تيران دون الدخول فى معركة حربية .. وهو ربما يعتقد أنه بتأزيمه للموقف فان القضية فى الغالب ستحال الى هيئة الأمم المتحدة فقط .. ولن تصل الى درجة الحرب .. وحتى لو صدر قرار من هيئة الأمم المتحدة يلزم بتوفير حرية الملاحة لأسرائيل فى هذه المضايق فهو لن يلتزم به اعتمادا على مواقف مشابهة من اسرائيل فى السابق وعدم تنفيذها لقرارات هيئة الأمم المتحدة فى مسائل كثيرة ...

ويضيف البغدادى :

- ورأينا فى النهاية بعد هذا الأستعراض للموقف أنه من الأصوب أن لا يعلن جمال عن اعتزامه بتهديد الملاحة الاسرائيلية فى مضايق تيران وذلك تهدئة لهذا الجو المشحون ، وحتى لا تدفع اسرائيل الى حرب نعتقد اننا غير مستعدين لها .. وأن لا يتهم جمال بمهاجمة بعض الدول العربية له أن اتخذ هذا الموقف .. وعلى العموم فهو حتى الآن لم يعلن عن اتجاهه فى هذا الشأن ..

قام عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين بزيارة جمال عبد الناصر .. لوضع أنفسهما تحت أمر الوطن فى أى موقع ، ودار حوار غاية فى الأهمية ، وذكر الرئيس جمال عبد الناصر لرفاق الثورة أن خطة مصر مبنية من الأساس على سحب قوات الطوارىء الدولية والرجوع الى شرم الشيخ ..

فقال البغدادى :

- اننا استنتجنا ذلك يوم ١٨ مايو عندما طلبت مصر سحب قوات الطوارىء واستفسرت منه عما اذا كان لدينا فرقتان عسكريتان فى سيناء أو أكثر ..

فرد عبد الناصر باعتزاز قائلا :

- خمس فرق .. منها فرقتان مدرعتان وثلاث مشاة ..

وسألناه عن تقديره لموقف اسرائيل - وهل من المنتظر أن تتحرك وتحارب .. وهل لدينا أية معلومات تدل على ذلك .. ولكنه استبعد هذا وذكر أنها إن تحركت فلن يكون ذلك قبل ستة أو سبعة أشهر .. ولما استفهمنا منه عن موقف امريكا - أجاب - ولا حاجة ..

ثم سأله البغدادى عما اذا كان ممكنا كسب القضية فى هيئة الأمم أن أحيل إليها موضوع الخلاف ..

فرد عبد الناصر بإنه مطمئن لذلك ... وقد وجه له هذا السؤال لأعتقاد البغدادى أن عبد الناصر يؤزم الموقف مقدرا أن الموضوع سينتهى بأن يحال الى مجلس الأمة ..

ثم قال البغدادى لجمال عبد الناصر ربما تحاول اسرائيل الأستيلاء على قطاع غزة حتى تساوم به على شرم الشيخ إن انتقل الخلاف إلى هيئة الأمم ..

فسكت جمال ولم يعلق على ماذكرت ..

واكد عبد الناصر وقوف السوفييت مع مصر ، وعندما سأله البغدادى ، هل هم على استعداد للأشتراك فى المعركة ودخول حرب ثالثة من أجلنا لوتدخل الغرب فأجاب ـ أنهم أبلغوا شمس بدران ـ بمساندتنا عندما كان عندهم ـ ووافقوا على جميع طلباتنا ـ من ارسال طائرات بسرعة ـ وتسليح فرقتين ـ واحدة مدرعة وواحدة مشاة ..

وقال أيضا أنهم أرسلوا لنا ليأخذوا رأينا فى زيارة أشكول رئيس وزراء اسرائيل لهم . وهو طلب منهم أن يقوم بزيارة لموسكو ، ووافقنا ..

فقال كمال الدين حسين : أنا خايف ليفهم أن مشاكلنا بتحل فى موسكو .. فرد البغدادى بسرعة حتى لا يتكهرب الجو مع جمال من هذا الذى ذكره كمال الدين حسين وقال أن براون وزير خارجية بريطانيا كان قد سافر إليهم .. وليس معنى هذا أن مشاكل بريطانيا بتحل فى موسكو ..

وقال جمال أيضا أن الملك حسين قد طلب أن يأتى لزيارتنا . وألح على سفيرنا فى عمان حتى كاد يقبل (..) من أجل أن نوافق على قيامه بهذه الزيارة ، وأنه على استعداد لتغيير حكومته بحكومة أخرى وطنية .. وذكر جمال أنه وافق على أن يقوم الملك حسين بهذه الزيارة لمصر ولكن دون اعلان عنها .. وقال أنه سيحضر باكر ـ وسينزل بطائرته فى مطار الماظة وليس فى مطار القاهرة الدولى ..

وأشار البغدادى فى حديثه لعبد الناصر إلى ظاهرة تجمع وحدتهم فى هذه الأزمة وبصورة مشرفة لم تحدث من قبل ..

فقال جمال تعقيبا على ذلك :

ـ أصلى لقيت العالم العربى نايم ويائس ، فحبيت أصحيه ..

• • •

ويقول تريفورن . ديوى وهو كولونيل متقاعد كان يعمل فى الجيش الأمريكى ويعتبر من أبرز المحللين العسكريين .. وكان قد سبق أن اصدر كتاباً باسم « موسوعة التاريخ العسكرى » وصدر له أيضا بالاشتراك مع مؤلفين آخرين « التراث العسكرى لأمريكا » و « حملات الثورة الفرنسية ونابليون » و « التاريخ العسكرى للحرب العالمية الثانية » و « التاريخ العسكرى للحرب الأهلية الصينية » و « التاريخ التسجيلى للحد من الأسلحة النووية ونزع السلاح » .. يقول ديوى

- ان السوريين قد انضموا الى الأردنيين فى ادانة الرئيس عبد الناصر لعجزه عن ردع اسرائيل لهذه الواقعة ، التى وصفها السوريون بأنها عدوان جوى .. وشاركت الصحافة فى الدول العربية الأخرى فى انتقاد عبد الناصر ، مشيرة إلى أنه كان أكثر اهتماما باقامة امبراطورية استعمارية مصرية عبر البحار فى اليمن ، وطلبت منه تأييد القضية العربية المشتركة ضد الصهيونية فى فلسطين ، ووجد عبد الناصر - الذى يتسم برقة الأحساس والمشاعر والطموح فى الأعتراف به كزعيم « للأمة العربية الموحدة » فى هذه الانتقادات والتقريع ، أمرا يكاد يتعذر احتماله ..

* ويقول ديوى :

- بعد ذلك بفترة وجيزة ، بات واضحا أن ثمة حملة دعائية ، شاركت فيها الأذاعة والصحافة تصاعدت من موسكو والقاهرة ودمشق على حد سواء ، تؤكد أن الأسرائيليين حشدوا القوات شمالى اسرائيل بهدف غزو سوريا ..

* يقول ديوى :

- استدعت الحكومة الأسرائيلية - ردا على الأنباء الواردة من موسكو السفير السوفييتى لدى اسرائيل ، ثلاث مرات على الأقل ، فى ١٢ مايو و ١٩مايو و ٢٩ مايو ، وذلك لزيارة شمال اسرائيل والحدود السورية لتفقد الموقف بنفسه ، ورفض السفير السوفييتى تشوفاخين هذه الدعوة ، وفى ١٩

مايو ، أثار يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة ، فى تقرير بعث به الى مجلس الأمن مزاعم تحركات وحشود القوات الأسرائيلية ، وقال :

ـ تؤكد تقارير مراقبى هيئة مراقبة الهدنة الدولية عدم وجود تحركات وحشود للقوات على أى من جانبى خط وقف اطلاق النار ..

ـ وينكر المحلل العسكرى الأمريكى قائلا :

ـ ويبدو من الاستعادة للأحداث أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يعتزم خلق هذه الأزمة ، ولكن بعد أن طلب ذلك ، ربما كان يتوقع من يوثانت الدعوة الى عقد اجتماع لمجلس الأمن ، حيث تكون النتيجة الممكنة الوحيدة هى توصية مجلس الأمن للقوات بمواصلة البقاء فى مواقعها ، وفى هذه الحالة ، يصبح فى الأمكان اثارة عاصفة من الضجيج وتهديدات بالاستيلاء على مواقع الأمم المتحدة ، ولاشىء غير ذلك ..

وفى موقع آخر من كتابه « النصر المحير » يؤكد الكولونيل الأمريكى .. أنه برغم الحشود والتحركات العسكرية المصرية ومع إستعادة الأحداث والتأمل فيها بأن الرئيس عبد الناصر لم تكن لديه النية فى الواقع فى شن حرب ..

ثم يؤكد الكولونيل الأمريكى حقيقة اخرى بأن رد السكرتير العام على طلب مصر ، الى أنه سيقوم بسحب القوات دون استشارة مجلس الأمن .. لم يكن هذا الرد هو الذى عول عليه عبد الناصر ، ولكنه اعتقد ـ فيما يبدو ـ أنه قطع شوطا طويلا حتى أصبح الأمر لارجعة فيه ، وبعد تأخير يومين ، وفى ١٨ مايو .. تقدمت الحكومة المصرية بطلب رسمى الى السكرتير العام بسحب قوات الأمم المتحدة .. ولما كان يوثانت قد تلقى لتوه فى صباح ذلك اليوم تأكيدا من اسرائيل بخصوص موقفها من عدم أمكانية مرابطة قوات الطوارىء الدولية على الجانب الاسرائيلى من خط وقف اطلاق النار ، أصدر السكرتير العام أمرا بالانسحاب ..

ويلقى الكاتب بمفاجأة ، اذ يقول :

ـ هناك بعض الدلائل تشير إلى أن الرئيس عبد الناصر فكر فى أن يبعث برسالة خاصة وسرية إلى اسرائيل مؤداها أنه لا يعتزم تنفيذ اغلاق

المضيق .. وأنه إنما يعيد تأكيد استمرار حالة الحرب بين مصر واسرائيل فحسب وليس المشروع فى فرض حصار حقيقي ، رغم ذلك ، لم يبعث عبد الناصر برسالة من هذا القبيل ، ربما لانه خشى أن يعلن الاسرائيليون عنها ، الأمر الذى من شأنه أن يضر بمكانته التى كانت مهددة بالفعل ، ويبدو أنه كان يتوقع من الاسرائيليين التأكد من اعلانه اغلاق المضيق عن طريق إرسال بعض السفن عبر المضايق حينئذ يستبين لهم انعدام نواياه العدوانية .. رغم هذا ، لم يكن لدى الاسرائيليين الرغبة فى المخاطرة بأحدى السفن التجارية لأختبار النوايا المصرية ، فقد كانوا على يقين من أن عبد الناصر جاد الى حد بعيد ، وأخذوا بالمعنى الظاهر ولم يتعمقوا فى اعلانه اغلاق المضيق .. وأعدوا للقيام بالضربة الأولى قبل توجيه الضربة لهم .. وكان الموعد الذى حددوه هو الخامس من يونيو ..

* وينهى الكاتب الأمريكى تأكيده بأن عبد الناصر لم يكن يريد الدخول فى حرب ، وكان يتصور أن المكاسب التى حصل عليها قد تسكت عنها اسرائيل فيقول :

- وعلى أية حال ، وفى ظل هذه الظروف ، فإن الحقيقة التى تتمثل فى أن عبد الناصر قد سمح لعامر بالبقاء فى منصبه تعد بمثابة دليل واضح - على مايبدو - على أن عبد الناصر لم يكن يتوقع نشوب حرب فى عام ١٩٦٧ .

• • •

ثم نأتى الى الشهادة المتأنية التى ذكرها الكاتب البريطانى انتونى ناتنج فى كتابه « ناصر » ، حيث يقول أن أعلان مصر بتلغيم خليج العقبة لم يكن له أى أساس من الصحة ، ويقول :

- قام الملك حسين بالرد علي تشهير الشقيرى ومؤيديه المصريين بتعليمات الى الصحف والأذاعة الأردنية بترديد فى نغمة ساخرة أن عبد الناصر يختبىء وراء قوات الطوارىء الدولية ويتحاشى القتال مع العدو ، بينما يدعى فى الوقت نفسه أنه أشد خصوم اسرائيل وأقوى حليف لسوريا ،

كما ذكرت أيضا أن اسرائيل تتلقى أمدادات عسكرية عن طريق خليج العقبة الذى سمح لها عبد الناصر بالمرور فيه وهو يعلم أنها تستخدم فى قتل عرب أقسم أن يدافع عنهم .. وأن القيادة العربية الموحدة قد انشئت لتكون بمثابة ذريعة لعدم تحرك مصر كلما تعرض اشقاؤها فى الأردن أو فى غيرها للهجوم ، والأمر الأشد شناعة من هذا كله أن القاهرة تتأهب بتشجيع الروس وتواطؤهم للتنازل عن الضفة الغربية لأسرائيل مقابل تسوية سلمية منفصلة .

• ويقول نانتج :

- وفى الوقت نفسه صدرت تعليمات مشددة للغاية الى القوات المصرية فى سيناء الا توجه اى استفزاز لاسرائيل ورفضت رفضا قاطعا توسلات عبد الحكيم عامر وشمس بدران بتوجيه الضربة الأولى .. وصدرت الأوامر للجيش باتخاذ مواقع دفاعية فقط ، الا فى حالة غزو الاسرائيليين لسوريا .. والواقع أنه حتى خصم مصر الجنرال رابين ، اعترف فيما بعد فى تصريح له نشرته صحيفة لوموند الباريسية فى فبراير ١٩٦٨ بأنه لم يعتقد أن عبد الناصر كان يريد الحرب ، فالفرقتان اللتان ارسلهما الى سيناء يوم ١٤ مايو لم يكونا كافيين لشن حرب على اسرائيل .. وكان يعرف ذلك .. وكنا نعرفه أيضا ..

ومن المعروف أنه تم أرسال فرق أخرى الى سيناء فى وقت لاحق لأضفاء طابع الصدق على خدعة عبد الناصر .. وحيث أن الجزء الأكبر منها ظل فى وضع احتياطى على بعد مائة ميل من الحدود فلم يكن هناك من سبب خطير يدعو الأسرائيليين للخوف .. فضلا عن ذلك حرص عبد الناصر على أن يؤكد للأمريكيين بأن مصر لن تطلق الطلقة الأولى ..

وفى السادس والعشرين من مايو وبعد أن أحتلت قواته حدود سيناء واستدعى السفير المصرى إلى البيت الأبيض فى منتصف الليل ليسمع محاضرة أخرى عن ضرورة ضبط النفس سارع بترديد ذلك التأكيد .. كما أكد ذلك للروس الذين قام سفيرهم فى القاهرة بزيارة مفاجئة فى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى لتحذيره من الأقدام على أى عمل عدوانى ..

وفى تصريحات علنية أدلى بها خلال الأيام القليلة التى تلت ذلك ، كما حدث فى مقابلتين تليفزيونيتين أجراهما معه كريستوفرمفا بهو فى ٣ يونيو ، راح يؤكد مرارا بأنه لن يكون البادىء باطلاق النار ..

ومن المؤكد أنه لم يكن فى استطاعة عبد الناصر أن يوضح أكثر من ذلك لكل الأطراف المعنية .. أنه يريد تسوية وانه يفضل الا ينفذ حقه فى فرض الحصار قبل أن تكون هناك فرصة لمناقشة الأمور مناقشة مستفيضة ، وتحقيقا لهذا الهدف أبلغ واشنطن والعواصم الغربية الأخرى أنه على استعداد تام لعرض القضية على محكمة العدل الدولية فى لاهاى لكى تقرر ما اذا كانت مصر قد تجاوزت أم لا حقوقها باغلاق مضيق تيران فى وجه سفن العدو ..

كما صدرت تلميحات بأنه من الممكن حتى التفاوض بشأن الحظر المفروض على السفن الاسرائيلية التى تعبر قناة السويس بشرط أن تضع أية مفاوضات فى حسابها قرارات الأمم المتحدة السابقة التى تدعوا اسرائيل إلى إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم والتقيد بالحدود المقررة وفقا لمشروع التقسيم الصادر فى عام ١٩٤٧ ..

ولما اقترحت واشنطن استثناء النفط من قيود الحصار الذى فرضته مصر ابدى استعداده لبحث الموضوع واقترح ايفاد زكريا محيى الدين الى واشنطن ونيويورك لبحث هذه المسألة وما يتعلق بها من مسائل اخرى مع الحكومة الامريكية والأمم المتحدة ، صحيح أنه أعلن فى مؤتمر صحفى يوم ٢٨ مايو أنه لا يتصور كيف يمكن للعرب أن يتعايشوا سلميا مع اسرائيل التى لايشكل انشاؤها ذاته عدوانا على الفلسطينيين .. لكنه فى الوقت نفسه أعلن استعداده لأحياء لجنة الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية المشتركة التى كانت قائمة منذ حرب ١٩٥٦ ..

ذكر مكسيم رودنسون فى كتابه « اسرائيل والعرب » أن هدف عبد الناصر فى هذه المرحلة لم يكن كسب الأعتراف بحقوق مصر فى خليج العقبة فحسب .. بل ارغام اسرائيل على التفاوض حول جميع المشكلات الناجمة عن حرب ١٩٤٨ وتقديم تنازلات بعيدة المدى للعرب فيما يتعلق

باللاجئين وبالتعديلات الأقليمية بيد أننى أميل استنادا الى اتصالاتى به حينذاك ، الى الشك فى أنه ذهب بتفكيره الى هذا الحد ، ونظرا لأنه كان دائما اكثر ميلا الى رد الفعل منه الى الفعل ، فقد اتخذ مجرد الخطوات التى أرغمه يوثانت والتهديد الاسرائيلى لسوريا على اتخاذها .. فبعد ان قام بخطوته واستعاد زعامته المفقودة كان من الممكن أن يرضى تماما بالوصول الى تسوية على أساس حل وسط لمشكلة الخليج وحدها ..

ونظرا لأن القاهرة كانت قد رفضت فعلا أقتراح ليندون جونسون بأن يلغى المصريون الحصار ويسمحون لقوات الطوارىء الدولية بالعودة الى جميع مواقعها السابقة .. فقد بدأ بوست على الفور يبحث مع محمود رياض الوسيلة التى يمكن بها تعديل الحصار بما يتيح للجانبين معا فرصة العيش فى ظله فاقترح رياض أن تكون القاعدة هى قانون الحرب الأمريكى الذى يمنع تصدير قائمة طويلة من . المواد الاستراتيجية الى دول الكتلة الشيوعية ، وبدا أنه يعتقد أنه يقدم بذلك لاسرائيل تنازلات ضخمة .. ولكن عندما رد بوست بأن الممنوعات بموجب قانون الحرب تشمل البترول الذى كان الوارد الرئيسى لاسرائيل عبر خليج العقبة قال رياض انه من الواضح أن المسألة تتطلب دراسة اكثر تفصيلا يمكن القيام بها عندما يصل زكريا محى الدين الى واشنطن ..

وفى الوقت نفسه المح لزائره الأمريكى بصراحة أن مصر قد تكون على استعداد للسماح باستمرار تدفق البترول بشرط الا تكون هناك زيادة ملموسة فى حركة مرور الناقلات الى ايلات ..

وفى ٣ يونيو غادر بوست القاهرة بعد يومين من المباحثات تم خلالهما وضع أساس مناسب وصادق لأجراء مفاوضات بين امريكا ومصر وكان من المقرر أن يزور زكريا محى الدين واشنطن يوم ٧ يونيو وحسب تقدير وزارة الخارجية الامريكية كانت هناك فرصة معقولة للوصول الى تسوية ، فقد أكد لهم عبد الناصر مرارا أنه لايريد حربا ورغم لهجة الاسرائيليين المتشددة الأخيرة ، كانت واشنطن لا تزال تأمل فى أنهم سوف يتيحون للدبلوماسية فرصة تسوية النزاع ، لكن الاسرائيليين فى الواقع لم يكن لديهم

أية نية للسماح لأية تسوية دبلوماسية بأن تحرمهم من فرصة الاطاحة بعبد الناصر .. ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أنهم قرروا أن الوقت قد حان لتوجيه ضربتهم بعد أن ابلغهم الأمريكيون فى ٢ يونيو بالزيارة التى يعتزم زكريا محيى الدين القيام بها .

وقد أبدى دين راسك أسفه بعد ذلك لأنه ربما يكون قد ساعد عن غير عمد فى الضغط على الزناد بنقل هذه المعلومات الى الحكومة الاسرائيلية .. ومن المؤكد أنه ليس سرا أن هذا النبأ أثار أشد القلق فى تل أبيب حتى ثارت المخاوف من أن يتمكن مبعوث محبوب فى واشنطن مثل زكريا محيى الدين من انقاذ عبد الناصر من الفخ الذى وقع فيه عن طريق التأثير على الامريكيين وتملقهم مما يجعلهم يوافقون على حل وسط .. ولا يمكن أن يكون من قبيل السهو الانفعل الحكومة الاسرائيلية لضمان أن تنقل الى شعبها الحائر شعور الوفاق السائد الذى بات سائدا بين واشنطن والقاهرة بعد أن ساعدت على خلق جو من الهياج المحموم فى اسرائيل حول تهديدات الأنتقام الأخيرة التى اطلقها العرب ..

* * *

لا اعتقد ، بعد كل هذه الشهادات السابقة ، أن عبد الناصر كان يريد الدخول فى حرب مع اسرائيل فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، لقد قام بمظاهرة عسكرية ـ فربما تخيف اسرائيل ـ ويكون قد استرد شعبيته فى العالم العربى ، بأن خفف الضغط الاسرائيلى المزعوم عن سوريا ، وأغلق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية .. وسحب قوات الطوارىء الدولية .. وبذلك تسقط حجج الاذاعات المعادية لعبد الناصر .. ويسترد مكانته فى العالم العربى ..

ولكن ...

هناك معنى أقسى وأخطر ..

أن جمال عبد الناصر ـ صدق كالعامة ما تقوله الصحف عن جيش العاهرات الاسرائيلى ـ وانه بكل هذه الأجراءات كان يجهل تماما

الأبجديات .. الاسرئيلية .. وهذه كارثة فى حد ذاتها ..

وهناك سؤال يطرح .. ماذا كان يحدث لو أن الحشود الاسرائيلية سليمة ، وأنها قامت فعلا بالأعتداء على دمشق دون أن تتحرك القاهرة ، ماذا كان يحدث فى العالم العربى نتيجة لذلك ؟ وماذا كان يحدث فى مصر نتيجة لذلك ؟

يصعب استقراء المستقبل ، ولكنى هنا سأذهب الى أبعد مدى :

* سقوط عبد الناصر
* ثورة عارمة فى العالم العربى ضد مصر والمصريين ..
* فرض اسرائيل كلمتها على العالم العربى ..

والسؤال الآن .. ألم تحقق اسرائيل كل هذه الأهداف من حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، لقد سقط عبد الناصر ، أو قل لقد مات عبد الناصر فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وكانت ثورة العالم العربى على مصر والمصريين عارمة نتيجة لهزيمة مصر أمام تتار الشرق الأوسط ، وتحولت اسرائيل بعد معارك يونيو الى شيء مخيف عملاق ، وأصبحت « أسطورة » فى مصر والعالم .

ما كنا فقدنا الأرض..

وتعلمنا ان العدو ليس على جبال اليمن ، وفى ادغال الكونغو ، بل العدو على الحدود الشرقية للوطن ، وان العدو لابد أن ندخل معه معركة محدودة الملامح والأهداف ، لها خطة ، ولها امكانيات ويتدرب عليها الرجال ، ثم يقومون بها .. فتنقذ مصر وسوريا والعالم العربى ..



التراجع المتأخر

يبدو أن الرئيس جمال عبد الناصر ، فى بداية أزمة مايو ١٩٦٧ ، قد اعتمد اعتماداً كاملا على التقرير الذى قدمه شمس بدران وزير الحربية (والذى يجهل أبجديات السياسة) عقب عودته من موسكو ، مؤكدا أن الحرب لو نشبت ، فإن الاتحاد السوفيتى سوف يحارب معنا ، مما جعله يقف يشرح لمجلس الوزراء خطة مصر العسكرية .. وعندما سألوه فى مجلس الوزراء عن تدخل الأسطول السادس الأمريكى فى المعركة لصالح اسرائيل أجاب بأن هناك قوة يمكن أن تدمره .. وهنا يقصد قوة الاتحاد السوفيتى ، بل أن عبد الناصر ردد هذا المعنى فى لقائه بعبد اللطيف البغدادى .. وحسن إبراهيم ولكن عندما سأله البغدادى :

ـ وهل يمكن أن يغامر الاتحاد السوفيتى بحرب عالمية ثالثة من أجلنا ؟

لم يرد على البغدادى ..

• • •

فى بداية الأزمة تصور الرئيس عبد الناصر ، أن سياسة دالاس قد تفلح فى الشرق الأوسط أو بمعنى أدق قد تصلح مع عدو متربص بمصر ، ومصر بالذات وفى هذا الوقت بالذات ، وهى سياسة الوصول بالأزمة إلى حافة الهاوية ، بعدها تتراجع كافة الأطراف .. وقد دفع عبد الناصر بالأزمة إلى حافة الهاوية ، بل إلى الهاوية نفسها ..

• • •

قال موشى ديان قبل أزمة مايو ، كم بودى أن أقدم رشوة للمسئولين المصريين ليبدأوا الحرب الآن ، ولما سألوه لماذا ؟ .. تحدث عن حالة القوات المسلحة فى هذه المرحلة بالمقارنة بالقوات الاسرائيلية ، وأنها تصبح فرصة لتدمير القوات المصرية التى تملك مفتاح السلام والحرب فى المنطقة ، وفى نفس الوقت لا يلومنا العالم .. فهم الذين بدأوا الحرب ..

فى المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس عبد الناصر فى مايو ١٩٦٧ ، هاجم الولايات المتحدة بشدة وقال : إن لم يعجبها أن تشرب من ماء البحر الأبيض يمكنها أن تشرب من البحر الأحمر .. وكان قبل ذلك حريصا على التعامل مع الولايات المتحدة فى فترة رئاسة - الكاوبوى - جونسون ..

* * *

اكتشف عبد الناصر ، متأخرا ، أن الأمور قد خرجت من يديه وأن اسرائيل عازمة على دخول المعركة ، وهنا تبنى نظرية استقبال الضربة الأولى .. وبدأت القوات تعدل مواقعها ومواقفها بناء على هذه الاستراتيجية الجديدة .. وقام محمد حسنين هيكل بالترويج لهذه النظرية ، وبدأ عبد الناصر البحث عن أمل مفقود فى هذه « الورطة » سياسيا ..

• حاول أن يبعث إلى اسرائيل ليقول لهم بأن القوات المصرية لم تتعرض ولن تتعرض لحرية الملاحة فى الخليج .. وقد وصلت الرسالة فعلا إلى اسرائيل .. إلا أنها كانت عازمة على استثمار الاجراءات المصرية وشن حرب ، تدعى أنها حرب وقائية ضد هذه الاجراءات .

• حاول أن يرسل نائبه السيد زكريا محيى الدين إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتفاوض ، وحل القضية سياسيا مع الكثير من التنازلات ، وقبلت الولايات المتحدة سفر السيد زكريا محيى الدين ، وأعد برنامج الزيارة ، ولكن الحرب قامت قبل وصول نائب الرئيس عبد الناصر إلى العاصمة الأمريكية ، والتى أعطى رئيسها الضوء الأخضر لاسرائيل أن تبدأ ضربتها الأولى .

• كان عبد الناصر يعلم تمام العلم - كما يقول أنتونى ناتنج خلال لقاء

معه فى وقت الأزمة - أن الاسرائيليين يتلهفون على خوض الحرب مع مصر - إلا أنه كان يتصور أن تراجعه قد لا يدفع اسرائيل للقيام بالضربة الأولى وقال الكاتب البريطانى أنتونى ناتنج أنه بعث بقواته من قبل - عام ١٩٦٠ - عندما بدا أن اسرائيل توشك أن تغزو سوريا ، ولم تحدث أزمة آنذاك ناهيك عن نشوب الحرب ..

* * *

ويؤكد الكاتب البريطانى - حقيقة غابت عن الرئيس عبد الناصر - بأن أحداث عام ١٩٦٧ ، لم تكد تكون هناك لحظة أكثر ملاءمة لشن هجوم اسرائيلى ، مثل هذه اللحظات ..

هكذا لم تكد تكون هناك لحظة أكثر ملاءمة لشن هجوم اسرائيلى، فلو كانوا هم الذين دبروا كل تحرك وكل رد فعل عربى بأنفسهم لما استطاعوا أن يرتبوا الأمور على نحو أفضل ، فقد كان العرب فى حال من الفوضى التامة ، فالوحدة السياسية التى تحققت بين دول بعينها لم تترجم ، ولم يكن من الممكن أن تترجم ، إلى استراتيجية عسكرية منسقة .. أما القيادة العربية الموحدة فقد كانت ، رغم ما تحمله من اسم عظيم .. رأسا بلا جسد ..

هيئة أركان بلا جيش يساعدها ، هذا فضلا عن أن الاسرائيليين كما اعترف رابين فى وقت لاحق ، كانوا يعرفون أن عبد الناصر لن يكون البادىء بتوجيه الضربة الأولى ، بل أن الأمر لم يكن بحاجة إلى ذكاء كبير من جانب جهاز المخابرات الاسرائيلى لاكتشاف أن المصريين لم يكونوا يتوقعون أن تقوم اسرائيل بذلك ، كما كان بوسع أى شخص طار إلى مطار القاهرة المدنى آنذاك أن يرى أن طائرات الميج والسوخوى التى يتفاخر بها عبد الناصر كثيرا ، فى المطار العسكرى المجاور مخبأة أو محمية من أى هجوم جوى قد يقع عليها ، ولكنها كانت تقف فى صفوف منتظمة يحاذى كل جناح الآخر ككثير من الأهداف الثابتة فى انتظار هجوم العدو ..

• يضيف أنتونى ناتنج :

- لهذه الأسباب مجتمعة وبالاضافة إلى شحنات الأسلحة والمعدات الوفيرة التي زودتهم بها أمريكا وفرنسا كان الاسرائيليون على ثقة من أنهم يستطيعون الآن مهاجمة مصر وحلفائها دون أن يطلبوا من الغرب غطاءً جوياً أو أية صورة أخرى من الدعم العسكري .. وكان الرأى العام الغربي مؤيدا لهم بصورة ساحقة باعتبارهم الطرف المظلوم فى النزاع على الخليج .. كما أن تلك العناصر فى بريطانيا وفرنسا التى كانت لا تزال تعانى من المهانة التى لحقت بها فى عام ١٩٥٦ . كانت متلهفة لأن يقوم الاسرائيليون بانجاز المهمة التى لم يستطيعوا إتمامها بأنفسهم ..

وأما الحكومة الأمريكية فمن الواضح أنها كانت فى موقف مغاير تماما للموقف الذى اتخذه إيزنهاور أبان حرب السويس ..

• • •

لقد كانت كل الظروف ضد مصر ، لكى تكون الهزيمة ساحقة .. فلقد ناشد الأعداء والأصدقاء عبد الناصر والحكومة الاسرائيلية بعدم القيام بعمليات عسكرية .. ووافق عبد الناصر .. وتجدد أمله فى حل القضية فى أروقة مجلس الأمن أو الأمم المتحدة ..

* الولايات المتحدة طالبت مصر واسرائيل بضبط النفس ، ثم أعطت الضوء الأخضر لاسرائيل بأن تبدأ فى ضرب مصر والتى سخر زعيمها منها أكثر من مرة .

* الاتحاد السوفيتى طلب ضبط النفس ، ولم يكن هناك تفسير حتى هذه اللحظة لمثل هذا الطلب ، فبينما كان السفير السوفييتى يطلب لقاء عاجلا من الرئيس عبد الناصر لابلاغه برسالة من الكرملين بضرورة ضبط النفس ، كانت الخارجية الأمريكية تطلب نفس الطلب من السفير المصرى فى واشنطن ..

* فرنسا طلبت من كافة الأطراف ضبط النفس ، وأعلن الرئيس الفرنسى شارل ديجول حظر السلاح الفرنسى عن الدولة التى تبدأ بالعدوان .. وقد نفذ تهديده على اسرائيل ..

• يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة طلب من مصر واسرائيل ضبط النفس .. ووافق عبد الناصر ، ورفضت اسرائيل ..

• • •

لقد تراجع عبد الناصر .. ولكن جاء التراجع متأخرا جدا .. وفشلت كل تصوراته بحل الأزمة سلمياً ..

• • •

ولكن ..

عندما شعر عبد الناصر أنه خسر الرهان .. أعلن أنه سيتلقى الضربة الأولى .. وستكون الضربة الثانية التى ستوجهها مصر إلى اسرائيل أقوى وأشد .. وللأسف كانت الضربة الأولى والأخيرة وما بينهما من حظ العدو الصهيونى ..

• • •



الموقف على الجانب الآخر
(الاستعداد الاسرائيلى للمعركة)

عندما كنا صغارا ، كانت أمى تروى لنا حكايات كثيرة ، وكانت هذه الحكايات البسيطة تشكل إلى حد كبير سلوكنا ، ومازلت أتذكر حكاية السلحفاة والأرنب عندما دخل الأثنان فى سباق ، فمما لاشك فيه أن الأرنب السريع سوف يكسب السلحفاة البطيئة ، والكل راهن على فوز الأرنب فى سباق الجرى ، فليس هناك مجال للمقارنة ..

الأرنب .. كان متأكدا من سرعته .. ومن فوزه ، فاستهان بالسلحفاة .. لو وصلت إلى نهاية السباق الاخطوة ، وكنت أنا فى بداية السباق ، فسوف الحق بها وأفوز عليها ..

وبدأ السباق ..

وأخذت السلحفاة القضية بجدية ، وبكل قواها أتجهت نحو الهدف .. نحو نهاية السباق .. ترفض أن يعطلها أحد عن الوصول إلى نهاية السباق ..

والأرنب استهان .. وفى الطريق .. اذا دعاه أحد ليشرب الشاى .. جلس .. وشرب الشاى .. اذا وجد مشاجرة فى الطريق يدخل ويفضها .. فمن المؤكد أنه سوف يلحق بالسلحفاة حتى لو وصلت إلى نهاية السباق الا خطوة ..

ثم قالوا أن السلحفاة .. قد وصلت إلى نهاية السباق الا خطوة .. وبدأ الجرى .. ولكنه لم يلحق بالسلحفاة التى وصلت إلى نهاية السباق ..

وسألت أمى :

- وماذا حدث للأرنب ؟

قالت :

- مات خجلا ..

* * *

لا أدرى أن هذه القصة القديمة .. تذكرنى دائما بالصراع العربى الاسرائيلى .. وبالذات فى مرحلة ثورة ٢٣ يوليو حتى الهزيمة ..

لقد قامت الثورة كرد فعل لهزيمة الجيوش العربية أمام العصابات الصهيونية وثمارها إقامة اسرائيل على أنقاض دولة وشعب .. لذلك .. كان التصور أن ثورة مصر سوف تضع فى أعتبارها أمرا واحدا محوريا تدور حوله كل الأمور ، وهو العدو الذى أنتصر علينا فى عام ١٩٤٨ ، والتخطيط للقضاء على رأس الأفعى فيه واعادة الشعب الفلسطينى الى ارضه ووطنه ، وأن هذا الهدف لن يعطلها - أى الثورة - عنه أى معوقات أخرى .

وكانت كل رموز النصر فى ايدينا ، فنحن شعب تعداده يفوق تعداد اليهود فى فلسطين أكثر من خمس عشرة مرة ، ولدينا قادة عسكريون فى مقام القادة العسكريين الاسطوريين ، ولدينا جند تحدث الله عنهم فى كتابه العزيز ، ولدينا من الثراء ما يكفى لتغطية معاركنا مع عدو استيطانى اجلائى توسعى ، ولدينا مصالح مع العالم كله .. فالعالم ليست لديه صداقات دائمة .. ولكن لديه مصالح دائمة ..

وعلى أرض المعركة نملك عمقا حتى المحيط الأطلسى غربا ، وحتى الخليج العربى شرقا .. وحتى باب المندب جنوبا ..

ولدينا فوق كل هذا احتياطى لا يقدر من القوى والامكانيات العربية ، فمن الممكن أن يختلف العرب ، ولكنهم دائما يتفقون على شرعية القضية الفلسطينية ، ومن السهل أن يتجمعوا لها ومن أجلها ..

ثم .. لدينا كل الدوافع النفسية للنصر ..

لدينا المذابح التى أقامها اليهود للمصريين والفلسطينيين فى حرب عام ١٩٤٨ ..

لدينا المذابح المهينة التى قام بها جنود اسرائيل ضد جنودنا الذين انسحبوا عام ١٩٥٦ ..

لدينا مخططهم اللئيم فى التوسع على حساب الأرض المصرية والعربية تحت شعار « من النيل إلى الفرات » ..

لدينا التناقض بين العرب واليهود .. تناقض فى التاريخ .. والطموحات .. واللغة والدين .. والآمال ..

لدينا .. ولدينا .. ولدينا ..

ولكن ..

كالارانب .. أو كالغزال الذى دخل السباق أمام السلحفاة

انشغلنا بطموحات الأمبراطورية العربية الواحدة يجلس على عرشها الزعيم .

انشغلنا بمعارك فى انجولا والكونغو وموزامبيق ..

انشغلنا بحرب ثقيلة .. باهظة التكاليف فى اليمن السعيد ..

انشغلنا بالمؤامرات ضد الملوك والرؤساء العرب ..

انشغلنا بحياة المواطن العادى الخاصة ..

انشغلنا بالصراع على السلطة .. وكأن الثورة قامت ليكون عبد الناصر رئيسا وزعيما فقط ..

انشغلنا .. وانشغلنا .. وانشغلنا ..

انشغلنا .. فوصلت السلحفاة إلى الهدف ..

وانتحر الأرنب .. أو مات ..

• • •

على الجانب الآخر .. كان الاسرائيليون يستعدون - وبصفة دائمة - للدخول فى معركة مع كل العرب مجتمعين ، لم يشغلهم شاغل عن ذلك .. ووضعوا الخطط والخطط البديلة ، بل وتدربوا عليها ، واتقنوها .. فلم يكن هناك أحد فى اسرائيل - حتى اليوم - لا تشغله قضية الصراع العربى الاسرائيلى ..

كما لايوجد فى اسرائيل شخص واحد لايعتقد أن حسم هذا الصراع

فى أيد مصرية ، لذلك ، كان ومازال كل تخطيطهم الجبهة الجنوبية ..

بل .. وبدأوا الدخول فى تجارب ..

لقد قاموا - فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٦٦ - بشن غارة على قرية السموع فى الأردن ، قتلوا فيها ١٨ جنديا اردنيا ، وعادوا ..

ولم تتمكن مصر .. المشغولة بحروب مختلفة ، وصراعات بعيدة .. من ردع الاسرائيليين ..

يقول الكولونيل الامريكى تريفور[1] . ن . ديوى وقد انضم السوريون إلى الأردنيين فى إدانة الرئيس عبد الناصر لعجزه عن ردع اسرائيل لهذه الواقعة .. وشاركت الصحافة العربية الأخرى فى انتقاد عبد الناصر مشيرة إلى أنه كان أكثر اهتماما باقامة امبراطورية « استعمارية » مصرية عبر البحار فى اليمن ..

هناك من يقول - كأنتوني ناتنج - أن غارة السموع ، لم يكن الهدف منها مجرد القيام بمذبحة ضد الأردنيين ، بل إلى جر مصر التى تختفى خلف قوات الطوارىء الدولية إلى حرب معها ، لأن اسرائيل تعلم إلى أى حالة من السوء وصلت إليها القوات المسلحة المصرية ، فلقد قاموا بتفريغها من خيرة ضباطها ، وشغلوها فى حرب اليمن وأوقفوا تدريباتها ، ثم خفضوا ميزانيتها لمواجهة تكاليف حرب اليمن ، وسرحوا جنودها ..

يقول ناتنج :

- يقول الاسرائيليون أن عبد الناصر لم ينل عقابه ، وطالما أنه يتمتع بحماية قوات الطوارىء الدولية فلا يمكن دفعه إلى خوض المعركة ، ولما كان تحذير بن جوريون ماثلا فى اذهانهم - أى الاسرائيليين - بصفة دائمة ، صمموا على استدراج عبد الناصر للخروج من وراء الستار الواقى الذى يحتمى به وتحطيم صورته كزعيم للعرب مرة وإلى الأبد .. ولكن عبد الناصر لم تنطل عليه الحيلة ويندفع فجأة إلى هذا الشراك الواضح » .

كان ذلك عام ١٩٦٦ - فى نوفمبر منها ..

---

(١) النصر المحير - ص ٢٦٦ - تريفور . ن . ديوى ..

سأروى هنا رواية ، للتأكيد على مدى المتابعة الاسرائيلية للقوات العربية .. حتى تظل على مستوى أكثر تفوقا من الدول العربية ، لا يشغلها شاغل عن ذلك ..

فى الستينات ، زود الاتحاد السوفيتى مصر بطائرات حديثة هى طائرات ميج ٢١ ، وأصيبت اسرائيل بالقلق الشديد من وصول هذه الطائرات فى أيدى المصريين .. وأجتمع الصقور والحمائم فى مأتم خوفا من هذه الطائرة ، وكلفوا الموساد بأمر غريب احضار طائرة ميج ٢١ إلى اسرائيل ..

وبدأت الموساد عملها ، أخذت تسجل كل مكالمات الطيارين المصريين مع القاعدة ، وترسل لهم جواسيس اختبار .. وتفتح لهم ملفات ، لعلها تجد فى أحد منهم نقيصة أو غريزة ينفذون منها ، فلم يجدوا ..

فى هذه الأوقات ، وصلت بغداد - أيضا - هذا النوع من الطائرات ، ومن خلال التسجيلات ، وجدوا نقطة ضعف فى طيار عراقى اسمه « منير ردفا » .. فأرسلوا له اسرائيلية على جانب خطير من الجمال ، واستطاعت أن توقعه فى حبها فأحبها منير ، وسافرا سويا إلى باريس ، وانفقت عليه الكثير حتى ملكته ، وأخذته إلى اسرائيل ، وفى اسرائيل تم وضع خطه لهروب منير بطائرته .. وعاد إلى بغداد .. وركب طائرته الميج ٢١ .. وجاء بها إلى اسرائيل ..

فلقد كانت اسرائيل تريد أن تعرف كل شيء عن هذه الطائرة التى سوف تواجه طائراتها فى الحرب القادمة ..

وفى مصر .. كان جاسوسها الشيرلوتز ، يدخل القواعد العسكرية .. ويلتقى بصناع القرار ، ورغم أكتشافه على أساس أنه المانى ، ولم يكتشف أنه صهيونى يعيش فى اسرائيل إلا بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، عندما تم تبادل الأسرى وطلبت اسرائيل ضرورة تسليم لوتز مقابل الأسرى ..

وفى سوريا .. كان ايلى كوهين .. الذى وصل حتى إلى قيادة حزب البعث .. وكان يرسل عبر الاذاعة ، رسالة يومية إلى تل أبيب ، ووصل به الأمر أنه كان يتجول فى هضبة الجولان ، وأستطاع أن يجند ضابطاً

خطيراً فى القوات السورية هو سليم حاطوم .. ورشح الجاسوس الاسرائيلى ليكون وزير الأعلام فى حكومة أمين الحافظ ..

كانوا يعملون للحرب ..

وكنا عنهم ساهين ..

فلقد فرضت علينا القيادة السياسية والعسكرية أن نضع الصراع العربى الاسرائيلى فى المرتبة الرابعة حتى فى أولوياتنا ، بينما هم يضعونها فى المرتبة الأولى بل هى القضية المحورية لهم ، والتى تدور حولها كل القضايا ..

السؤال الآن :

- هل خطة حرب ١٩٦٧ ، وليدة الإجراءات التى أتخذتها مصر فى مايو عام ١٩٦٧ من سحب قوات الطوارىء الدولية ، وإغلاق خليج العقبة ، وحشد القوات المصرية ؟

والجواب : لا .. وألف لا ..

إنهم أعدوها وتدربوا عليها سنوات .. ولم يبق إلا التنفيذ .. وكل ماكان عليهم أن يفعلوه أن يقوموا باستفزاز عبد الناصر حتى يخرج لهم من خلف سور القوات الدولية الموجودة على خط الهدنة عام ١٩٦٧ .

اسمحوا لى هنا بجملة اعتراضية ، **لقد عقدنا معهم اتفاقية سلام بعد حرب أكتوبر .. وتبادلنا السفراء .. ورغم هذا فانهم قد اعدوا خطة عسكرية لغزو سيناء مرة أخرى ، وهم لا يكفون عن أرسال الجواسيس لمصر .. ويدرسون كافة الاحتمالات ، وليس سرا أن بعض هؤلاء الجواسيس قد سقطوا فى أيدى المخابرات المصرية .. بعد معاهدة السلام ..**

أنتهت الرسالة .. أنتهت الجملة الأعتراضية ..

ماذا تريد اسرائيل من عدوانها الدائم على الدول العربية ؟

والجواب :

- ليس الأرض فحسب .. رغم أنها تشكل عندهم أهمية قصوى لدعوة كل يهود العالم « العودة » إلى اسرائيل وإقامة اسرائيل الكبرى .. إنهم

يريدون إلتهام كل العالم العربى .. واسرائيل عام ١٩٨٨ ، هى النموذج الذى تريده .. أى أقلية يهودية حاكمة لمواطنين عرب يعيشون كمواطنين من الدرجة الثالثة .. إنهم يريدون امكانيات الدول العربية .. إنهم يريدون « دولة عظمى » فربما عن طريق هذه الدولة يحكمون العالم ..

أحلام اسرائيل لا تتوقف .. وهى تعمل على ضرب العرب حتى يستسلموا لقيادتها .. و« بالقيادة الاسرائيلية يصبحون دولة عظمى » ..

• • •

نعود للسؤال الذى طرحناه .. متى تم وضع خطة عام ١٩٦٧ ؟

بعد حرب السويس ، اجتمع مجلس الحرب الاسرائيلى لوضع خطة عسكرية للجولة الاسرائيلية الجديدة مع العرب ..

ولكل حرب هدف ..

فوضعوا هدفا للجولة القادمة « تثبيت دولة اسرائيل فى الشرق الأوسط .. كخطوة مرحلية نحو إقامة اسرائيل الكبرى »

هكذا تم الأتفاق بين الحمائم والصقور على هدف الجولة القادمة .. وكيفية الوصول إلى هذا الهدف ؟ ..

• أولا : إيقاع هزيمة ساحقة بأكبر دولة عربية وهى مصر ..

• الاستيلاء على اراض جديدة لتوسيع أرض اسرائيل وخاصة الضفة الغربية وغزة والجولان ..

* ضرورة الاستيلاء على القدس الشرقية ، وإعلان القدس عاصمة لاسرائيل ، لأن هذا يعنى قدوم مهاجرين جدد إلى اسرائيل لما تمثل لهم من جذب روحى ..

والطريق إلى ذلك :

- الاهتمام بسلاح الطيران الاسرائيلى

- جمع المعلومات عن المطارات العربية ، وخاصة الطيران المصرى

- العمل على التفوق العددى عن القوات المصرية المحاربة ، وذلك

برفع كفاءة وسرعة أجهزة التعبئة بحيث يمكن لهذه الأجهزة تعبئة ٢٥٠ ألف شاب عند التفكير في بداية الحرب ..

- أن يكون زمام المبادرة في يد الاسرائيليين ..

- أن تحصل اسرائيل على مدرعات تفوق ما حصلت عليه كل الدول العربية ..

• • •

اذن .. هناك هدف واضح ، يحفظه كل جندى اسرائيلى ، يعرف جيدا لماذا يحارب ، ومقتنع به تمام الأقتناع ، وقامت بهذا العمل أجهزة التوجيه المعنوى للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ..

وأيضا استطاعت اسرائيل أن تحصل على سلاح أكثر عددا - وأقل أو أكثر كيفا لايهم - من الدول العربية المجاورة لاسرائيل ..

وأيضا .. أجهزة التعبئة والتدريب استعدت بقوات يفوق عددها القوات العربية المشتركة في الجولة القادمة ..

وكيفية تنفيذ هذه الأهداف ؟

يقول ديوى فى كتابة « النصر المحير » : كان ثمة ثلاثة عناصر رئيسية تشتمل عليها الخطة الاسرائيلية للهجوم على سيناء :

- عنصر المباغته ..

- عنصر احراز تفوق جوى مبكر ..

- عنصر الاشتباك الحاسم والمبكر مع القوات المصرية الرئيسية بقدر ما يمكن شرقى سيناء ..

ويقول ديوى :

- وحتى يتسنى تحقيق عنصر المباغتة كان لابد من الهجوم المفاجىء قبل أن يكون العرب على استعداد لشن هجوم ما .. الأمر الذى كان متوقعا ، وكان لابد لتأمين التفوق الجوى من أن يرافقة هجوم مفاجىء وتوجيه الضربة الأولى بشن سلسلة من الغارات الجوية بغية تدمير السلاح الجوى المصرى

(اذا استلزم الأمر) .. تدمير القوات الجوية للدول العربية المجاورة على حد سواء .. أما العنصر الثالث المتمثل فى الاشتباك مع القوات المصرية الرئيسية شرقى سيناء ، فإنه يتوقف بطبيعة الحال على أنتشار القوات المصرية الفعلى ، غير أنه على ضوء الظروف التى يتوقع الاسرائيليون شن هجومهم فى ظلها ، كان الاسرائيليون يتوقعون أن المصريين أعدوا أنفسهم بالفعل لشن الهجوم عليهم ، ومن ثم فإنه سيواجه فى شرق سيناء الجانب الأكبر من قواتهم ..

* * *

وبدأ تدريب شاق ... منذ عام ١٩٥٧

أى أن التدريب أستمر عشر سنوات ..

لم تكن الخطة جامدة .. بل حدث فيها تعديلات كلما جاءت إليهم معلومات جديدة ..

وكان رأى القادة الاسرائيليين ، أن الخطة تكون مثالية ، لو حشر المصريون قواتهم فى سيناء ، ولم يقوموا بالضربة الأولى ، لأن الهدف ليس الأرض فحسب ، بل تدمير القوة العسكرية المصرية ..

وأكثر من هذا .. تم تعيين قادة لقوات الخطة الاسرائيلية ، وأطلق على هذه القوات أسم القائد الاسرائيلى ، فيقال قوات شارون وقوات مندلر .. الخ قادة حرب عام ١٩٦٧ ..

* * *

وعندما تمكن الأسرائيليون فى مايو عام ١٩٦٧ ، من استفزاز عبد الناصر وحشد قواته .. قام على الفور الجنرال يشباهو يهوجافيش الذى كان قد تولى قيادة القوات على الجبهة الجنوبية ، عام ١٩٦٥ ، قام بوضع التفاصيل لخطة مجلس الحرب الاسرائيلى عام ١٩٥٧ ، وتتضمن خطة جافيش ٤ مراحل[١] :

(١) ديوى ـ النصر المحير ص ٢٨٤

١ ـ اختراق خطوط الجبهة المصرية فى قطاعين : على امتداد الطريق الساحلى ـ رفح ـ العريش ، من جانب فرقة بقيادة البريجادير « اسرائيل طال » فى حين تقوم فرقة أخرى بقيادة البريجادير « جنرال (أريل آريك) شارون » باختراق أبو عجيلة وأم كتاف » ..

٢ ـ ادخال فرقة رابعة قيادة الجنرال « افراها يوفى » اما بين فرقتى طال وشارون ، أو جنوب فرقة شارون ، وهذا يتوقف على انتشار قوات المصريين ـ وكان عليها التوغل بعمق سيناء وتقوم بسحق ما تشير التوقعات بانه الخط الدفاعى المصرى فى المنطقة المجاورة لجبل « لبنى » ..

٣ ـ حشد الوحدات المدرعة لفرق طال وشارون يوفى فى مثلث نخل وممر متلا وبير خفاجة بأسره ..

٤ ـ التقدم نحو القناة والاستيلاء على شرم الشيخ ..

* * *

ألم نكن نعلم بهذه الخطة ؟ ..

بعد عام ١٩٥٦ نشطت أجهزة المخابرات المصرية ، واستطاعت أن تزرع داخل اسرائيل عملاء ، أمدوا وطنهم بمعلومات غاية فى القيمة والخطورة ، وحتى جاءت الستينات وانشغلت المخابرات كلية بصراع السلطة والمؤامرات داخل الدول العربية وحرب اليمن ، واقتحام اسرار المواطن الخاصة .. أدى كل هذا .. أن المعلومات التى تصل إلى جهاز المخابرات عن العدو الحقيقى تأتى فى الدرجة الثانية أو الثالثة .

ودليلى على ذلك .. أن أمامى تقريراً قدمته أجهزة الأمن المصرية إلى القيادات « العليا » عن الخطة الاسرائيلية هذه ، وهذه وثيقة اعتز بها شخصيا أننا كنا نعرف خطط العدو ، وأن القادة وحدهم لم يهتموا بها .. لقد وصلت هذه الوثيقة من المخابرات الحربية وأكدتها المخابرات العامة ، بعد وضعها بأسابيع .. وكان ذلك قبل عام ١٩٦٠ ، ومما لاشك فيه أنها وصلت القيادة .. ولكنهم كانوا مشغولين بالأمن الداخلى والصراع على السلطة ..

* تقول الوثيقة :

ـ تبدأ بتدمير الغطاء الجوى العربى ، وعلى رأسه القوات الجوية المصرية .. على أن يعقب ذلك الهجوم البرى لجنى ثمار ما حققته الضربة الجوية المفاجئة ، لاستغلال آثار هذه الضربة ، وتنمية نتائجها النفسية السيئة على العرب لتحقيق النصر البرى فى أسرع وقت وبأقل خسائر ، باتباع اسلوب العمل من خطوط داخلية لمواجهة كل القوات العربية المحتشدة حول اسرائيل شمالا وشرقا وجنوبا بالضربات المتتالية فى أنسب توقيت يخدم اسرائيل ..

ويتيح هذا الأسلوب للقوات البرية الاسرائيلية فرص القيام بمناورات استراتيجية وتعبوية حاسمة ، يمكن أن يتحقق معها النصر ، بالعمل على طرد القوات المعادية بسرعة خلف مانع أو عائق ذى شأن ، خاصة وأن الأوضاع النسبية للقوات المتضادة فى المسرح تجعل من جيش اسرائيل مثل الملاكم الذى يواجه ثلاثة خصوم داخل حلبة ملاكمة ، لا هى بالضيق بما يتيح للخصوم أن يكيلوا له الضربات المضادة فى وقت واحد ، ولا هى من الاتساع بما يمكن خصما كيلت له لكمة عنيفة من استعادة قواه والعودة إلى النزال قبل هزيمة باقى الخصوم .. بل المسرح بين بين ، فلا هو شديد الاتساع ولا بالغ الضيق ..

وفى هذا ما يتيح لجيش اسرائيل الذى يقاتل وفق اسلوب العمل من خطوط داخلية أن يحتفظ بكافة الخصوم متفرقين عن بعضهم البعض حول المحيط الخارجى لحلبة القتال ، وأن يحرمهم من فرصة تنسيق الجهود فيما بينهم بما يجبر اسرائيل على العمل وفق مشيئتهم ، وهى ابرز وأخطر مايتيحه أسلوب العمل على خطوط خارجية من مزايا .. وذلك بتوجيه الضربات العنيفة المتتالية ضد الخصوم واحدا تلو الآخر بما يشل القدرة القتالية لكل واحد منهم قبل الأنتقال إلى الخصم التالى له فى الأسبقية ..

ويعتمد جيش اسرائيل فى العمل من خطوط داخلية على ثلاث ركائز تضمن له النجاح هى : السرعة ـ المرونة ـ مداومة الضغط على الخصم ، الذى يسهل شل قدراته القتالية اذا ما اختار التمسك بمواقعه الدفاعية ، وذلك

بسرعة نقل ثقل الهجوم من اتجاه إلى اتجاه آخر ، والاصرار على التسلل والتوغل فى عمق دفاعاته بما يهز أتزانها التعبوى ويشل أجهزة السيطرة والقيادة المعادية ذهنيا وعمليا ..

ويتحقق النصر الحاسم لجيش اسرائيل الذى يعمل من خطوط داخلية ضد جملة خصوم بسرعة الوصول فى كل جبهة قتال إلى مانع كبير لطرد الخصم خلفه ومثله فى هذا مثل الحداد الذى يطرق على الحدوة المتوهجة ، اذا طرقها وهى معلقة فى الهواء فلن يحدث فيها أثر يذكر ، أما أذا وضع الحدوة على السندان فسيكون لطرقته كل الأثر ، وسيحقق نتائج حاسمة ..

واذا ما استبدلنا المطرقة بالقوات البرية الاسرائيلية القائمة بشن الضربة التعرضية والسندان بقناة السويس بالنسبة لجبهة سيناء ، ونهر الاردن بالنسبة لجبهة الاردن لوضح التشبيه ، واستبان أنه بين مطرقة جيش اسرائيل وسندان مانعى قناة السويس ونهر الاردن رمت الخطة الاستراتيجية الاسرائيلية إلى تدمير القوات العربية على جبهتى القتال ، ثم الانفراد بعدئذ بالخصم الثالث ، والحشد ضد الجبهة الثالثة وهى الجبهة السورية ..

ولما كانت السرعة هى الركيزة الأولى لنجاح العمل من خطوط داخلية فقد أولتها أجهزة التخطيط والسيطرة الاسرائيلية عناية فائقة ليقينها من أن نتائج جولتها ضد العرب تتوقف بالدرجة الأولى عليها ، اذ أن جيشها المهاجم أشبه مايكون بالدبوس الذى يغرس فى ورقة معلقة فى الهواء ، اذا ما دفع ببطء فالارجح أن تنثنى الورقة ، أما اذ قذف بسرعة البرق فسيخرقها حتما دون أن تكون أمامها فرصة للأنثناء .. ويعنى ماسبق أن نجاح العمل من خطوط داخلية يتوقف على :

- توفر المساحة والوقت الكافيين للمناورة ضد كافة الخصوم واحدا تلو الآخر بأسبقية مناسبة .

- مداومة الضغط على العدو فى كل جبهات القتال بدرجات متفاوته وفقا لأهمية ومدى خطورة كل خصم منهم على حدة ..

- البدء بتحطيم أقوى الخصوم ، وتركيز معظم القوى ضده ، لسحقه

فى أسرع وقت ، وبعد طرده خلف مانع طبيعى كبير يكتفى بمراقبته بقوات قليلة ثم التحول للخصم التالى ..

أهمية التوغل السريع داخل أعماق الدفاعات لأستغلال النجاح .. بحجز قوات الخصم فى أكثر المناطق حساسية (المضايق) لا مطاردتها على أمتداد عمق المسرح لما فى المطاردة بالقوات البرية من عيوب قاتلة أهمها أن هذه القوات المرتدة تحت ضغط متواصل عليها يصبح شأنها كشأن الياى الذى يستمر فى تخزين القوة الكامنة إلى أن يأتى الوقت الذى تصبح فيه هذه القوة المخزنة أقوى من القوة الضاغطة عليه ، فينفرد ويتغلب على القوة التى تقف فى وجهه ، سيما أنها تزداد ضعفا كلما طال أمد ضغطها على الياى وامتداد ذراعها كثيرا مع انكماش ذلك الياى للخلف ..

العمل على التفوق النوعى والكمى للقوات المسلحة الاسرائيلية ووصوله إلى الدرجة المناسبة من التعبئة والإعداد والتدريب والمهارة الفنية والميدانية والتعبئة النفسية بما يحقق التفوق النوعى والكمى لها .. علاوة على خفة الحركة العالية التى تتوفر لقواتها البرية والمرونة الكبيرة التى تتمتع بها أجهزة القيادة والسيطرة الميدانية .. وهذه وتلك هى ركائز نجاح العمل من خطوط داخلية .. كذلك العمل على توفر المعلومات التفصيلية الدقيقة عن القوات المسلحة العربية وأماكن تمركزها فى الجبهات الثلاث المحيطة باسرائيل ، وكذا عن فتحها التعبوى التفصيلى ، والنمط اليومى السائد فيها ، وخاصة فى القوات الجوية العربية ، وذلك عن طريق مصادر المخابرات الاسرائيلية والغربية واستخدام الوسائل التقدمية الحديثة كالأقمار الصناعية الأمريكية فى هذا الشأن وإمكان مداومة الإحاطة الفورية بما يستجد عليها من تعديل أو تغيير أولا بأول ..

• • •

سقطت مصر فى الكمين .. وحشدت قواتها ..

وقامت اسرائيل بحشد قواتها حسب خطة عام ١٩٥٧ ، والتى عدلت .. وتصوروا ..

أن القوات الاسرائيلية ، كانت تتفوق على القوات المصرية ، حتى فى العدد ..

* * *

بعد هذا الحشد الاسرائيلى ..

بعد تفريغ اسرائيل من شبابها ..

بعد توقف الآلة الأنتاجية الاسرئيلية .

كان لابد لاسرائيل أن تبدأ الحرب .. لكى تنهيها ..

والحق يقال ..

أن خطة عبد الناصر كادت أن تنجح عند رئيس وزراء اسرائيل ليفى اشكول .. لقد أصابه الفزع من الإعلام المصرى ، وحاول أن يأخذ طريق « الحل السلمى » بالنسبة لخليج العقبة ، وأكد أن عبد الناصر لن يمانع فى ذلك ..

وأصيب الشارع الاسرائيلى بفزع ما بعده فزع ..

وتصور الاسرائيلى وصول القوات المصرية خلال ساعات إلى داخل اسرائيل ..

بل أكثر من هذا ..

قام بعض اليهود بتسليم أطفالهم الصغار لجيرانهم الفلسطينيين ، حتى إذا دخل العرب ونسفوا بيوت اليهود ، لا تنسف وبداخلها الأطفال ..

بل أن بعض الأسر اليهودية ، لجأت إلى البيوت العربية داخل اسرائيل وكان يخيم على الشارع الاسرائيلى كل أنواع الكآبة .. فالعرب قادمون .

كانت وسائل الاعلام العالمية - بتحريض صهيونى تقوم بتضخيم التهديدات العربية ، وما أعظمنا فى الخطب وفى الكلام .. انتقل احساس الشارع إلى احساس رئيس الوزراء ووزير الدفاع ليفى اشكول .. ولكن الصقور دخلوا فى حوار حاد مع ليفى اشكول .. وقالوا أن المعلومات التى وفرتها الموساد تؤكد أن هذه هى فرصتنا ، وقالوا .. عبد الناصر لن

يضرب .. وجيشه الآن مشتت فى سيناء بلا خطة ولا سلاح ..

ونجح الصقور .. وتشكلت حكومة حرب برئاسة اشكول .. وتنازل عن وزارة الدفاع للجنرال ديان الذى قاد قواته فى سيناء عام ١٩٥٦ ..

• • •

وبدأ قادة اسرائيل فى وضع اللمسات الأخيرة للهجوم ..

ومن خلال وثيقة مصرية .. أتحدث عن خطة القوات الجوية الاسرائيلية .

كان الاسم الرمزى للخطة هو « كولومب » .

وهى باختصار .. من خلال الوثيقة العسكرية المصرية كالتالى :

• « يتبلور أسلوب العدو الجوى فى استغلال الأعمال الخداعية للتقليل من درجة تيقظ أجهزة الانذار والمراقبة المصرية ، علاوة على انتخاب اتجاهات وارتفاعات للاقتراب من هذه الأهداف المعادية بما يضمن اخفاءها باستغلال الثغرات الموجودة فى نظام الانذار وجهاز الدفاع الجوى ، كل ذلك بالاضافة إلى نشاط وسائل التدخل الايجابى المستمر والنبضى على جميع الترددات وفى المستويين الأفقى والرأسى ، بما يكفل اقتراب الطائرات المغيرة من أهدافها تحت ستر هذا التدخل .. والتوسع فى استخدام الأهداف الهيكلية والمصائد لجذب نيران الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات نحو أهداف كاذبة ..

وقد خططت الضربة الجوية المفاجئة - خطة « كولومب » - لتنفذ فى نسقين ، يهاجم النسق الأول منها على امتداد ٧٥ دقيقة القواعد الجوية والمطارات المصرية فى وقت واحد على قدر الامكان وفى موجات متلاحقة ، على أن تعطى الأسبقية لضرب الممرات بقنابل خاصة وقنابل زمنية لاعاقة أعمال الاصلاح فى الأجزاء الحساسة منها وذات التأثير الأشمل كتقاطعات الممرات الرئيسية مع الممرات الفرعية ومنتصف الممرات ، ثم تدمير طائرات الاستعداد الأول والثانى بالرشاشات والمدافع والصواريخ وأخيرا تدمير بقية الطائرات والأهداف الأخرى ، بأسبقية ثالثة ،

ويعقب ذلك النسق الثانى وعلى امتداد ٧٥ دقيقة أخرى بزيادة مدى التدمير الذى حققه النسق الأول ..

ونصت الخطة على ضرورة تركيز أعمال طائرات الضربة الجوية المفاجئة ضد الممرات وطائرات الاستعداد الأول والثانى وعدم تشتيت جهود الطائرات ضد وسائل الدفاع الأرضية أو الدخول فى معارك جوية لتوفير أكبر قدر من التأثير .. تأكيدا لنجاح الضربة .. وحوت الخطة والتعليمات التفصيلية دقائق كافة الأهداف المعادية والمطلوب تدميرها ، وزودت وحدات القوات الجوية الاسرائيلية بعمليات تفصيلية عنها .. وعن طريقة الاقتراب منها ، من حيث الارتفاع والاتجاه وكذا تكتيكات مهاجمتها .

وتضمنت الخطة تفصيلات الرحلة الجوية من مطارات الإقلاع إلى الأهداف المعادية .. وكذا رحلة العودة ، بحيث تتم داخل ممر جوى غير مغطى بشبكة الأنذار أو الدفاع المصرى .. وذلك استنادا إلى نجاح وسائل المخابرات الاسرائيلية فى تحديد أوضاع وقدرات ومدى عمل وسائل نظام الدفاع الجوى المصرى .. الذى كان عاجزا عن اكتشاف أى أهداف جوية يقل ارتفاعها عن ٥٠٠ متر .. والذى كان يهمل اتجاهات الاقتراب من جهة الغرب ويركز جهوده تقريبا على اتجاهات الأقتراب الشرقية من اسرائيل ..

وعنيت الخطة باستغلال كافة نقائص ونقاط ضعف القوات الجوية المصرية لتحقيق نجاح الضربة الجوية المفاجئة ، فكان من أبرز أوجه النقص ونقط الضعف هذه مايأتى :

١ ـ التخلف النوعى والضعف العددى للقوات الجوية المصرية وخاصة نقص عدد الطيارين ..

٢ ـ عدم وجود جهاز دفاع جوى متكامل ..

٣ ـ عدم كفاية الدفاعات (م . ط) عن المطارات والقواعد الجوية والنقص الشديد فى المدفعية الخفيفة (م ـ ط) .

٤ ـ عدم وجود دشم خرسانية لوقاية الطائرات ، وإهمال إخفاء وتمويه المطارات .

٥ ـ عدم وجود مطارات وممرات بالعدد الذى يتناسب مع حجم القوات

الجوية المصرية بما يضعف القدرة على المناورة بالمطارات ..

٦ ـ ضعف مستوى تدريب عناصر الدفاع الجوى ..

٧ ـ عدم توفر الأنذار على ارتفاعات اقل من ٥٠٠ متر سواء بأجهزة رادار الكشف المنخفض .. أو بالتعاون مع طائرات استطلاع اليكترونى ، أو بالمراقبة بالنظر ، أو بجميع هذه الوسائل معا ..

وقد نجحت عناصر الاستطلاع والمخابرات الاسرائيلية بمساعدة مخابرات الدول الغربية فى معرفة كافة هذه العيوب فأمكن لجهاز التخطيط أن يستغل هذه المعلومات أفضل استغلال لنجاح الضربة الجوية المفاجئة .. وفى هذا الشأن صرح العميد مردخاى هود قائد السلاح الجوى الاسرائيلى فى منتصف يونيو ١٩٦٧ بقوله :

«لقد وضعت خطة تحطيم السلاح الجوى المصرى على أساس حسن معرفة اسرائيل بالعدو .. فقد كان سلاح الطيران المصرى قويا فى ذلك الوقت .. ولكن أمكن لإدارة المخابرات الاسرائيلية أن تحدد بدقة جميع أوضاع الأسراب المصرية تقريبا ، ولهذا فإننا نعتبر أن لإدارة المخابرات الاسرائيلية فضلا كبيرا فى نجاح هجماتنا الجوية .. ولقد أحيط المخططون فى سلاح الطيران الاسرائيلى علما بعدد وأنواع الطائرات التى يمكن توقع وجودها فى كل قاعدة جوية ومطار .. الأمر الذى مكننا من تخطيط الضربة الأولى ضد الطائرات التى تحتل أعلى مراتب الأسبقية وهى قاذفات القنابل طراز توبولوف ١٦ ، واليوشن ٢٨ لتعقبها الضربة الثانية ضد الطائرات الأخرى حسب أهميتها وفقا لكشف الأسبقية نزولا ..

فتدمر طائرات الميج ٢١ .. السوخوى سو ٧ .. ثم الميج ١٩ .. ثم الميج ١٧ .. بينما جاءت طائرات النقل والهليوكبتر فى ذيل الخطة كأهداف إضافية تهاجم كلما اتيحت الفرصة » ..

وحددت الخطة ممرات الأقتراب من مطارات الأقلاع الاسرائيلية الموجودة فى وسط اسرائيل لتكون فى اتجاه الغرب وعلى أرتفاع بين ٢٠ ـ ٣٠ مترا ، وعند الأقتراب من المياة الأقليمية المصرية بين العريش ودمياط ينقسم النسق المغير إلى ثلاث مجموعات معتمدا على كنارات ارشاد

لاسلكية من سفن مجهزة لذلك ومناورات ارشاد عائمة تعمل كالآتى :

١ ـ المجموعة الأولى : تنسلخ من الممر عندما تصل شمال العريش وتتجه طائراتها لتهاجم فى وقت واحد مطارات العريش والسر والمليز وتمادا ..

٢ ـ المجموعة الثانية : تنسلخ من الممر أمام بورسعيد وتتجه طائراتها فى وقت واحد الى مطارات منطقة القناة : أبو صوير ـ فايد ـ كبريت ..

٣ ـ المجموعة الثالثة : تنسلخ من الممر شمال شرق دمياط وتتجه طائراتها لتهاجم فى وقت واحد مطارات : غرب القاهرة ـ بنى سويف ـ انشاص القاهرة الدولى ـ قويسنا ـ الماظة ـ المنصورة ـ الأقصر ..

وأعتمد نجاح الضربة الجوية المفاجئة على مباغتة كافة المطارات المصرية فى وقت واحد ما أمكن .. ومن هنا وضعت توقيتات اقلاع الطائرات المشتركة فى الضربة من المطارات المختلفة مع مراعاة زمن الرحلة لكل مجموعة .. واختلاف سرعات وأنواع وأطرزة الطائرات بما يحقق ذلك ..

وجهزت خطة المناورة بالطائرات الاسرائيلية البالغ عددها ٥٨ قاعدة جوية ومطارا وأرض هبوط بحيث تقلع الطائرات المغيرة فى الأوقات المحددة من مطارات رامات ـ دافيد ـ عكير ـ قسطينة ـ حاتسور ـ بير السبع ـ تمناع ـ عوفدة حاتسوريم .. فى وقت منسق يضمن وصولها فوق الأهداف المحددة فى وقت واحد تقريبا رغما عن أن زمن الرحلة كان يتراوح بين ٢٠ ـ ٤٠ دقيقة ..

ونصت الخطة على مهاجة المطارات المصرية فى اليوم الأول للقتال بما يضمن تدمير مطارات العريش ـ السر ـ المليز ـ تمادا ـ أبوصوير ـ فايد ـ كبريت ـ المنصورة ـ أنشاص ـ قويسنا ـ غرب القاهرة ـ الماظة ـ بنى سويف ـ الغردقة ـ الأقصر ـ رأس بناس .. كما نصت على تدمير محطات الرادار والأنذار الجوى وقواعد اطلاق الصواريخ المضادة للطائرات البالغ عددها ٢٧ هدفا بالتركيز على تدمير غرف الأرسال والاستقبال والتوجيه ـ فى توقيتات مختلفة طبقا لتأثيرها على سير الضربة الجوية ..

وتحقيقا لكل ما سبق ولضمان استغلال كافة قدرات المجهود الجوى الاسرائيلى فى تنفيذ هذه الخطة الحاسمة ، ارتضت أجهزة التخطيط أن تحشد كل ما تملكه من طائرات لشن ضربة جوية مفاجئه .. وقبلت المخاطرة بترك سماء اسرائيل عارية دون غطاء جوى .. كما حرمت تقريبا قواعدها البرية القائمة بالهجوم فى الجبهة المصرية فى نفس الوقت من معاونة جوية تكتيكية مستمرة ..

كل ذلك بغرض توفير أعظم قدر من الطائرات لشن الضربة الجوية المفاجئة .. الأمر الذى بلغ ذروته بإدخال طائرات التدريب فى هذه العملية .. وبهذا أمكن للسلاح الجوى الاسرائيلى أن يخصص من الطلعات الجوية المحدد تنفيذها على امتداد ستة أيام ثلثها لينفذ خلال نهار اليوم الأول ..

وساعد على إمكان تحقيق ذلك : الكفاءة العالية لجهاز الخدمة الأرضية فى القواعد والمطارات الاسرائيلية .. وتوفر الكثير من الطيارين الاكفاء بأعداد تزيد عن ضعف عدد طائرات سلاح الجو الاسرائيلى ..

ولم تغفل خطة الضربة الجوية المفاجئة الاحتمالات غير المتوقعة التى قد تؤدى إلى الفشل .. كأن تتصدى لطائراتها المغيرة مظلة جوية قوية لم تكن فى الحسبان .. أو أن تكتشف نية الضربة قبل شنها ، فنصت فى هذه الأحوال على عودة الطائرات فورا إلى سماء اسرائيل للدفاع عنها ..

وأوضحت الخطة الاستراتيجية الهجومية الاسرائيلية مدى أهمية نجاح الضربة الجوية المفاجئة على سير ونتائج الأعمال الحربية عامة ، فربطت البدء فى شن الأعمال البرية التعرضية بدرجة تحقيق النجاح المنشود من الضربة الجوية ..

ولم تأل الخطة جهدا فى انتخاب أفضل توقيت لشنها ، وكانت القيود التى أمامها تفرض ضرورة اتاحة ضوء نهار يوم كامل لتنفيذها بأشد تأثير ونجاح .. وضرورة انقشاع ضباب الصباح المعتاد فى مثل هذا الوقت من السنة فوق المطارات المصرية .. ضمانا لدقة التصويب ، فكان حتما أن تبدأ

الضربة الجوية فى النصف الأول من النهار .. وعزز من ذلك الأختيار وتحديد التوقيت الدقيق لهذه الضربة ، المام اسرائيل بدقائق نمط الحياة فى القوات الجوية المصرية حيث كانت على يقين من أن درجة النشاط والتيقظ تبلغ ادنى حالاتها فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحا .. ولا يستبعد أن تكون أجهزة المخابرات الاسرائيلية قد نجحت فى معرفة موعد زيارة نائب القائد الأعلى وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى ورئيس شعبة الدفاع الجوى لجبهة سيناء وأنهم سوف يكونون جميعا فى الجو فيما بين الساعة ٨٠٠ - ٩٠٠ ، أضف إلى ذلك ما تعلمه اسرائيل عن حشد كبار القادة والرؤساء فى مطار الوصول للأستقبال أو مطار القيام للتوديع ..

* تمضى الوثيقة المصرية .. فتقول :

- أولت القوات الجوية الاسرائيلية وأجهزة تخطيطها أهتماما كبيرا بخداع القوات الجوية المصرية تحقيقا لمفاجأة الضربة الجوية ، هذا بالاضافة الى توفير الوسائل الرادعة الكفيلة بمنع استطلاعها الجوى من الحصول على معلومات حقيقية عن أوضاع وحجم القوات الجوية الاسرائيلية ..

وكان من أبرز الترتيبات لتحقيق هذا الخداع ما يأتى :

١ - الحد من النشاط الجوى لاسرائيل فى فترة التحضير للعملية المقبلة بما يعطى استنتاجات خاطئة عن حقيقة حجم ونوايا القوات الجوية الاسرائيلية .

٢ - تحديد مدى عمل الطائرات وخاصة طائرات الاستطلاع بما يعطى مفهوما خاطئا عن المدى التكتيكى لها ..

٣ - مداومة المناورة بالمطارات مع تعمد اظهار بعض الطائرات فوق أماكن لا توجد بها مطارات حقيقية أو عاملة لإيقاع البلبلة فى أجهزة الرصد والمتابعة والتخطيط المصرية ..

٤ - ترويض أجهزة الأنذار الجوى المصرى على التعود على أنماط متكررة من النشاط الجوى الاسرائيلى تخدم خطة الخداع للضربة الجوية المفاجئة المعقود العزم عليها ..

٥ - اخفاء تعديل مدى عمل طائرات الميراج بإضافة خزانات وقود

إضافية تزيد مسافاتها التكتيكية بمقدار الثلث بما يمكنها من الوصول إلى أبعد المطارات المزمع تدميرها ..

تتحدث الوثيقة ، والتى جاءت لتقييم حرب الأيام الستة ، ووصفها القادة الذين قادونا ـ بعد ذلك ـ إلى نصر أكتوبر ، وتتحدث الخطة الأستراتيجية التكتيكية البرية ضد مصر فى حرب يونيو ..

كانت الخطة لها اسم رمزى هو « صهيون » ..

وقاد القوات الاسرائيلية العميد جافيش قائد المنطقة الجنوبية ، وتهدف الخطة الى :

- تدمير الجيش المصرى المتمركز فى سيناء ...
- الاستيلاء على كل شبه جزيرة سيناء حتى قناة السويس .
- احتلال مدخل خليج العقبة لتأمين الملاحة الاسرائيلية عبر مضايق تيران ..

تمضى الوثيقة ، أو التقييم العسكرى المصرى لما حدث فى يونيو ، فتقول : هناك عوامل أخرى اثرت على خطة الهجوم على المستوى الاستراتيجى التكتيكى ، بعض العوامل التى كان من ابرزها :

- أوضاع القوات المتمركزة فى سيناء كانت تغرى قائد المنطقة العسكرية الجنوبية الاسرائيلية على تركيز هجومه الرئيسى فى الاتجاه التعبوى الشمالى .. كما كانت تدفعه إلى القيام بأعمال تسلل وتوغل عميقين صوب مؤخرة المنطقة الدفاعية لتحقيق الأرتباك الذهنى والشلل المعنوى فى هذه القوات وقيادتها ..

- المعرفة الكاملة بأوضاع ونوايا القوات المصرية بسيناء مكن قيادة المنطقة العسكرية الجنوبية من حسن اختيار اتجاه المجهود الرئيسى بحيث يتجنب المجهود الرئيسى للقوات المصرية المدافعة ، ويحشد القوات المهاجمة بما يحقق لها التفوق المناسب فى قوة الصدمة ..

توفر القادة التكتيكيين ذوى المهارات القتالية والخبرة العملية بأرض

سيناء من الذين سبق لهم اكتساب خبرة قتال عام ١٩٥٦ ضد القوات المصرية ..

عدم اتزان بناء الدفاع بسيناء لضعف الدفاعات بصفة عامة ، وعلى المضايق حيث يقع خط الدولة الدفاعى رقم (١) الى الشرق منها والخط رقم (٢) الى الغرب منها بصفة خاصة ، ولعدم سابق تجهيزهما ، هذا بالإضافة إلى عدم أستكمال الأعمال الهندسية الميدانية فى النطاقات التعبوية والتكتيكية ..

تمركز قوة ضاربة مصرية قوية على الأتجاه التعبوى الجنوبى يجعل من المستحيل بدء الهجوم ضد قوات منطقة شرم الشيخ قبل حسم المعركة البرية فى قلب سيناء ..

طول مسافة الطريق البرى من ايلات إلى شرم الشيخ ووعورته الشديدة بما يجعل أمر دفع قوات برية للسير عليه لمهاجمة منطقة شرم الشيخ أمرا باهظ التكاليف شديد التعقيد ويجعل المظلات أنسب لتحقيق هذه المهمة .. وقد أظهرت خبرة جولة خريف ١٩٥٦ ذلك بوضوح ..

النتائج الحاسمة لنجاح الضربة الجوية المفاجئة على موقف القتال البرى فى سيناء ..

الثقة من ضعف مستوى تدريب القوات المصرية على العمليات الدفاعية وأهمال هذا النوع من التدريب لعدة سنوات سابقة ، ومعرفة نقاط الضعف الذاتية مع القوات المسلحة المصرية بصفة عامة .. ومن واقع الخبرة الاسرائيلية المستنبطة من جولة خريف ١٩٥٦ على وجه الخصوص . والتى من أبرزها نقاط الضعف التى عالجها كتاب يوميات معركة سيناء « بقلم اللواء موشى ديان وكتاب بن جوريون يستعيد الماضى الصادر عام ١٩٦٤ حدد فيها نقاط الضعف التالية :

- ضعف المرونة الذهنية لجهاز التخطيط والمتابعة والتأثير الكبير على قدراته بتحقيق المفاجأة ضده بعكس ما خطط وتوقع ..

- ميل القوات المسلحة المصرية الغريزى إلى المبالغة فى تقدير القوات

المعادية خلال سير القتال .. والأستهانة بالعدو خلال مراحل التخطيط للحرب ..

- الأرتباك الذهنى للقيادات والقوات بمجرد انتهاج العدو أسلوبا غير متوقع ..

- البطء الشديد فى وصول الأوامر إلى القوات المرؤوسة أو إرسال المعلومات إلى القيادات الأعلى .. مما يجعل رد فعلها على أعمال القوات الأسرائيلية متأخرا وغير مؤثر .. كما يمكن استغلاله بمهارة لإشاعة الفوضى فى خطط وتشكيلات قتال القوات ..

- ميل القوات المصرية إلى تفضيل المواصلات الخطية وسهولة أرتباك السيطرة على المسرح بمجرد قطع هذه الخطوط ، علاوة على رداءة الأجهزة اللاسلكية المستخدمة مع القوات ..

- ظهور العدو على أجناب ومؤخرة الدفاعات يسرع فى أنهيارها ذهنيا ثم واقعيا بسهولة ..

- تعرض العمق التعبوى للمسرح وخطوط مواصلاته إلى عمليات تسلل أو توغل عميق يهز الدفاعات الثابته الحصينة الأمامية هزات قاتلة ويسرع بسقوطها « كثمرة ناضجة » على حد تعبير موشى ديان ..

- ضعف مستوى التطعيم للمعركة للقوات البرية بالنسبة للعمل تحت الأحوال الجوية الشاذة ، وفقد الدفاعات المجهزة لقيمتها وقدراتها ..

- انعدام القدرة القتالية للقوات المصرية لحظة تركها الاستحكامات الميدانية المجهزة ..

- عدم مقدرة القوات المصرية على تنظيم ارتداد تعبوى سواء من الناحية الفكرية أو العلمية وخاصة تحت سيطرة العدو الجوية ..

- مبالغة جهاز التخطيط المصرى فى تقييم السلاح وليس الرجل خلف هذا السلاح ..

* * *

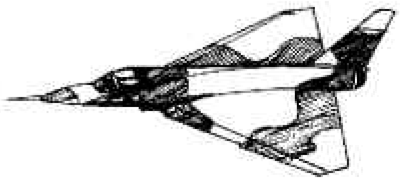
حشدت اسرائيل قوتها ، واستعدت لدخول الحرب بخطة صارمة تم التدريب عليها أكثر من عشر سنوات ، بحيث ان كل فرد يعرف مهمته القتالية تماما .. مزودا بمعلومات دقيقة ، كما ذكرت كل الوثائق ، بما فيها الوثائق المصرية ..

وكانت القوات المصرية فى تخبط شديد ، لا الجندى يعرف مهامه القتالية ، ولا قائده يعرف أيضا ..

واتخذ عبد الناصر قرارا ، بأن تضع القوات المصرية كلها المحتشدة فى سيناء يدها على خدها ، انتظارا للضربة الأسرائيلية الأولى ...

• • •

وفى التاسعة صباحا من يوم الأثنين الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ .. اندلعت الحرب .. وكانت مذبحة .. مذبحة رهيبة .. للأبرياء من شبابنا .. ومن قادتنا .. ومن رجالنا العظام .. أقامت هذه المذبحة لهم .. القيادة السياسية والعسكرية فى القاهرة ..



القرار المصرى
والقرار الاسرائيلى

فى محادثات كامب ديفيد قال الإرهابى الصهيونى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل للرئيس المصرى أنور السادات الذى يطالبه بالتوقيع على الاتفاقية فى مراحلها الأولى :

ـ سيدى الرئيس .. لا أستطيع وحدى توقيع قرار يخص مصير الشعب الإسرائيلى دون الرجوع إلى الكنيست والأحزاب والمؤسسات .. ولكن أنت تستطيع أن توقع الآن على أى قرار .. فيصبح قرارا ملزما لشعبك .. هذا سيدى الفرق بين القرار المصرى .. والقرار الإسرائيلى ..

يومها ثار السادات .. واتهم بيجين بأنه يقول له إنه ديكتاتور ..

• • •

ورغم كراهيتى الشديدة لهذا « البيجين » إلا أنه نطق صدقا .. وربما كانت معاناة مصر منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ أن الحاكم ملهم ، وأنه قادر على اتخاذ القرار الصائب والذى لا يستطيع أحد اتخاذه إلا هو وحده .. وقد أدى قرار الفرد ، وقدسية هذا القرار ، إلى خروج مصر من هزيمة إلى أخرى ..

إن كل القرارات المصيرية ، والتى دفع الشعب ثمنها من تاريخه .. كانت قرارات « الزعيم الملهم » ، ثم جرى العرف ، أن الزعيم إذا أراد الاستشارة فإنه لا يحصل عليها .. بل ان مستشاريه ككلاب الصيد ، ينظرون إلى اتجاه فوهة البندقية ويجرون فى اتجاهها ، سواء هناك فريسة .. أو كمين .. فما يريده الحاكم يجملونه له ..

وأنكر أن عبد الناصر طلب استشارة السياسى المصرى العظيم الدكتور محمود فوزى فى نزول القوات الأمريكية إلى بيروت عقب ثورة العراق ، وهل تتصدى لها الجمهورية العربية المتحدة إذا حاولت التقدم نحو دمشق .. يومها قال الدكتور محمود فوزى للرئيس عبد الناصر :

- إن هذا القرار قرارك .. لأن قرارى سوف أبنيه على حسابات دقيقة .. ولكن فى مثل هذه الحالات فإن القرار الملهم .. من زعيم ملهم .. خير من القرارات المبنية على حسابات دقيقة ..

ويبدو أن الدكتور فوزى لا يريد أن يغضب الرئيس .. ولا أن يشارك برأى مخالف لن يؤخذ به ، ولن يقدم ولن يؤخر فيما اتخذه « الزعيم الملهم » من قرار ..

* * *

فى تصورى أن أزمات مصر كلها ، إنما تأتى من حكاية القرار الملهم .. لقد دخلنا حرب اليمن .. بقرار ملهم .. ودخلنا الهزيمة فى يونيو عام ١٩٦٧ بعدة قرارات من الزعيم الملهم ..

والآن .. كيف صدرت قرارات الإلهام التى أدت إلى هزيمة يونيو ؟

ثم .. كيف صدرت قرارات المواجهة من العدو الإسرائيلى لقرارات الزعيم الملهم ؟

* * *

إن الفرق هنا .. هو الفرق بين الهزيمة والنصر ..

إن الفرق هنا .. هو الفرق بين العلم والجهل ..

إن الفرق هنا .. بين ديمقراطية القرارات والديكتاتورية ..

إن التاريخ يقول لنا : كل الديكتاتوريات انتهت بهزائم ساحقة .

* * *

فى قرارات الهزيمة حدث الآتى :

• أنباء عن حشود إسرائيلية على الجبهة السورية .. فلم يحدث على الإطلاق أن بحث صدق وجود هذه الحشود ، ولم يُعرض الأمر على أحد .. بل اتخذ الزعيم الملهم قراره بحشد القوات المصرية حشدا عشوائيا فى سيناء .. لم يناقش أمر الحشود ، وماذا يمكن أن تفعله مصر ؟ .. ومدى إمكانية قيامها بحشد قواتها ؟ .. وهل تحتاج هذه الأزمة حلا عسكريا أم حلا سياسيا ؟ ..

• قرر عبد الناصر سحب قوات الطوارىء الدولية ، وقدم الفريق فوزى الطلب إلى قائدِ قوات الطوارىء الدولية .. ولم يتناقش الزعيم فى أمر هذا القرار ونتائجه مع أحد .. فهو الملهم ..

• قرر عبد الناصر اغلاق مضايق تيران .. وعرض الأمر على مجلس الوزراء كقرار .. وعارضه رئيس الوزراء فى ذلك الوقت صدقى سليمان .. ولكن عبد الناصر لم يستمع إليه .. لأن القرار كان قد صدر .. والقرار هنا وليد إلهام الزعيم الذى لا يقع فى خطأ ..

• قرر عبد الناصر ألا تبدأ مصر بالضربة الأولى .. ولم يعرض القرار على أحد ...وبالتالى .. لم يناقشه أحد ..

• قرر عبد الناصر أن تتلقى مصر الضربة الأولى وعندما عرض القرار على قيادات القوات المسلحة ، اعترض قائد القوات الجوية الفريق صدقى محمود .. وبدلا من مناقشته وسماع رأيه ـ فربما عدل عن قراره بادره بالقول :

ـ هل تحارب إسرائيل وحدها بعد أن تضرب الضربة الأولى .. أو تحارب إسرائيل وأمريكا بعد أن تضرب أنت الضربة الأولى ..

وطالما أنت فى حضرة الزعيم الملهم .. فعليك ألا تناقش ، وأن أفكاره « الملهمة » أوامر .. وعليك أنت أن تكيف نفسك على طريقة تنفيذها .. وسكت صدقى محمود .. ودفع ثمن سكوته غاليا فيما بعد ..

• • •

في حديثه للدكتور ثروت عكاشة ، أعلن عبد الناصر أنه لا يعرض كل أوراقه أمام مجلس الوزراء لأنه لا يثق فيهم .. وبالتالي لا رأى لهم .. ولقد أثبتت حرب يونيو أن كل مؤسسات الدولة ، هي ديكور للحاكم ، سواء كان ذلك مجلس الوزراء ، ومجلس الشعب ، مجموعة المستشارين ، القيادات العسكرية ، أو على أحسن تشبيه فهم أداة تنفيذ ما يلهم به الحاكم من قرارات ، وليس من حقهم أن يعرفوا الأسباب أو المبررات لهذه القرارات ..

* * *

إن دراسة لكل القرارات - قرارات مايو ١٩٦٧ - تبين أنها كلها تدور حول محور واحد ، هو استعادة الزعيم جمال عبد الناصر لشعبيته في العالم العربي ، ووقف الحملات التي كان يشنها عليه الملك حسين ، وراديو الرياض والبعث السوري ، ويتهمونه بالجبن .. والاختباء خلف قوات الطوارىء الدولية .. والسماح للسفن الإسرائيلية بالعبور في مضايق تيران داخل المياه المصرية الإقليمية ..

ولقد قال عبد الناصر لعبد اللطيف البغدادي ، إنه اتخذ هذه القرارات ، عندما وجد العالم العربي « نائم ويريد أن يصحيه » ..

كما كان عبد الناصر يتمنى أن تعبر السفن الإسرائيلية من مضيق الخليج .. بعد إغلاق مضيق تيران .. والأول في المياه الإقليمية السعودية .. ليشن حملة إعلامية ضد السعودية بأنها هي التي تسمح بعبور السفن الإسرائيلية في المياه الإقليمية .. وقد سرب لإسرائيل هذا المعنى إلا أن السفن الإسرائيلية رفضت ذلك لوجود ضمور في الممر السعودي ..

ومصلحة مصر في قرارات مايو ؟ لا تهم .. المهم شعبية الزعيم التي تدهورت ..

* * *

إذن .. قرارات مايو التي أدت إلى هزيمة يونيو كانت كلها تدور حول نقطة محورية هي شعبية الزعيم التي تدهورت في الشارع العربي ..

إذن .. هذه القرارات التى قادتنا إلى أقسى هزيمة لم يناقشها أحد .. ودفعت الأمة من تاريخها ومن شرفها ومن تقدمها ثمنا باهظا لاستعادة شعبية الزعيم ..

إذن .. قرارات مايو التى أدت إلى هزيمة يونيو .. لم تطرح على أحد .. ولم يناقشها أحد .. ولم تطرح - من خلالها - مصلحة مصر ..

* * *

يقول الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه « تحطيم الآلهة » :

- « جرت العادة فى الدول التى لها حكومات مسئولة أمام ممثلى الشعب .. أن تتضاعف مسئوليتها وقت الحرب ، لمواجهة ما ينجم عنها عادة من مشاكل فادحة خارجية وداخلية وعسكرية وخلافها .. وبعض هذه الحكومات تؤلف من بينها ما يعرف باسم « حكومة حرب » تتفرغ لإدارة كل ما يتصل بشئون الحرب ..

ولكننا رأينا رئيس الدولة فى حرب يونيو يلازم غرفته « لا يغادرها ولا يقابل أحدا على الإطلاق » لمدة ثلاثة أيام ، يدير المعركة السياسية والدبلوماسية وحده ، ويواجه العاصفة التى تجتاح مصر وحده وبمفرده دون أن يجتمع بحكومته ولو مرة واحدة فى أحرج الأيام ، ورأينا المشير عامر فى غرفة القيادة العامة بمدينة نصر يدير المعارك البرية والجوية وحده ، دون اكتراث بهيئة أركان حربه وكبار قواده فى الجبهة .. بل رأينا قرارا سياسيا خطيرا بالانسحاب من سيناء - .. وهو قرار سياسى بالدرجة الأولى يتوقف عليه ليس فقط مصير البلاد ، بل ومصير الصراع العربى الإسرائيلى ، ومستقبل منطقة الشرق الأوسط - يبت فيه رجلان فقط .. هما رئيس الجيش المشير عبد الحكيم عامر ، ورئيس الدولة جمال عبد الناصر ، ومن خلال اتصال تليفونى ، دون أن تدرى عنه حكومة مصر شيئا ..

فهل يحق للمؤرخ أن يقف عند هذه اللحظات التاريخية الحالكة فى تاريخ مصر قائلا :

ـ كم تضاءلت مصر بشعبها وسياسييها ورجال الرأى فيها .. فى تلك الأيام الستة السوداء من حرب يونيو ١٩٦٧ ..

* * *

فى فترة الحرب .. لم نسمع أن اجتمع مجلس الوزراء .. ولكنه اجتمع بعد تنحى عبد الناصر .. ليقول له : لا .. لا تتنح !!

وكلنا نسمع أنه فى كل دول العالم ، فإن مجلس الوزراء ، يكون فى حالة اجتماع مستمر لمواجهة الموقف .. ولكن عندنا لم يجتمع إلا من أجل الفرد .. من أجل الزعيم ..

والمجلس التشريعى .. لم يجتمع إلا بعد ضياع الأرض .. ضياع مصر .. واجتمع ليقول للزعيم : لا .. لا تتنح .. ثم عندما أعلن الزعيم استمراره .. قام بعض النواب .. هزوا كروشهم فى قاعة البرلمان .. و « رقصنى يا جدع » .. ورقصوا طربا .. والأرض المحتلة .. وشباب مصر فى سجون اسرائيل .. أو فى تيه سيناء .. يموتون عطشا .. أو برصاص القتلة الإسرائيليين .

ولم يجرؤ أحد أن يسأل الزعيم ..

ولم يجرؤ أحد أن يقول له : لقد اعترفت أنك المسئول عن اغراق مصر .. فما هو العقاب ؟

نعم .. لم يجرؤ أحد أن يقول له شيئا .. بل خرجوا بنغمة مضحكة إلى حد البكاء .. بأن إسرائيل أرادت من « عدوانها » أن تسقط النظام .. وطالما أن رمز النظام ـ عبد الناصر ـ استمر .. فلقد فشل العدوان فى تحقيق أهدافه ..

لقد تحولت المؤسسات منذ أزمة مارس عام ١٩٥٤ ـ إلى ما يشبه كلاب الصيد ، فإذا صوب « الزعيم » بندقيته إلى هدف فإنهم يجرون فى سباق رهيب نحو الهدف الذى صوب الزعيم إليه .. فلقد رباهم الصياد على ذلك ..

* * *

نأتى لكيفية إصدار القرار الإسرائيلى .. فى فترة مايو ويونيو عام ١٩٦٧ ، أى فترة التمهيد للحرب .. والحرب نفسها ..

إن إسرائيل ، تملك دراسات عن صناعة القرار فى كل دولة عربية على حدة ، وتعرف الظروف النفسية ، والسياسية التى تدفع بصانع القرار إلى اتخاذه ، لذلك فإنها فى حرب عام ١٩٦٧ استطاعت معرفة كل القرارات التى يمكن أن يتخذها عبد الناصر عقب بداية أزمة مايو حتى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ..

ولكن فى عالمنا العربى ، قد لا نعرف كيفية اتخاذ القرار فى إسرائيل .. وهى قضية هامة جدا ، وهى هنا لا تعرف سوى مصلحة إسرائيل فى اتخاذ القرار الإسرائيلى على أسس هامة :

أولا : المعلومات المتوفرة عن العدو أثناء الأزمة ..
ثانيا : القرار الذى يمكن اتخاذه خلال مسيرة الأزمة ..
ثالثا : الموقف الدولى تجاه إسرائيل وتحركها فى الأزمة ..
رابعا : المعلومات المتوفرة عن القوة الإسرائيلية ..
خامسا : دراسة الخطة والخطة البديلة ..

* * *

وفى عام ١٩٦٧ تقوم اللجنة الوزارية للدفاع باتخاذ القرار .. وكانت اللجنة الأصلية للدفاع فى حرب عام ١٩٦٧ تتكون من :

- ليفى أشكول رئيس الوزراء .. حزب التجمع وهو اتحاد بين حزبى ماباى وأحدوت هعفودة ..
- هيام موشه شابير وزير الداخلية - الحزب الدينى القومى ..
- بيجال آلون وزير العمل من حزب التجمع ..
- أبا إيبان وزير الخارجية من حزب التجمع ..
- زلمان أدان وزير التربية من حزب التجمع ..
- إسرائيل جاليلى وزير بدون وزارة من حزب التجمع ..

- بنحاس سابير وزير المالية من حزب التجمع ..
- إسرائيل بارزيادى وزير الصحة من حزب مابام (العمل)
- موشه كول وزير الشئون الدينية من الحزب الدينى القومى ..

كانت هذه هى لجنة الدفاع الدائمة ، ولكن عندما اشتدت أزمة مايو ، وأصبح الأمر فى حاجة إلى اتخاذ قرارات مصيرية فإن هذه اللجنة بكل ما فيها لا تتحمل - وحدها - اتخاذ القرار ، ولا بد لإسرائيل كلها من المشاركة فى صنع القرار .. وهنا قرر أشكول رئيس الوزراء توسيع لجنة الدفاع ، فتقرر إضافة كل من :

- موشى ديان ، ليصبح وزيرا للدفاع ، وكانت رئاسة الدفاع برئاسة ليفى أشكول ، وهو من حزب رافى ..
- مناحم بيجين وزير بدون وزارة من حزب جاحال ..
- جوزيف سابير وزير بدون وزارة من حزب جاحال ..
- يعقوب شبايرة وزارة العدل من حزب التجمع ..
- الياهو ساسون وزير الشرطة من حزب التجمع ..

* * *

واكتملت لجنة الدفاع ، وأصبحت حكومة حرب ، لتصبح مسئولية النصر والهزيمة هى مسئولية كل إسرائيل ، حيث تمثل اللجنة هذه كل التيارات الإسرائيلية فى إسرائيل .. ويعاون هذه اللجنة كل أجهزة الحكم فى إسرائيل ، بحيث تصدر تعليمات تبدأ كافة الأجهزة فى تنفيذها على الفور .. وتضع الخطط السياسية ... والخطط التنفيذية حتى قرار الحرب ..

• • •

يتحدث الدكتور ابراهام وجنر عن صناعة القرار فى اسرائيل أثناء أزمة عام ١٩٦٧ فيقول :

- إن إدراكاتنا قد تكون خاطئة ، لكننا نستمر فى العمل كأنها صحيحة .. واضح أن تلك كانت الحالة مع المصريين الذين تصوروا حشود القوات

الإسرائيلية على الحدود السورية فى مايو ١٩٦٧ ، وتصرفوا على هذا الأساس بعد أن ثبت خطأ ذلك التأكيد بوقت طويل .. وهكذا فإنه من الضرورى أن نقيم إدراكات الواقع من قبل قادة إسرائيل ، ومدى مطابقة ذلك مع نظرة ما « موضوعية » قبل أن نبدأ بتحليل كيفية تصرف هؤلاء القادة بالاستناد إلى إدراكاتهم ..

إن مثل هذه الإدراكات تحدد بدورها مدى الخيارات المفتوحة أمام صانعى القرارات .. ففى عام ١٩٦٧ مثلا يمكن اقتراح ضربة محدودة كاختيار محتمل .. لكن جميع الذين جرت مقابلتهم نفوا هذا الاختيار ، على كل حال بسبب إدراكهم للوضع .. هنا أسهم الدافع الذى أوجدته القوات المصرية باحتشادها فى سيناء ، فى تكوين واقع له دلالة طاغية لديهم .. وقد عرض كينيث أ . بولدينغ أهمية هذه الصورة بالنسبة للقرار النهائى بشكل واضح بقوله :

ـ ينبغى أن ندرك أن الناس الذين تحدد مقرراتهم السياسات والأمم لا يستجيبون لحقائق الوضع « الموضوعية » .. إن ما نظنه الواقع ، وإن لم يكن الواقع الفعلى ، هو الذى يحدد مسلكنا .. إن « الصورة » يجب أن تؤخذ على أنها الحصيلة الكلية للسلوك ، وهى حصيلة نتيجة التقييم والمعرفة والتأثير .. أو نظراتها الداخلية لذاتها ولعلمها .. إن القرار يقضى باختيار الوضع الأفضل ضمن اختيارات عدة مدروسة .. إن مجال الاختيار واعتبارات الأفضلية ضمنه ، أمران يتحدد بهما اختيار الوضع الأفضل ، وهما يقومان فى « تصور » صنع القرار ..

* يقول ابراهام واجنر :

ـ إن مشكلة الخطأ فى الادراك ، بالنسبة لوضع ١٩٦٧ ليست عظيمة بصورة خاصة بالنسبة لإسرائيل .. فالإسرائيليون يلتهمون الأخبار من جميع المصادر ويملكون مصلحة مخابرات جيدة تطلعهم على آخر التطورات ..

يبقى بعد ذلك مسألة ما إذا كان ذلك الذى اعتبرته إسرائيل أعمالا حربية ، من حشد لقوات وإغلاق لمضايق تيران ، كان يشكل بالفعل تهديدا

مباشرا .. أو مجرد رادع ، كما ادعى عبد الناصر فيما بعد ..

ولكى نفهم سبب تغليب هذا الاعتقاد بعزم عبد الناصر على الهجوم ينبغى أن نتناول اعتبارا ذا صلة بالموضوع وهو نشوء الاعتقاد بالهجوم الوشيك ومقاومة الإسرائيليين لتغيير هذا الاعتقاد ..

فى بنية الاعتقاد الإسرائيلى عنصر يبلغ الحد الأقصى من الشمول .. والاستمرار والمقاومة لأى تغيير هو ما يسميه روزين « بيهودية » إسرائيل ، أى .. وجود إسرائيل كأمل أخير للشعب اليهودى فى الزمن الحديث بعد نحو ألفى سنة من الاضطهاد ..

إن هذا التاريخ من الاضطهاد ومن الشعور المتواصل باليهودية يكون « عدسة » ترى جميع الحقائق الموضوعية من خلالها ..

فلا عجب إذا أن يميل العرب واليهود إلى رؤية الكلام الواحد والأعمال الواحدة بصور مختلفة .. فبالنسبة للعرب الذين عرفوا القليل من نزف الدماء فى المذابح وفى الحربين العالميتين تحمل فكرة « الدم اليهودى الجارى فى شوارع تل أبيب و « دفع » اليهود إلى البحر» طابعا رومانتيكيا منسجما مع الحملات فى المقاهى ، أما بالنسبة لليهود الذين نجوا من المذابح الروسية والحملات التطهيرية فى بولندا ، ومن معسكرات الموت فى ألمانيا ، فإن لهذا الكلام رنة مألوفة جدا لا سيما حين يدعمه تحرك عسكرى ..

إن استمرار عقدة الاضطهاد الجماعى هذه أدى إلى شعور عند الاسرائيليين موصوف « بمبدأ المعسكرين » أى أن اسرائيل واليهود فى العالم فى معسكر ضد الأمم الأخرى « قوييم » أو ضد شعوب العالم الأخرى ..

إن الرأى العام القائم على الحليف الوحيد الموثوق لاسرائيل هو بقية اليهود فى العالم كامن فى صلب الفكر الاسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ على الأقل .

إن التشبث بهذا الرأى فى عام ١٩٦٧ حمل بالتأكيد صانعى السياسة الاسرائيلية على اطراح جميع التعبيرات عن الدعم الخارجى كالمشروع

الذى تقدم به الرئيس جونسون .. والجهود التى قام بها رئيس الوزارة البريطانية ولسون .. إن ما يتخلل الفكر الاسرائيلى من احساس عميق بالرسالة يجعل المحافظة على الدولة هدفا أوليا يطغى على جميع الاعتبارات الأخرى ..

ويتحدث واجنر عن الفروق الفردية فى الادراك فى اتخاذ القرار :

ـ وإذا كانت هذه المعتقدات الدائمة المذكورة أعلاه تميز بصورة عامة جميع قادة اسرائيل ومعظم شعبها ، فإن هناك فروقا فردية حادة بطريقة تصور المعنيين بأزمة ١٩٦٧ للواقع .. وهنا ينبغى أن نكون حذرين للتمييز بين الطريقة التى بها يبنى الفرد الواقع لنفسه .. أو يدرك بها الحدث .. والطريقة التى تفرض عليه صفاته الشخصية أن يتصرف بموجبها .

إن معظم الاسرائيليين مثلا فسروا حشود القوات المصرية تفسيرا واحدا .. لكنهم اختلفوا فى استجاباتهم الفورية لذلك ..

هناك خلافات فردية بارزة فى صفوف القيادة الاسرائيلية .. ولعل أكثرها خطورة هو تصور أشكول للتهديد العربى فى مراحل الأزمة الأولى .. ومع أن أشكول كان يشارك زملاءه نظرتهم بتهديد متزايد من مصر فى صحراء سيناء .. فإنه لم يكن يدرك الطبيعة الوشيكة للأزمة كما كان يراها كبار القادة العسكريين كرابين مثلا .

ولما اتخذت تحركات القوات المصرية التى كانت من قبل عادية شكلا محموما رأت هيئة الأركان الاسرائيلية العامة أن الهجوم وشيك الوقوع ، وقامت بجهود استثنائية لتنبيه أشكول إلى ضرورة توجيه الضربة الوقائية الرادعة .. لكن أشكول لم يعر ذلك الاهتمام الكافى ، على حد قول العديد من النقاد ..

وقد أكد هؤلاء أن أشكول لم يقدر خطورة الوضع تقديرا تاما ، .. وأشاروا إلى أنه كان عاجزا عن اقناع أعضاء حكومته بوجوب القيام بهجوم .. كان أشكول لايزال « جابى الضرائب » الذى يفكر فى اطار السنوات المالية .. لا الغزوات الوشيكة .. وبينما كان أعضاء الحكومة

الآخرون يعدون الساعات لبدء الهجوم العربى .. كان أشكول يواصل حياته الاجتماعية النشيطة ..

والناحية الأخرى لقضية أشكول هى عجزه عن أن يدرك ، حتى مرحلة متأخرة جدا فى الأزمة .. حالة المعنويات العامة المتدهورة بسرعة .. ومرد ذلك بالدرجة الأولى إلى عجزه عن أن يقوم بأى عمل .. لكنه لما أدرك أخيرا حالة الاستياء من الناحيتين العامة والعسكرية ، حاول أن يصحح الوضع بحديث من الاذاعة ، إلا أن الحديث الذى بدا أنه طنين أبله ، كان له تأثير معاكس تماما .. وأدى إلى مزيد من اضعاف الثقة العامة ..

وتروى قصة الحديث بصور مختلفة ، وتعطى أسباب عديدة لهذا التدبير اليائس إلى درجة عالية .. كان أشكول .. وهو ليس متحدثا جيدا البتة .. فقد نام قليلا ..

ويقال أنه وصل إلى محطة الاذاعة بعجلة وقد نسى نظارتيه .. كان الخطاب قد هيىء لأشكول بسرعة .. وكان مكتوبا بخط اليدأو مطبوعا على آلة كاتبة بصورة رديئة .. فلاقى أشكول صعوبة كبيرة حتى فى قراءته .. كان حديثا طنينا .. وكان يعيد قراءة السطور .. ثم انتهى بصورة عامة كأنه معتوه .. حتى أن أصدقاءه المقربين كانوا مذهولين لفعلته .. وكانت ردة الفعل الروسية الفورية أن حكومة أشكول ضعيفة جدا بحيث لا تستطيع أن تخوض حربا ..

ولعل القضية التى كانت أكثر خطورة من قضية أشكول هى قضية وزير الخارجية ايبان « المتفائل الدائم » ، الذى أدرك الأحداث لا بتحيز متفاءل وحسب .. ولكن بتحيز سياسى قائم على أن الدبلوماسية هى حل لجميع المشاكل .. وبينما كان اهتمام الحكومة بحصار مضايق تيران قد تحول إلى الاهتمام بالهجوم المصرى المرتقب ، فقد ظل ايبان يرى أن القضية الأولى هى القضية الرئيسية .. أى غلق المضايق فحسب ..

وأرسلت الحكومة ايبان إلى واشنطن عبر باريس ولندن للبحث فى الأزمة .. وأشارت عليه أن يثير مع الرئيس جونسون مخاوف اسرائيل من

الهجوم الوشيك الذى كان هم اسرائيل الأول آنذاك .. لكن ايبان بدلا من ذلك ، صرف معظم وقته مع جونسون فى مناقشة مشروع الرئيس لفتح المضايق بواسطة أسطول بحرى دولى وبذلك حول الغاية من بعثته لتلائم مفهومه الخاص للأزمة .. ومما زاد الحالة سوءا ، أن إيبان تأخر يومين قبل أن يبلغ الحكومة الاسرائيلية ملاحظة من جونسون هى أن القرار النهائى هو لكم فى النهاية ..

إن هذه الملاحظة فهمها معظم صانعى القرارات الذين جرت مقابلاتهم بأنه وعد مبطن من الرئيس الأمريكى بالدعم الأمريكى بحال اقدام اسرائيل على الهجوم .. لكن ايبان حذف ملاحظة الرئيس بسبب ميله إلى حل دبلوماسى .. وهناك خلافات فردية أخرى فى الواقع .. وفى القول القديم : « يهوديان اثنان ، آراء ثلاثة .. كثير من الصحة » ، لكن هذه الفورة ـ كانت أهم من سواها فى مجرى الأزمة ..

ويشرح واجنر المفاهيم الاسرائيلية بالنسبة للعرب عند اتخاذ القرار :

ـ « ومن الواضح أن بناء الواقع لا يكتمل بمجرد تصور الأحداث والأشياء .. المطلوب أيضا هو تصور الآخرين المعنيين بالأزمة .. وهذا بحد ذاته هو جزء كبير من الدافع المحرض .. وبالنسبة لاسرائيل عام ١٩٦٧ هذا هو ما كان يشكل بالأساس رأيها بالعرب ثم مفاهيم أشكول بدرجة ثانية بالنسبة للوضع العسكرى وللمعارضة الداخلية .. ولما كان معظم الاسرائيليين يجمعون على أنهم كانوا حققوا السلم منذ زمن طويل لو كان لهم جيران أوروبيون ، مهما كانوا معادين لهم فإنه من المهم أن نسجل هنا كيف كانوا ينظرون إلى جيرانهم ..

يمكن تقسيم تصورات الاسرائيليين إلى ثلاث مدارس فكرية : الأولى وهى التى يشار إليها بالبيوبرية نسبة إلى مارتن بيوبر ، تهدف إلى التوفيق بواسطة التراضى مع العرب ، وتنظر إليهم كأى شعب آخر محب للسلام ، نزل بهم ظلم كبير .. وينتشر هذا المفهوم البيوبرى بين أعضاء حزب مابام اليسارى .. ولكن مناصريه إذا كان لهم وجود فى الأصل كانوا قليلين فى حكومة ١٩٦٧ ..

وهناك تصور آخر أكثر انتشارا ، معروف بالبنغوريونية .. موجود فى الطرف الآخر من الصورة .. وهو يحاول التوفيق بواسطة القوة المتفوقة .. وكثيرا ما يقرن هذا الرأى بعقلية الهجرة الثانية مع أن مناصريه الأساسيين خلال أزمة ١٩٦٧ ، أى موشى ديان وشمعون بيريز ، هما من جيل الشباب الاسرائيلى ..

وهنالك رأى ثالث أكثر اعتدالا ويعرف ، بالوايزمانية ، وهو ينتهج نهجا وسطا لتحقيق السلام .. ومن ناحية ثانية ، كان هذا النهج الوسط أقل بعدا عن الواقعية بين المدارس الثلاث لكنه تلقى الضربة القاضية قبل وقته فى حرب الأيام الستة .. إن الذين كانوا يؤيدون هذا الرأى دفعوا إلى التطرف إذ تبنى معظمهم موقف بن جوريون .. وبما أن وجهة نظر بن جوريون هى التى سيطرت نهائيا عام ١٩٦٧ ، فإنه جدير بنا أن نتناول هذا الرأى بالعرب بشىء من التفصيل الاضافى ..

• • •

انتهى حديث ابراهام واجنر ، عن العوامل المؤثرة فى اتخاذ القرار الاسرائيلى .. إلا أن أهم ما فى هذا كله .. إنهم لا يتركون أى أمر لتفسير خاطىء .. إنهم يحسبون دائما فى اتخاذ قراراتهم على أسوأ الخيارات ، حتى عند زيارة أنور السادات للقدس .. أخذوا أسوأ الاحتمالات .. وهو تصور أن السادات قد قام بهذه المناورة ، ليجمع قادة كل اسرائيل فى المطار ، ثم فتح باب الطائرة لينزل قناصة يحصدون كل قادة اسرائيل المنتظرين لوصول السادات .. لذلك جاءوا بفرقة من القناصة أحاطت الطائرة والمطار ، وأيديهم على الزناد .. فإذا حدث أسوأ الاختيارات استطاعوا مقاومة القناصة المصريين وواجهوا المذبحة التى تصوروا أن السادات ممكن أن يقوم بها ..

• • •

إن دراسة اتخاذ القرار فى اسرائيل يحتاج إلى دراسة منفصلة ، ولكنهم فى اسرائيل ، قد حققوا حلما لا يصدقون حتى الآن أنهم حققوه وهو اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وإنها هى الحصن لكل يهود الشتات ، لذلك فإن

بقاء هذه الدولة لا يترك على الاطلاق للصدفة .. أو للآراء الرومانسية ، إن الدولة مطالبة أن تكون فى حالة استنفار دائم بحيث لا تترك أى أمور للصدفة أو الغفلة .. ولهذا يأتى سر « عبقرية » القرار الاسرائيلى .. ومن هنا استطاعت أن تجتاح ثلاث جيوش عربية فى ساعات فى حرب عام ١٩٦٧ ..

• • •

بعد صدور قرارات لجنة الدفاع - وعادة ما تكون سرية - تتحول هذه القرارات إلى عمل فورى سريع ، حيث يعقد كل وزير اجتماعات عاجلة مع قيادات وزارته ، ويضع أمامهم القرارات الخاصة بوزارته فقط .. لتتحول هذه القرارات إلى عمل وتحرك وحسابات دقيقة ، ..

فمثلا لجنة الدفاع قررت أن تسدد الضربة الأولى للقوات العربية ..

هذا هو قرار لجنة الدفاع أو حكومة الحرب .. فكيف يتحول إلى خطة ؟

* فى الخارجية :

تحدث أبا ايبان مع قياداته بأن اسرائيل لن تبدأ بالضربة الأولى .. وأن العالم مطالب بايقاف مصر عن « العدوان » على اسرائيل ، ويشرح وزير الخارجية خطورة الموقف الذى تعيشه اسرائيل كدولة « محبة للسلام » تريد أن تعيش وسط « مائة مليون عربى » .. ويتحول فورا هذا الحوار إلى عمل دبلوماسى إسرائيلى مكثف ، حيث تخرج التعليمات إلى كافة البعثات الدبلوماسية فى الخارج لتهيئة الرأى العام إلى الخطورة التى تعيش فيها اسرائيل ، ويلتقى السفراء برؤساء الدول ويشرحون ذلك لأجهزة الاعلام العالمية التى تتعاطف معهم .. ويصبح حديث العالم كله عن اليهود الضعفاء الذين يعيشون فى محنة .. وتطالب كل أجهزة اعلام العالم بمساعدتهم فى محنتهم .. ويطالبون « ناصر » بضبط النفس ، ويبدو « ناصر » هنا الرجل القوى الذى يملك بقاء أو لا بقاء اسرائيل ..

* في الدفاع :

يبدأ الاستعداد باستدعاء الاحتياطى ، بشكل عاجل وهادىء فى نفس الوقت .. ويبدأ القادة بتعبئة الجنود نفسيا .. بأن المعركة التى قد يخوضونها هى معركة حياة أو موت ، ويتسلل الشرح للخطة من القادة الكبار إلى الصغار حتى أصغر جندى سوف يدخل المعركة .. بحيث يعرف كل فرد طريقه أثناء المعركة .. وإذا تسربت أخبار التعبئة فإنها استعداد لمواجهة العدوان المصرى .. وتنشط أجهزة المعلومات .. وتتعدل الخطط بناء على هذه المعلومات تعديلا طفيفا لأن الخطة الأساسية محفورة فى رأس كل جندى ..

* فى الانتاج :

تبدأ المصانع فى العمل بأقصى طاقة لتوفير الانتاج للقوات المحاربة .. وفى نفس الوقت لسد النقص الناتج عن تعبئة القوى العاملة فى القتال ..

* فى الاعلام :

تشترك أجهزة الاعلام من صحافة لاذاعة لتليفزيون .. سواء تعلم أو لا تعلم فى تعميق قرارات لجنة الدفاع ، سواء فى تضخيم قوة العدو .. أو التمويه عليه ..

* * *

المهم .. تعد الدولة للحرب فى هدوء وسرية كاملة .. والكل يعمل كخلية نحل لتنفيذ قرارات اللجنة العليا .. ثم تبدأ الحرب ..

* * *

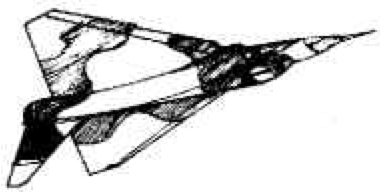
تصبح أهم موقع فى كل اسرائيل ، هى غرفة العمليات التى تتدفق إليها المعلومات من ساحة القتال أولا بأول .. وتقود المعركة فى البر والبحر والجو ولا موقع لزائر فى هذه الغرفة .. وقد يحتاج الأمر إلى قيام وزير الدفاع شخصيا بالتوجه إلى ساحة القتال فإنه يقوم بذلك تاركا خلفه فى هذه الغرفة قيادات عسكرية لها تاريخ .. تعرف كيف تصدر القرار . وتعرف

كيفية التنسيق بين عمل القوات البحرية والجوية والبرية .. وتعرف كيف تدفع بقوات إلى موقع يحتاج إلى دعم .. ودائما فإن الأوامر تكون للقائد : وتصرف حسب الواقع الذى تعيشه ..

• • •

هذا هو القرار الاسرائيلى أثناء حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وهو يستهدف أولا وأخيرا مصلحة اسرائيل .. ويصدر عن جماعة وصلت بالكفاح والصبر إلى مناصب رفيعة يمكنها أن تصدر القرار السليم .. ويتم تنفيذه بطريقة سليمة ..

وذاك هو القرار المصرى الذى يصدره فرد واحد .. ينفذه فرد واحد ويمنعه على أمر واحد .. السلطة الدائمة .. وبالتالى ، الشعبية ، فى الشارع المصرى ..





الحرب بدأت
قبل الضربة الجوية

• السؤال الآن :

ـ هل كان يمكن لمصر تجنب الضربة الاسرائيلية الأولى ؟

• والجواب :

ـ بالطبع كان يمكن تجنب هذه الضربة . . طالما أننا نعرف موعدها .. ونعرف حتى الاسلوب فى تنفيذها ، ولقد كان هناك ثلاث « وقائع » ثابتة فى كل المصادر التى تناولت حرب يونيو عام ١٩٦٧ :

• **الواقعة الأولى :**

اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر مساء يوم الجمعة الثانى من يونيو ، وحضر هذا الاجتماع محمد حسنين هيكل والمشير عامر ، والقادة العسكريون ، .. وأعلن لهم أنه يتوقع الضربة الأولى خلال ٧٢ ساعة من الآن ، أى يوم ٥ يونيو .. وأكد فى هذا الاجتماع أن مصر لن تبدأ على الاطلاق بالضربة الأولى . ويبدو أن عبد الناصر قد بنى هذه النظرية من أن الاتحاد السوفييتى سيحارب مع مصر فى حالة التزام مصر ضبط النفس وعدم الاقدام على الضربة ، وجاء هذا التصور نتيجة معلومات كاذبة أعلنها شمس بدران وزير الحربية عقب عودته من موسكو[١] .

---

(١) مذكرات فى السياسة والثقافة ـ ثروت عكاشة ـ ص ٤٨٧

رأس الرئيس عبد الناصر مؤتمرا عسكريا فى مساء الجمعة الثانى من يونيه .. وذكر فيه أن الهجوم الاسرائيلى سيقع فى الخامس من يونيه ، وأن مصر لن توجه الضربة الأولى حتى لا تبدو معتدية أمام العالم ـ وكان هذا الرأى من عبد الناصر نتيجة الحاح من السوفييت والامريكان معاً ، وكان هذا أمرا غريبا من هاتين الدولتين فثمة ما يدعو إلى الحيرة من احداهما والريبة من الاخرى ـ واذاً الأمر ينقلب رأساً على عقب ، فبعد أن كنا سنوجه الضربة الأولى بتنا نرقب الضربة الأولى من اسرائيل .. ولسوء الحظ كانت قاضية ..

ولقد علمت بعد الهزيمة التى لحقتنا أن وزير الحربية شمس بدران لم يع ما بالغ فيه حين وصف لرئيس وزراء الاتحاد السوفييتى الكسى كوسيجين ما عليه القوات المصرية المسلحة من قوة وعدة وأهبة للقتال . وكذا لم يع معنى قول كوسيجين له من أن الاتحاد السوفييتى ضد أى اندلاع للحرب ، كما أنه ضد ما تم من حشود ، وأن على مصر أن تسحبها من مواقعها حتى تخف حدة التوتر ، وحسب مصر تلك المظاهرة العسكرية التى كانت ، ولعله خدع بالعبارة التى ساقها له جريشكو وزير حربية الاتحاد السوفييتى مجاملة بالمطار عند توديعه وهى قوله « امضوا ونحن من ورائكم » وكان عليه أن يستوثق

حتى إذا ما كانت صبيحة يوم الأثنين ٥ يونية أى بعد هذا اللقاء بأربعة أيام فوجئت مصر بالعدوان الاسرائيلى الذى هدفه الأول القضاء على السلاح الجوى المصرى فى مرابضه ، وكانت ـ يعلم الله ـ نكبة أى نكبة منيت بها مصر ومنيت بها القوات المسلحة .. غير أنه كان طبيعيا أن تقع هذه الهزيمة المروعة لأن القوات المسلحة ظلت فى أيدى قادة تجمد مع مرور الزمن فكرهم واكتسبت مناهجهم الباليه قداسة الآلهة المعبودة ، فى حين أن الزمن قد عفا عليها مع التطورات المتلاحقة المذهلة .. ولو كان المشير عامر قد ترك مكانه يوم قرر مجلس السيادة ذلك عام ١٩٦٢ ، وأسلمه لقائد محترف يتابع خطى التقدم المعاصر فى العلوم والفنون العسكرية لما حاقت بمصر تلك النكبة ..

فقد كان على جيش مصر أن يواجه جيشاً آخر استعد للمعركة بأحدث الاسلحة والخبرات والمناهج ، والجيش عقل وجسد ينبض كل منهما بنبضات الآخر ولو شل العقل تحلل الجسد ، كما أن الجسد اذا دب فيه الفساد فقد العقل قدرته على السيطرة .. وعقل الجيش قيادته ، وهى الهدف الرئيسى للعدو ، فاذا تمكن من تصويب ضربته الى الرأس فقد أراح نفسه من تسديد الآف الضربات فى مختلف أطراف الجسد .. ولقد نجح جيش اسرائيل لأنه منذ البداية سدد ضربته نحو الرأس فكانت المأساة ..

ونظراً لأهمية اجتماع الرئيس عبد الناصر بالقادة العسكريين يوم الجمعة ، فاننى استشهد فى هذا المقام بواحد من القادة الذين حضروا هذا الإجتماع وسجلوه وهو الفريق محمد فوزى ، يقول :

- كان أهم الاجتماعات التى تمت بمكتب المشير عبد الحكيم عامر بالدور السادس من مبنى القيادة العامة بضاحية مدينة نصر ..

شهد هذا الاجتماع الرئيس عبد الناصر والمشير عامر ، وشمس بدران وقادة الافرع الرئيسية وقادة الميدان ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ورئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية ، ومديرو مكتب المشير جميعهم وأنا ..

ونظرا لأهمية هذا الاجتماع ، ولأنه سبق بداية المعركة بثلاثة أيام فقط فسنتعرض له بالتفصيل ..

بدأ الرئيس عبد الناصر الحديث محللا الموقف السياسى العالمى . ثم الموقف السياسى والعسكرى داخل اسرائيل .. كما أشار إلى الرأى العام العالمى وخص بالذكر اتجاه الولايات المتحدة من حيث احتمال تقديمها مساعدة مباشرة لاسرائيل فى حالة تعرض أمنها العسكرى للخطر ..

وأنهى الرئيس حديثه التحليلى بالتأكيد على قيام اسرائيل بالضربة الأولى الوقائية بعد أن انهت اجراءاتها الداخلية المعتادة ، وأشار فى هذا الصدد الى تجربة ١٩٥٦ ، وتوقع أن تبدأ الحرب خلال يومين ، أو ثلاثة على الاكثر أى فى يوم ٤ ، أو ٥ يونيو ، إلا أنه عاد فأكمل حديثه الذى كان أقرب الى تأكيد انذارى ، بأن اسرائيل ستبدأ هجومها يوم ٥ يونيو ..

وقد تحول الحديث بعد ذلك إلى تفصيل اجراءات الحرب الوقائية وحتمية قيام إسرائيل بالضربة الأولى .. مشيرا أيضا إلى ما حدث عام ١٩٥٦ ، وفى هذه المرة كانت الاشارة فى الحديث موجهة الى الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوت الجوية والدفاع الجوى ..

حول هذه النقطة قام نقاش إنحصر فى الخسائر المحتملة لقواتنا الجوية وامكانية توفير القدرة لها ، لشن ضربة مضادة .. وقد قدر الفريق أول صدقى محمود الخسائر المتوقعة فى قواتنا الجوية من ١٥ إلى ٢٠ فى المائة ، لكنه قال : إن هذا الاجراء يعنى فقد المبادأة من جانبنا ، وربما أدى إلى « تكسيح » قواتنا الجوية ، وقد نطق الفريق أول صدقى محمود « تكسيح » باللغة الانجليزية ..

تطورت المناقشة التى اشترك فيها الرئيس والمشير والفريق أول صدقى محمود الى استحسان ملاقاة الضربة الجوية من اسرائيل اولا ، بدلا من فقد عطف العالم وخاصة الولايات المتحدة الامريكية والتى قدر الرئيس عبد الناصر احتمال دخولها الى جانب اسرائيل ، فى حالة قيامنا نحن بالضربة الاولى ، كما انها ستقوم بتسجيل وفضح اعتدائنا على اسرائيل ، وما سيترتب على ذلك من موقف سيء بالنسبة لنا عالميا ..

وفى آخر المناقشة تم الاتفاق على اتخاذ الاجراءات الوقائية الضرورية فى قواتنا الجوية للتقليل من تأثير الضربة الاولى من اسرائيل وتوفير القدرة لها لشن ضربة جوية مضادة ..

وقد وافق المشير على ذلك مصدرا اوامره للفريق أول صدقى محمود باتخاذ إجراءات تأمين القوات الجوية ضد الضربة الجوية الأولى ، خصوصا وأن واجب قواتنا اصبح دفاعيا بشكل عام وان عجز ٢٠٪ من الضربة الأولى ونحارب اسرائيل أفضل من أن نبدأ الضربة الأولى ونحارب أمريكا واسرائيل معا . إلا أن المشير لاحظ علامات الضيق على الفريق أول صدقى ، فتعمد اختصار الجلسة على ما تم مناقشة ، مما لفت نظر الحاضرين .. فقد كان الجميع ينتظرون دور المشير نفسه فى الحديث .. لكن الرئيس عبد الناصر أنهى الاجتماع بتأكيده على نية اسرائيل فى شن

هجومها صباح يوم ٥ يونيو وقال أنه يعلم تماما الخطوات التى تتخذها اسرائيل داخليا وخارجيا فى مثل هذه الاحداث والظروف . متمثلا بما تم فى عام ١٩٥٦ .. أى مفاجأة عسكرية وحرب قصيرة المدى ونقل المعركة الى ارضنا ..

بعد الاجتماع مباشرة اتصل المشير تليفونيا بالفريق اول جمال عفيفى نائب قائد قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية ، وكان جالسا بمكتب الفريق أول صدقى محمود ، وأخطره بقراره الذى يقضى بتأمين القوات الجوية ضد الضربة الأولى ..

وفى صباح اليوم التالى ١٩٦٧/٦/٣ حضر الفريق أول صدقى محمود وأخطر المشير ، بعدم امكانية التغيير الشامل فى اوضاع أسراب المقاتلات فى سيناء بإعادة تمركزها ، وأخبره بأنه اقتصر على نقل سرب واحد من مطارات سيناء إلى مطار كبريت .. وكان الفريق صدقى قد بدأ كلامه عن تخوفه من اعادة الطيارين للخلف مما يؤثر على روحهم المعنوية ، ووافق المشير على هذا الرأى بأنه مازالت هناك فرصة للمراجعة على الطبيعة عند زيارته - أى المشير - إلى سيناء يوم ١٩٦٧/٦/٥ ، .. وأنه أخطر قائد الجبهة الفريق أول مرتجى بهذه الزيارة ..

ولأهمية هذا الاجتماع أرى ضرورة تحليل مواقف اطرافه المختلفة ، فقد أوضح الرئيس عبد الناصر تطورات المعركة المتوقعة ، ونية العدو تماما ، كما حدد توقيت وتاريخ بدء المعركة مع اسرائيل ، وحدد أن بداية المعركة ستكون بضربة جوية أولى من اسرائيل ..

أما المشير عامر ، فمن خلال مواقفه فى الاجتماع نستطيع أن نقول أنه لم يقتنع بتقديرات الرئيس السياسية والعسكرية ، كما أنه لم يبال بالانذار الصريح من الرئيس بميعاد المعركة وهو ١٩٦٧/٦/٥ ، بدليل أنه استمر فى تنفيذ برنامجه المعتاد ، وقيامه بزيارة سيناء فى نفس اليوم الذى حدده هذا الانذار ..

وقد كان موقف القادة الحاضرين سلبيا ، فهم لم يتلقوا من المشير أى تحذير أو انذار باحتمال قيام اسرائيل ببدء عملياتها يوم ١٩٦٧/٦/٥ ، بل

أن هذا الكلام سمعوه من الرئيس عبد الناصر وبالتالى فهم لم يخطروا أحداً بما سمعوه من الرئيس .. بل أكثر من ذلك فقد سرت همهمة بعد الاجتماع اعتقد انها منقولة عن المشير نفسه تقول :

.. « هو يعنى كانت تقديراته ـ أى عبد الناصر ـ سليمة عام ١٩٥٦ » ..

إذن القادة الحاضرون لم يقتنعوا بموقف الرئيس وتحذيراته ، تشبها بقائدهم المشير عبد الحكيم عامر ..

وزاد من حدة هذا الموقف وصول ملخص تقرير المخابرات الحربية يوم ١٩٦٧/٦/٢ ، وعقب الاجتماع مباشرة « يرجح أن اسرائيل لن تقدم على عمل عسكرى تعرضى ، وأن الصلابة العربية الراهنة ، ستجبر العدو بلا شك على أن يقدر العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع شرارة الحرب فى المنطقة » ..

ولعدم اقتناع المشير بتحليلات الرئيس عبد الناصر ، وتأكيدا لموقفه هو ، أمر بإعادة طبع هذا التقرير وتوزيعه على القوات بشكل واسع ، وبدأ هذا التقرير يصل إلى مستوى الوحدات الفرعية ، خلافا لما كان يحدث لأى تقرير مخابراتى سابق ..

• • •

بعد هذا الاجتماع .. وتحديد موعد الضربة الأولى .. فماذا كان رأى المشير عبد الحكيم عامر ، الذى يجب عليه أن يحول القرار السياسى الى أوامر عسكرية ؟ ..

للأسف الشديد أن تحذير عبد الناصر ، ظل حبيسا غرفة هذا الاجتماع ولم يتحول الى قرارات وأوامر عسكرية ، ولم يأخذه المشير مأخذ الجد ، كما لم يحتاط له مجرد حيطة ، وخاصة أن المخابرات العامة والتى كانت مشغولة بالتجسس على خصوصيات أفراد الشعب أرسلت للمشير عبد الحكيم عامر أن اسرائيل لن تستطيع أن توجه الضربة الأولى(١) .

لقد أشارت كل الدلائل والمعلومات أن اسرائيل سوف تضرب الضربة

الأولى ، وسوف توجه هذه الضربة للقوات الجوية ، قاصدة فى البداية مطارات مصر العسكرية ، لاخراج الطيران من المعركة تماما ، والواضح تماما أن مصر لم تستعد على الاطلاق لتلقى الضربة الأولى ، وكان الخلاف بين عبد الناصر والمشير عامر هو أحد الاسباب التى أدت الى نجاح الضربة الأولى بهذا الحجم .. ولو أن القوات استعدت لها ، لأمكن تقليل الخسائر ، وكان سلاح الطيران قد بقى فى المعركة ، وربما تغيرت صورة المأساة بعد ذلك ..

بعد أن اعلن عبد الناصر ، موعد الضربة الأولى ، لم يتابع - بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة - الاستعدادات التى اتخذتها القيادة العامة لتقليل خسائر الضربة الأولى ، وحتى لا يغضب المشير عامر ويعتبر سؤال القائد الأعلى للقوات المسلحة تدخلا فى شئونه « الخاصة » ..

مأســاة ما بعـدها مأســـــاة ...

• • •

• الواقعة الثانية : وفى تصورى أنها أهم الوقائع التى حدثت فى حرب يونيو ، ولم تأخذ حظها فى الاعلام والدراسة ..

يبدو أن اسرائيل ، قد قررت توجيه الضربة الأولى مع أول ضوء يوم الأثنين الخامس من يونيو ، وتركت للقوات البرية التحرك والدخول فى المعركة فى السابعة والنصف صباحا من ذات اليوم ، بعد أن تكون قد نجحت فى تسديد ضربة قوية للطيران المصرى ، وقد تم تنفيذ الخطة ، وتم ابلاغ القوات البرية بالموعد الجديد ، إلا قوة عسكرية واحدة ، فلقد بدأت الحرب وحدها قبل الضربة الجوية بـ ٩٠ دقيقة كاملة ، حيث تقدمت هذه القوة العسكرية ، على المحور الأوسط فى سيناء ، واشتبكت مع سرية من المشاة ، واحتلت موقعها فى منطقة « أم بسيس » الامامية ، وقد أبلغ قائد الموقع قيادته العليا ، ببداية الجولة المصرية الاسرائيلية الثالثة ..

ولكن القيادة العسكرية .. لم تعتبر دخول قوات اسرائيل الاراضى المصرية ، واحتلالها موقعا متقدما هو المدخل الى الموقع الأستراتيجى فى

أبو عجيلة بمثابة اعلان حرب ، وبداية لعدوان كاسح بعد ذلك ..

ولا أدرى .. ما إذا كان هذا الاختراق للحدود ، والتعامل مع القوة المصرية ثم احتلال الموقع قد تم ابلاغه الى القيادة العليا أم لا .. وفى كلتا الحالتين فهى مأساة كاملة ، فإذا لم يتم الابلاغ فهى مأساة ، لأنه كان من الممكن تجنب الضربة الأولى واعتبار اختراق الحدود واحتلال أرض مصرية هو بداية الحرب قبل أن يتدخل الطيران الاسرائيلى بتسعين دقيقة كاملة ..

وإذا كان قد تم ابلاغ القيادة العسكرية بما حدث ، واعتبرته حادثا عرضيا ، فهذه كارثة أكبر ..

ومعنى ذلك باختصار شديد أن الحرب قد بدأت - بسبب خطأ اسرائيلى - قبل الضربة الجوية بتسعين دقيقة .. ويقول الفريق صلاح الدين الحديدى تعليقا على اختراق القوات الاسرائيلية للحدود المصرية قبل ضربة الطيران بتسعين دقيقة :

- ولست ادرى على وجه التحديد أثر هذا الاشتباك فى سيناء على مختلف مستوياتهم ، وهل كان الموقف يختلف لو ان هؤلاء القادة فى مواقعهم فى ذلك الوقت مركزين اهتمامهم على معركتهم المرتقبة مع اسرائيل ، ولديهم القدرة على التصرف الايجابى بصورة تلقائية ، ويقدرون أهمية وصول المعلومات فى الحال الى القيادات الاكبر ، وكانت هذه القيادات بما تحت يدها من موارد ولا سيما من القوات مستعدة للتصرف الفورى بما يناسب الموقف ..

إن هذا الحادث - حادث الاشتباك الذى وقع فى الساعة السابعة والنصف على موقع أم بسيس الامامية قد ذكره لى أحد شهود العيان فأوضح أن نقط المراقبة التابعة له أبلغته ليلة ٤/٥ يونيو أنها شاهدت نشاطا وتحركات غير طبيعية للعدو فى اتجاه العوجة ، يصحبها أصوات جنازير وآليات ، وأنه قام بإرسال هذه المعلومات الى كل من قيادة الجبهة ورئاسته المباشرة فى القاهرة ، مضيفا اليها تعليقه الشخصى الذى أشار فيه أنه يستنتج من هذه التحركات أن العدو يقوم بتغيير قواته فى العوجة ويستبدلها بقوات اخرى

جديدة .. وقد أوضح أنه لا يعلم مصير هذه المعلومات الهامة التى ارسلها .. ولكنه علم فيما بعد أن هذه الرسالة عرضت على قائد الجيش فى سيناء بعد ظهر ٥ يونيو ، أى بعد انتهاء الضربة الجوية . وبعد توغل القوات الاسرائيلية فى الاراضى المصرية .. وبالاضافة الى ذلك فقد اتيح لى أن استجوب جنديا عائدا من الجبهة لفت انظار الشرطة العسكرية فى فناء السكة الحديد بالقاهرة بملابسه الرثة ومظهره غير اللائق بالجندية والانهاك البادى عليه .. وكان ذلك صباح يوم ٦ يونيو ، فقبض عليه .. ووجدت فى نفسى ميلا ان اقابله بعد أن قيل لى أنه من الشاردين من المعركة .. ولعله فعلا كان أول الشاردين .. وقد علمت من هذا الاستجواب أنه كان يقاتل ضمن السرية التى تدافع عن أم بسيس الخلفية .. عندما ازداد الضغط من العدو .. ولكنه فى غمرة الفوضى التى عمت الموقع ، وفقد السيطرة فيه .. استمر فى الرجوع للخلف على قدميه احياناً وفى السيارات المارة أحيانا أخرى .. حتى وصل الى ميدان الاسماعيلية عبر القناة ، حيث امضى الليل فى حدائقها ، ثم استقل قطارا فجر يوم ٦/٦ فوجد نفسه فى القاهرة ، حيث تم القبض عليه ، وقد أكد هذا الجندى أن طيران العدو لم يكن له أثر أثناء الاشتباك الذى وقع على أم بسيس الامامية ولكنه بدأ فى الظهور فيما بعد على مواقع ابى عجيلة .. ومن الطبيعى الا يستطيع هذا الجندى الحكم حكما دقيقا عن التوقيت الذى تم فيه مهاجمة موقع أم بسيس الامامية ، وهل كان هذا الوقت هو الساعة السابعة والنصف أم بعد ذلك ..

لا يمكن أن أكتفى بهذا القدر عندما اذكر هذا الموضوع دون تعليق على أهمية أو على الآثار التى كان من الممكن أن تترتب عليه لو اعطى العناية اللازمة فى الوقت المناسب ، فلو كان صحيحا أن العدو بدأ هجومه البرى فى السابعة والنصف من صباح يوم ٦/٥ ـ وهذا صحيح على الارجح ـ فقد ارتكب العدو بذلك خطأ جسيما ، كما ارتكبت قواتنا خطأ أكبر جسامة .. فقيام العدو بعمل عدائى داخل حدودنا مهما كان صغيرا ومهما كانت اهدافه محدودة قبل تدمير قواتنا الجوية وقبل استخدام العدو لقواته الجوية ، كان من الممكن ان يشعل الموقف كله حيث كان التـوتر قد بلغ اقصاه ، وكان

من الممكن أن تقوم القوات المصرية - البرية والجوية - بعملية ردع فورية تؤثر ولاشك على التخطيط الذى وضعته القيادة الاسرائيلية لتدمير قواتنا الجوية فى قواعدها ، ومعنى هذا أن الهجوم على موقع أم بسيس الامامية قبل ساعة الصفر التى حددت لضرب القوات الجوية فى قواعدها دعوة الى القوات المصرية ، الجوية والبرية ، للقيام بما يشبه التحضيرات المضادة أقل ما تؤثر بها على القوات الاسرائيلية أن يرتبك الجدول الزمنى المعد لتدمير طائراتنا فى مطاراتها ..

ومن الجهة الاخرى فقدنا فرصة ثمينة ، فرصة الساعة والنصف التى مرت بين وضوح نية اسرائيل العدوانية والتى بدأت فعلا باشتباك مسلح فى السابعة والنصف ، سقط فيه لاشك قتلى وجرحى من الجانبين ، وبين التاسعة إلا ربعاً ، حيث انفجر الموقف كله بالهجمات الجوية التى وجهت الى جميع قواعدنا الجوية فى وقت واحد تقريبا وبهجمات متعاقبة أحكم توقيتها وتدبيرها ونفذت بلا شك على أحسن وجه ممكن ..

ولو كان حادث مهاجمة أم بسيس الامامية قد وصلت معلوماته إلى القيادات فى الخلف بطريقة فورية كما يجب عند ادارة المعركة ، وكانت هذه القيادات تقدر تقديرا سليما أهمية الاخذ بالمبادأة وتسلم بأهمية الدفاع الايجابى النشط حتى أن كنا فى وضع دفاعى بحت ، لربما تغير الموقف كله أو على الأقل كان من الممكن أن يأخذ شكلا آخر ..

لقد كان من الممكن أن تنتهز القوات الجوية الفرصة فتقوم بتنفيذ خطتها الهجومية التى كانت قد اعدتها من قبل لضرب بعض القواعد الجوية فى جنوب اسرائيل كما سبق القول ، وكانت الظروف مناسبة لذلك .. والتوقيت ملائما فالعدو قد بدأ باطلاق النيران ، وهذا ما حذرت منه معظم الدول الكبرى .. فالمناخ السياسى العالمى يسمح لنا بتصعيد الموقف العسكرى الى أقصى درجاته .. والقانون الدولى يبيح لنا ردع العدو حفاظا على حدودنا ودفاعا عن انفسنا ..

أما من جهة التوقيت ، فعلى ضوء الاحداث التى وقعت ، والقرارات التى اتخذت - وقد علمناها فيما بعد - فإن الساعة التاسعة إلا ربعا كانت هى

المحددة لبدء العدوان الكبير على مصر ، بمعنى أنه فى حدود الساعة السابعة والنصف من صباح هذا اليوم ، كانت قوات العدو الجوية مشغولة فى التحضير لشن هجماتها ، وليس هناك ظروف يتمناها المخطط المصرى ليختار فيها توقيتا لاعماله الهجومية أفضل من تلك الظروف ، حيث تكون اجراءات خصمه الوقائية أضعف من أى وقت آخر ، وقواته المخصصة للهجوم البرى متخذة اوضاع الهجوم أو متحركة اليها ..

وفى الحقيقة انها كانت فرصة الجيل كله لتقوم قواتنا الجوية وتشكيلاتنا البرية ، بتنفيذ خططها الهجومية المحدودة السابق ذكرها فى اعقاب هجوم العدو على موقع أم بسيس الأمامية ، ولا يقبل الاعتذار بعدم الاستعداد للقيام بهذا الهجوم ولا سيما للقوات الجوية حيث انها كانت فى اوضاع الهجوم منذ اعلان حالة الاستعداد للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٥/١٤ .. واحتلت القواعد المتقدمة من سيناء .. ولم تنسحب منها حتى بعد مؤتمر ليلة ٢ يونيو الذى اعلن فيها الرئيس قراره الخاص بالاستعداد لتلقى الضربة الأولى ثم القيام بعدئذ بضربة مضادة ، ولا أظن أن أحدا كان يقدر أن الضربة الأولى للعدو يجب أن تكون ضربة قاتلة حتى نقوم بعدها بالضربة المضادة ..

وخلاصة القول ، أن هناك سؤالا هاما يحتاج إلى اجابة : هل علمت القيادة المصرية وقيادة الجبهة على الاقل بهذا الهجوم على الموقع المتقدم بمجرد وقوعه أم لم تعلم ؟

إن كانت قد علمت به فهل كانت تتصور أن هذا الاشتباك الذى أدى إلى دخول قوات العدو داخل حدودنا مثله مثل عملية الاستيلاء على العوجة التى قام بها العدو عام ١٩٥٥ وانتهت دون رد فعل عسكرى على الاطلاق من جانبنا ؟! وحتى رد الفعل السياسى كان مجرد بيان خافت ألقاه مندوبنا فى هيئة الأمم المتحدة وقتئذ . أم كانت تتصور أن أمثلة هذه المشاجرات التى تقع فى شوارع القاهرة بين شخصين يمسك أحدهما بتلابيب الآخر ، ثم يكتفى المتشاجران .. بما وجهه كل إلى خصمه من سب واهانة . وربما تمزيق الملابس ثم تكون نهاية المشاجرة ، لا أظن أن هذا يمكن أن يكون خيالا مقبولا فى وقت بلغ فيه توتر الاعصاب مداه ، واستعداد قوات الدولتين

بلغ اقصاه ، وينتظر كل جانب ما سيقوم به الجانب الآخر ، وينتظر المجتمع العالمى أن يقع أحد الجانبين فى الخطأ خطأ اطلاق الطلقة الأولى ..

أما إن كانت قيادة الجبهة لم يصلها نبأ الاستيلاء على موقع أم بسيس بطريقة فورية كما يجب أن يكون عليه الحال فى تنظيم ادارة المعركة الدفاعية مهما كان سبب ذلك ، فلا أظن أن الموضوع يحتاج إلى تعليق على مدى المكاسب السياسية والدعائية التى كان من الممكن احرازها ، والتى كان من الممكن أن تقلب الموقف العسكرى رأسا على عقب ..

• • •

إلى هنا انتهى كلام الفريق صلاح الحديدى عن هذه المأساة ، التى كان يمكن أن تحول مسار هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ..

• • •

• الواقعة الثالثة : أنى أشعر بالاسف الشديد وأنا أسمى ما حدث بالوقائع أو الواقعات ، بل إن كل من هذه الاحداث ما هى إلا مأساة حقيقية ، مأساة يصعب وصفها أو تصديقها ، وهذه هى المأساة الثالثة فى المسلسل التراجيدى لهزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، لقد شاهد الفريق عبد المنعم رياض قائد الجبهة الاردنية على شاشات الرادار كثافة الطائرات الاسرائيلية التى خرجت من مطارات اسرائيل مرة واحدة فى اتجاه البحر المتوسط ، فأرسل على الفور هذه المعلومات الى قيادة القوات المصرية ، والى قيادة الطيران المصرى ، وقال انه يتوقع أن تكون هذه هى الضربة الجوية المرتقبة ، وقد ارسلها الفريق عبد المنعم رياض .. بالشفرة ، ووصلت فعلا فى وقت مناسب .. ولكن الذى حدث أن الشفرة كانت قد تغيرت منذ ساعات دون اخطار الفريق عبد المنعم بتغييرها ، ففك رموزها بالشفرة الجديدة ، فلم توضح أى شىء ..

اهمـــال .. وصل إلى مستوى الخيانـــة ..

جهـــل .. وصل إلى حد الخيانـــة ..

ودخلت القوات الجوية الاسرائيلية أرض مصر ، وقال عبد الناصر انها جاءت من الغرب ، وكان يتصور أنها ستعلن عن مجيئها من الشرق ، وحطمت طائراتنا ، بل وحطمت اقتصادنا ، ولوثت تاريخنا ، وخرج محمد حسنين هيكل ببياناته العسكرية يقول أن مصر أسقطت ٢١ طائرة اسرائيلية ، وأن قواتنا تتوغل فى الاراضى الاسرائيلية ..

مأســـــاة ... وأى مأســـــاة ..

• • •



الفصل الرابع

المذبحة

صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ..

المشهد فى سيناء تراجيدى الى أبعد الحدود ..

لا أحد يتصور أن الحرب بعد لحظات ..

بعض الضباط والجنود قد عادوا مساء من مواقعهم بعد زيارة لمدينة غزة اشتروا منها الثلاجات وأطقم الصينى والراديوهات وأجهزة التسجيل استعدادا لأجازة قريبة ..

بعض الجنود بملابس مدنية وبلا سلاح لأنهاء حالة الطوارىء .. والعودة الى البيت ..

بعض الجنود والضباط استيقظوا صباحا للسفر الى غزة لشراء ما يحتاجه البيت من متاجر المدينة العامرة ..

قادة التشكيلات بلا أستثناء يستعدون للذهاب الى مطار بير تمادا ليكونوا فى استقبال المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد العام للقوات والذى سيصل بعد دقائق .

لايوجد مايدل على حرب

ولكن ..

فى السابعة صباحا .. سمعت القوات المتقدمة فى أم بسيس ، تحركات غير عادية لدبابات العدو عبر الحدود .. أرسلت بما لديها من معلومات عن هذه التحركات الى مكتب المخابرات بالعريش ، فأرسلها المقدم ابراهيم سلامة رئيس مكتب العريش الى شمس بدران وزير الحربية والمسئول عن

المخابرات الحربية ، وظلت هذه البرقية الهامة والخطيرة حبيسة مكتب شمس بدران ..

في السابعة والنصف .. تحركت هذه القوات .. وعبرت الحدود .. واشتبكت مع القوات المصرية الموجودة في موقع أم بسيس .. أي أن الحرب قد بدأت .. وتم ارسال برقية بهذا الى مكتب شمس بدران .. ولكن لم يعلم عنها أحد شيئا في هيئة العمليات الا بعد الكارثة ..

في الساعة الثامنة صباحا ، أرسل الفريق عبد المنعم رياض الى القيادة العامة معلومات عن قيام طائرات اسرائيلية كثيرة في اتجاه الجنوب .. ولكن هذه البرقية لم تصل الا بعد اكثر من ٤٥ دقيقة الى هيئة العمليات .. وكان العدو يضرب ضربته الجوية الأولى ..

الموقف تراجيدى صباح ذلك اليوم .

القيادة العامة للقوات المسلحة في طائرة بالجو ..

القيادة في مطار تمادا في انتظار طلعة المشير ..

المواقع بلا قيادة ، وفي حالة استرخاء عسكرى ..

وفجأة .. يسدد الطيران الاسرائيلي ضربة جوية لكل المطارات المصرية في وقت واحد .. ثم يعود بعدها ليضرب كل الطائرات وهي رابضة في المطارات لا تستطيع أن تتحرك ، وتصبح السيادة الجوية على سماء مصر كلها للطيران الأسرائيلي الذى اتم مهمته في ثلاث ساعات من الساعة التاسعة إلا الربع صباحا حتى الثانية عشرة ظهرا وكان قد دمر الطيران المصرى تدميرا كاملا ..

وخرج الطيران من المعركة ..

ومن الممكن أن نقول أن المعركة قد حسمت في الساعة الثانية عشر ظهرا لصالح العدو الاسرائيلي ..

تحولت غرفة العمليات التي يقود منها المشير معركة مصير أمة الى مقهى بلدى للأصدقاء من أعضاء مجلس الثورة ، يشاركونه ـ أحيانا ـ في قيادة المعركة حتى أنهار المشير وأصدر القرار « السياسى » بالانسحاب وخرج من غرفة العمليات ، وترك القوات المنسحبة بلا قيادة عليا ..

• **الضربة الجوية الأولى :**

فى الساعة الثامنة وخمس واربعين دقيقة بتوقيت القاهرة ، كان فوق المطارات الحربية المصرية ٤٠ طائرة اسرائيلية ، فى تشكيلات صغيرة .. تضرب الممرات ثم الطائرات ، وظلت الطائرات الاسرائيلية تمارس مهمتها فوق هذه المطارات لمدة ٧ دقائق كاملة ، كانت كفيلة بان تضرب المطار ثلاث مرات ، ثم عادت الطائرات الأسرائيلية الى مواقعها لتخرج موجة جديدة ، واستمرت الموجات الاسرائيلية تمارس هذه العملية لمدة ثلاث ساعات كاملة ، حتى دمرت سلاح الطيران المصرى بالكامل .

أسفرت النتائج عن تدمير ٣٠٠ طائرة مصرية على الأرض بما فى ذلك ٣٠ طائرة من طراز (تى يو ١٦) القاذفة طويلة المدى ، واستشهاد حوالى مائة طيار مصرى فى هذه المذبحة .. كان بعضهم قد تمكن من الوصول الى طائرته ، وبلا خطة واجه الطيران الأسرائيلى ، واستطاع الطيارون المصريون اسقاط ١٩ طائرة اسرائيلية فى مهمة انتحارية ، وبعض هؤلاء الذين استشهدوا قد انفجرت بهم طائراتهم عند العودة ، فلقد كان الممر قد اصيب اصابات بالغة غير متوقعة ، حيث استخدم الأسرائيليون قنابل خاصة هدية من الولايات المتحدة اسمها (   ) ولم يكن لمخابراتنا علم بها ، وهى تدمر الطائرة دون المنشآت .. وقد استخدموا هذا النوع فى مطارات سيناء وحتى يمكن الاستفادة بها بعد ذلك ..

وقد تم تدمير هذه المطارات بما عليها من طائرات ..

العريش - بير جفجافة - غرب القاهرة - الاقصر - جبل لبنى - بير تمادا - المنصورة - أبو صوير - انشاص - فايد - كبريت - الغردقة - رأس بناس - المنيا - بنى سويف - حلوان - بلبيس - وبعض ممرات مطار القاهرة الدولى ..

وهكذا .. كان قرار انتظار الضربة الأسرائيلية مذبحة بكل المعانى لمائة طيار مصرى ، ومذبحة لكل طائراتنا ..

• • •

بعد ضربة القوات الجوية ، أصبح لاسرائيل السيادة الجوية الكاملة على سماء المعركة ، وخرجت على الفور أسلحة هامة من المعركة لعدم وجود غطاء جوى وهى القوات البحرية ، وأصبحت الدبابات المصرية فى سيناء عبارة عن اهداف ثابته للطيران الاسرائيلى يدمرها اذا خرجت من الحفر وظهرت امامه ..

وبعد مذبحة الطيران .. بدأت بعدها بدقائق مذبحة القوات البرية المصرية ..

فى التاسعة والربع صباحا تقدمت فرقة السفاح الاسرائيلى الجنرال طال مخترقة قطاع رفح العريش ، تسانده القوات الجوية ، والتف بقواته حول تجمع القوات المصرية ، وترك مهمة تدميرها للقوات الجوية ، وكانت تتولى هذا الخط ستة الوية من جيش التحرير الفلسطينى والفرقة السابعة المصرية مشاة .. تدعمها كتيبة دبابات بها ٧٠ دبابة على الأقل . يقول تريفور ن. ديوى فى كتابه النصر المحير :

استولى الاسرائيليون تماما على المواقع الرئيسية للفرقة المصرية السابعة مشاة ، وتكبدت الفرقة من الخسائر مايزيد عن الفى جندى مقابل خسائر اسرائيلية تقدر ب ٥٠٠ جندى اسرائيلى ..

• **معركة العريش :**

حاول الجنرال الاسرائيلى جونين بكتيبة مزودة بأحسن الدبابات احتلال حصن جرادة فلم يتمكن ، بل تراجع ، ثم اكتشف ان القوة المصرية الموجودة فى جراده قد دمرت تماما سرية استطلاع كاملة بقيادة الضابط « يورى » ثم حاول جونين مرة أخرى بعد تدعيمه وأمكنه السيطرة على جراده بعد قيامه بمذبحة ضد المصريين فى هذا الموقع .

أصدر طال أوامره بالهجوم الرئيسى عن الطريق الساحلى بقيادة الكولونيل الاسرائيلى جراتيت يسرائيل ، ويعتبر هذا هو الهجوم الاسرائيلى الرئيسى .. ونجح فى الألتفاف حول العريش .. ثم احتلالها بعد ذلك ..

معركة قطاع غزة :

يصف تريفور ن . ديوى فى كتابه النصر المحيرمعركة قطع غزة ، فيقول :

ـ تقدم لواء ايتان فى الليل ، (تدعمه سرية دبابات باتون) من رفح عبر خان يونس للأنضمام الى قوات ريشيف الرئيسية جنوبى غزة ، وعند الفجر من صباح الثلاثاء ، أغارت الطائرات الأسرائيلية فى هجوم شامل على الموقع داخل غزة وماحولها ، وبعد ذلك ، شنت كتيبة دبابات أيه أم أكس ـ ١٣ هجوما من الجنوب .. أعقبه هجمات لكتيبة المظلات ثم المشاة ..

وفى نفس الوقت ، زحفت بقية كتيبة المشاة الأسرائيلية من الشرق والشمال ، واثناء القتال العنيف ، أصابت المدفعية الأسرائيلية مقر قوات الطوارىء الدولية فى غزة ولقى ١٥ جنديا هنديا مصرعهم وأصيب ٢٥ غيرهم عند الظهيرة ، وبعد قتال عنيف شهدته شوارع المدينة ، سقط معظم انحاء المدينة فى ايدى الاسرائيليين حينئذ أدرك اللواء عبد المنعم الحسينى الحاكم العسكرى لغزة ، أن الموقف لايدعو للتفاؤل ، فاستسلم تفاديا لمزيد من الخسائر فى ارواح المواطنين المدنيين ، وكانت الساعة ١٢,٤٥

رغم أن الاسرائيليين كانوا يغدون ويروحون فى الطريق بمحاذاة خان يونس فان القوات المصرية والفلسطينية كانتا لا تزالان تسيطران على الجانب الغربى من المدينة .. وبينما كان لواء ريشيف يقوم بتطهير جيوب المقاومة المتناثرة فى انحاء قطاع غزة ، عادت قوات مظلات ايتان لتطهير خان يونس ، ولكن المقاومة كانت اقوى مما يظنون بكثير ، وعندما حل المساء ، كانت قوات ايتان قد فشلت فى الأقدام على أى تغلغل خطير .. ومن ثم فقد انسحبت الى منطقة الشاطىء شمال المدينة .. حيث سمح للجنود بأخذ قسط من الراحة ، بينما كانت عرباتهم تزود بالوقود ..

عاودت قوات مظلات ايتان عند فجر السابع من يونيو الهجوم ، بعد أن نالت قسطا من الراحة ، وبعد أن حصلت على بعض تعزيزات مدفعية وفرها لها ريشيف ، وكان من جراء ما نالته القوات من الراحة وما حصلت

عليه من تعزيزات نيران المدفعية ، أن زادت فاعلية الهجوم الاسرائيلى ، فى الوقت نفسه ، كانت القوات المصرية ، قد أدركت آنذاك أنها فى عزلة ، وانه على ضوء انسحاب القوات المصرية بشكل عام من سيناء ، لم يكن أمامها فرصة للخلاص ، فاستسلمت خان يونس .. بعد مقاومة لم تدم طويلا ..

وبينما احتلت وحدة من لواء ريشيف المدينة .. استقلت قوات ايتان للمظلات عرباتها ، وانطلقت غربا على امتداد الطريق الساحلى لتلحق بقوات كولونيل يسرائيل بالقرب من روماني ، وانطلقت سرية الباتون جنوبا ، لتلحق بجونين بالقرب من بير جفجافة ..

توالت المعارك بين القوات الأسرائيلية المدعمة بالسيطرة الجوية الكاملة وبين القوات المصرية .. الا أنه صدر قرار الانسحاب ..

ولكن للعسكريين هنا ملاحظة هامة ..

ان القوات التى قطعت الاتصال بالقيادة العامة للقوات المسلحة نتيجة لتخريب الاتصالات من قبل العدو ، أو نتيجة لتشويش السفينة الأمريكية « ليبرتى » هذه القوات حاربت بقوة .. وأحدثت خسائر فادحة فى قوات العدو الأسرائيلى ولم تنسحب الا عندما علمت أن هناك امرا من المشير عامر بالانسحاب ، وعلمت هذه القوات بهذا الأمر من القوات المنسحبة والتى صدرت اليها هذه الأوامر ..

وأيضا .. سيذكر التاريخ بطولات فردية ، قامت بها القوات المصرية فى سيناء ، بطولات اذهلت العدو وخاصة تلك القوات التى لم تتلق أوامر بالانسحاب وأيضا هناك قوات استطاعت العودة الى غرب القناة .. عندما استطاع قادتها السيطرة عليها ، وانسحبت حسب ماتعلمه القادة من فنون القتال ووصلت سالمة غرب قناة السويس ، أذكر من هذه القوات الفرقة الرابعة المدرعة بقيادة اللواء صدقى عوض الغول .. ولواء المظلات الذى احتل شرم الشيخ بقيادة اللواء عبد المنعم خليل ..

• • •

لقد كانت الهزيمة فادحة بناء على قرارين ، شاركت فى اصدارهما القيادتان السياسية والعسكرية معا ، أى المشير عبد الحكيم عامر والرئيس جمال عبد الناصر ..

القرار الأول : الذى اصدره الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢ يونيو بضرورة انتظار الضربة الاسرائيلية الأولى ، فبدلا من أن تضرب الضربة الأولى ضربت الأولى والثانية والثالثة والأخيرة ..

القرار الثانى : انسحاب القوات غرب القناة خلال ٢٤ ساعة ، وهذا القرار أدى إلى فوضى تامة فى القوات المسلحة ، مما عرضها لقصف القوات الجوية الأسرائيلية .

• • •

خرجت صحف العالم ، وهى لاتصدق ما حدث للقوات المسلحة المصرية .. كانت لا تتصور أن الهزيمة لن تكون « ساحقة ماحقة » بهذا الشكل ..

واليكم نموذج مما جاء فى تلك الأيام عن هذه الحرب ، قالت مجلة « لايف الأمريكية » فى عدد ١٦ يونيو عام ١٩٦٧ ، تحت عنوان مثير « الساعات الستون المدهشة » قالت :

ـ أمر مذهل .. هى العبارة الوحيدة المناسبة لوصف ماحدث .. فخلال ستين ساعة اصبحت الحرب التى تفجرت من الشرق الأوسط حقيقة من حقائق التاريخ وحظيت اسرائيل الصغيرة بلقب المنتصر على الدول العربية المحيطة بها والتى كانت قد أقسمت على تدميرها .. واتخذت التحالفات وموازين القوى وحتى الحدود السياسية فى الشرق الأوسط .. شكلا جديدا ... كما لو كان كل ماحدث قدرا إلهيا ..

ولم يعرف التاريخ العسكرى الا نادرا نصرا تحقق بهذا النجاح والحسم الواضح فى زمن قصير .. ويبقى السؤال الغامض : من أو بالتحديد ماالذى حول المواجهة العربية الأسرائيلية الأخيرة الى حرب متفجرة ؟ ..

كانت هناك اتهامات محمومة على كلا الجانبين ، أما الوقائع الحقيقية

فربما لا تتكشف أبدا .. ولكن الذى كان واضحا أن اسرائيل صعدت هجومها بسرعة لدرجة أن اعداءها حرموا اسباب النصر حتى قبل أن يفيقوا على حقيقة أن حربا قد شنت بالفعل ..

فخلال الساعات الثلاث الأولى من المواجهة قامت المقاتلات القاذفة الاسرائيلية بقصف حوالى ٢٥ قاعدة جوية فى مصر والأردن وسوريا والعراق - قبل موعد الهجوم بساعة واحدة (هكذا قال راديو القاهرة بصراحة) .. فدمرت حوالى ٣٥٠ طائرة بينما كان معظمها رابضا على الأرض ..

وفى نفس الوقت ، تقدمت قوات المدرعات والمشاة الاسرائيلية داخل شبه جزيرة سيناء فى عملية تعتبر مثالا للجسارة العسكرية - واكتسح الاسرائيليون - الذين يتمتعون بتدريب رائع وقيادة ذكية ويساعدهم جهاز مخابرات دءوب لمعرفة خطوط انتشار العدو - شبه جزيرة سيناء الخالية تقريبا من قوات ناصر المصرية - وخلال ثلاثة ايام وصل الأسرائيليون بحملتهم الى ضفة قناة السويس كما اخترقوا الحصون المصرية فى شرم الشيخ وهى الحصون التى تحرس مضيق تيران ... وهو المكان الذى سعى فيه ناصر الى فرض حصار على الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة - » ...

وفى نفس الوقت عندما فتح جيش الملك حسين نيرانه من الجانب الأردنى من مدينة القدس المقسمة ، استولى الاسرائيليون على المدينة .. ومدوا حدود اسرائيل الشرقية الى ضفاف نهر الأردن ، وكان المد ذو الاتجاه الواحد للحرب نكسة مدمرة للأتحاد السوفيتى ، فبعد أن اغرق الروس مصر وسوريا بأسلحة تزيد قيمتها على المليار دولار وحرضوهما على اتخاذ مواقف متطرفة ضد اسرائيل والغرب ، كان عليهم حينئذ أن يواجهوا حقيقة أنهم ساندوا المهزومين ..

ومع أن السفن الحربية السوفيتية كانت تمخر عباب المتوسط مع قطع الاسطول السادس الامريكى جنبا الى جنب ، لم يحدث أىّ تدخل سوفيتى

مباشر ، وعندما عرض الصراع على مجلس الأمن الدولى اكتفى السوفييت بادانة العدوان الاسرائيلى .. ثم انتقلوا بعد ذلك للدعوة الى وقف اطلاق النار دون المطالبة بالانسحاب الاسرائيلى واتخذت العواصم العربية من الصرخة التى انطلقت من القاهرة وعمان ودمشق بان الطائرات الامريكية والبريطانية اشتركت فى الحرب الى جانب اسرائيل (نفت واشنطن ولندن ذلك) - ذريعة قطعت على اساسها وعلى الفور العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وبريطانيا .. ومن المهم ان نشير الى أن الاتحاد السوفييتى لم يردد هذا الاتهام ..

وهذه نقطة أخرى قد لا ينساها له العرب ..

كان مجرى الاحداث اكثر من نكسة بالنسبة لـ « ناصر » ، فقد وجد نفسه فى موقف من وعد فى لحظة بالقاء اسرائيل فى البحر ، ثم وافق فى اللحظة التالية على وقف اطلاق النار كما فعلت الاردن وأخيرا سوريا التى شهدت جبهتها آخر الانتصارات الاسرائيلية .. واستقال ناصر من منصبه كرئيس للجمهورية وقال فى خطاب نقلته الاذاعة والتليفزيون انه قرر التخلى تماما - والى الابد - عن كل مهامه الرسمية والعودة الى مكانه مواطنا عاديا فى الشارع المصرى ، ولكن بعد أن رفض مجلس الأمة المصري قبول استقالته ، أعلن فى نهاية الاسبوع انه سيستمر فى منصبه ..

والسؤال الآن :

- اذا كان عبد الناصر مسئول عما حدث .. فمن المسئول عن أمر الانسحاب ..

• • •

(الانسحاب : جريمة من ؟)

سأل الضابط أحد جنود الاحتياط ، وقد ارتدى بدلته العسكرية ، ويضع لفافة تحت أبطه :

ـ ماهذا ؟

ـ جلباب ..

ـ جلباب على الجبهة ؟ لماذا ؟

ـ عندما يتم الأنسحاب .. سأرتدى الجلباب حتى يسمح لى اليهود بعبور القناة الى الضفة الأخرى ..

ـ انسحاب من بدايتها ..

ـ هذا ماحدث لى عام ١٩٥٦ .. وأخشى أن يتكرر ..

هذا الحوار حدث أكثر من مرة بين ضباط الجبهة وعساكر الاحتياط الذين تركوا الخدمة العسكرية عام ١٩٥٦ ، ثم استدعوا فى عام ١٩٦٧ ، وليس لديهم أى فكرة عن القتال .. أو لماذا تم حشدهم ، بل أن الفريق محمد فوزى قد ذكر ذلك فى شهادته أمام لجنة التاريخ التى شكلها أنور السادات .. ونشرتها جريدة « الأخبار » فى يونيو عام ١٩٧٧ .. يقول الفريق فوزى ردا لى سؤال حول ارتداء جنود الاحتياط الجلاليب قائلا :

ـ اصطحبوا معهم الملابس المدنية .. وهنا أذكر بوقت لم يكن أسهل على الدولة من وجود القميص والبنطلون التيل الكاكى .. وهكذا أعطى لكل فرد قميص وبنطلون وبندقية .. وجاءوا ومعهم الجلاليب .. وبعد ذلك استخدموا هذه الجلاليب (يقصد استخدموها فى الأنسحاب) ، وهذا يعنى أن من استدعوا من الأحتياط لم يكونوا راغبين فى القتال أو مؤهلين للقتال .. وأن لديهم فكرة أن هذه الملابس المدنية قد يحتاجون إليها فى وقت من الأوقات .. لم تكن هناك معنويات للقتال ..

كانت القوات شبه سليمة ، لحظة صدور أمر الأنسحاب ، أن مادمر من القوات البرية كان أقل من خمس المعدات ، ثم جاء أمر الأنسحاب غريبا ، ومثيرا للدهشة ، وبدون خطة ..

ـ الانسحاب خلال ٢٤ ساعة ..

وبعد هذا الأمر مباشرة ، حيث لم يصاحبه خطة عسكرية للأنسحاب .. فالانسحاب كالهجوم فى حاجة إلى خطة دقيقة ، والا حدث كما حدث عام ١٩٦٧ .. ترك الجنود السلاح .. وجروا نحو قناة السويس وخاصة أن ٨٥ فى المائة من القوات المحتشدة قد تم استدعاؤها قبل أيام .. ولم تتدرب على القتال منذ سنوات .. ولم تتلق خطة للحرب أو الدفاع أو الهجوم أو حتى الثبات ..

يصف الفريق محمد فوزى رئيس العمليات فى حرب يونيو قرار الأنسحاب فيقول :

ـ طلبنى المشير بعد ظهر يوم ٦ / ٦ / ١٩٦٧ ، قائلا لى : عاوزك تحط لى خطة سريعة لإنسحاب القوات من سيناء إلى غرب قناة السويس ، ثم أضاف :

ـ أمامك ٢٠ دقيقة فقط ..

فوجئت بهذا الطلب ، اذا أنه أول أمر يصدر إلى شخصيا من المشير .. الذى كانت حالته النفسية والعصبية منهارة .. بالاضافة إلى أن الموقف لم يكن يسمح بالمناقشة أو الجدل ، أو معرفة دوافع التفكير فى مثل هذا الأمر .. فقد كانت القوات البرية فى سيناء عدا قوات الفرقة ٧ مشاة متماسكة حتى هذا الوقت ، ولم يكن هناك ما يستدعى اطلاقا التفكير فى انسحابها ..

أسرعت إلى غرفة العمليات حيث استدعيت الفريق أنور القاضى رئيس الهيئة .. واللواء تهامى مساعد رئيس الهيئة .. وجلسنا فترة قصيرة نفكر فى اسلوب وطريقة انسحاب القوات ، بعد أن اعطيت طلب المشير الى كليهما .. وانتهى بنا الموقف الى وضع خطوط عامة جدا .. واطار واسع لتحقيق الفكرة ، ودونها اللواء تهامى فى ورقة ، وكان هذا الاطار يحدد

خطوط انسحاب القوات وتوقيت التمركز في هذه الخطوط ..

توجهنا نحن الثلاثة الى المشير .. وكان منتظرا واقفا خلف مكتبه واضعا احدى ساقيه على كرسى المكتب ، ومرتكزا بذقنه على ساقه الموضوعة فوق الكرسى .

• بادرت المشير بقولى :

- على قدر الامكان ، وقدر الوقت ، وضعنا خطوطا عامة لتحقيق فكرة سيادتك ، ونرجو الاذن بأن يقرأها اللواء تهامى ، وبدأ اللواء تهامى فى القراءة بقوله : ترتد القوات الى خط كذا .. يوم كذا ثم الى الخط .. يوم كذا وان يتم ارتداد القوات بالتبادل على هذه الخطوط لحين وصولها الى الخط الأخير غرب قناة السويس بعد أربعة ايام من يوم البدء فى الانسحاب - أى أن يتم الانسحاب فى أربعة أيام وثلاث ليال ..

عندما سمع المشير الجملة الاخيرة الخاصة بتحديد مدة الانسحاب رفع صوته موجها الحديث لى :

- أربعة أيام وثلاث ليال يافوزى ، أنا أعطيت أمر الانسحاب خلاص ثم دخل الى غرفة نومه التى تقع خلف المكتب مباشرة بطريقة هيستيرية ، بعد ان كان وجهه قد ازداد احمرارا أثناء توجيه الحديث ، بينما انصرفنا نحن الثلاثة مندهشين من حالة المشير ..

* * *

لقد أجمع كل العسكريين الذين التقيت بهم أن هناك قرارين ، أديا الى حجم الكارثة عام ١٩٦٧ ..

• **القرار الأول :**

هو الضربة الأولى .. وهو القرار الذى أصدره الرئيس عبد الناصر ورفض المناقشة فيه وموافقة المشير عليه ..

• القرار الثانى :

هو قرار الانسحاب الذى أصدره المشير عبد الحكيم عامر بموافقة الرئيس جمال عبد الناصر ..

القرار الأول : دمر الطيران المصرى بالكامل ..

والقرار الثانى : دمر القوات البرية بالكامل ..

• يقول ديوى :

ـ ما أن شرعت هيئة الاركان المصرية العامة فى استعادة رشدها من صدمة الوهلة الأولى للهجوم الاسرائيلى ، حتى أصابتها صدمة هائلة أخرى كالصدمة الأولى عندما علمت بأمر الانسحاب الذى اصدره عامر للوحدات فى سيناء فلا يزال ضباط الأركان العامة يعولون على تنفيذ الخطة المصرية الاصيلة .. فقد كانوا يفترضون السماح للاسرائيليين بمواصلة هجومهم على المنطقة الوسطى من سيناء .. ثم يسحقهم المصريون فى هجوم مضاد فى مكان ما فى المنطقة الواقعة ما بين جبل لبنى وبير تمادة .. وكان من شأن هذا الهجوم المضاد على اقل تقدير .. ان ينتهى الهجوم الاسرائيلى بالتوقف شرقى بير جفجافة .. وممرى الجدى ومتلا ..

أما على أحسن الأحوال .. وفى حالة نجاح عملية الهجوم المضاد فمن شأنه سحق الاسرائيليين .. وربما السماح بغزو جنوب فلسطين ..

ومن ثم فقد كانت هيئة اركان الحرب المصرية على غير استعداد تماما لسماع نبأ اصدار الأمر بالانسحاب .. وكان من شأن هذا الأمر بالانسحاب مع ما حققه الاسرائيليون من تقدم فى يوم ونصف من بدء القتال .. تعذر تنسيق الجهود الدفاعية شرقى القناة على ارجح تقدير .. وربما لا يسفر ذلك عن فقد سيناء بأسرها فحسب .. بل يعنى ايضا تدمير معظم الجيش المصرى أثناء عملية مطاردته من قبل الاسرائيليين ..

طلب ثلاثة من كبار ضباط هيئة اركان الحرب عقد اجتماع عاجل مع عامر الذى توقف تماما فى الليلة السابقة عن اجراء أية اتصالات مباشرة مع هيئة اركان الحرب .. وبعد فترة تمكن هؤلاء الضباط من اقناع مساعدى

عامر بأنه لابد لهم من رؤية المشير لأمر عاجل ، وتسنى لهم فى نهاية الأمر دخول مكتب المشير .. وكان الضباط الثلاثة هم : اللواء مصطفى الجمال رئيس البحوث .. واللواء بهى الدين نافع نائب رئيس العمليات .. واللواء رفعت الحسينى ..

وسرعان ما اقنع الضباط الثلاثة عامر - وكان فى حالة انهيار بأن أمره لا يعنى سوى الكارثة .. عندئذ خول لهم صلاحية ارسال رسائل لوقف عملية الانسحاب .

الا انه مثلما كتب كيلينج ذات مرة « لا يكون هناك توقف أيها القائد : عندما يبدل جيش موقعه » ..

وباستثناء التشكيلات المنفصلة فى ذلك الحين ، فأن كافة عناصر الفرق الامامية الاربع (الفرق الفلسطينية العشرون من جيش التحرير الفلسطينى والألوية السابع والثانى والسادس) من الفرقة الثالثة .. والقوة الخاصة المدرعة بقيادة الشاذلى .. كانت جميعها فى ذلك الحين تسارع بالانسحاب فى اتجاه الغرب .. ودمر الاسرائيليون بعض هذه الوحدات وهى فى طريقها للانسحاب .. وأصبحت الكارثة التى كان يخشاها اللواء جمال واللواء نافع واللواء الحسينى حقيقة واقعة ..

• • •

* ويصف الفريق صلاح الحديدى مأساة الانسحاب قائلا :

- وقد أثبت هذا القرار - قرار الانسحاب - الذى ربما كان يهدف فى الواقع الى الابقاء على حياة الافراد ، انه كلفنا إضعاف ما كان يحتمل أن يصيبنا من خسائر لو قاتلنا المعركة الدفاعية بثبات وترو أو حتى قمنا بعملية الانسحاب كوحدات وتشكيلات منظمة تأتمر بأوامر القادة والقيادات .. وتنفيذ التعليمات بطريقة عسكرية صحيحة .. وكانت النتيجة أن فقدنا آلافاً من ابناء القوات المسلحة .. وكلهم فى عمر الزهور قدموا حياتهم دون مقابل .. رخيصة بلا هدف حققوه .. لفظ أكثرهم انفاسه الاخيرة فى ظروف غير انسانية .. قاسوا فيها آلام الجوع والعطش وضربة الشمس .. ونزف

الجرحى منهم دماءهم الذكية فوق رمال الصحراء .. المحرقة ..

أن الارتجالية فى ادارة المعركة شأنها شأن أى أمر آخر لا تؤدى الا الى اضطراب الأمور وسيرها بطريقة مكلفة تصل فى النهاية الى تدمير الأمل فى النجاح ..

وقد كان قرار الانسحاب لا شك قرارا ارتجاليا لم يمهد له التمهيد اللازم سواء من ناحية المكان الذى تنسحب اليه القوات .. أو السياسة العامة التى يجب ان تتبع فى ادارة المعركة .. ولا سيما بعد النجاح الذى حققته اسرائيل فى اليومين أو الثلاثة الأولى من الاشتباكات ..

حقيقة ان الانسحاب كموضوع عسكرى لم يسبق ان تدربت عليه القوات المصرية .. أو حتى درسته دراسة نظرية فى أى وقت قريب مضى .. الا أن هذا يعنى اما اتباع مبدأ الدفاع حتى اخر طلقة واخر رجل .. مهما كان الثمن .. أو أن كانت النتيجة والحاجة ماسة الى تخليص قواتنا من الاتصال المباشر بالعدو فيجب القيام بعمل ترتيبات دقيقة لا ينقصها بعد النظر لانجاح عملية الانسحاب .. فليس من المعقول أن يكون قرار الانسحاب فى رأس المشير عبد الحكيم عامر أو قائد المنطقة الشرقية .. أو القيادة السياسية ومازالت بعض القوات والمعدات فى طريقها من القاهرة - أو من منطقة القناة - الى سيناء الشرقية ، كما أنه ليس من المعقول وقد اعطتنا الطبيعة مضيقا مثاليا للدفاع عن ممر متلا على المحور الجنوبى ومضيقين مناسبين عند الختمية ورمانة .. وعلى المحورين الأوسط والشمالى ، ومع ذلك يكون الانسحاب الى غرب قناة السويس ولا يبدأ بالاهتمام باحتلال وتجهيز هذه المواقع الطبيعية المناسبة الا متأخرا جدا وفى ظروف حرجة تحت ضغط العدو .. رغم توافر القوات التى يمكن الاستغناء عنها فى المناطق الامامية ..

• • •

• والسؤال الهام : من الذى اصدر قرار الانسحاب ؟ •

هل هو المشير عبد الحكيم عامر ؟ .. واذا كان المشير .. ألم يصدق

عليه من القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس جمال عبد الناصر ، فهو قرار خطير ؟.. أم أنه أصدره دون علم عبد الناصر ؟.. أم أن عبد الناصر هو صاحب فكرة الانسحاب .. وترك أمر ابلاغه للقوات المحتشدة للمشير عبد الحكيم عامر ..

فى لقائى مع الفريق عبد المحسن كامل مرتجى أكد لى ان قرارا بهذه الخطورة لا بد من ان يصدر من القائد الأعلى للقوات المسلحة .. أو على الأقل يعرض عليه ويوافق عليه أو يرفضه .. فهو صاحب القرار النهائى .. أما عن أمر تبليغه للقوات فإنه منوط بالقيادة العامة ـ أى القائد العام ..

ولكن عبد اللطيف بغدادى يحسم هذه التساؤلات ، ويقول فى كلمات مؤثرة وعفوية عن قرار الانسحاب بما يلى :

ـ عدنا فى المساء الى مكتب عبد الحكيم عامر ووجدنا زكريا محيى الدين هناك ـ وسألته عن الموقف وأخبار المعركة .. ففاجأنى بقوله .

ـ قررنا الانسحاب العام وأن تنسحب قواتنا الى غرب قناة السويس وكان وقع هذا الخبر على نفسى كوقع الصاعقة ولم أصدق ما اسمع ..

وسألته عن السبب فى هذا القرار الخطير ..

فقال :

ـ ان الطائرات تصطاد مدرعاتنا وهى فى الصحراء مكشوفة لها .. ولابد أن ننسحب الى المناطق الزراعية حتى يمكن اخفاؤها عنها ..

فقلت دون أن ادرى :

ـ دى فضيحة .. ده عار ..

فرد على بقوله :

ـ المسألة ليست مسألة كرامة ولا شهامة انما المطلوب هو انقاذ اولادنا .. والعدو دمر لنا فرقتين ..

فقلت :

ـ أن روميل أنسحب فى الصحراء ١٥٠٠ ميل .. وعبر البحر مرتين

دون غطاء جوى ، والهجوم كان عليه من ناحيتين من تونس والعلمين ونجح فى انسحابه ـ وتكتيكه معروف فى الدفاع عن مدرعاته دون غطاء جوى له ..

فرد :

ـ أن اوكلنك كان عندما لا يتوافر لديه غطاء جوى يجرى بمدرعاته حتى يصبح خارج مدى طائرات العدو ..

• هو الذى أخذ القرار :

فسألته عن رأى جمال عبد الناصر فى هذا الأنسحاب ؟

فقال :

ـ هو الذى أخذ القرار لينقذ أولادنا ..

وأخذت أردد كلمة العار والفضيحة ..

فقال :

ـ هذا شىء أنتهى واصبح جزءا من التاريخ ..

وحاول كمال حسين من جهة اخرى اقناع عبد الحكيم بالصمود والقتال وكان يصيح به ان لدى الفرقة المدرعة من قوة النيران ما يمكنها ان تدافع عن نفسها ضد غارات الطائرات .. ولكن عبد الحكيم أصم أذنيه عن سماع كلام كمال والحاحه بالصمود .

وكان عبد الحكيم دائم الاتصال بقياداته فى الجبهة ويصدر اليهم أوامر الانسحاب ويظهر أنه لم يكن هناك خطة للانسحاب .. وكانت أوامره لكل من اتصل به ـ الانسحاب ليلا ومحاولة الوصول الى غرب قناة السويس قبل طلوع النهار ـ وترك أسلحتهم الثقيلة والاكتفاء بالخفيفة منها ـ وان يسيروا فى مجموعات صغيرة متفرقة ..

وقد شاهدنا مأساة وهى تجرى امامنا ضاع فيها الشرف والمستقبل .

وجلسنا نتحدث همسا عن هذا الانهيار أو عن هذه الصورة المخزية وقلبنا ينفطر الما وحزنا .. ولم احس بمعنى انفطار القلب الا الليلة .. وكنت

أعتقد أنها كلمة لا تدل على معناها ولكنه اتضح لى ان الانسان يشعر فعلا بهذا الاحساس .. وانه حقيقى عندما يكون الألم شديدا وعاصفا ..

جلسنا ولم نعرف كيف نتصرف ـ ليس لنا الحق فى ابداء الرأى .. ومناقشة آراء الآخرين .. فجلسنا وكأننا فى مأتم تماما .. الجو ثقيل والمستقبل مظلم .. والخزى ينتظرنا جميعا ..

وفى النهاية قررنا الخروج من هذه الغرفة التى تقرر فيها مستقبل أمة ومصير شعب حكم عليه بالخزى والعار مدى الدهر ..

وخرجنا وذهبنا الى منزلى وجلسنا واخذنا نتحدث عن صورة المستقبل المظلمة .. وهذه الكارثة التى حلت بنا .. وكيف لا تقاتل هذه القوة الضخمة وتمحى من الوجود وهى فى اماكنها ـ انه اشرف لها الف مرة عن هذا الانسحاب المزرى .

• • •

انتهت الكلمات المؤثرة والبليغة لعبد اللطيف بغدادى .. ورده من داخل غرفة العمليات ـ على الاسئلة السابقة ، بأن عبد الناصر هو الذى اصدر أمر الانسحاب .. هذا الأمر الذى أكمل دائرة الهزيمة بهذا الحجم الهائل والمخيف ..

ولا حول ولا قوة الا بالله ..

• • •

• ثم يأتى سؤال هام :

لماذا الانسحاب خلال ٢٤ ساعة ؟.. ولماذا الأمر بترك الاسلحة الثقيلة .. ومعدات جيش كامل تترك للعدو وكأغلى غنائم ؟.. وأرض غالية يدوسها ويدنسها ؟..

جاء الأمر بالانسحاب خلال ٢٤ ساعة من سيناء الى الضفة الغربية ليعكس بصورة واضحة الانهيار الكامل الذى شل القيادتين السياسية والعسكرية .. حتى ان المشير كلف هيئة العمليات بعمل خطة للانسحاب

خلال دقائق .. وقبل اتمام الخطة كان اصدر أوامره الى القوات بالانسحاب الى الضفة الغربية لقناة السويس .. كانت أوامر الانسحاب هى بمثابة أوامر للفوضى واللا نظام فى كل القوات المحتشدة فاذا اضفنا ان ٨٥ فى المائة من هذه القوات غير منضبطة وهى قوات الاحتياط لعدم تدريبها على الامساك بالسلاح ، ولا علم لها بفنون الحرب .. كل هذا ادى الى الفوضى التى شهدتها سيناء .. حتى أن أوامر نسف الجسور بين الضفتين لعزل سيناء تماما عن الوادى بما فيها من قوات تعكس الجبن والشلل والانهيار الذى أصاب القيادتين السياسية والعسكرية .. لقد تحولت كل سيناء - بأيدينا - الى مصيدة للأبرياء ..

وضاق العدو بعدد الأسرى ، فكان يسمح للجنود بالعبور الى الضفة الغربية .. ويأخذ الضباط أسرى ..

وسؤال آخر : كيف تركت الأرض بهذه السهولة ؟

اذكر هنا ندوة تحدث فيها عبد المجيد شديد ، عقب العدوان ،.. وكان شديد احد اقطاب الحكم الناصرى ، حيث قال ان اليهود قد استولوا على تلال من الرمال ، وهذا يعكس فكر قادة النظام تجاه سيناء منذ قيام ثورة يوليو حتى هزيمة عام ١٩٦٧ ، فلقد ظلت سيناء فى عزلة تامة ، وكأنها دولة اخرى .. ولا تذكر فى الميزانية .. ولا يوضع لها خطة تنمية ، ولا يوجد سبب مقنع لهذا .. بل لقد كان الدخول اليها بتصاريح خاصة وجمارك ، فهل كان ذلك حتى لا يعرف سكان الوادى والدلتا بأن هناك قوات طوارىء دولية تحمى الملاحة الاسرائيلية فى مضايق تيران المصرية .. أم أنه الجهل بالعدو .. ان سيناء ارض مصرية كان يجب تنميتها بشريا .. وحتى الآن فان تنمية سيناء لا تسير مع أهمية شبه الجزيرة سواء من الناحية البشرية أو الاقتصادية أو حتى العسكرية .

• • •

وفى النهاية .. فان أمر الانسحاب من سيناء كان انعكاسا لانهيار القيادتين السياسية والعسكرية ، بالاضافة الى جهل كل منهما بأبسط القواعد العسكرية .. مما أدى إلى زيادة حجم الكارثة ..



مشهد من غرفة عمليات الهزيمة

أنا لم أدخل فى حياتى غرفة العمليات الرئيسية لا فى زمن الحرب ولا فى زمن السلام ، ومعلوماتى أنها مكان مهيب ، لا يدخلها غير عباقرة العسكريين ، وهؤلاء الرجال العظام يملكون فكرا عسكريا راقيا ، وخبرة فى المعارك غير محدودة ، وقراءة فى سير المعارك التى غيرت مسارات الحروب وكأنهم قادتها ، وسرعة فى اتخاذ القرار السريع السليم ، فكل قرار يدفع بالقوات إما إلى الهزيمة أو النصر ، وهؤلاء العظام لهم أعصاب فولاذية ، يتداركون الخطأ فى لحظة ، ويستفيدون بسرعة مذهلة من أخطاء العدو ..

أمامهم خريطة تمثل تواجد القوات الجوية والبحرية والبرية ، لقواتهم وقوات العدو وكأنهم فى مسرح العمليات فى كل مكان ..

وفى داخل هذه الغرفة المهيبة ، أجهزة اتصالات ذات كفاءة عالية تتدفق من خلالها معلومات من قادة القطاعات والقوات ، وأجهزة المخابرات بحيث تكون لديهم صورة « لحظية » لسير المعارك فى البحر والبر والجو ، بل تتدفق إليهم معلومات من داخل قوات العدو خلف خطوطه ومن داخل أرضه ..

وإذا حدثت هزيمة ، فإنه ـ حتى الهزيمة ـ تأتى والرؤوس مرفوعة فلقد قام الرجال بواجبهم على خير وجه .. لا أن نتلقى الهزيمة .. فنركع ونبكى كالنساء ..

• • •

هذا تصورى لغرفة العمليات من خلال قراءاتى ، ومن خلال مشاهداتى لبعض الأفلام العسكرية الأجنبية ، ومن خلال فيلم تسجيلى من غرفة العمليات شاهدته فى التليفزيون البريطانى منذ أكثر من خمسة عشر عاما ..

غرفة العمليات شيء مهيب .. وخطير ..

غرفة العمليات تضم نخبة من العباقرة ..

غرفة العمليات نادرا ما تخطىء الأمر ..

* * *

وقرأت ما كان يحدث فى غرفة عمليات حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، فحزنت حزنا شديدا ، وشعرت أن مصائر أمة كانت فى أيدى نمور من ورق ..

صدقونى .. لقد قارنت بين غرفة عمليات قيادة حرب يونيو ، وغرفة عمليات تسيير مترو لندن ، صدقونى عندما أقول أننا لو جئنا بالمسئول عن غرفة عمليات مترو لندن - مثلا - لقاد معركة الخامس من يونيو خيرا من هؤلاء .. الذين قادوها ..

* * *

وتعالوا نستخرج من أقوال الذين ذهبوا إلى هذه الغرفة « المهيبة » أثناء الحرب ، لقد قالوا قولهم دون قصد لتصوير هذه الغرفة ، لقد جاءت كلماتهم عفوية صادقة فزادت الانسان حزنا على حزن ، وإشفاقا على وطن سقط فريسة فى أيدى قيادات لا هم لها إلا التشبث بالسلطة على حساب حرية المواطن وحرية الوطن ، ثم تمادوا فى ذلك ، ليكن التشبث بالسلطة على حساب شرف الوطن كله ..

أى عار ذلك الذى جاءوا به ..

وأى رجال صغار كانوا هم ..

* * *

عبد اللطيف البغدادى ، واحد من الذين أقصاهم جمال عبد الناصر لأنه رفض أسلوبه فى ادارة أمور البلاد ، وشعر فى وقت مبكر بأن البلاد مقبلة على كارثة لا محالة ، وكمال الدين حسين ، رفيق الدرب « الثورى » .. أرسل له يقول :

- « اتق الله » ..

ولكن عندما تعرضت الأمة للخطر ، ذهبوا جميعا ، يعرضون خدماتهم .. ودخل عبد اللطيف البغدادى تلك الغرفة « المهيبة » .. غرفة العمليات .. وعاد يروى ما شاهده بعفوية ، ودون أن يقصد بأن هؤلاء الذين كانوا يديرون معركة مصير أمة ، لا يصلحون للجلوس فى غرفة عمليات لتسيير مترو ، بل هم فشلوا - من قبل - فى ادارة مرفق مواصلات العاصمة ..

• يقول عبد اللطيف البغدادى :

- قام حسن بالاتصال بعبد الحكيم عامر من منزلى بعد منتصف الساعة الثانية عشرة ظهرا بقليل وأبلغه بما تم الاتفاق عليه بيننا .. ورد عليه عبد الحكيم بأنه يشرفه أن يذهب إليه ..

وذهبنا إلى مبنى القيادة العامة للجيش بمدينة نصر ، وهو قريب من منزلى .. وتقابلنا مع عبد الحكيم عامر فى الدور الخاص بالعمليات .. وسألناه عن الموقف .. وكانت الساعة حوالى الواحدة بعد الظهر ، فأخبرنا بأننا أسقطنا للعدو حتى الآن ٧٣ طائرة ..

وبعد أن شرح لنا خطة قواتنا المحتشدة فى سيناء ، وباختصار شديد واطمئنانه للموقف هناك تماما ، أخبرناه أننا لا نريد ازعاجه فى عمله ونرغب فى أن نعمل شيئا .. ولكنه رد بأن ليس هناك ما يشغله .. وأن كل قائد قوة فى سيناء يعرف الأوامر التى لديه وما يجب عليه عمله .. وأنه بعد أن تنتهى المعركة الجوية سنجده بدون عمل ، وطلب منا أن نجلس معه » ..

• • •

في اللحظات الحاسمة يا سادة .. لم يكن هناك ما يشغل بال القائد العام ، في اليوم الأول من الحرب لم يكن القائد مشغولا .. بل وأكثر من هذا طلب من الأصدقاء الجلوس .. ربما للحديث عن الذكريات .. أو تناول فنجان من القهوة ..

* يقول البغدادى :

- وفي أثناء وجودنا معه لاحظنا أن محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية كثير الاتصال به ، وأنه لا يدير معركة جوية .. وإنما على ما يظهر يبكى له في التليفون ، ويظهر أن أعصابه قد انهارت ، لأننا لاحظنا أن عبد الحكيم كان يحاول تشجيعه ببعض الكلمات ، ويطلب منه مسك أعصابه ، ويشجعه بقوله كم عدد الطائرات التى أسقطناها حتى الآن - فيرد عليه بالعدد - فيردده عبد الحكيم بصوت مرتفع لنسمعه - ثم يقول له زعلان ليه بأه بعد كده .. ثم يعود صدقى ويتصل به ثانية ويردد عبد الحكيم ما سبق وأن قاله له - وأن استمرار موجات غارات العدو على مطاراتنا لابد وأن يكون هناك طائرات أخرى أمريكية وانجليزية تقوم بمساعدة الطائرات الاسرائيلية ، لأن العدو لا يملك هذا العدد من الطائرات ، فيطلب منه عبد الحكيم احضار ما يثبت له ذلك ..

وفي مرة طلب عبد الحكيم ، وأخبره أن طائرات العدو قد أغارت على مطار الأقصر وضربت طائراتنا هناك .. وكانت بعض طائراتنا قد نقلت إلى هذا المطار بعد ابتداء الضرب صباح اليوم ، وكانت أصلا في مطار بني سويف .. وقيل أن أحد الطيارين القدامى واسمه حسنى مبارك قد شاهد الطائرات المغيرة وهي من النوع الأمريكي ، وأنه يؤكد ذلك ..

وطلب عبد الحكيم جمال عبد الناصر تليفونيا وأخبره أن عدد الطائرات المغيرة كثيرة جدا أكثر مما يملك العدو ، وأن هناك طائرات أمريكية تغير على مطار الأقصر ، وقد تعرف عليها أحد الطيارين وهو طيار قديم وله خبرته .. وطلب عبد الحكيم من جمال في النهاية أن يبحث عن حل سياسى .. ولكن جمال كان حريصا ولم يتسرع ويأخذ برأى عبد الحكيم وإنما

طالبه بأن يثبت له تدخل الطائرات الأمريكية وأن يحضر له مثلا طائرة منها يكون قد تم اسقاطها ..

واتصل عبد الحكيم بمطار الأقصر وتحدث شخصيا مع الطيار حسنى مبارك وسأله عن نوع الطائرات التى أغارت على مطارهم هناك ، وهل هى أمريكية أم اسرائيلية فأجابه بأنها كانت اسرائيلية ..

• ويمضى عبد اللطيف البغدادى ، يصف المأساة أو الغرفة المهيبة التى يقوم منها عبد الحكيم عامر بادارة حرب يونيو .. فيقول :

ـ وقد لاحظنا منذ البداية أن عبد الحكيم هو الذى يحاول ادارة المعركة الجوية وليس هناك ادارة لهذه العمليات بالمعنى المعروف .. وكان يحاول توجيه صدقى ويشد من أزره ويشجعه لأنه على ما يظهر قد فقد السيطرة على نفسه ..

• • •

تصوروا ، هذا الاعتراف الخطير من عبد اللطيف بغدادى ، لا يوجد ادارة حقيقية للمعركة الجوية ، وبديهى أنه فى حروب الصحراء ، فإن الغطاء الجوى - أى الطيران - هو السلاح الحاسم للمعركة ، .. يقول عبد اللطيف بغدادى :

• وكان صدقى قد حضر إلى مكتب عبد الحكيم ليقنعه بأن هناك طائرات أخرى غير اسرائيلية تقوم بالهجوم على مطاراتنا وقدر عدد الطائرات المغيرة بما يقرب من ألف طائرة .. ولكننا أقنعناه بتلك العملية الحسابية أن ما يذكره مغالى فيه ، ولكنه أراد أن يثبت أن اسرائيل ليس لديها طائرات ذات مدى يمكن أن يصل بها إلى مطار الأقصر .. وأن الطائرات التى أغارت على المطار هناك ليست اسرائيلية .. ولكن بقياس المسافة بين مطار ايلات باسرائيل ومطار الأقصر على الخريطة المعلقة على الحائط بمكتب عبد الحكيم تبين أنه فى امكان الطائرات الاسرائيلية أن تقوم بتلك الغارات مع استخدام خزانات وقود اضافية ..

وطلب عبد الحكيم من صدقى قبل أن يغادر المكتب أن يعيد تنظيم (طائراته المتبقية لديه) وكانت الساعة حوالى الثانية والنصف بعد الظهر ..

• ويضيف البغدادى :

ـ وسألنا عبد الحكيم عن لماذا لا تصعد طائراتنا وتتصدى لطائرات العدو أو تغير على مطاراته لأننا لم نكن نسمع إلا هجمات طائرات العدو علينا ـ وكأنه ليس هناك دور لقواتنا الجوية .. فقام باصدار أوامره إلى صدقى بالعمل على قذف ومهاجمة طائرات العدو بعد ظهر اليوم ـ وكان ذلك قبل أن ننصرف من عنده وكانت الساعة قد اقتربت من الثالثة بعد الظهر » ..

• • •

القائد العام تذكر أن يعطى أوامر للقوات الجوية ، للتصدى لقوات العدو .. وكيف تذكر يا سادة ، عندما قال له الأصدقاء ، الذين جاءوا إلى غرفة العمليات للاطمئنان ، وعرض الخدمات ، فطلب منهم الجلوس لاحتساء القهوة ، فذكروه بأوامر للطيران ..

مأساة ..

وصدقى محمود قائد القوات الجوية ؟ .. لماذا جاء ؟ .. ومن كان يقود المعركة الجوية عندما جاء صدقى محمود للقاء عبد الحكيم عامر ؟ .. ومن كان يصدر الأوامر للقوات الجوية ، وصدقى محمود الذى يبكى ، أو عبد الحكيم الذى تذكر عندما نبهه الأصدقاء ..

• • •

يروى عبد اللطيف بغدادى مشهدا يصلح من أروع مشاهد الكوميديا السوداء .. حيث القائد العام فى غرفة العمليات .. يتصل بأحد الضباط فى الجبهة .. ويقول له :

ـ يا واد اديله المدفع .. فيرفض .. حموتك اديله المدفع .. فيرفض ..

عشان خاطرى اديله المدفع ....

واليكم الرواية ، كما يقولها عبد اللطيف بغدادى :

« فى المساء عدنا إلى القيادة ووجدنا عبد الحكيم مشغولا بالاتصال بضابط فى مطار العريش اسمه اللواء الديب ، وطلب منه مدفع ٥٧ مم مضاد للدبابات من مطار العريش إلى بلدة العريش لأن دبابات العدو كانت قد وصلت إليها .. ودهشت كيف وصلت دبابات العدو إلى العريش رغم انتشار قواتنا على طول الجبهة ، وسألت مستفسرا عن هذا ـ ولكن لم يجبنى أحد عن هذا التساؤل منى .. وكل ما قيل أنها لابد أن تكون قد تسللت عن طريق بعض الدروب أو الوديان ..

واستمر عبد الحكيم يتابع الاتصال التليفونى مع هذا الضابط من حين لآخر ويسأله عما إذا كان قد أرسل المدفع أم لا .. ويظهر أن هذا الضابط جبان لأنه يحاول الاحتفاظ بالمدفع للدفاع به عن نفسه .. وقد استمر عبد الحكيم ثلاث ساعات يواصل الاتصال بهذا الضابط من حين إلى آخر لكن دون فائدة .. وكان عبد الحكيم يهدده بأنه سيقتله إن لم يرسل المدفع إلى بلدة العريش حتى أصبح موضع تفكه بيننا ..

وزاد اندهاشنا كيف يمكن لقائد عام كعبد الحكيم أن يشغل نفسه بموضوع مدفع طوال هذا الوقت .. وأين القيادات المحلية .. وتذكرنا عام ١٩٥٦ أيام معركة السويس وكيف كانت تدار ..

يصف البغدادى مشهداً آخر من غرفة العمليات ، وهو مشهد كوميدى أسود آخر ، بين عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر ، لقد جاء عبد الناصر إلى غرفة عمليات عبد الحكيم ليعرف الموقف على حقيقته ، ولكن عبد الحكيم احتقر شأنه ورفض أن يعطيه المعلومات .. القائد العام رفض أن يعطى معلومات للقائد الأعلى .. عبد الناصر يصف هذا فى حواره مع ثروت عكاشة ، فيقول :

ـ « أحب أن أشهدك على أنى قد عوملت أسوأ معاملة من عبد الحكيم وشمس بدران منذ صباح ٥ يونية .. فبمجرد وصولى إلى القيادة العامة لأتبين حقيقة الموقف لم أجد من يلقى لى بالا أو يعنى حتى بالرد على ..

فإذا ما تساءلت عن أمر من الأمور حملق فى عبد الحكيم مأخوذا دون اجابة .. ومما أثار دهشتى أن رأيت المشير يتصل تليفونيا بالعريش يحاول تحريك أحد الألوية ، فتساءلت أين قادة الفرق الخمس وأين قائد الجبهة ، وكيف يحرك المشير قوات خاضعة لقيادة الجبهة دون اذنها .. وحاولت مناقشته لكنه كان متوترا للغاية فلم يرد على ، على حين كان شمس بدران واقفا فاغرا فاه كالمذهول .. لقد كان الشلل الفكرى مسيطرا على جهاز القيادة بأسره .. وبعد قليل انبرى المشير يقول :

ـ لقد أسقطنا للعدو مائة طائرة ، ..

ولكن عبد اللطيف بغدادى ، يفسر أقوال عبد الناصر على شكل سيناريو ، هام وخطير ، فهو صورة لما حدث فى هذه الغرفة المهيبة .. وفى أثناء وجود البغدادى فى غرفة العمليات حضر الرئيس عبد الناصر ، وقال لعبد الحكيم أنه لا يوجد طائرات أمريكية أو انجليزية اشتركت فى القتال ..

* ويصف بغدادى هذه اللحظات بقوله :

ـ شمس بدران أعطى تقريرا عن سير العمليات لجمال .. وأخذه جمال وجلس على طرف مكتب عبد الحكيم وأخذ يتطلع إلى ما جاء فيه ـ وأنا أرقبه ـ وبدأت تظهر على وجهه علامات عدم الارتياح التى أعرفها عنه ..

وفى أثناء اطلاعه عليه نظر إلى عبد الحكيم وقال له :

ـ إن خان يونس سقطت ورفح المدينة المحاصرة ـ والاتصال بها مقطوع وغزة تهاجم ، ..

ثم قال لعبد الحكيم : لابد لنا أن نعرف الموقف على حقيقته لأنه على ضوئه سنتخذ قرارنا على الاقتراحات المقدمة إلى مجلس الأمن ..

ولكن عبد الحكيم ظل رغم طلب جمال يشغل نفسه بالرد على التليفونات وطلب منه جمال أكثر من مرة أن يتفرغ له ولو لمدة ربع ساعة ولكن دون فائدة فهو مستمر فى الانهماك فى الرد على التليفونات .. وكأنه كقائد عام ليس لديه مساعدون للقيام بمثل هذه الأعمال البسيطة ..

والغريب والملاحظ أن اتصالاته كانت بضباط فى الجبهة مسئوليتهم محددة ـ ولم يتصل ـ ولو مرة واحدة بقائد الجبهة هناك عبد المحسن مرتجى ليسأله عن الموقف وتطوراته أو ليعطيه توجيهاته بعد أن تطورت المعركة إلى هذه الصورة التى نلاحظها ..

وفى النهاية بعد أن فرغ صبر جمال قام ودخل غرفة النوم الملحقة بمكتب عبد الحكيم ..

وبعد فترة دخلت إلى الحجرة للذهاب إلى دورة المياه وهى من داخلها ـ فوجدت جمال نائما على السرير ضاجعا ، وعلى ما يظهر يفكر فى المأزق الذى أصبحنا فيه وكيفية الخروج منه ـ ورحب بى عندما شاهدنى داخلا الغرفة فقلت له مجاملا انشاء الله ربنا سيوفقنا ـ وقلت هذا لشعورى بخطورة الموقف وعواقبه .. وهو لابد أيضا سيشغل باله : فرد على بأنه حضر إلى هذه الغرفة ليتصل تليفونيا بمكتبه .. وأعتقد أنه ذكر لى هذا حتى ينفى ظنى من أنه متألم للصورة التى وصلنا إليها من أول يوم فى المعركة ..

ولكنى قلت : « اننى ألوم القوات الجوية ـ وكان يمكنها أن تقوم بدور أحسن من كده بكثير ولا تضرب بهذه الصورة » ..

قال :

ـ إن القيادة حصل لها شلل .

قلت : إننى لاحظت فى الصباح أن أعصاب القيادة كانت مهزوزة ومنهارة وأقصد بذلك صدقى ..

وسكت جمال وجاملته بكلمتين ودخلت إلى دورة المياه ..

• يقول البغدادى :

ـ إننا شعرنا وكأننا فى حلم .. كابوس رهيب .. هل يدمر سلاحنا الجوى فى يوم .. وتدمر قواتنا الأرضية فى يوم آخر .. هل هذه القوة الضخمة لا تصمد أكثر من ٣٦ ساعة ..

وأخذنا نعود بذاكرتنا إلى التصرفات فى الجيش وأسلوب الحكم » .. وهذه هى نهاية كل نظام مثل هذا النظام ـ ومقامرة جمال عبد الناصر

بمستقبل أمة بأكملها فى سبيل مجده الشخصى ، وكنا نعرف من قبل أنه يقامر .. وكنا نندهش من هذا التصرف .. وهو كان قد قدر أنه سيحقق نصرا يرفعه إلى السماء دون أن يخسر شيئا ، فجاءت النهاية ـ نهاية نظامه ، وخزى وعار على الأمة ـ ربما يكون خيرا من يدرى .. ربما أراد الله انقاذ هذه الأمة من استعباد جمال لها ومن تأليههم له .. واستمرار هذه الصورة كان سيؤدى بها إلى أسوأ مصير .. فربما أراد الله بهذه الأمة أن تصحو من غفوتها وتحطم الآلهة ـ وتصحو لنفسها وأن لا تدع شخصا آخر يسيطر عليها كما يسيطر جمال ـ من يدرى ..

وقدرنا هذا المساء أن جمال وعبد الحكيم لابد أن ينتحرا بعد هذا الذى جرى وليس أمامهما مفر من ذلك ..

كان كل شيء قد انتهى تقريبا ، وكانت هذه زيارة البغدادى الأخيرة لغرفة العمليات ، يوم ٨ يونيو عام ١٩٦٧ .. يقول البغدادى ..

ـ فى أثناء انتظارنا دخل جمال عبد الناصر ودخل الحجرة ومن خلفه محمود الجيار .. دخل جمال عبد الناصر يبتسم والجيار فاغرا فاه بالابتسامة فدهشت وتساءلت بينى وبين نفسى هل يمكن لانسان فى مثل مسئوليته أن يبتسم فى مثل هذه الظروف ـ يبتسم على ضياع مستقبل وشرف أمة بأكملها ـ وهو المسئول الأول عن هذا ـ ولم أصدق ما أراه بعينى ..

وجلسنا دون أن نتكلم ـ وكل منا يهمس فى أذن الآخر ـ لابد أن ينتحر جمال أو يستقيل فورا على الأقل ـ وأن ينتحر عبد الحكيم ، وشعرنا بالكابوس وقد ازداد ضغطه على كل من بالغرفة حتى أننا كنا نشعر أننا نكاد نختنق ولا نستطيع التنفس ـ ورغبتنا فى الانصراف من هذا الجو ..

• • •

هذه كانت الغرفة التى قادت قواتنا فى الخامس من يونيو ، لا أعتقد أن الصورة فى حاجة إلى تعليق ، فالذين فشلوا فى ادارة مرفق مواصلات القاهرة .. كيف ينجحون فى ادارة معركة عسكرية يحدد فيها مصير أمة ..

• • •

محكمة تاريخ
لتحديد المسئولية.. والأسباب

فى مارس عام ١٩٦٨ ، خرج الشعب كله فى مظاهرة خزينة ، وهتافات باكية ، تطالب بمحاكمة المسئولين عن الهزيمة ، وذهبت إلى كل دور الصحف وألقت عليها الحجارة ، وذهبت إلى مجلس الشعب تلقى عليه بالمسئولية ، واتجهت فى موكب حزين ينزف دما إلى قصر القبة ، حيث يجلس عبد الناصر ، تطالبه بالرحيل ..

كانت هتافات دامية ، أدانت كل مسئول شارك فى حكم مصر خلال فترة « الثورة » ، ثم بلورت هتافاتها فى نشيد سيد درويش الشهير « بلادى بلادى ، لك حبى وفؤادى » ..

لم تكن مظاهرة مارس هى المظاهرة الوحيدة ، بل خرجت بعدها مظاهرات تطالب بأمرين :

- محاكمة عبد الناصر ورفاق الهزيمة ..
- الثأر من عدو التهم الأرض والشرف ..

ولقد تصدت السلطة لهذه المظاهرات الحزينة ، إلى درجة سقوط قتلى ، كما حدث فى المنصورة - مثلا - ، واستمرت المظاهرات التى تطالب بالثأر ، حتى بعد رحيل عبد الناصر ، وقبل عام ١٩٧٣ ..

• • •

فإن الشعب الذى أعطى بلا حدود ، وصبر بلا حدود ، وتحمل ما لم ولن يتحمله شعب آخر ، على أمل الانتصار على اليهود ، وعندما جاءت اللحظة

الحاسمة ، إذ بقيادات غارقة فى الملذات والصراع على السلطة ، وقد قامت بتقسيم الوطن إلى عزبتين ، واحدة يحكمها عبد الناصر ورجاله ، والأخرى يحكمها المشير ورجاله .. وأن كل هؤلاء نسور من ورق ، سقطوا وانهاروا وبكوا وألقوا بالسلاح عند الضربة الأولى ..

• • •

والأبشع من كل هذا .. فإن الصراع على السلطة ، استمر حتى بعد النكسة إلى موت المشير .. ولم يحسم هذا الصراع إلا النهاية التى وضعت أو وضعها المشير ..

• • •

الجماهير .. خرجت تباعا تطالب بمحاكمة المسئولين عن النكسة .. فأعادوا محاكمة من صدرت ضدهم أحكام ليكونوا قربانا على مذبح الهزيمة .. وفى ذات الوقت فإن رموز الهزيمة ظلت - بعد الهزيمة تحكم ..

وتم تصفية كل من كان له ولاء للمشير أو لشمس بدران ، وكانت مذبحة جديدة للأبرياء .. وخرج من القوات المسلحة قادة عظام ، وعاد أسلوب .. « الولاء والخبرة » .. الولاء للسلطة المطلقة الجديدة ، للرئيس عبد الناصر ورجاله ..

• • •

والآن .. وبعد مرور أكثر من عشرين سنة على الهزيمة ، لا أحد يعرف على وجه الدقة ، من هم الأبرياء ، ومن هم المدانون ..

من المسئول عن حشد القوات فى سيناء دون اعداد للقتال ؟

من المسئول عن عدم وصول سلاح للكثير من القوات التى فرت - رغما عنها - لعدم وجود سلاح تواجه به العدو ؟ ..

من المسئول عن ضربة الطيران الاسرائيلى لكل قواتنا الجوية ؟ ..

من المسئول عن تغيير الخطط والقوات فى الميدان ؟

من المسئول عن استراتيجية « تلقى الضربة الأولى » ؟ ..

من المسئول عن اصدار قرار الانسحاب ، دون خطة ، مما أدى إلى تدمير كل قواتنا ؟ ..

من المسئول عن اصدار الأمر بترك كل السلاح فى سيناء .. والعودة بالبنادق ؟ ..

من المسئول عن ارسال الفرقة الرابعة إلى سيناء ، بعد قرار الانسحاب وبدون غطاء جوى حتى يتم تدميرها ، ولقد خرجت - قبل العودة - سليمة تماما ؟

من المسئول عن اغلاق خليج العقبة ، دون اعطاء أوامر واضحة للقوة المصرية فى شرم الشيخ لتقوم بتغطية القرار السياسى ؟ ..

من المسئول عن اخراج الكفاءات من الجيش ، وتعيين من لا خبرة لهم لقيادة قواتنا المسلحة ؟ ..

وهؤلاء الذين حوكموا .. هل تمت محاكمتهم عن جرائم حرب ارتكبوها .. أم لتقديمهم قربانا على مذبح الهزيمة .. خوفاً من الشعب الغاضب ؟ ..

من البرىء .. ومن المذنب ؟

من القاتل .. ومن القتيل ؟ ..

• • •

ولهذا .. فأنا أتوجه إلى الحكومة المصرية .. أى حكومة أن تشكل فورا محكمة تاريخية ، تصدر شهادات البراءة للأبرياء الذي سقطوا ضحايا السلطة .. وتدين كل رموز هذه الهزيمة .. وتجيب بالتحديد على دور هؤلاء ..

• جمال عبد الناصر .. فلا يكفى أن يقول فى خطاب أنه المسئول عن النكسة ..

• المشير عبد الحكيم عامر .. الذى قاد قواتنا إلى قاع هاوية سحيقة ..

• شمس بدران .. الشاب الذى كان يعبث بمصير أمة ، ويعيش كاللوردات فى إحدى ضواحى لندن الآن ..

• سامى شرف .. مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر ..

• محمد حسنين هيكل .. مستشار عبد الناصر الصحفى .. والذى شارك فى صنع النكسة ..

• صلاح نصر الذى دخل صراع السلطة .. وانحرف بجهاز المخابرات

• قادة القوات المسلحة ، الذين قادوا القوات فى حرب يونيو ١٩٦٧ . أبرياء .. أم مذنبين ؟ ..

إن اسرائيل ، عندما هزمت هزيمة أقل بكثير من هزيمتنا ، وعندما انتصر المصريون عليها ، شكلوا على الفور لجنة تحقيق لمعرفة أسباب الهزيمة ، وأدانوا قادتها .

ونحن نطالب ـ بعد عشرين سنة ـ بتشكيل محكمة تاريخية ، لتبرئة أو ادانة من أدينوا فى محاكمات صورية عقب النكسة .. لماذا ؟

هناك تراكمات ، بدأت بعد الثورة مباشرة ، أدت إلى النكسة ... وهذه التراكمات مازال أثرها باقيا حتى اليوم ، رغم انتصارنا فى حرب أكتوبر ، وأن هذه التراكمات يجب على محكمة التاريخ المقترحة أن تقوم بتشخيصها وعلاجها ، ووضع الحلول للقضاء عليها ..

هناك مثلا خلل دائم فى نظام الحكم فى مصر ، أدى إلى اعتراف عبد الناصر وهو يقول لثروت عكاشة ، أن البلد تحولت إلى اقطاعيات ، كل اقطاعية يحكمها شخص ، وهذه الاقطاعيات ـ التى تحدث عنها عبد الناصر ـ أدت إلى النكسة ، وللأسف الشديد ، فإن هذه الاقطاعيات مازالت موجودة حتى الآن ، بل وتزداد ، ومحاكمة تاريخية كالتى أنشدها ، تضع الأمة حاكما ومحكوما ، ولعصور قادمة أمام مسئوليتهم التاريخية ..

هناك فجوة بين ما لدى الحاكم من معلومات ، وبين الواقع .. فالتقارير التى تقدم للحاكم وردية ، بينما الواقع كثيرا ما يكون بعيدا عن وردية

التقارير .. وقد أدى ذلك إلى النكسة .. وهذه التقارير الوردية مازالت تدبج حتى يومنا هذا ..

وسأضرب أمثلة من الثمانينات :

- مستشفى امبابة للقلب .. قام بافتتاحها محافظ الجيزة الدكتور عبد الحميد حسن ، وتم تصويرها تليفزيونيا ، وأذيع أنها افتتحت .. وكان هذا خدعة للناس وللمسئولين .. ثم افتتحت بصدق بعد الافتتاح الوهمي بعامين ..

- مزارع تربية الحيوانات .. كانوا يأتون بالحيوانات من الفلاحين لتوضع في هذه المزارع عند زيارة رئيس الجمهورية .. وبعد انتهاء الزيارة يتم اعادة الحيوانات لأصحابها .. وتظل المزارع خاوية ..

والأمثلة كثيرة .. في كثير من المشروعات الوهمية ..

• • •

صدقوني عندما أقول أن أسباب النكسة - بعد أكثر من عشرين سنة - لم تقتلع جذورها من التربة المصرية ..

وصدقوني عندما أقول أنه رغم معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فستظل مصر هي العدو الأول والأخير للعدو الاسرائيلي ، وأن معاهدة السلام ما هي إلا اتفاق هدنة طويلة ، يستعد فيها كل طرف لجولة قادمة ، فهي مما لا شك فيه حرب مؤجلة ..

هم يعرفون ذلك .. ونحن نعرف ذلك ..

هم يعرفون أن لا بقاء لهم في المنطقة طالما أن مصر قوية ، ونحن نعرف ذلك ..

• • •

ثم .. هناك رجال شرفاء أدينوا أمام المجتمع ، وكانوا ضحايا صراع السلطة بين عبد الناصر والمشير وألصقت بهم تهمة المسئولية عن الهزيمة ... وهؤلاء لابد أن تسمع أقوالهم .. وأن يقفوا امام محكمة عادلة تسمى محكمة التاريخ ليحصلوا على حقهم سواء بالبراءة أو الادانة ..

ولكنى أؤكد أن حرب يونيو ما كانت إلا مذبحة للشرفاء والأبطال .. بينما المسئولون عن هذه الهزيمة ظلوا خارج دائرة الاتهام ..

• • •

عجلوا بتشكيل هذه المحكمة .. قبل أن يذهب الأبرياء إلى ربهم .. وهم يحملون على أكتافهم وزر جريمة ارتكبها غيرهم ..

إن محكمة التاريخ هذه ضرورة من أجل مصر .. ومستقبل مصر .. وحتى تكون مصر قوية .. مصر منتصرة .. لا تركع أمام التتار الجدد ..

الفصل الخامس

بطولات وسط الهزيمة

رجال لا تنقصهم الشجاعة

هل كان ينقص رجالنا الشجاعة ؟ ..

أبدا .. والله ..

كان ينقص رجالنا كل شيء تقريبا إلا الشجاعة .

كان ينقصهم القيادة السليمة .. ذات الادراك السياسى .. والعلم السياسى .

كان ينقصهم التخطيط السليم .. والأوامر السليمة ..

إن قواتنا لم تسقط فريسة فروسية القوات الاسرائيلية ، بل سقطت فريسة قيادتها السياسية والعسكرية فى القاهرة .. فريسة الأوامر المتناقضة .. وانتظار الضربة الأولى ..

والدليل على ذلك ، أن القوات التى قدر لها أن تقاتل العدو الصهيونى .. المسلح بنيران كثيفة ، المدرب تدريبا جيدا ، المتجه نحو تنفيذ خطة واضحة المعالم والأهداف .. المقاتل تحت مظلة جوية متفوقة .. رغم هذا كله فإن هذه القوات التى قدر لها مواجهة العدو ، صمدت .. وقاتلت فى أسوأ ظروف ... وقامت بأعمال خارقة .. مؤكدةً أن الذين هزموا هم قادة غرفة عمليات القاهرة وسكان قصر القبة ..

• • •

ولقد اخترت هنا ، من أطلال الهزيمة ، بعض النماذج ، لرجال من القوات المسلحة .. قاموا بأعمال خارقة فى البر والجو والبحر ، والبعض لم يعرف عنهم شيء :

• • •

فى البداية ، أحب أن أسجل هنا حقيقة هامة ، أن القوات الاسرائيلية ما كانت أسطورة ولن تكون .. وأن هناك عيوباً قاتلة فى نظم اسرائيل العسكرية ، لو أمكن دراستها جيدا ، فمن السهل تماما الانتصار المستمر عليها .. فمثلا هى تعتمد على الاحتياطى .. وتستدعى الاحتياطى فى ساعات قد تصل إلى ٢٤ ساعة ، ورغم ميزة سرعة التعبئة ، إلا أن الاعتماد على الاحتياطى كقوة أساسية .. قد لا يحدث إلا فى اسرائيل فقط ، وفور التعبئة لابد من نشوب القتال .. وتسديد ضربة قاضية للخصم .. وعودة الاحتياطى مرة أخرى إلى مواقع الانتاج .. فهم يفرغون اسرائيل كلها من الشباب تماما ، فإذا طالت الحرب فهذا يعنى - فى حد ذاته - كارثة ..

يقول شاهد على حرب ١٩٦٧ الفريق صلاح الدين الحديدى :

- إن النصر الذى أحرزته اسرائيل لم يكن وليد بسالة قواتها المسلحة أو شجاعة أبنائها بقدر ما كان تقاعس القيادة المصرية ، وعدم قيامها بواجبها على الوجه المرضى .. بل أقول على الوجه المقبول .. فإن الأخطاء التى وقعت لم يكن من العسير تداركها ، بل كان من العسير وقوعها وقبولها ، ومن الطبيعى أن تسارع اسرائيل للاستفادة من هذه الأخطاء فتنسب النصر لنفسها ..

• • •

قال لى العميد طيار تحسين زكى قائد قاعدة أنشاص الجوية وقت نشوب الحرب :

- لم ترد لنا أوامر فى يوم الخامس من يونيو بالاستعداد لتلقى الضربة الأولى .. بل كان المناخ السائد من خلال تعليمات القيادة العامة استبعاد

الحرب ، وساد احساس الجميع بما فى ذلك القوات الجوية أن ما يحدث ليس أكثر من أزمة سوف يتم حلها فى مجلس الأمن أو الأمم المتحدة .. ولم يتحدث أحد عن الضربة الجوية الأولى .. ثم جاءت تعليمات بأن رئيس وزراء العراق وحسين الشافعى سوف يزوران القاعدة ، وقمنا بالاستعداد للزيارة . ووصلت طائراتهما فى التاسعة صباحا إلا بضع دقائق ..

ووصلا إلى القاعدة فى التاسعة صباحا إلا بضع دقائق ، وقبل أن يتركا القاعدة كانت الطائرات الاسرائيلية ، تضرب الطائرات الراقدة على ممر المطار .. وأمكن انقاذ رئيس وزراء العراق وحسين الشافعى بأعجوبة ، وقام الطيارون بقيادة ما تبقى من طائرات بما فيهم أنا .. والبعض ركب طائرته مرتديا البيجاما .. وخرجوا فى طلعات انتحارية بلا خطة ، ولا توجيه يطاردون الطائرات الاسرائيلية .. ويشتبكون معها .. ولم يكن هذا الذى حدث فى أنشاص .. إلا تكرارا لما حدث فى بعض القواعد الأخرى .. والتى أمكن الطيارون الوصول إلى طائراتهم والخروج بها إلى سماء المعركة .. البعض قد استشهد فى الطائرة وهو فى الممر .. فلقد عاد الفوج الثانى من الطائرات الاسرائيلية لتكملة الضربة الأولى ، والبعض استشهد مشتبكا وحده مع سرب طائرات اسرائيلى فى معركة غير متكافئة .. والبعض عاد سليما ، والكل فى حالة انهيار لما حدث ..

إن الطيارين المصريين لم تكن تنقصهم الشجاعة ... إن القرارات السياسية التى اتخذها عبد الناصر لم تترجم عسكريا ، ولا أتصور أن تكون القيادة السياسية قد اتخذت هذه القرارات وهى تعلم جيدا أنها تدفع الأحداث إلى الحرب

* وسألته :

- وماذا لو بدأنا الضربة الأولى ؟

قال : لتغير الأمر تماما ..

قلت : هل كان فى مقدور الطيران المصرى تسديد الضربة الأولى ؟

قال : كل طيار يعرف جيدا كل مطارات اسرائيل .

• يقول الفريق محمد فوزى :

ـ أثناء الضربة الجوية ، تمكن حوالى ٣٠ طيارا مقاتلا شجاعا من قواتنا الجوية ، من الاقلاع وسط الهجمة الجوية ، والاشتباك مع المقاتلات الاسرائيلية واستشهد منهم ١٢ طيار .

• ويقول عبد اللطيف بغدادى فى مذكراته :

ـ وكان حسين الشافعى قد حضر إلى مكتب عبد الحكيم عامر وهو معفر الثياب ، وعلمنا منه أنه كان يرافق رئيس وزراء العراق الذى وقع على اتفاقية الدفاع المشترك فى زيارة للقاعدة الجوية بمطار فايد بالاسماعيلية .. وأن المطار قد هوجم من الطائرات الاسرائيلية أثناء نزول الطائرة التى كانوا يركبونها ـ إلى الأرض .. وكانوا قد تركوا الطائرة وأخذوا يزحفون على الأرض بعيدا عنها للاختفاء من الطائرات المغيرة .. ولما سألته عن عدد الطائرات المغيرة فى الدفعة الواحدة ذكر أنها أربع طائرات ، وأن الفاصل الزمنى بين كل موجة وأخرى كان يتراوح بين عشر دقائق وخمس عشرة دقيقة ..

• • •

لقد ذكر العميد طيار تحسين زكى البطولات الفردية للطيارين المصريين أثناء محاكمته بتهمة قلب نظام الحكم بعد أحداث هزيمة يونيو ، وانتحار المشير عامر . وقد صفق له كل الحاضرين فى المحكمة ، وهو يصف والدموع فى عينيه شجاعة شباب مصر ، الذين استشهدوا فى طائراتهم يوم الخامس من يونيو ..

العميد طيار تحسين زكى مات وحيدا على شاطىء البحر الأحمر بالغردقة بعد الافراج عنه من قبل الرئيس السادات .

• • •

وهناك عشرات من قصص البطولة الجماعية والفردية للقوات البرية فى حرب يونيو .. ولكن سأختار هذه البطولات الفردية ، التى يتحدث عنها أهالى مدينة العريش ، وأذكرها كما جاءت على ألسنة أهل العريش ، لأنها

بطولة تشبه الأسطورة .. وهذه هى رواية بطل تبة العريش ..

• التقيت بالصديق القديم عبد العزيز الغالى .. واحد من رجال العريش ، والذى شاهد احتلال القوات الاسرائيلية لمدينته الجميلة ، وكان صبيا صغيرا .. وروى لى قصة الضابط المصرى المجهول الاسم والعنوان ، ويطلقون عليه بطل تبة العريش .. وتتناقل الأجيال حكايته المثيرة جدا ..

وبعد أن كتمت أنفاسى وأنا أسمع قصة « بطل التبة » عدت مرة أخرى إلى الكتب التى صدرت عن حرب يونيو العربية والاسرائيلية ، فلعلنى أجد الرواية موثقة .. ولكننى للأسف الشديد لم أجد ، وأنا أزعم أننى قرأت كل ما فى السوق المصرى من كتب عن حرب الخامس من يونيو ، وكل ما كتب فى الصحف المصرية عن هذه الحرب ، لذلك عاهدت الله أن أعمل لتكون رواية بطل التبة على لسان كل مصرى ..

* * *

هو شاب فى الثلاثين من عمره ، وربما يقل قليلا ، وربما يزيد قليلا وهو ضابط برتبة صغيرة ، ربما نقيب .. وربما ملازم .. ولا يزيد بأى حال من الأحوال على رتبة رائد .

يبدو أنه فى موقع متقدم جدا ، وربما يكون فى قطاع غزة أو ربما يكون فى رفح ، جاء إلى العريش فى سيارة بها مدفع مضاد للدبابات .. مدفع واحد .. وأعداد غفيرة من الذخيرة ..

يبدو أن القوة التى ينتمى إليها قد أبيدت أو انسحبت ، ولكن احتمال الابادة أكثر ، فلقد كانت قسمات وجهه تحمل أحزان الدهر كله ، وكان فى سباق مع الزمن ، فيبدو أنه شاهد العدو وهو فى الطريق إلى العريش ..

نزل من السيارة ، وطلب من السكان سرعة مساعدته لانزال المدفع من السيارة ، وتطوع الكثير وأنزلوا المدفع ، ثم طلب منهم رفعه على تبة رئيسية فى العريش فى مواجهة الطريق القادم من غزة ورفح .. وتسابق الأهالى ، ورفعوا المدفع فوق التبة .. وبدأ العشرات ينقلون الذخيرة بجوار

المدفع ، وغيرهم ينقلون أكياس الرمال حول المدفع .. وخلال دقائق تم تجهيز الموقع للدخول فى المعركة .

وانتظر الشاب وصول القوات الاسرائيلية ، وبعد لحظات معدودة ظهر من بعيد طابور الدبابات الاسرائيلى ، وطلب منه الناس أن يطلق النار .. لكنه انتظر حتى اقترب الطابور .. وهنا أطلق نيران مدفعه فأصاب الدبابة الأولى .. وصفق الناس .. وكأنهم فى ملعب لكرة القدم ، ثم أطلق نيران مدفعه على الدبابة الأخيرة ، فأصابها .. وإذا بطابور الدبابات كله محاصر بين الدبابة المصابة فى بداية الطابور والدبابة المصابة فى نهاية الطابور ..

ماسورة المدفع كادت أن تتحول إلى قطعة من النيران ، فطلب من السكان مياه وملابس لتبريد الماسورة ..

فى هذا الوقت كانت الدبابات تطلق مدافعها بغزارة على موقع الضابط واستمر اطلاق النار على الموقع .. ولم يصب أحد ، وجاءت المياه ، وخلع الناس ملابسهم ، وبللوها بالمياه ووضعوها على ماسورة المدفع بصفة آلية .. وذهب غيرهم لاحضار مزيد من المياه ، وهو يطلق النيران على الدبابات الاسرائيلية التى خرجت عن الطريق ، وحاولت الاتجاه إلى العريش .. وهنا يصبح صيدا سهلا وهى تسير على الرمال ، حيث تكون حركتها بطيئة جدا ، واطلاق نيرانها غير دقيق ..

• • •

ساعات وهو يمنع طابور الدبابات من التقدم نحو العريش ، وهو يقتصد فى الذخيرة حتى لا تنفد ، وتكفيه لتدمير الدبابات ..

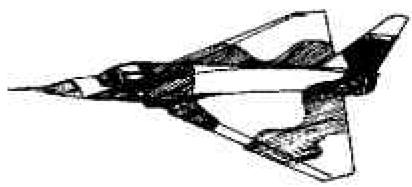
فشلت الدبابات الاسرائيلية فى اقتحام العريش ، وفشلت فى اصابة هذا البطل الشجاع ..

ولكن فى المساء .. جاءت قوة كوماندوز اسرائيلية .. وتسللت خلف التبة ، وألقت بقنابلها على الموقع ، فاستشهد الشاب المصرى ، قائد التبة .. تبة العريش ..

بعدها .. تقدمت الدبابات .. واقتحمت مدينة العريش .. وقام القائد الاسرائيلى بدفن جثة البطل المصرى فى مقابر العريش .. وأدى له التحية العسكرية ، فلم يكن يتصور أن هذا الموقع الذى أوقف تقدمه فيه فرد واحد ..

* * *

• هذه باختصار قصة الجندى المجهول ، بطل تبة العريش .. والتى لم تذكر حتى الآن فى أى كتاب .. رغم أنها تحولت فى العريش إلى ما يشبه الأسطورة ..





اسرائيل المنتصرة تستغيث
من الطيران المصرى

بعد هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، فقدنا الأمل ، فقدناه فى قوانا ، وطاقاتنا ، وقواتنا المسلحة ، وقياداتنا .. فلقد كانت الهزيمة مروعة الى حد يصعب احتماله .. ووضعنا أمل التحرير فى القوات الفلسطينية ، ولهذا سافرت الى الاردن فى اغسطس عام ١٩٦٧ حيث قواعد الفلسطينيين ..

وفى احدى القواعد ، التقيت بشاب ، كان قد جاء من قطاع غزة الذى احتل بالاسرائيليين منذ اسابيع ، وكان هذا الشاب قد جاء من القطاع منذ عدة ايام فقط .. وطبعا كان حديثنا عن الهزيمة .. فقلت له عن اقتناع ان العالم العربى يضع فى عنق المقاومة الفلسطينية أمل التحرير وغسل العار ..

• نحن فى غزة نفكر فى غير ذلك .. ان الأمل معقود على القوات المسلحة المصرية .. ان ضربة الطيران فى يوليو الماضى قد احدثت شرخا فى العسكرية الاسرائيلية ، بل أننا فى غزة انتظرنا وصول القوات المصرية بعد هذه الضربة الموفقة ..

• • •

قبل مغادرتى القاهرة ، سمعت مجرد شائعات أن الطيران المصرى قام بالاشتباك مع الطيران الاسرائيلى .. وأن معركة جوية حدثت فى القناة .. وكان هذا الحديث اشبه بالشائعات فى مصر .. ولم ينشر عنه شيىء ..

• • •

• قال لى الشاب :

- ان الطيران قام بضربة جوية هائلة ، دمر معظم ما استولى عليه اليهود من سلاح مصرى ، وقتل مئات من الجنود الاسرائيليين ..

قلت :

- متى ذلك ؟

- فى ١٤ يوليو الماضى (١٩٦٧) .. نحن فى قطاع غزة لا ننسى ذلك التاريخ ابداً ..

• وأضـــــاف :

- لقد قام الطيران بعملية ابادة لكل القوات الاسرائيلية الموجودة فى سيناء .. ومن بقى حيا .. انسحب من سيناء فى طريقه الى اسرائيل .. وأثناء الانسحاب سقط معظمهم فى أيدى عرب سيناء .. فذبحوهم .. ظنا منهم أن القوات المصرية فى الطريق اليهم .. لانقاذهم بعد ذلك من أى انتقام اسرائيلى ، وظلت اذاعاتهم تصف مدكور ابو العز قائد الطيران المصرى الجديد بالسفاح .. فلقد كانت الضربة مؤثرة وشديدة .. وجددت آمالنا فى تحرير الأرض ..

• وقال الشاب :

- بعض سكان العريش والقطاع .. كانوا يخشون انقطاع المواد الغذائية .. لذلك كانوا يسرقون الغذاء احيانا من القطاع الذى يسير من القنطرة شرق الى قطاع غزة (ظل هذا الطريق مستعملا عقب الهزيمة الى ان استخدم الاسرائيليون قضبانه الحديدية فى بناء خط بارليف بعد ذلك) ..

وبعد الضربة ، وجدوا أجولة بيضاء كثيرة محملة فى عربات بضائع قادمة من القنطرة شرق فقفزوا فى القطار ، وأسقطوا عدة اجولة منها ظنا منهم أنها اغذية من مخلفات الجيش المصرى ، وعندما فتحوها وجدوها لجثث جنود اسرائيليين قتلوا أثناء غارة مدكور أبو العز ..

• وسألنـــــى :

ـ كيف لا تعرف هذه القصة ؟

ولم اقطع لحظتها بصدق هذه الرواية ، فلقد كان اليأس قد امتلكنى .. ولكننى سعدت على أن الناس لم تفقد الأمل فى قواتنا المسلحة .. ثم .. كيف يحدث هذا ، ولم يمض على الهزيمة عدة اسابيع تعد على اصابع اليد الواحدة .. كيف ؟ وأين كان هؤلاء النسور فى الخامس من يونيو ؟ ..

وانتقلت الى موقع آخر .. فسمعت القصة من شاب آخر .. وعندما التقيت بياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، أكد لى الرواية ، نقلا عن تقرير وصله من قطاع غزة ..

وسعدت بالرواية .. وارسلتها من الاردن الى جريدة الاخبار فنشرت فى صفحة داخلية على خجل ..

• • •

عدت الى القاهرة .. وبدأت ابحث عن اجابة لسؤالين هامين :

• الأول : هل الرواية صحيحة .. هل قام نسور مصر بتلك العملية الجريئة ؟

• الثانى : لماذا لم تنشر ؟ .. وتنشر على نطاق واسع .. مع ردود الفعل الاسرائيلية ..

بالنسبة للسؤال الاول .. فالرواية صحيحة .. ونشرت على نطاق واسع فى الخارج ..

وبالنسبة للسؤال الثانى .. فإن القيادة السياسية لا تريد بطلا للشعب فى ظروف يبحث فيها عن بطل .. أو أملا يتعلق به ، ولو نشرت هذه الرواية فى حينها .. لأعادت الثقة بالطيران المصرى .. ولجعلت من مدكور ابو العز بطلا شعبيا .. ولما أمكن لعبد الناصر الاذعان لطلب الاتحاد السوفييتى بابعاد مدكور أبو العز عن قيادة الطيران ..

• • •

بعد سنوات طويلة .. أذاع مدكور أبو العز الرواية بنفسه ، يقول الفريق طيار مدكور أبو العز[1] :

ـ كانت الأوامر تقضى بعدم الاشتباك مع العدو .. إلا أنه فى ذلك اليوم اخذت القوات الاسرائيلية تحشد للقيام بعمل كبير ربما كان عبوراً للضفة الغربية للقناة .. وبدأت المدفعية الاسرائيلية وصواريخها تقصف الاسماعيلية وماحولها .. فاتصل بى المرحوم المشير أحمد اسماعيل وكان قائدا للجبهة بعد النكسة ووجدته يتحدث فى قلق شديد .. والصورة قاتمة جدا فى حساباته والوضع يمثل خطورة أكبر على قوات المشاه بالضفة الغربية ، وافهمنى انه طلب تدخل طيراننا وأن القيادة رفضت طلبه ..

قلت لأحمد اسماعيل بعد أن استوعبت الموقف جيدا :

ـ سأتدخل برجالى سواء وافقت القيادة أم لم توافق ، ان الموقف الآن هو مصر والدفاع عنها .. اترك لى هذا الأمر ..

وأتصلت بالفريق أول محمد فوزى القائد العام ايامها وتحدثت معه شارحا أبعاد الموقف فوافق على تدخل القوات الجوية المصرية أمام أصرارى وتخطيطى للضربة الجوية المقترحة ..

وجمعت رجالى من الطيارين وعبأتهم معنويا ، قلت لهم أمامكم اليوم فرصة للدفاع عن كرامتكم ، أغسلوا العار الذى لحق بكم ظلما ..

وانطلق الرجال يثأرون بصواريخهم التى القوها فوق العدو فى القنطرة شرق وعمقها وفوق قواته المنتشرة خلف الضفة الشرقية وعلى امتدادها .. وتصادف يومها أن القوات الاسرائيلية كانت قد حشدت قواتها لاستقبال افواج سياحية قدمت لتزورها .. ومن هنا حقق الطيارون نجاحا كبيرا بضربتهم الجوية المفاجئة ..

وفى المساء كلمنى الفريق أول محمد فوزى قائلا :

ـ إن اسرائيل تقدم ولأول مرة استجداء الى الأمم المتحدة ان تتدخل لوقف اطلاق النار ..

واستمعت الى اذاعة اسرائيل وهي تلقبني بالسفاح .. والى تهديدات القيادة الاسرائيلية بنسف قريتى « ميت أبو غالي - كفر سعد » انتقاما منى واعلنوا مكافأة مالية ضخمة لمن يأتى بى حيا أو ميتا اليها ..

ولقد استقبلت بعد هذه الضربة بعض ابناء سيناء والعريش الذين جاءوا يشكروننى على هذه العملية الانتقامية التى اضطرت العدو الى اعادة تنظيم قواته بسيناء .. ويعنى ذلك فى « لغة الميدان » الشيء الكثير من التكاليف والجهد واعادة التخطيط ، وقد افقدته الضربة صوابه ..

واذاع تليفزيون لندن تفاصيل العملية كما اذاع بعض الصور للطائرات المصرية وهى تغير فوق القوات الاسرائيلية - التقطها مصورون كانوا فى ضيافة اسرائيل وافواجها السياحية ، وقال المعلق البريطانى ان هذا الهجوم يدل على بقاء الطيران المصرى سليما ، ونتساءل لماذا لم تستمر مصر فى تطوير هجومها ؟ ..

وبعد هذا اليوم كانت لنا خططنا واقتحامنا لسيناء استطلاعا وهجوما ، كما ازدادت حدة الهوة بينى وبين السوفييت ...

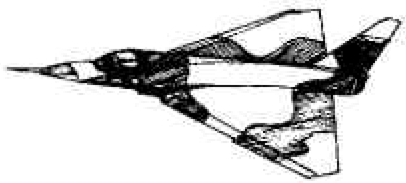
لقد اجتمعت بالطيارين وقلت لهم أن السوفييت يتهمونكم بالخوف ، .. وأن الطيار منكم يقفز بالمظلة بينما فى استطاعته العودة بطائرته المصابة الى قاعدته .. ربما حدث هذا على نطاق طيار أو أثنين وواجبى أن اطالبكم بعدم اللجوء الى المظلة إلا إذا تأكد الطيار من حتمية سقوط طائرته .. لا تقفزوا من طائراتكم إلا بعد القيام بكل المحاولات لانقاذ الطائرة ..

وفى النهاية احب أن اؤكد أن الطيار اغلى عندى بكثير من الطائرة .. ومن هذا الاجتماع وما دار فيه خرجت الشائعة المغرضة ..

ولقد حدث بعد ذلك أن بعض طيارينا رفضوا الهبوط بالمظلة والطائرة ستنفجر لا محالة ، رفضوا الهبوط والوقوع فى ايدى العدو مقابل انقاذ حياتهم .. رفضوا اللجوء للمظلة رغم اوامر قياداتهم لاسلكيا باستخدامها وفجروا طائراتهم المصابة اقتحاما لمواقع العدو وذهبوا مع الطائرة اعتزازا بالعسكرية المصرية وسمعة الطيار المصرى ..

هذه المعركة حدثت بعد الهزيمة بشهر واحد وثلاثة ايام فقط .. وهذه الفرصة اقتنصها الفريق مدكور أبو العز من الذين قادونا الى الهزيمة .. وهذه المعركة اعادت الى سلاح الطيران المصرى ثقته بنفسه .. وأكدت بما لا يدع مجالا لشك .. بأن رجالنا لم يهزموا فى يونيو .. ولكن النظام كان مهزوما قبل اطلاق الرصاصة الأولى ..

• • •



أول مواجهة بعد الهزيمة

فى ستة أيام احتلت اسرائيل كل سيناء إلا قليلا .. ثم توقف اطلاق النار .. وأفاق الرجال من هول الصدمة .. وتذكرت اسرائيل أنها لم تحتل هذا القليل .. وقررت التهام هذا القليل فى نزهة إلى بور فؤاد ، لتقفز وتحتل بور سعيد المدينة الباسلة .. رمز الصمود .. وهنا كانت معركة « رأس العش » حيث لم تتمكن اسرائيل - مع صحوة الرجال - من احتلال الجزء القليل الباقى من سيناء .. وحدثت هذه المعركة بين قوات مصر وبين قوات اسرائيل الضخمة ، وتكبدت اسرائيل فى هذه المعركة - مع صحوة الرجال - خسائر فادحة .. وحدثت المعركة وسط سحب ودخان الهزيمة ..

• • •

لقد كتبت كثيرا عن معركة رأس العش ، لأنها تمثل بداية روح التحدى المصرية .. ورفض الهزيمة .. وضرورة إحراز النصر على العدو ، ولأنها تمثل - فى تقديرى - أول مواجهة حقيقية بين جنود مصر وجنود العدو .. دون قيود أوامر الجهلاء فى القيادة العامة للقوات المسلحة ، ولقد كانت رأس العش مفاجأة تامة للعدو .. وبداية التحدى والذى انتهى بانتصار قواتنا المسلحة فى أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وسوف أستند على شهادة الكولونيل ديوى ، وهو يميل إلى اسرائيل .. فيقول عن هذه المعركة التى حدثت فى يونيو عام ١٩٦٧ .. بعد وقف اطلاق النار بأيام قليلة .. يقول فى كتابه النصر المحير :

تقع مدينة بور فؤاد المصرية شرقى الطرف الشمالى مباشرة لقناة

السويس وخط وقف اطلاق النار لسنة ١٩٦٧ الذى ينجه جنوبا فى وسط الممر المائى ، على أية حال كانت المدينة - باستثناء ممر ضيق على الضفة الشرقية للقناة - يفصلها عن بقية شبه جزيرة سيناء .. والتى توجد فى أيدى الاسرائيليين - مساحة واسعة من مسطحات الوحل والمستنقعات التى يكاد يستحيل اختراقها .. ولم تحتلها القوات الاسرائيلية أبدا ..

وكان المصريون والاسرائيليون على السواء يعتبرون مبدئيا المنطقة الواقعة جنوب وشرق بور فؤاد أنها منطقة حرام .. وبعد حوالى ثلاثة أسابيع اندلع القتال بين القوات المصرية والاسرائيلية المسيطرة على بور فؤاد والمنطقة المحيطة بها ..

وفى أواخر يونية ، وعلى الرغم من النيران الثقيلة للمدفعية المصرية على الضفة الغربية .. ومن السفن الحربية فى ميناء بور سعيد وبور فؤاد .. بدأت القوات الاسرائيلية التقدم نحو بور فؤاد من الجنوب ، بينما كانت مدفعيتهم ترد على النيران المصرية ..

وفى أول يوليو أرسل الفريق اسماعيل وحدة مصرية - ربما كانت أقل من مائة رجل - عبر القناة محمولة على صنادل لاتخاذ مواقع عند قرية رأس العش .. على الممر على بعد حوالى ١٢ كم جنوب بور فؤاد ..

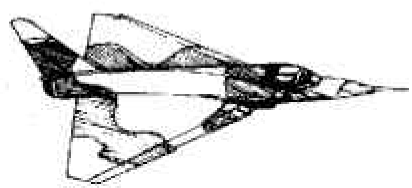
تقدمت قوة اسرائيلية تساندها المدرعات من القنطرة فورا تقريبا ضد المصريين - وبعد معركة دامت ثلاث ساعات أدت إلى ضحايا من الجانبين .. توقف الاسرائيليون عن الاشتباك بعد مكاسب لا تذكر .. وعزز المصريون مواقعهم فى رأس العش ، ولم يعاود الاسرائيليون الهجوم أبدا خلال السنوات الست التالية ..

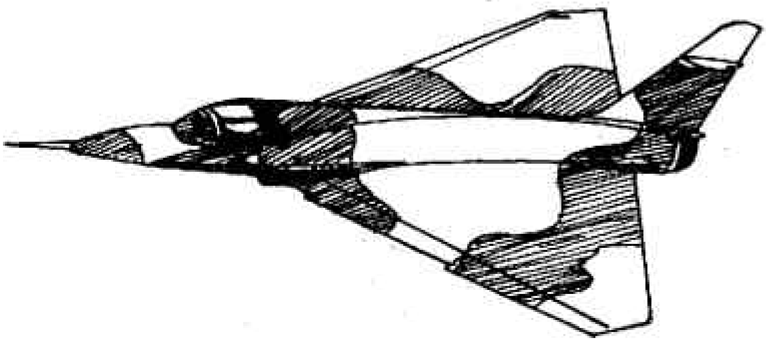
وقصة التحدى المصرية ، تعتبر ملحمة من ملاحم البطولة المصرية .. حيث قاد الرائد سمير على يوسف .. فصيلة من الصاعقة ، كان عددها أقل من ٣٠ فردا .. وواجهت وحدها قولا من الدبابات كان فى طريقه إلى احتلال بور توفيق .. وظلت هذه الفصيلة تقاتل ، حتى أن أحد أفرادها ، قد وضع لغما تحت دبابة .. فانفجرت الدبابة الاسرائيلية .. واستشهد معها ..

ظلت الفصيلة الصغيرة تقاتل حتى استشهد معظم أفرادها .. ولم يبق

منها سوى شخصين أحدهما الرائد سمير على يوسف الذى اعتقل بعد ذلك بأيام بتهمة الولاء للمشير ..

وهكذا لم تتمكن اسرائيل المنتصرة أن تحتل جزءا صغيرا من سيناء .. عندما تمسك الرجال بالأرض .. وعندما لم تصلهم أوامر بالانسحاب ..





اغـــراق ايـــلات

كان الاحباط يسيطر على الشعب المصرى ، وكنت ترى الوجوه فى الطريق ، وفى المكاتب ، وفى المنازل ، غاضبة يائسة ، وكان الظلام يشمل الشارع والنفس ، ووسط هذا الوجوم ، يسمع الشعب - من الاذاعات الأجنبية أولا - أن البحرية المصرية قد أغرقت مدمرة اسرائيلية ثمينة اسمها ايلات .. وكان الشعب لم يسمع عن ضربة الطيران المؤثرة فى سيناء يوم ١٤ يوليو ، ولم تصدر القيادة العامة بيانا على الناس .. لذلك كان لنبأ اغراق المدمرة تأثير السحر ، واعادة الأمل المفقود ، ثم نشرت تفاصيل اغراق المدمرة ايلات ، وكان الناس يلتهمون هذه التفاصيل ، ويطربون لسماعها ..

كان ذلك بعد الهزيمة بعدة أسابيع فقط .. فى ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٧ .

• • •

القوات المسلحة كان احساسها بالهزيمة مليئا بالمرارة ، ولم تصدق ، فإن ما حدث كان فوق كل تصور ، وكل خيال ، ولكنه كان - فى النهاية - .. النتيجة الطبيعية لكل التراكمات التى حدثت منذ قيام الثورة حتى مسلسل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ..

كان كل فرد فى القوات المسلحة ، شارك أو لم يشارك فى الهزيمة يريد أن يثبت لأسرته ، ولشعبه أنه لم يهزم ، ولكن من هزم هؤلاء .. الذين قادوا مصر إلى الهزيمة من غرفة العمليات ، سواء بقراراتهم السياسية أو قراراتهم العسكرية .

كان هناك سؤال ملح فى مسألة اغراق المدمرة ايلات .. وظل هذا السؤال يحيرنى على مدى سنوات .. هل تم اغراق المدمرة ايلات بأوامر من القيادة السياسية ، أو حتى من القيادة العامة .. أم أن اغراق المدمرة جاء نتيجة مبادرة من أبطال زورق الصواريخ ؟ ..

* * *

قبل الاجابة على هذا السؤال ، رأت القيادة العامة دفع أكبر قوة بحرية مصرية الى البحر الأحمر ، حيث أزمة خليج العقبة .. وبالتالى ، بعد اغلاق القناة .. وبداية العمليات العسكرية ، فلقد خرج السلاح البحرى المصرى القوى من المعركة لبعده عن مواقعها ، كما خرج سلاح الطيران بعد تدميره فى الضربة الجوية .. ولو استمر السلاح البحرى فى البحر المتوسط لأمكنه المساهمة فى كسر حدة الهزيمة .. من يدرى ؟

بعد وقف اطلاق النار ..

وبعد الهزيمة الساحقة ..

بعد كل هذا .. استباحت اسرائيل المياه الدولية أمام الشواطىء المصرية ، بل وأحيانا المياه الاقليمية ، وكانت المدمرة (يافوم) يافا ـ والمدمرة ايلات ، تقومان بدوريات أمام شاطىء بور سعيد للتخويف والاستباحة .. واستمرت المدمرتان تتبادلان الاستفزاز بعد وقف اطلاق النار وحتى يوم ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٧ .

* * *

فى تصورى أن معركة بور سعيد البحرية ، قد بدأت يوم ١١ يوليو عام ١٩٦٧ ـ قبل ضربة الطيران بثلاثة أيام ..

ففى مساء هذا اليوم ، خرج لنشان طوربيد « لاستكشاف » تلك الأهداف المعادية التى تقترب من شاطىء بور سعيد وظهرت على شاشة الرادار ..

كان لنش الطوربيد الأول بقيادة النقيب عونى أمير عازر ..

والثانى بقيادة النقيب ممدوح شمس ..

واتجه اللنشان إلى تلك الأهداف ، ولكن حدث خلل فى جهاز الرادار . فلم يعد فى امكانه تحديد الأهداف المعادية ، وفجأة شاهد ، هدفا ، معاديا ، يتجه إليه بسرعة ، فاتصل بقاعدته فى بور سعيد التى أصدرت له أمرا بتفادى الاشتباك .. ولكن .. بعد دقائق أبلغ القائد أنه اشتبك مع الأهداف المعادية التى بادرته باطلاق النيران ، وأنه أصبح فى مرمى نيران العدو ..

وتمكنت القوات البحرية الاسرائيلية من تدمير اللنشين ، وتوقف الاتصال بين اللنشين ، وبين القيادة فى بور سعيد ، وفى الصباح قامت اللنشات الحربية والمدنية والخاصة بهيئة قناة السويس بالبحث عن بقايا اللنشين ، كما قامت الطائرات المصرية بالبحث عن بقايا المعركة .. وتم العثور على أربعة أفراد على قيد الحياة وجثة الشهيد عازر .. واستشهد فى هذه المعركة ٣٤ مقاتلا بينهم ٦ ضباط[١] .

ومن التحليل الذى تم اجراؤه عن المعركة فى كل من مركز عمليات قاعدة بور سعيد ومركز العمليات البحرى بقيادة القوات البحرية برأس التين .. اتضحت الحقائق التالية :

١ ـ كانت القطع البحرية الاسرائيلية الموجودة فى المياه الدولية أى خارج المياه الاقليمية المصرية (حدود المياه الاقليمية ١٢ ميلا بحريا) وهذا ما دعا قيادة قاعدة بور سعيد وقائد سرب لنشات الطوربيد إلى عدم التفكير فى الاشتباك معها .. فقد كان قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٤ بوقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل قائما ومفعوله ساريا منذ مساء ٨ يونيو ١٩٦٧ ، ولم يكن فى سلطة أية قيادة عسكرية محلية أن تصدر أمرها بكسر هذا القرار ، واطلاق النار على أية أهداف معادية خارج المياه الاقليمية إلا فى حالات الدفاع الشرعى عن النفس .. وكان المتوقع من القطع البحرية الاسرائيلية أن تتبع نفس هذا الأسلوب الذى يتفق مع القوانين الدولية .. ولكن الذى حدث أن اللنشين المصريين تعرضا لاطلاق النار عليهما فجأة من القطع البحرية الاسرائيلية أثناء وجودهما فى المياه الدولية ..

٢ ـ تسبب الخلل الذى طرأ على أجهزة رادار سرب لنشات الطوربيد

(١) جمال حماد ـ مجلة أكتوبر ٢٨ أكتوبر ١٩٨٤ .

فى تخبط السرب فى خط سيره .. وباءت محاولات قيادة القاعدة فى توجيهه إلى الاتجاه الصحيح بالفشل .. فقد وجد السرب نفسه فجأة فى مواجهة القطع البحرية الاسرائيلية التى اتضح أنها كانت تتكون من مدمرة وثلاثة لنشات طوربيد ..

٣ ـ كان الموقف فى صالح العدو عند بدء الاشتباك من جميع الوجوه .. فقد كانت المدافع ٤٠ مم التى تتسلح بها اللنشات الاسرائيلية أبعد مرمى وأشد تأثيرا من المدافع ٢٥ مم التى تتسلح بها اللنشات المصرية ..

وكان اللنش رقم (٢) بسبب ضعف ماكيناته بعيدا فى الخلف عن اللنش رقم (١) مما حرمهما من تبادل المعاونة بالنيران .. وعلاوة على ذلك أسهمت المدمرة الاسرائيلية التى ثبت فيما بعد أنها ايلات فى معاونة لنشات الطوربيد الاسرائيلية بطريقة فعالة .. فقد استخدمت أجهزة الرادار الخاصة بها فى مواجهة وتوجيه اللنشات الاسرائيلية إلى أهدافها بدقة .. كما أخذت فى اطلاق شعلات مضيئة أضاءت المنطقة خلف لنشى الطوربيد المصريين مما أتاح الفرصة للنشات الاسرائيلية أن تكشف موقعهما بوضوح .. وأن تصب عليهما وابلا من نيران مدافعها ..

فى الوقت الذى لم يتمكن فيه اللنشان المصريان من رؤية لنشات العدو التى كان يحجبها الظلام ..

٤ ـ اتضح من السجلات الرسمية أن قائد السرب لم يطلب من قيادة قاعدة بور سعيد اصدار الأمر له بالاشتباك مع الأهداف المعادية .. كما أن قيادة القاعدة لم تصدر إليه مثل هذا الأمر بتاتا (أى أنه لم يصدر من قيادة القاعدة الأمر بالاشتباك ثم تم الغاؤه كما ذكر بعض الكتاب) .. والذى جرى أن النقيب عونى عازر قائد سرب اللنشات قام بالاشتباك مع القطع البحرية الاسرائيلية من تلقاء نفسه اعمالا لحقه فى الدفاع الشرعى عن وحدته بمجرد تعرضه لنيران مدافع العدو .. ورغم انفجار اللنش رقم (٢) فإن النقيب عونى عازر لم يحاول التخلص من الاشتباك مع العدو والعودة إلى قاعدته .. بل أصر رغم تفوق العدو الساحق عليه ، ورغم نيرانه الكثيفة على مواصلة التقدم باللنش رقم (١) فى اتجاه القطع البحرية الاسرائيلية ..

ولم يتخذ قراره بالعودة إلى الميناء إلا فى الدقيقة ٥٠ بعد منتصف الليل عندما أبلغ قيادة بور سعيد أن اللنش رقم (١) الذى يتولى قيادته أصيب باصابة تمنعه من الاشتباك .. ولكن القدر لم يمهله .. فلم تلبث النيران أن اشتعلت فى اللنش .. وواجه لنشا الطوربيد (١) و (٢) نفس المصير وهويا بعد قليل بطاقميهما إلى الأعماق مسجلين أروع آيات البطولة والفداء ..

وفى أعقاب المعركة تمت احالة قائد القاعدة العقيد بحرى سميح إلى التقاعد بناء على تعليمات القائد العام للقوات المسلحة بعد أن نسبت إليه بعض الأخطاء الفنية .. فقد اعتبر أن الواجب كان يحتم عليه اعادة سرب لنشات الطوربيد إلى قاعدته فى بور سعيد بمجرد اكتشافه الخلل الذى طرأ على أجهزة الرادار الخاصة .. بدلا من تلك المحاولات التى بذلها لتصحيح مسار السرب عن طريق الاشارات اللاسلكية التى أرسلها والتى باءت كلها بالفشل ..

كذلك سجل عليه ذلك التصرف الخاطىء الذى ارتكبه بتكراره لقائد السرب الأمر بتفادى الاشتباك مع العدو حينما أخطره النقيب عونى عازر فى الدقيقة ١٥ بعد منتصف الليل أن هدفا معاديا قد أخذ يقترب منه بسرعة .. إذ كان الواجب يفرض عليه أن يترك التصرف فى هذا الموقف لقائد السرب وفقا لتقديره الشخصى .. خاصة أنه سبق أن أصدر الأمر بتفادى الاشتباك أثناء عملية التلقين التى تمت فى حوالى العاشرة والنصف مساء فى مركز عمليات القاعدة قبل خروجه للمهمة الموكولة إليه ..

• • •

بعد هذه المعركة .. واستشهاد هؤلاء الأبطال ، أحدثت حالة من التحفز للانتقام بين جميع أفراد القوات البحرية ..

يقول الفريق بحرى فؤاد أبو ذكرى : أن جميع أفراد القوات البحرية يتسابقون للخروج فى مهام قتالية انتقاما من العدو الغادر .. وطلب البعض الاغارة على ميناء حيفا انتقاما لشهداء معركة يوليو ١٩٦٧ ..

الصواريخ قد تمكن من أن يرسل إلى قاع البحر مدمرة اسرائيلية كبيرة كانت تعد وقتئذ احدى مفاخر البحرية الاسرائيلية ، ولم تكن لدى اسرائيل مدمرة أخرى من طرازها سوى المدمرة « يافو » .. أما المدمرة الثالثة التى كانت تمتلكها وهى المدمرة « حيفا » ، فقد كانت من طراز أصغر حجما وأقل حمولة ، وهو صناعة انجليزية ..

ولكى يمكننا اجراء التحليل الفنى لمعركة بور سعيد تحليلا سليما حتى يمكن تصور الفرق الهائل فى الامكانات والقدرات ما بين طرفى المعركة .. وهما المدمرة ايلات الاسرائيلية ولنش الصواريخ المصرى .. نذكر فيما يلى مواصفات الطرفين :

* **مواصفات المدمرة ايلات :**

انجليزية الصنع .. الحمولة ٢٥٧٥ طنا .. الأبعاد بالأمتار الطول ١١١ العرض ١١ الغاطس ٥.. السرعة ٣١ عقدة (ميل بحرى فى الساعة) .. التسليح ٤ مدافع عيار ٤,٥ بوصة و ٦ مدافع عيار ٤٠ مم و ٨ أنابيب طوربيد ، مدى الابحار ٢٨٠٠ ميل بحرى .. عدد أفراد الطاقم ١٨٦ ضابطا وجنديا ..

* **مواصفات لنش الصواريخ المصرى :**

طراز كومار سوفييتى الصنع .. الحمولة ٨٥ طنا .. الأبعاد بالأمتار الطول ٢٧ العرض ٦ الغاطس ١,٥ .. السرعة ٤٠ عقدة .. التسليح صاروخان موجهان ومدفع واحد مزدوج عيار ٢٥ مم ، مدى الابحار ٤٠٠ ميل بحرى .. عدد أفراد الطاقم ٣ ضباط و ١٦ جنديا ..

* **مواصفات الصاروخ الموجه :**

طراز ستايكس السوفييتى الصنع .. المدى ٣٤ ميلا بحريا .. سرعة الطيران ٠,٩ ماخ (سرعة الصوت) ارتفاع الطيران يتراوح بين ١٠٠ متر و ٣٠٠ متر .. الوزن ٢٠٠٠ كجم .. وزن العبوة المتفجرة ٥٠٠ كجم .. هذا وترجع أهمية معركة بور سعيد من الناحية الحربية إلى أنها كانت الاختبار الميدانى الفعلى للجيل الأول من الصواريخ البحرية .. وهى

وبدأت المعركة ..

أطلق النقيب أحمد شاكر الصاروخ الأول على المدمرة ايلات ..

وبعد أقل من أربع دقائق أطلق الصاروخ الثانى على المدمرة ايلات وأصاب الصاروخان الهدف ..

واشتعلت النيران فى المدمرة ..

وعاد الزورق بأفراده إلى بور سعيد منتصرا ..

إلا أن ايلات مازالت فى مكانها .. لم تغرق بعد ..

فصدرت الأوامر إلى لنش الصواريخ رقم ٥٠١ بقيادة النقيب لطفى جاد الله بالخروج إلى موقع ايلات ..

وهناك أطلق النقيب لطفى جاد الله صاروخين على المدمرة المشتعلة ..

فهوت فى القاع بمن عليها ..

* * *

وبعد ساعتين بدأت اسرائيل في القيام بعمليات انقاذ ضخمة .. ويقال أن اسرائيل حصلت على الضوء الأخضر من القيادة السياسية لتبحث عن جثث قتلاها .. وأعلنت أن قواتها لن تشتبك ، لأن مهمتها انحصرت فى البحث عن القتلى .. وانقاذ الأحياء .

* * *

وهكذا .. انتقمت البحرية المصرية لاستشهاد النقيب عازر ورفاقه .. وكان الانتقام رهيبا .. اغراق ثلث مدمرات اسرائيل ومصرع العشرات من بحريتها .. بل وتغيير جذرى فى الفكر الاستراتيجى ..

* * *

• يقول المؤرخ العسكرى المصرى الأستاذ جمال حماد فى مجلة أكتوبر (٢٨ أكتوبر عام ١٩٨٤) :

ـ وكان أشد ما أثار دهشة العالم أن سربا مصريا صغيرًا من لنشات

وجاء وقت الانتقام ..

ظهر على شاشة قاعدة بور سعيد البحرية هدفان كبيران .. الأول بدأ يبتعد عن بور سعيد .. والثانى بدأ يقترب من سواحل بور سعيد ..

أعطيت على الفور الأوامر إلى سرب من لنشات الصواريخ بقيادة النقيب أحمد شاكر بالابحار والاشتباك فورا مع الهدف البحرى الاسرائيلى .. وأن الطائرات المصرية سوف تقوم بحمايته ..

• • •

وخرج السرب .. وكل جنوده سعداء بهذه الأوامر الواضحة الجديدة .. والتى يبدو أنها صدرت عن القيادة المحلية لقاعدة بور سعيد ..

كان قد سبق لهذا السرب .. أن أخذ مثل هذه الأوامر ثم إلغيت مرة أخرى .. وتكرر ذلك .. رغم قدرتهم فى كل هذه المراحل على الاشتباك ..

وقبل الاشتباك .. تم الاتصال بقائد السرب .. وتم اخطاره بأنه لن يكون هناك غطاء جوى له فى المعركة .. واعتبر هذه مقدمة لالغاء الأمر الصريح بالدخول فى المعركة .. وهنا ـ كما تؤكد الكثير من الروايات ـ قام باغلاق جهاز اللاسلكى .. حتى لا يتلقى أمرا بالانسحاب من المعركة قبل أن يدخلها ..

وظهرت أمامه على شاشة الرادار هذا الهدف البحرى الثمين المدمرة ايلات ..

وهذه المدمرة واحدة من ثلاث مدمرات تملكهما اسرائيل وهى انجليزية الصنع .. عليها ٤ مدافع عيار ٤,٥ بوصة و ٦ مدافع عيار ٤٠ ملليمتر و ٨ أنابيب طوربيد .. إنها تملك قوة نيران هائلة .. وعدد أفراد طاقمها ١٨٦ بين ضابط وجندى .. وايلات حمولة ٢٥٧٥ طنا ..

والزورق المصرى (كومار) سوفييتى الصنع .. حمولته ٨٥ طنا ، ومدفع واحد عيار ٢٥ ملليمترا وصاروخان .. وعدد أفراد طاقم الزورق ١٩ بينهم ٣ ضباط ..

• • •

الصواريخ من طراز ستايكس السوفييتية الصنع .. كما كانت الاختبار الميدانى الأول للنشات الصواريخ .. وهى تلك الوحدات البحرية الصغيرة الحجم .. ذات القدرات القتالية الهائلة ..

لقد كانت هذه المعركة بمثابة اشارة الانطلاق لهذا المارد الصغير الذى أثر تأثيرا بالغا على الفكر الاستراتيجى البحرى على المستوى العالمى .. وقد أمكن للنقيب أحمد شاكر والنقيب لطفى جاد الله استغلال ميزات الصاروخ ستايكس خلال معركة بور سعيد بكفاء عالية ومهارة .. فقد حرصا على عدم اقتراب لنشى الطوربيد رقم ٥٠٤ و ٥٠١ إلى مسافة تقل عن عشرة أميال بحرية من المدمرة ايلات .. وتم اطلاق الصواريخ الأربعة من اللنشين على المدمرة من مسافة تتراوح بين ١٠ و ١١ ميلا بحريا .. دون أن تتمكن المدمرة من اطلاق النيران على لنشيهما لعدم دخولهما فى المدى المؤثر لمدافعها ..

ونظرا لأن الصاروخ ستايكس مزود بأجهزة تجعله يوجه نفسه ذاتيا صوب الهدف بمجرد اقترابه منه .. لذلك لم تتمكن المدمرة ايلات من الافلات من الصواريخ التى أطلقت عليها ..

وقد ثبت ذلك من أقوال شلومو اريل قائد البحرية الاسرائيلية وقتئذ .. فقد ذكر فى المؤتمر الصحفى الذى عقده يوم ٢٢ أكتوبر ما يلى .. لقد حاولت المدمرة ايلات تغيير اتجاهها لتفادى الصاروخ الذى وجه إليها من لنش الصواريخ المصرى .. ولكن الصاروخ غير اتجاهه فى نفس الوقت معها ليصيبها ..

وبعد أن تكشف للعالم فى أعقاب معركة بور سعيد مدى خطورة الوحدات البحرية الصغيرة المسلحة بالصواريخ الموجهة بدأت الأساطيل البحرية للدول الكبرى والتى كانت تجوب البحار والمحيطات بحرية تامة تعمل حساب هذا الخطر الجديد الذى أصبح يهدد جولاتها البحرية الواسعة النطاق بأفدح الأخطار ..

إن الخطر الأساسى للنشات الصواريخ يكمن فى رخص ثمنها بالنسبة للسفن الحربية الكبيرة .. مما يجعلها فى متناول ميزانيات التسليح المتواضعة

للدول النامية .. إذ أصبح فى امكان هذه الدول شراء تلك اللنشات الصغيرة ذات القوة التدميرية العالية التى تؤهلها لمواجهة السفن البحرية الكبيرة ذات التسليح المتفوق ، بل وتشكل لها خطرا مؤكدا فإن هذه اللنشات تتميز بعدد من الميزات التى جعلت منها رغم صغر حجمها ورخص ثمنها منافسا خطيرا يقف موقف الند للند للسفن الحربية الكبيرة ..

وإذا كان حجمها الصغير وحمولتها المحدودة يحدان من مقدرتها على حمل أنواع وكميات وفيرة من الأسلحة و الذخائر ، فإنهما فى نفس الوقت يهيئان لها ميزة كبرى فى الحرب البحرية .. وهى صعوبة اكتشافها سواء بأجهزة الرادار .. أو بالوسائل الأخرى ..

ويضيف الكاتب العسكرى الأمريكى تريفور ن . دويوى فى كتابه النصر المحير عن هذه الحادثة فيقول :

- على الرغم من أنه لم تقع أحداث كبيرة على طول القناة خلال هذه الفترة .. فقد تم اغراق سفينة القيادة فى الأسطول الاسرائيلى المدمرة ايلات فى البحر المتوسط .. أمام بور سعيد وذلك يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ - لقد كان الأسطول الاسرائيلى تقليديا أضعف أسلحة الخدمة الثلاثة .. إذ كان ينقصه التسليح نقصا حادا .. وكذلك الرجال .. لقصر نفقات الدفاع الاسرائيلى على الجيش والقوات الجوية .. ووجد الأسطول نفسه بعد معمعة حرب الأيام الستة - مكلفا بأعمال الداورية على طول شواطىء جديدة تبلغ ٦٦٠ كم (وبمجموع كلى يبلغ ٩٠٠ كم) وذلك بأسطول لا يضم سوى مدمرتين فقط ..

ولما تركت ايلات مرفأها يوم ٢١ أكتوبر للقيام بداوريتها اليومية لساحل سيناء ، كانت تفتقد الدعم الجوى أو البحرى .. فلما مرت بالقرب من ميناء بور سعيد ، داخل المياه الاقليمية المصرية .. تم ضربها واغراقها بثلاثة صواريخ أطلقت من قوارب الصواريخ طراز أوسا السوفييتية الصنع من داخل الميناء ..

وقتل من بحارة ايلات البالغ عددهم ٢٠٠ رجل ، ٤٧ وجرح ٩١ - وقامت اسرائيل فى ٢٤ أكتوبر بالانتقام لغرق الباخرة ايلات بضرب معامل

تكرير البترول بالقرب من مدينة السويس واشعال النار فى خزانات الوقود ..

وبطلب من المراقبين فى لجنة مراقبة الهدنة للأمم المتحدة .. امتنع المصريون عن اطلاق النار على عمليات البحث والانقاذ الاسرائيلية القائمة بالقرب من مكان غرق الباخرة ايلات ..

وهكذا .. وبمنطق غريب .. أحس المصريون أن الانتقام الاسرائيلى ضد المنشآت المدنية أمر غير سليم ولا انسانى .. ولعل العمل الانتقامى الاسرائيلى كان له بعض الأثر الرادع للمصريين .. إذ خف توتر القتال وحدته خلال الأحد عشر شهرا التالية على طول جبهة السويس وبشكل ملحوظ .. إلا أن السبب الأقرب للفهم هو أن المصريين بعد أن عبروا عن تحديهم واحرازهم للنصر باغراق ايلات ، وجهوا اهتمامهم لاعادة بناء قواتهم العسكرية .. والتى كانت مهلهلة بشكل يدعو للأسى ..

* * *

أريد أن أقول تعليقا على عمليتى الطيران والبحرية ، واللتين حدثتا فى أجواء الهزيمة ، أن اسرائيل خلال معارك يونيو كانت تواجه القيادة السياسية والعسكرية .. ولم تواجه القوات المسلحة إلا فيما ندر ..

ولكن ..

فى اليوم السابع من حرب يونيو .. حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ..واجهت فعلا القوات المسلحة المصرية ، بعنادها .. بعطائها .. بقدرة رجالها .. بل يمكن أن نقول أنه ابتداء من اليوم السابع ، فإن المواجهة المصرية الاسرائيلية المسلحة .. كانت حصيلتها الاجمالية - ابتداء من اليوم السابع - فى صالح القوات المسلحة ، وإن حرب يونيو كانت مذبحة للأبرياء من رجالنا ..

* * *

الفصل السادس

الأبطال يتكلمون

المشير عبد الغنى الجمسى

شهادة للتاريخ

المشير عبد الغنى الجمسى ، القائد العام للقوات المسلحة بعد حرب أكتوبر ، وواحد من الذين يعيشون فى وجدان الشعب المصرى كقائد لأول انتصار عسكرى مصرى على العدو الاسرائيلى ، وساهم مساهمة فعالة فى حرب الاستنزاف التى دربت قواتنا على يوم العبور العظيم ، وتحطيم أسطورة العدو الذى لا يقهر ..

المشير عبد الغنى الجمسى ، واحد من عباقرة الحروب ، يملك طاقة عسكرية نادرة ، هذه الطاقة العسكرية ، وغيرها من الطاقات ، تعطلت تماما فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وقيدت تماما ، فلم تملك الانطلاق لمواجهة العدو الاسرائيلى فى تلك الحرب .

• • •

• المشير الجمسى يتذكر تلك الأيام :

ـ الحرب هى تحقيق هدف استراتيجى ، يكون واضحا للمقاتلين ثم توضع الخطة أو الخطط التى تحقق هذا الهدف الاستراتيجى ، والسؤال .. ما هى المهمة الاستراتيجية للقوات المسلحة المصرية فى ذلك الوقت ؟ .. المهمة الاستراتيجية تنبع من الهدف السياسى ، وكان الهدف هو : مساعدة سوريا ، ومعنى ذلك أن يكون لدينا التخطيط لتحقيق هذه المساعدة .. وهذا

لم يكن موجودا على الاطلاق .. نعم لم يكن لدى القوات المسلحة استراتيجة عليا تربط الهدف السياسى بالهدف العسكرى ولو كانت هناك استراتيجية عليا ، لبحث العوامل السياسية خارجيا وداخليا ، والعوامل العسكرية والاقتصادية .. ولو قاموا بدراسة كل هذه العوامل ، قبل اتخاذ أى إجراء ما وقعنا فيما وقعنا فيه من أخطاء ، إذن فالأساس هنا فى عدم وجود استراتيجية ، بصرف النظر عن تفوق إسرائيل ، أو تفوق أى دولة مساندة ..

* يقول المشير الجمسى :

ـــ ولكن الرئيس جمال عبد الناصر لعب لعبة خطيرة ، ربما لو نجحت لحققت الكثير لمصر والعرب .

يقول عبد الغنى الجمسى :

* هل كان فى استطاعة القوات الجوية المصرية القيام بالضربة الجوية الأولى ؟ أن تقوم الطائرات المصرية بالضربة الجوية الأولى ـ ونحن فى حالة دفاع معناه أن تقوم القوات بالتحرك لتحقيق الهدف السياسى .. وهنا أقول إن القوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٧ لم تكن قادرة على تحقيق الهدف السياسى ، ومعنى ذلك أن الضربة الجوية لنا لن تحقق أى شىء ثم لكى تقوم بالضربة الجوية الأولى لابد أن تبحث عن عدة نواح فنية هامة .. ما هى أنواع الطائرات التى لدينا ؟ .. ما مدى طيران هذه الطائرات ؟ ما هو تسليح هذه الطائرات ؟ .. أعتقد أن قواتنا الجوية فى ذلك الوقت ما كان يمكنها أن تقوم بضربة جوية ضد القواعد الجوية الاسرائيلية بعمقها وانتشارها ..

ولذلك .. فإن القرار السياسى الذى أصدره الرئيس جمال عبد الناصر بعدم القيام بالضربة الأولى كما فهمته من مذكرات الأستاذ الفاضل الذى أثق فى قوله الأستاذ محمود رياض وزير خارجية مصر فى ذلك الوقت ـ أن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون قد حذر مصر من بدء الأعمال العسكرية .. واكتفى عبد الناصر بالحرب مع اسرائيل والتزم بعدم البدء بالحرب حتى لا يحارب أمريكا واسرائيل معا على حد الأقوال .. ولكن

الحقيقة كانت أمريكا وراء إسرائيل فى هذه الحرب ، وتم التخطيط بعناية لها .. ثم أعطت أمريكا لاسرائيل الضوء الأخضر للقيام بالضرب ..

• يقول المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ أمريكا حذرت عبد الناصر بعدم بدء العمليات العسكرية لسببين :

الأول : لتكشف نواياه .. وأنه لن يبدأ فعلا الحرب .. وبالتالى تعطى المبادأة بالكامل لاسرائيل ..

الثانى : لكى تتحول القوات المصرية إلى حالة دفاع .. وأمريكا تعلم أن لاسرائيل التفوق العسكرى .. ولها القدرة العسكرية على النجاح فى هذه الحرب ..

ونجحت إسرائيل .. ووضعت مصر فى مأزق سياسى .. ووضعت القوات المسلحة المصرية فى موقف لا تحسد عليه .. وكل هذا لأن أمريكا قد لعبت الدور الرئيسى مع إسرائيل فى هذه الحرب .. وتمكنت أمريكا من تقليص الدور السياسى والعسكرى لمصر ..

• • •

• المشير عبد الغنى الجمسى يتذكر :

ـ فى بداية عام ١٩٦٧ كان هناك تخفيض أو ترشيد فى ميزانية الدولة .. انعكس هذا بدوره على كل القوات المسلحة ، ومن بين هذا « الترشيد » قرار وزارى أصدره شمس بدران وزير الحربية فى ذلك الوقت بتسريح المجندين قبل موعدهم بثلاثة أشهر ، حتى يوفر لميزانية الدولة ، ولم يكن يعلم أن الأمور ستتطور إلى حرب ، وعندما حدثت أزمة مايو ، قام باستدعاء الاحتياطى ولم يكن مدرباً على الاطلاق ـ ونظرا لوجود القوات الرئيسية فى اليمن ـ فكان الاعتماد على الاحتياطى ، والذى أوصل القوات المسلحة إلى أدنى مستوى ممكن أن تكون عليه ، وهى فى طريقها إلى الحرب ، بالاضافة إلى أن عام ١٩٦٧ ، يعتبر ـ قبل الحرب ـ هو أسوأ عام تدريبى مر على القوات المسلحة .

• • •

* المشير عبد الغنى الجمسى يتحدث عن أسباب هزيمة يونيو :

ـ القيادة العليا للقوات المسلحة ، وأعنى بها المشير عبد الحكيم عامر وشمس بدران ، قد اتبعا ـ قبل الحرب بسنوات ـ أسلوبا فريدا ، وهو القيادة للولاء وليست للكفاءة ـ أثرت هذه السياسة تأثيرا شديدا على كفاءة القوات المسلحة وكم كنت أتمنى أن يكون المحترفون هم الذين يتولون القيادة .. فولاء القوات المسلحة لمصر وتأمينها ضد الاعتداء الخارجى ، وكان يتمنى هذا الكثير من أفراد القوات المسلحة .. وتطبيقا لهذه السياسة لم يعد هناك الترابط بين القائد وأفراد قوته ، ولم يحدث الاندماج بين القائد وقواته .. ولم يتم الانصهار المطلوب فى الوحدة القتالية ، ولقد حدثت حركة تنقلات أكثر من مرة انطلاقا من مبدأ الولاء لا الكفاءة ، فتم إبعاد الكثير من المحترفين القادرين على قيادة القوات المسلحة ، وكل ولائهم لمصر ، وما كان يجب أن تلعب القوات المسلحة أى دور سياسى ، فإننى أرى أنه لو دخلت السياسة فى القوات المسلحة .. أفسدتها ..

وهنا يجرنا الحديث عن دور المخابرات الحربية ، فالمخابرات الحربية فى أى جيش مهمتها الوصول والحصول على معلومات دائمة ومستمرة ودقيقة عن العدو وحماية القوات المسلحة من تسلل العدو إلى صفوف هذه القوات .. ثم تأتى المعلومات إلى هيئة العمليات ، والتى تخطط على ضوء تدفق المعلومات عن العدو من جهاز المخابرات ، والعمليات والمخابرات يتكاملان ويتبعان رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ..

وهذا النظام متبع فى الدول الشرقية ، وفى الدول الغربية تحت مسميات مختلفة .. ولكن مشكلتنا قبل حرب عام ١٩٦٧ أن المخابرات قد انزلقت بعيدا عن مهمتها وهدفها .. فكان الهدف الرئيسى لها هو الأمن الداخلى للقوات المسلحة وما يمكن أن تشكله من ولاء للنظام ، فابتعدت عن العدو ، لذلك كانت معلومات المخابرات عن العدو خاطئة أو مبتورة أو ضعيفة ، وسأضرب مثلا .. لو قارنا بين ما قامت به المخابرات من جهد سليم بعد يونيو عام ١٩٦٧ ، حيث ركزت كل جهودها على العدو .. فكانت سببا من أسباب انتصارنا فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .. بعد أن كانت سببا من أسباب هزيمتنا فى حرب عام ١٩٦٧ ..

رغم حالة القوات المسلحة التى تعلمها القيادة السياسية ، رغم عدم وجود استراتيجية للقوات ، فإن هذه القيادة قد اتخذت كل الاجراءات التى تدفع بالحرب ، يقول المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ القيادة السياسية اتخذت هذه الاجراءات لأسباب سياسية معلنة وهى مساندة سوريا فى حالة العدوان الاسرائيلى عليها ، إلا أنها طلبت سحب قوات الطوارىء الدولية من الحدود الشرقية ، ثم دخلت قواتنا شرم الشيخ .. ووضعت هذه القرارت مصر كلها فى مأزق : هل تغلق مصر المضايق فى وجه الملاحة البحرية الاسرائيلية ، أم تترك حرية الملاحة فى مضايق تيران أمام اسرائيل ؟ فاتخذت القيادة السياسية قرار اغلاق المضايق ، وهو قرار سابق لأوانه على ضوء القدرة القتالية لقواتنا المسلحة ، وما كان يجب أن يتخذ هذا القرار بهذا التسرع دون بحث ردود فعله المتوقعة والنتائج المترتبة عليه قبل أن تقدم على هذا العمل السياسى ، والذى كان له تأثير جذرى على القوات المسلحة ..

• يقول المشير عبد الغنى الجمسى :

عقد الرئيس مؤتمرا ـ قبل اغلاق خليج العقبة ـ مع أعضاء سابقين لمجلس قيادة الثورة بصفتهم لجنة تنفيذية عليا ـ كما أكد ذلك الرئيس أنور السادات فى كتابه البحث عن الذات ـ فسأل الحاضرون المشير عبد الحكيم عامر فى هذا المؤتمر :

ـ هل القوات جاهزة يا عبد الحكيم ؟

وكان رده :

ـ برقبتى ياريس .

وهذا كلام سطحى من رجل عسكرى . فكيف يتم اتخاذ القرار السياسى بناء على هذا الكلام السطحى ، كان يجب قبل اتخاذ القرارات السياسية الخطيرة التى تم اتخاذها فى مايو عام ١٩٦٧ ، أن يعقد مؤتمرا للقادة العسكريين فى القوات المسلحة .. ويسمع رأيهم كاملا وبموضوعية ، بناء على القدرات الحقيقية للقوات بالمقارنة مع قوات العدو ، لأن العسكرية هى

امتداد للسياسة بوسائل اخرى ، بعدها يتخذ القرار السياسى والذى سوف يتحمل تنفيذه العسكريون ..

• • •

• يقول المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ كانت هناك خطة دفاعية « قاهر » ، وقد تم وضعها قبل أزمة مايو عام ١٩٦٧ بوقت طويل ، ولكن حرب اليمن جذبت القيادة العامة للقوات المسلحة بعيدا عن المجهود الرئيسى للدولة وهو العدو الأسرائيلى .. وقد أدى ذلك الى عدم الأهتما م بالخطة قاهر .. ولم تنفذ كما يجب .. فلقد كان اتجاه القيادتين السياسية والعسكرية صوب اليمن على مدى الخمس سنوات التى سبقت الحرب لذلك فان حرب اليمن كانت السبب الرئيسى الذى عطل القوات المسلحة عن الأستعداد للمجهود الرئيسى وهو العدو الاسرائيلى ، فالقوة الضاربة فى اليمن ، وفى نفس الوقت فان الخطوط الدفاعية الرئيسية فى سيناء لم تكن كاملة التجهيز بما فى ذلك خط المضايق ..

• • يؤكد المشير عبد الغنى الجمسى هنا أن خط المضايق هو اخر الخطوط الدفاعية من الشرق ، وأكرر هذه الحقيقة مرة اخرى أن خط المضايق هو اخر الخطوط الدفاعية عن مصر من الشرق ..

• • •

• يقول المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ السؤال الأن .. هل كانت القوات المسلحة عام ١٩٦٧ قادرة على تنفيذ الخطة الدفاعية قاهر ؟ .. وهنا يجدر بنا مرة أخرى أن نقول أن القوات المسلحة لم تكن قادرة على تنفيذ هذه الخطة ، فلم يكن لدينا داخل حدودنا القوات التى يمكن استخدامها لتنفيذ الخطة قاهر .. لماذا ؟ .. لأن ثلث القوات فى اليمن .. اعتمدنا على احتياطى غير مدرب .. وهذا أدى الى الكارثة .. ولكن لو أن قواتنا موجودة داخل مصر مع تنفيذ خطة التعبئة فى ذلك الوقت والدفاعات الموجودة بالخطة جاهزة ، اعتقد أن القوات المسلحة كان يمكنها القيام بعملية دفاعية ناجحة وجيدة .. فاذا تصورنا أن القوات موجودة ،

والتجهيزات كاملة ، وقيادة عسكرية قادرة على قيادة الحرب لاختلف الموقف تماما ، ولكن الحقيقة لم يكن لدينا القيادة العسكرية التى يمكنها قيادة الحرب ، كما لم يكن لدينا القوات الكافية المقاتلة التى يمكنها الدفاع ، وخطوطنا الدفاعية لم تكن جاهزة .. باختصار ودون الدخول فى تفاصيل كثيرة .. لم تكن الخطة قاهر جاهزة للتنفيذ ..

• • •

* يتذكر المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ تشكل المركز المتقدم للجبهة بقيادة الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى والمشير أحمد اسماعيل .. وأنا . وأحب أن أوضح أنه كان فى سيناء قيادة الجيش الميدانى (قيادة المنطقة الشرقية) بقيادة الفريق صلاح محسن ، وكانت هناك القيادة العامة للقوات المسلحة فى القاهرة وهى التى تدير المعركة .. وبالتالى لم يكن هناك فائدة لايجاد قيادة جديدة تحت اسم مركز القيادة المتقدم وليس القيادة المتقدمة لجميع القوات المسلحة الموجودة فى سيناء يقودها ويعطيها الأوامر قائد الجيش الميدانى (الفريق صلاح محسن) ويتلقى قائد الجيش الميدانى أوامره من القيادة العامة (المشير عبد الحكيم عامر) فى القاهرة ، فما فائدة هذه القيادة التى سميت فى ذلك الوقت خطأ قيادة جبهة سيناء ، لأن معنى قيادة الجبهة أنها تقود أكثر من جيش . لذلك أعلن ـ هنا ـ أن القيادة المتقدمة أو مركز القيادة المتقدم لم يكن يقود أحدا فى سيناء ..

* يتذكر المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ عندما ارسلت قوات الى شرم الشيخ (محور جديد) أصبحت تتبع القيادة العامة فى القاهرة مباشرة ، وكانت القيادة العامة بالقاهرة تقود فى اتجاهين ، الجيش الميدانى بقيادة الفريق صلاح محسن ومحور شرم الشيخ ..

* يؤكد المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ وأنا أقرر هنا أن مركز القيادة المتقدم لم يكن له أى دور فى سلسلة

القيادة ، ولم يقم بعمل له فائدة خلال فترة الحرب بالكامل ، والدليل على ذلك أن اخطر قرار اتخذته القيادة العامة اثناء الحرب لم يبلغ لمركز القيادة المتقدم وهو القرار الثقيل .. قرار الأنسحاب .. ولم نعلم بهذا القرار الذى صدر مساء السادس من يونيو الأ صباح السابع من يونيو ، حيث كانت القوات المسلحة فى سيناء تنسحب فعلا الى غرب قناة السويس ، بل أن القيادة العامة لم تأخذ رأى الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى قائد المركز المتقدم ، بل لم تفكر أن تسمع منه نصيحة فى قرار خطير مثل هذا القرار ..

• يؤكد المشير عبد الغنى الجمسى :

- ان مركز القيادة المتقدم لم يتلق أوامر من القيادة العامة ، كما لم تصدر اوامر للقوات الموجودة فى سيناء ، وكان القائد يعرف بالاوامر عندما يتصل بقائد الجيش الميدانى ..

• • •

• يقول المشير عبد الغنى الجمسى :

- يأتى الحديث بعد ذلك عن المأساة أو الكارثة ، وأعنى بها قرار الأنسحاب ، وأنا هنا يهمنى من اصدار هذا القرار ، هل هو الرئيس عبد الناصر ؟ هل هو المشير عبد الحكيم عامر ؟ .. هل بالاشتراك بينهما ، رغم اننى لا اتصور ان القائد العام يجرؤ أن يأخذ مثل هذا القرار دون الرجوع الى القيادة السياسية ، لأنه قرار خطير يؤثر على سياسة الدولة ، ولا يمكن أن يتخذه قائد وحده .. ولكن .. السؤال ما هو نتيجة هذا القرار ؟ ..

لقد كان له تأثير سيىء على الروح المعنوية للقوات .. وهو سبب رئيسى من اسباب الهزيمة .. خسرنا بسببه سيناء .. أخليناها بدون مبرر ، لقد كانت الضربة الجوية سببا رئيسيا آخر من اسباب الهزيمة ، فجاء الأنسحاب ليكمل الهزيمة .

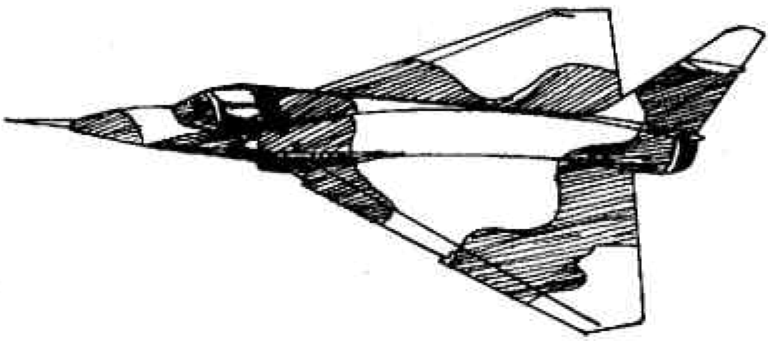
• • •

• يقول المشير عبد الغنى الجمسى :

ـ لو أنى كنت القائد العام للقوات المسلحة فى ذلك الوقت ، لكانت أوامرى للقوات المسلحة بالدفاع عن خط المضايق ، آخر خطوطنا الدفاعية عن مصر من الشرق ، بل كان هذا من صميم اختصاصات وواجبات قائد الجيش الميدانى بل لو لم يتخذ قائد الجيش هذا القرار بنفسه .. كان يجب على القيادة العسكرية أن تتدخل بمبادأة منها وتوقف القوات عند خط المضايق .. ولنا فى التاريخ اسوة وعبرة .

• • •

انتهت شهادة المشير عبد الغنى الجمسى .. القائد العام للقوات المسلحة بعد حرب اكتوبر .. واحد ابطالها البارزين ..



عبدالناصر وعامر
مسئولان عن الهزيمة

شهادة كمال حسن على

كمال حسن على .. اشترك فى حرب عام ١٩٦٧ ، كقائد لواء مدرع من الفرقة الرابعة المدرعة ، التى ذبحت فى سيناء بأوامر مصرية وبطيران اسرائيلى ..

كمال حسن على .. فقد اللواء المدرع فى عام ١٩٦٧ ، وهو نفسه كان واحداً من القادة الذين جاءوا بالنصر لمصر عام ١٩٧٣ ..

كمال حسن على .. واحد من قادة مصر العظام .. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، وحصل على فرقة مدرعات فى انجلترا عام ١٩٥٠ ، وحصل على دورة قادة ألوية بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٩ ، وأكاديمية ناصر العليا عام ١٩٧٠ ..

كمال حسن على .. قاد سرية دبابات فى الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين ، وعمل معلما بمدرسة المدرعات ، ثم اركان حرب القيادة الشرقية .. وقائد اللواء المدرع ٧٠ فى سوريا ، وقائد الفرقة ٢١ المدرعة أثناء حرب الاستنزاف ، ومدير سلاح المدرعات فى حرب أكتوبر ، ثم رئيس جهاز المخابرات ، فوزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ، ثم نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ثم رئيس مجلس الوزراء عام ١٩٨٤ ..

ومن خلال مناصبه العسكرية ـ بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ـ شاهد أسرار الهزيمة بكل ضخامتها .. من هنا كانت لشهادته قيمة كبيرة ..

* * *

الفريق كمال حسن على يتذكر مأساتنا فى حرب يونيو ، وكان قائد اللواء المدرع الذى عاد الى المضايق ، يتذكر فيقول :

ـ صدرت الأوامر للفرقة الرابعة المدرعة بالانسحاب غرب القناة .. وتمكنت من ذلك ، وصدرت الأوامر بالتوجه الى الهاكستب ، واتجه لواء ميكانيكى الى شرق القاهرة ، ثم طلب من الفرقة أن تعود مرة أخرى الى المضايق لستر انسحاب القوات ، وجاء أمر العودة نتيجة تبليغ خاطىء للقيادة فى القاهرة ، بأن الفرقة الرابعة المدرعة جاهزة للعودة الى سيناء ، ولم تكن الفرقة جاهزة لعدة أسباب .

ـ اللواء الميكانيكى وجه الى الهاكستب ..

ـ اللواء المدرع الثانى الذى أقوده ، قد دفع الى قرب الحدود فى منطقة قريبة من القسيمة ، ثم أعيد.يوم ٦ يونيو الى تمادا ثم صدرت له أوامر بالانسحاب الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ٧ يونيو فاستنفد كل وقوده ، وكان لابد من اعادة تموينه ..

ـ ما حدث للواء الثانى المدرع ، حدث لكل الفرقة الرابعة ..

* * *

يتذكر الفريق كمال حسن على :

ـ وصلنا الى نقطة جنوب البحيرات ولم يكن لدينا نقطة سولار واحدة أو سمر ديزل ،وهو الوقود اللازم للدبابات .. ولم يأت الوقود الا الساعة الثانية صباح يوم ٨ يونيو ، وتقدم اللواء الى المضايق فى الرابعة والنصف صباحا ، وفى السابعة صباحا بدأ الاشتباك مع العدو ، ثم تعرض اللواء للضرب الجوى من طيران العدو .. فأدى هذا الى تدمير كافة الدبابات عن آخرها ..

• يقول الفريق كمال حسن على :

ـ ولا ادرى لماذا قرروا دفع الفرقة الرابعة مرة أخرى الى سيناء بعد ان عادت سليمة ، وخاصة أن العدو أصبح مالكا للسيطرة الجوية على سماء المعركة ، ولكن القول بأن اعادة الفرقة كان متعمدا خوفا من قيامها بانقلاب عسكرى .. فلا أعتقد أن يدور فى ذهن القيادة السياسية أو العسكرية مثل هذا التصور فى ظرف تعرض له الوطن بمثل هذا القدر من الخطورة واهدار الكرامة ، خاصة وأن الفرقة الرابعة كانت شأنها شأن وحدات أخرى ـ على جانب كبير جدا من الانضباط العسكرى ، بما لايجعل أى مخلوق يفكر فى مثل هذا التفكير ..

• • •

يتذكر الفريق أول كمال حسن على :

ـ قبل العودة الى المضايق للمرة الثالثة فى خلال ثلاثة أيام .. كان جو النكسة قد خيم على المعركة ، وكان قد اتضح تماما حجم الهزيمة ،.. وعندما صدرت الأوامر بالعودة الى المضايق ، قلت لقواتى استعدوا لمعركة حصار ، وفى الحصار لا أحد يعلم كم من الأيام أو الاسابيع سوف يبقى محاصرا بقوات العدو .. لذلك حرصنا أن نأخذ معنا مياها وطعاما يكفى لمدة طويلة .. وفى الطريق الى معركة الحصار .. شاهد الرجال زملاء السلاح وهم منسحبون والعطش يفتك بهم .. بلا طعام ، فكانوا يقدمون لهم الماء والطعام على طول الطريق حتى المضايق وفى محور الجدى .. قاتل الرجال بشرف وبسالة .. ولولا السيادة الجوية للعدو لاختلف الوضع ، أنكر أن كلفت قائد فصيلة بمهمة استطلاع العدو داخل المضايق ، فتطوع قائد كتيبة مدرعة أن يشترك فى هذه المهمة ، وكانت حجته أن يصل ويحصل على معلومات دقيقة ، وذهب فعلا .. رغم مناخ الهزيمة .. الا أن أحدا من الرجال لم يتقاعس .. كنت ترى البطولة والدموع معا فى عيون الرجال ..

• • •

• الفريق أول كمال حسن على يتذكر :

ـ قبل الوصول الى المدخل الغربى للمضيق سمعت فى اللاسلكى

معلومات من قوات أخرى مفادها أن العدو موجود فى المضيق ، ويبدو أنها كانت عناصر استطلاع العدو .. فأمرت باستمرار التحرك مع الفتح للقتال فى تشكيل ما قبل المعركة تحسبا لملاقاة قوات العدو ، وباقتراب كتيبة المقدمة الى مدخل المضيق وتأكدنا من وجود العدو .. أمرت بالفتح للقتال ..

ونظرا لضيق المكان أضطررنا للفتح على هيئة انساق متتالية وببداية الاشتباك مع العدو تركت عربة القيادة المدرعة واستقليت عربة لسرعة الحركة وتوجهت الى مكان الكتيبة الامامية المشتبكة مع العدو .. والتى استطاعت أن تحدث فيه اصابات كثيرة فى مركباته التى كانت تحاول عبور المضيق .. ولم يصب منها سوى دبابتين .. وأثناء وجودى بين تشكيل هذه الكتيبة شاهدت طلقة دخان أخضر تنفجر عند مدخل المضيق أمام فصيلة النقطة التى دفعتها لاستطلاع المدخل الغربى للمضيق .. وأدركت أن هذه كالعادة أشارة من القوات الأرضية للطيران لتحديد الحد الامامى لقواتنا .. وفعلا بدأت القوات الجوية الاسرائيلية فى مهاجمة اللواء مبتدئة بالانساق الخلفية من تشكيلات قتاله .. ولم يكن باللواء أية وسيلة للدفاع ضد هذه الهجمات الجوية .. فقد كانت الدبابات من طراز ت ٥٥ .. وهو طراز غير مجهز برشاشات مضادة للطائرات .. علاوة على انه لم يتبق فى كتيبة الدفاع الجوى للواء سوى ٤ مدافع ٥٧ مم مضادة للطائرات .. وهو مدفع ثنائى على جنزير .. استطاع العدو تدميرها بمجرد أن بدأت الاشتباك معه .. وبذلك أصبحت له السيادة الجوية بالكامل فوق مواقع اللواء .. وبدأ فى اصطياد الدبابات وتدميرها واحدة بعد الأخرى بواسطة صاروخ .. ثم عبوة نابالم حارقة لكل دبابة .. وكانت الطائرات تقترب من أهدافها لدرجة أنه كان يمكن للقوات رؤية طيارها بالعين ..

وبدأت الاطقم تحاول الاشتباك مع هذه الطائرات بالطبنجات والبنادق الآلية لدرجة أن احدى الدبابات حاولت الاشتباك بواسطة المدفع الرئيسى للدبابة بايقافها على ميل مرتفع برفع مقدمتها وبالتالى المدفع .. وطبيعى أن كل هذه المحاولات لم تكن لتؤثر بأى شكل على القوات الجوية المهاجمة .. واثناء تحركى من الامام الى مواقع النسق الخلفى بدأ العدو فى التركيز

بواسطة طائرة خاصة على العربة التى استقلها فى هجمات متتالية ، وهى تتحرك فى خط غير مستقيم لتجنب الاعداد الكبيرة من الصواريخ جو / أرض التى وجهت اليها .. حتى انفجر أحد هذه الصواريخ بجوار العربة مباشرة ، مما ادى الى انقلابها .. وكانت اصابتى جسيمة فى البطن .. وفقدت الوعى تقريبا الى ان تنبهت لأحد الضباط يحاول فك القايش من حول وسطى .. فمنعته من ذلك متذكرا مناقشة لى منذ أسابيع مع كبير اطباء اللواء عن تأثير الطيران على القوات فى الاراضى المكشوفة .. حيث تذكرت أنه قال لى يومها انه أحيانا يكون من الافضل عند الاصابة فى البطن الابقاء على الحزام مربوطا حول الوسط للتقليل ما امكن من النزيف ..

وفعلا صدقت نبوءة الطبيب .. وكنت أول المستفيدين من هذه النصيحة ثم فقدت الوعى مرة ثانية اثناء نقلى الى مستشفى الهلال بالسويس .. فلم أفق الا عندما بدأ الاطباء فى حقنى بالمخدر لاجراء العملية الجراحية ..

وقبل أن أغيب عن الوعى بتأثير المخدر سمعت من يقول أن فصيلة الدم (   ) ، فصححت له نوع الفصيلة بأنها (   ) ورحت فى غيبوبة التخدير .. وبذلك أنقذت نفسى للمرة الثانية من نقل دم من نوع خاطىء .. كان يمكن بالقطع أن يودى بحياتى ..

وقد استمر العدو فى ضرب دبابات اللواء حتى دمره بالكامل عدا ثلاث دبابات كانت اصابتها لاتمنعها من الحركة .. استخدمت فى النهاية فى نقل الجرحى الى المعابر شرق القناة ..

ومما اذكره أن العربة التى كنت استقلها اثناء اخلائى والعربة المقلوبة الاخرى التى أصبت فيها والتى استطاع بعض الضباط اعادتها الى عجلاتها كانتا آخر عربتين عبرتا على الكوبرى الى غرب القناة قبل نسف الكوبرى بواسطة مهندسى الجيش لمنع العدو من محاولة العبور الى الغرب .. وقد تأجل النسف لحين مرور العربتين فكانتا بذلك آخر معدات سارت على هذا الكوبرى قبل نسفه ..

وبنسف هذه المعابر أصبحت قناة السويس هى التى تدافع عن مصر وليست مصر هى التى تدافع عن القناة ..

• الفريق أول كمال حسن على يتذكر :

- لقد بدأت هزيمة ١٩٦٧ قبل أن تبدأ الحرب ، بدأت بأسطورة اسمها اترك لهم الضربة الأولى .. لا يوجد شيء اسمه الضربة الأولى .. ولكن هناك مبدأ من مبادىء الحرب اسمه « المبادأة » .. ومن يملك المبادأة يملك التفوق .. وخاصة اذا كان مستعداً للقتال .. ولديه معلومات كاملة عن العدو .

ومعنى المبادأة فى فنون الحرب أن أضرب العدو وبقسوة فى نقطة ضعفه .. أو أضرب فى نقطة تحيل العدو الى موقف الضعيف .. لذلك فالمبادأة عامل من العوامل الهامة فى كسب الحرب .. واذا سلم القائد لعدوه المبادأة .. فمعناها أنه فقد الحرب قبل أن تبدأ ..

• الفريق أول كمال حسن على يروى :

- فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، حدثت سلسلة من الاخطاء ..

• الخطأ الأول :

أننا لم نعلم حقيقة قوتنا .. فلقد كانت - مثلا - نصف قواتنا فى اليمن ، كما اننا لم نكن مؤهلين لخوض مغامرة عسكرية أو حرب .. فالمغامرة العسكرية أدت بنا الى الحرب فالهزيمة ..

• الخطأ الثانى :

أننا لم نكن نعلم تماما قدرة عدونا حق المعرفة ، فلو علمنا قوة عدونا وأهدافه فى ذلك الوقت ، لما أقدمنا على هذه المغامرة ..

• الخطأ الثالث :

أننا قد اخترنا وقتا غير ملائم على الاطلاق ، سواء من الناحية الزمنية الموسمية .. أو من ناحية الاعداد ..

* * *

ويحدد كمال حسن على مسئولية هزيمة عام ١٩٦٧ فيقول :

- المسئولية هنا مسئولية القيادة السياسية والقيادة العسكرية .. وأنا لا

أفرق فى المسئولية بينهما ، فجمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر هما قيادة الدولة .. ودليلى على ذلك التداخل الرهيب ما بين العمل العسكرى وما بين العمل المدنى ، والقرار العسكرى والقرار المدنى ، فهما اصحاب قرار الضربة الأولى ، فمعنى أن أترك للعدو الضربة الأولى ، أن اعرض قواتى الجوية للتدمير قبل بدء المعركة ، وفى حرب الصحراء .. فإن القوات كلها تتحرك على الرمال كما تتحرك السفينة على سطح الماء .. ومعنى تدمير قواتى الجوية فانا أعرض جميع القوات فوق سطح الارض لضربة جوية مماثلة للضربة الجوية التى تقع على القوات البحرية ..

ومعنى ذلك أننى سلمت وبيدى السيادة الجوية أو التفوق الجوى للعدو قبل أن ابدأ فى معركة صحراء ، ولم نسمع عن هذا فى مبادىء الحرب .. بل معنى ان اسلم زمام المبادأة للعدو .. اننى اعرض القيادة لضربة مماثلة للضربة الموجهة للقوات الجوية .. مما يشل فكر القيادة العسكرية والسياسية .. وهذا ما حدث لنا فى حرب عام ١٩٦٧ ، وحدث لهم فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ..

• • •

• يتذكر الفريق أول كمال حسن على :

ـ منذ ١٥ مايو ، وقوات تدفع الى سيناء دون أى اعداد ،.. ولكن لمجرد القيام بمظاهرة عسكرية .. لقد استقبلت جزءاً منها وأنا قائد لواء .. لقد جاءوا الى سيناء بالجلاليب والملابس المدنية ودون أى تسليح .. لقد كانت القيادة السياسية تقوم بمغامرة ومظاهرة عسكرية أدت الى الحرب .. ولم نكن على استعداد لا للمظاهرة العسكرية .. ولا للحرب .. ثم جاء بعد ذلك أمر الانسحاب من سيناء فى خلال ٢٤ ساعة .. فلو أننى أرجعت سيارات ودبابات القوات المسلحة التى احتشدت فى سيناء على الطرق الثلاثة الرئيسية والوحيدة فى سيناء من منطقة الحشد من قناة السويس لأخذت ثلاثة أيام فى الانسحاب .. وهذا قد يفسر حجم المعدات التى فقدناها .. ووصمت بها القوات المسلحة ظلما وعدوانا .. وهذا يؤكد تخبط القيادة السياسية والعسكرية ..

* يقول الفريق أول كمال حسن على :

ـ لست أذيع سرا ، أن مصر لم يكن لديها القدرة ـ بسبب التسليح ـ على القتال عام ١٩٦٧ ، كما لم يكن لديها القدرة على القتال الا بعد عام ١٩٧٢ .. فحتى نهاية عام ١٩٧٢ كان يرد الينا السلاح السوفيتي لاستكمال عملية محدودة ، وهى عملية العبور واتخاذ رؤوس كبارى شرق مناطق العبور بعشرين أو ٢٥ كيلومترا .. ومعظم الاسلحة المتطورة نسبيا وصلت مابين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٣ ، أنكر منها دبابات ـ ت ٧٢ ، والعربات الـ (ب . م . ب) .. وهذه وصلتنا عام ١٩٧٢ .. ثم وصول سام ٦ للدفاع الجوى فى هذه الفترة .. وكل هذه الأسلحة التى اتحدث عنها لم تكن موجودة عام ١٩٦٧ .. بل ولم تكن موجودة حتى عام ١٩٧٠ ..

• • •

فى عام ١٩٦٧ ـ يقول الفريق كمال حسن على ـ لم يكن فى خلد القيادة السياسية فكرة الحرب ـ بل مجرد مظاهرة عسكرية ، فحشدت القوات بلا خطط هجومية .. كل ما كان موجوداً فى ذلك الوقت وتعلمه القوات ولم تتدرب عليه الخطة « قاهر » ، وهى خطة دفاعية ، فتركت القيادة السياسية لاسرائيل الضربة الأولى والثانية والثالثة والرابعة .. وحتى عندما أعلن عبد الناصر فى ٢ يونيو عام ١٩٦٧ من أن اسرائيل ستهجم يوم ٥ يونيو ، ماذا كان يمكن عمله فى ٧٢ ساعة .. الى درجة ان قادة التشكيلات كانت تتصور ان عبد الناصر رتب لهجوم لا تعلمه .

أعود للخطة « قاهر » .. وهى خطة دفاعية .. وحتى هذه اللحظة لم توضع القوات فى أوضاعها الاصلية ، فكانت هناك قيادات ليس لها مهام .. كانت الأوامر تصدر لقائد الجيش الميدانى ولا تمر على قائد الجبهة .. حتى ذلك الأمر الخطير والمهام ، وهو أمر الانسحاب لم يمر على قائد الجبهة .. ووجد نفسه فى الصحراء .. وعلم بأمر الانسحاب من الافراد فانسحب ..

* يصف الفريق أول كمال حسن على حرب يونيو بأنها كانت مهزلة .

• • •

يروى الفريق أول كمال حسن على رواية نقلها عن شقيقه اللواء طلعت حسن على .. حيث كان فى اندونيسيا مع المشير عبد الحكيم عامر ، ودار الحديث حول ما تقوله اجهزة الاعلام العربية من أن القوات الدولية هى التى تحمى مضايق تيران والسفن الاسرائيلية تعبر من المياه الاقليمية المصرية .. وكان المشير يريد فرصة لالغاء خليج العقبة ـ لذلك عندما بلغت القيادة السياسية اكذوبة الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية ، حاولت القيادة السياسية اعادة تجربة عام ١٩٦٠ ، وتحشد القوات ثم نسحب قوات الامم المتحدة ونغلق الخليج .. وينتهى الأمر عند هذا الحد ..

ولكن .. كانت اسرائيل مستعدة لدخول الحرب .. كيف ؟

نعود الى عام ١٩٥٦ ـ يقول كمال حسن على ـ فى سنة ١٩٥٦ تقدم احد اقطاب المعارضة الاسرائيلية فى الكنيست الى موشى ديان .. وكان حزب العمل هو الذى يحكم اسرائيل .. واستجوبه عن اسباب فشل حملة عام ١٩٥٦ ـ فرد ديان قائلا لاعتمادنا على القوات الجوية الفرنسية والبريطانية ..

فرد عليه عضو الكنيست :

ـ ومتى يكتمل التفوق الجوى لاسرائيل بما يسمح لها الا تعتمد على احد ويكون لها ذراع طويلة ..

فرد ديان بان الامر يحتاج الى عشر سنوات ..

• يقول الفريق أول كمال حسن على :

ـ معنى ذلك ان اسرائيل خططت ونفذت حتى كان لها التفوق الجوى عام ١٩٦٦ على الدول العربية مجتمعة ، ثم اسرائيل دولة توسعية ، فوضعت خططها العسكرية على اساس هذه الاستراتيجية .. ودربت قواتها على ذلك ..

لذلك جاء عام ١٩٦٧ فكان من السهل عليها حشد قواتها فى الاتجاه المطلوب .. وبالاسلوب المطلوب وبالتخطيط المطلوب .. مع وجود هذا التفوق سواء كان التفوق فى العدد أو فى التدريب .. وعلى جانبنا .. فان قواتنا فى اليمن .. وحشدنا قوات بعضها بالجلاليب فى مظاهرة .. وبدون

خطة بالاضافة إلى أنه لم يكن لدينا معلومات عن العدو كافية .. فلم يكن لدينا داخل اسرائيل عملاء أكفاء يبلغونا بمعلومات دقيقة ولا وسائل استطلاع جديرة .. ولم يكن هناك أوامر عمليات واضحة وصريحة .. فاجراءات المعركة لم تتم على اى مستوى ..

امر آخر .. كانت بعض القيادات تسلم للرجل « الجدع » ، أما صاحب العلم وصاحب الفكر العسكرى .. فهذه مسألة أخرى .. ولكنى اقول .. لقد كان هناك قادة افاضل لم يأخذوا الفرصة ..

ثم .. القائد العام للقوات المسلحة .. لقد توقف علمه العسكرى فلا انكر ان المشير عبد الحكيم عامر قد تدرب .. ولم يدخل سلسلة تدريب أركان حرب .. أو تولى تشكيلات .. فلقد كان مدنيا يدير معركة عسكرية ..

لذلك يقول الفريق أول كمال حسن على :

ـ أريد أن اقول هنا كلمة للتاريخ ، ففى ضوء ما سبق ، كان هناك استحالة فى محاكمة قائد ميدانى لما تعرض له .. وفى المحاكمات التى اطلقوا عليها محاكمات النكسة ، كان هناك بعض القادة الذين اشتركوا كقضاة فى هذه المحاكمات .. كان لديهم الجرأة أن يسجلوا أن الذين حوكموا ابرياء .. ورفضوا التصديق على الاحكام .. انكر منهم اللواء طلعت حسن على .. لقد كانت خطة المحاكمات هى البحث عن مسئول تعلق عليه الهزيمة .. فالمحاكمات هذه لم يكن لها ما يبررها .. لذلك انكر ان الرئيس السادات قبل بداية حرب عام ١٩٧٣ ،.. اعلن انه المسئول عن أى اخطاء قد تحدث فى الميدان .. فأعطى بذلك القائد الميدانى الجرأة على اتخاذ القرار ، والجرأة على التصرف .. فكان نصر أكتوبر ..

* * *

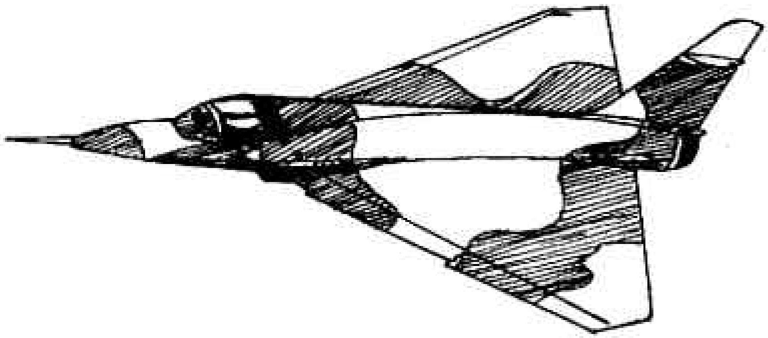
* يقول الفريق أول كمال حسن على :

ـ وعندما نتحدث عن أكتوبر فان القيادة السياسية عام ١٩٦٧ ، ما كانت تستطيع تحقيق نصر اكتوبر عام ١٩٧٣ ، بل كان لابد من تغيير القيادة السياسية عقب الهزيمة فلا يمكن ـ كمبدأ ـ أن ندعم الفشل .. ولكن ندعم

النجاح .. فلقد كانت النظرة للقيادة السياسية الممثلة فى الرئيس عبد الناصر ،.. والقيادة العسكرية الممثلة فى المشير كانت قد اهتزت اهتزازا جسيما .. بحيث انها فقدت مصداقتيها فلقد كان من الصعب على القائد الميدانى أن يشعّر بالاطمئنان في وجود هذه القيادة .. فهذه القيادة يمكن ان تقود الى معركة دون ان تنصفنى أولا فيما لو حدث خطأ غير مقصود .. فالخطأ المقصود فى الحرب هو الجبن فى المعركة أو اتخاذ قرار أعرف مسبقا انه خطأ ـ ولكن فى ميدان القتال ممكن أن يختلف القادة فى اتخاذ القرار ، ولا يكون هناك مساءلة ..

قادة الهزيمة فقدوا مصداقتيهم مصداقيتها ، ولقد كانت مظاهرات ٩ يونيو و ١٠ يونيو تعبير شعبى عن رفض الهزيمة ، وانها تحمل عبد الناصر المسئولية .

وفى النهاية أقول ان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر مسئولان عن هزيمة عام ١٩٦٧ مسئولية كاملة ولا احد غيرهما .. فالاول فى منصب سياسى عسكرى رئيس جمهورية والقائد الاعلى للقوات المسلحة .. والثانى منصب عسكرى سياسى فهو القائد العام ونائب رئيس الجمهورية ..



قائد الجبهة يتذكر

الفريق عبد المحسن كامل مرتجى ، واحد من ضباط مصر العظام ، يفيض وطنية ، صاحب تاريخ عسكرى عريق ، وكان آخره قيادة القوات المصرية فى اليمن وتأمين ثورتها إلى الأبد ..

الفريق عبد المحسن كامل مرتجى ، يسمع نبأ تعيينه قائدا للقيادة المتقدمة للجبهة ، وهنا يروى لنا ، كيف بدأت المأساة فى يونيو عام ١٩٦٧ ، قبل أن يطلق العدو رصاصته الأولى .

* * *

فى البداية يشرح الفريق مرتجى تخطيط العمليات لحرب عام ١٩٦٧ فيقول .. كانت العمليات يخطط لها من قبل القيادة العامة المشير عامر والفريق محمد فوزى رئيس الأركان ، والفريق أنور القاضى رئيس هيئة العمليات ، والقيادة الشرقية التى يقودها الفريق صلاح محسن ، وكانت هناك خطة دفاعية ، وهى الخطة التى عرفت باسم « قاهر » وقد اشترك القادة فى الأعداد لها ، والمفروض أن يكون قد تم التدريب عليها أثناء وضع الخطة « قاهر » ، لم أكن بمصر بل كنت قائدا للقوات المصرية فى اليمن ، فلم اشترك فى التخطيط لها .

* * *

وفى مايو ١٩٦٧ ، كنت فى القاهرة ، واختارنى الرئيس جمال عبدالناصر والمشير عبد الحليم عامر لمرافقة المارشال البريطانى مونتجمرى ، بطل معركة العلمين فى الحرب العالمية الثانية ، والذى كان يزور القاهرة فى ذلك الوقت . وبعد رحيل القائد البريطانى .. بدأ التوتر بالشائعة التى ثبت كذبها بالحشود الاسرائيلية على سوريا .

وطلبنى المشير عبد الحكيم عامر ، وقال نحن نريد أن نشكل قيادة متقدمة للجبهة ، وأن أتولى قيادتها ، وتصورت القيادة المتقدمة ، وهى التى تقود الحرب ، وتعطى الأوامر للتشكيلات والقوات البحرية والجوية ، وتتكون من مركز قيادة أمامى ، وبعيد عن مدى المدفعية ، ومجهز بأحدث أجهزة الاتصالات .. وبه القائد العام للقوات المسلحة ، وقائد القيادة المتقدمة وهيئة معاونة من أكفأ ضباط عمليات القوات المسلحة ، ويمكن للقائد العام أن ينتقل بين مركز القيادة المتقدمة ، ومركز القيادة الرئيسى الموجود خلف القوات فى القاهرة .

والهدف من وجود قيادة متقدمة هو تعامل هذه القيادة بسرعة مع الواقع ، وتشعر بأحاسيس المعركة ، من هنا يأتى قرارها صائبا تماما حيث تعيش الواقع ، الذى من أجله يصدر القرار ..

ثم هناك قيادة خلفية ، ومهمتها امداد القوات بكل ما تحتاجه من دعم .. سواء فى السلاح .. فى الذخيرة .. فى الأفراد ، فى الأجهزة أو فى الغذاء .

بالاضافة الى قيادة مراقبة ، تابعة للقيادة المتقدمة ، وهى عبارة عن نقط مراقبة ، تمد القيادة المتقدمة بالمعلومات عن العدو ، وعن القوات المصرية ، وعلى قائد القيادة المتقدمة أن يتحرك بين قيادته البعيدة عن مدى المدفعية ، وبين قيادة المراقبة ، ليرى بنفسه سير العمليات العسكرية على الطبيعة .

• يقول الفريق مرتجى :

- كان هذا مفهومى لمهمة القيادات ، ومفهومى لمهمتى فى حرب عام ١٩٦٧ ، ولكن قبل أن تبدأ العمليات ، وجدت نفسى بلا فاعلية ، فلقد حولوا القيادة الشرقية الى قيادة الجيش ، بقيادة الفريق صلاح محسن ، وجاءت لى

الأوامر بأن تكون مهمتى أن أصدق فقط على الأوامر التى يصدرها الفريق صلاح محسن قائد الجيش ، فاتصلت بالمشير عامر وقلت له :

- أنا مهمتى ايه ؟ .. وأنا موجود هنا ليه ؟ .. أنا هنا بلا فاعلية تماما .

فقال :

- أنت تصدق على الأوامر من خلال خطة قاهر .

- قلت :

- أنا لم أشترك فى خطة قاهر .

- قال

- إذا أردت أن تضع تخطيطا جديدا ، أو أوامر جديدة أو أن تصدر تعليمات ، أو لك رأى جديد ، تخطر به القيادة الخلفية (الفريق فوزى) باصدار الأوامر لقائد الجيش .

- معنى ذلك أن أى تعديلات أراها ، أو أى تعليمات أو أوامر يفرضها الواقع لا أستطيع اصدارها لقائد الجيش مباشرة بل لابد أن تمر على القيادة الرئيسية فى القاهرة ، ثم تقوم القيادة الرئيسية باصدار تعليماتها الى قائد الجيش .

• • •

• يتذكر الفريق عبد المحسن كامل مرتجى :

- لقد ناقشت هذه القضية بشكل مكثف مع المشير عبد الحكيم عامر واذكر كلماته حتى الأن .. قال لى الرجل بالحرف الواحد :

- أنت تعلم أنى أثق فيك .. منذ كنت قائدا عاما للقوات المحاربة فى اليمن ، وثقتى فيك كاملة ، وكل الأمور سوف تتغير عندما يصل الأنذار الاسرائيلى .

- أى أنذار ؟

- أنذار الحرب .. فحسب معلوماتنا من المخابرات ، أن اسرائيل سوف تصدر انذارا بالحرب قبل بدايتها بثمان وأربعين ساعة ، وبعد هذا الأنذار

سوف أحضر إليك فى القيادة المتقدمة ، ونقود المعركة سويا ، أنا وأنت ، ستكون رئيس أركان ، وأنا قائد الجبهة ..

* ويتذكر الفريق مرتجى هذا النقاش ، لقد قال للمشير :

- أنا ومن معى لم يشتركوا فى وضع الخطة قاهر ، ولايعرفوا عنها شيئا ، فكيف نقوم بتنفيذ خطة لا نعلم عنها شيئا ؟ .

- وهنا قال المشير أنه يعرف الخطة جيدا ، وكلها فى رأسه ، وسوف يتم تنفيذها .

* * *

* يقول الفريق مرتجى :

- لقد كنت بعيدا تماما عن الخطة قاهر، كنت أثناء التخطيط لها أقود القوات فى اليمن ، ولكن الفريق صلاح محسن اشترك فى تخطيطها ، وعاش أكثر من عامين فى توزيع القوات وفقا لهذه الخطة والتدريب عليها .

قلت هذا للمشير ، فرد المشير قائلا :

- خلاص يا مرتجى .. أنا جاى لك .. ومعايا الناس اللى اشتركوا فى الخطة ، ومعايا اللى يكمل القيادة المتقدمة من الضابط والأفراد وكل اللى أنت عاوزه .

* * *

يتذكر الفريق مرتجى ، كان ينقصنا بقية هيئة القيادة ، وكانت تنقصنا الاتصالات ، فعلى سبيل المثال ، كانت الأجهزة المتاحة لى ، يمكنها أن توصلنى بموقعين فقط ، القيادة الرئيسية فى القاهرة ، وقيادة الجيش فى الاسماعيلية ، ولكنى لا أستطيع أن أتصل بالفرق والتشكيلات الموجودة بجوارى فى ساحة المعركة ، فكان الموقف مؤسفاً للغاية ، ولقد قبلت هذا على أمل أن يأتى القائد العام ومعه كل ما نحتاج اليه لنقود المعركة سويا .. وهذا كان ضروريا لأن من يريد قيادة معركة عليه أن يقودها من مسرح

العمليات وليس من القاهرة ، حيث تحولت غرفة العمليات الى مقهى : هذا داخل وهذا خارج ، وشاى لهذا وقهوة لذلك ..

• يقول الفريق مرتجى :

ـ الأحساس بالمعركة أمر هام فى اصدار القرار ، أن المعركة تجلو الفكر ، وتترك للقائد عبقرية الأبداع العسكرى ..

• مأساة .. والمأساة الأليمة أيضا ، أننى علمت أن الخطة قاهر لم تستكمل بعد ، نعم لم تستكمل حتى بداية عمليات يونيو ١٩٦٧ .. كيف ؟

ـ لم تستكمل من ناحية التسليح

ـ لم تستكمل من ناحية تهيئة الميدان كالاعمال الهندسية ، فإن خمس الأعمال الهندسية المطلوبة فقط هو الذى تم انجازه .

ـ لم يتم عمل أى تحصينات فى المضايق ..

ـ لم يتم تنظيم التعاون المفروض بين القوات ..

• يقول الفريق مرتجى :

ـ وتنظيم التعاون هو أخطر مافى أى خطة عسكرية ، فهو تحديد المهام لكل القوات ، بل كل فرد فى هذه القوات ، ودراسة الخطط البديلة على ضوء تصرف العدو .

• يقول

ـ وكان المشير قد حاول الوصول الى القيادة المتقدمة يوم ٥ يونيو ليقوم باجراء تنظيم التعاون ، فحدث الهجوم الأسرائيلى على المطارات والمشير فى الجو وبدلا من أن يأتى وفى رأسه خطة قاهر ومعه المعاونون .. عاد الى القاهرة ليقود المعركة من غرفة العمليات اياها ..

وبعدم وصول المشير عبد الحكيم عامر الى القيادة المتقدمة ، لم يعد لنا أهمية ، فلقد جاءوا بنا إلى القيادة المتقدمة ، وقيدونا بحيث لانقدر أن نفعل شيئا .

• • •

أثناء المعارك اتصلت بالمشير عدة مرات ، وكان حزينا جدا بل كان منهارا .. وانكر عندما وصل اليهود حتى العريش اتصلت بالمشير واقترحت عليه خطة أن نسحب كل القوات المتقدمة وأن نبقى كقوة دفاعية قوية فى المضايق ، ونعيش فى المضايق لا نسمح لليهود بعبورها الا على جثث الجميع ، وقلت للمشير :

- لنبق ياسيدى فى المضايق حتى آخر رجل وآخر طلقة .

فقال لى :

- عظيم يامرتجى .. نفذ .

كانت قواتنا لم تدمر بعد ، على الأقل ما تبقى منها لايقل عن أربع أخماس القوات المحتشدة ، واسعدتنى أوامر المشير بالتنفيذ ، فاتصلت بالفريق محسن قائد الجيش وأخبرته باقتراحاتى للمشير ، وموافقته على التنفيذ .

فرد صلاح محسن :

- عظيم .. ده أحسن حاجه .

* * *

لم أكن أعلم بقرار الأنسحاب رغم اتصالى بالفريق صلاح محسن ، ولم يخبرنى بهذا القرار ، لأنه يعلم أننى عنيد ، وكنت أريد أن أضع القوات فى حالة دفاع عن المضايق ، تمنع دخول القوات الاسرائيلية الى القناة .

ويتحسر الفريق مرتجى ، وهو يروى أن القوات لو بقيت فى المضايق لتغير وجه تاريخ هذه الحرب حتى بعد ضربة الطيران ، فلقد كان تواجدنا فى المضايق .. هو دفاع عن شرف مصر ، ودفاع عن شرف الجندية المصرية ، ولاأعتقد أن أحدا كان يفرط فى الدفاع عن هذا الشرف ..

* * *

• الفريق مرتجى يتذكر :

فى السابعة مساء يوم الثلاثاء السادس من يونيه ، اتصلت بالمشير عبد الحكيم عامر ، وأخبرته بأن مركز القيادة قد تم تكثيف النيران عليه من طائرات العدو ومدافعة ، واقترحت عليه سحب مركز القيادة الى جبل أبو خشيب ، وهذا الموقع يتوازن مع خطة السيطرة على المضايق ، والبقاء فيها لأخر طلقة واخر رجل .

ووافق المشير بل وطلب منى التنفيذ فورا ، والغريب فى الأمر أنه أصدر أوامر الانسحاب ، ويبدو أن المشير كان يوافق على أشياء ويوافق فى نفس الوقت على عكسها ، ولم يكن هذا خطأ المشير عامر فحسب ، بل خطأ معاونيه أيضا .

• • •

بدأت فى الأنسحاب إلى جبل أبو خشيب ليلا حتى اتفادى الغارات الجوية الاسرائيلية ، وفى الطريق شاهدت الدبابات منسحبة ، فتصورت أن هذا الأنسحاب تنفيذ للخطة التى عرضتها على المشير وأبلغتها للفريق صلاح محسن ، باحتلال المضايق ، والدفاع لآخر طلقة ، وآخر رجل ، ووصلت إلى أبو خشيب ، وبدأت الأعداد للبقاء فى هذا الجبل ، وكان معى أثنين من أحسن الضباط هما :

- المشير عبد الغنى الجمسى .
- المشير أحمد اسماعيل .

ثم دخل على قائد الشرطة العسكرية عبد الكريم وقال لى :

- ياأفندم سيادتك بتعمل أيه ؟
- باعمل أيه .. ياابنى ده مركز قيادة متقدمة .
- يا فندم .. الأوامر صدرت بانسحاب كل القوات إلى غرب القناة .

لم أصدق قائد الشرطة العسكرية ، وطلبت من عبد الغنى الجمسى أن يبقى فى القيادة وأخذت أحمد اسماعيل لنذهب سويا الى قيادة القوات البرية

لأتبين الحقيقة ، فلم أصدق على الأطلاق أن أمرا بالانسحاب قد صدر .. المهم أننى قبل مغادرتى جبل أبو خشيب طلبت من عبد الغنى الجمسى أن يبقى على اتصال مستمر بى ، فربما أصدر له أوامر جديدة ، فلم أصدق فعلا أن امرا بالانسحاب قد صدر .

ووصلت إلى قيادة القوات البرية بالاسماعيلية ، ووجدت الفريق فوزى الذى أخبرنى بأن الحرب « خلاص » وثرت :

- خلاص يعنى أيه ؟

- خلاص .. والنواحى السياسية حتتدخل

وبدأ الفريق فوزى يوزع بقايا الفرقة الرابعة ، هذا اللواء يذهب الى هنا وذلك يذهب الى هناك . ثم طلب منى سحب مركز القيادة من جبل أبو خشيب الى معسكر الجلاء بالاسماعيلية ، وأصدرت أوامرى الحزينة الى عبد الغنى الجمسى بالانسحاب ..

• • •

• الفريق مرتجى يتذكر :

- قبل الحرب ، نشر محمد حسنين هيكل فى الأهرام ، صلاحيات قائد الجبهة ، وكانت صلاحيات قيادة حرب ، وفى اليوم الثانى نشر مايلغى هذه الصلاحيات تماما ..

وبعد انتهاء الحرب .. وخروجى على المعاش .. طلبنى الرئيس عبد الناصر - فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وكلفنى بكتابة تقرير عن إعادة تنظيم للقوات المسلحة ، واثناء الحديث .. قلت له :

- سيادة الرئيس .. أنا رجل على المعاش .. فأرجو أن تتركنى أتحدث بصراحة .. سيادتك كنت تعلم أن المشير كان راجل كويس .. وكنا نحبه .. وكان فيه بعض صفات القيادة الكريمة .. ولكنه لم يكن على علم أو دراية بالعلوم العسكرية .. لقد كان صاغاً « رائداً » ثم فجأة أصبح لواء ، وقائداً عاماً للقوات المسلحة ، ثم لم يكن - خلال رحلته القيادية متفرغا لقيادة القوات

المسلحة ، ثم لقد قلت ياسيادة الرئيس أكثر من مرة بأنه فى حالة حرب لن تترك المشير عامر يقودها ولكنك تركته يقود حرب يونيو عام ١٩٦٧ .. وأنت تعلم أنه بعيد الى حد كبير عن كافة النواحى العسكرية ، وهو رجل فيه « حاجات كويسه » إنما من ناحية العلم العسكرى والخبرة القتالية .. لايوجد .

فرد الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ حقيقة الأمر .. أنا تصورت أنك ستقود الحرب بما فى ذلك القوات البحرية والبرية والطيران ، وهذا الذى جعلنى أطمئن ، وأن كافة القادة سوف يتبعونك بصفتك قائد الجبهة ، ولكنى فوجئت فى اليوم الثانى بالغاء كل هذه الصلاحيات وأصبحت قائد جبهة ، وسليمان عزت قائد بحرية ، وصدقى محمود قائد طيران ، ولايوجد رأس واحدة تدير هذه القوات ..

• • •

قابلت ـ بعد الهزيمة ـ محمد حسنين هيكل وقلت له :

ـ أريد أن أعرف منك .. ماالذى دفع الرئيس عبد الناصر الى تغيير اختصاصاتى ؟

فرد محمد حسنين هيكل :

ـ بعد النشر ، اتصل بى عبد الحكيم عامر ، وهو نائب القائد الأعلى ونائب رئيس الجمهورية وصديق عبد الناصر ، وطلب منى التعديل ، فقمت بالتعديل .

وقلت له متعجبا :

ـ وكيف تضعون قيادة بلا سلطات .. فماذا كنتم تتوقعون ؟

• يتحدث الفريق عبد المحسن كامل مرتجى عن أسباب الهزيمة ، فيقول :

ـ كانت هناك فوضى فكرية فى رأس عبد الناصر ، كان متصورا أن لا حرب سوف تشتعل فى الشرق الأوسط ، ونقل لنا هذا الأحساس ، وكان

الواقع يؤكد أن ما يقوم به عبد الناصر هو مظاهرة عسكرية ، فمن المستحيل أن أدخل حرباً وصفوة قواتى موجودة باليمن ، ومن المستحيل أن أدخل الحرب وقد نزلت بمستوى التدريب للقوات الى أحط المستويات ، ومن المستحيل أن أدخل حرباً وأنا غير قادر على توفير الوقود للتدريب بسبب حرب اليمن ، ثم المشير عامر ـ القائد ـ كان بعيدا تماما عن العلم العسكرى ، بعيدا تماما عن فن القيادة .

* يقول الفريق مرتجى :

ـ عندما وصلنا الى تلك المستويات الرديئة من التدريب ، سألت الفريق فوزى .. وقلت له .. نحن لن نحارب اليمن .. نحن سنحارب اسرائيل .. بما وصلنا اليه من تدريب ردىء لا نستطيع أن ندخل الحرب مع اليهود .. فهم أحسن منا تدريبا .. وأكثر منا تقدما فى التكنولوجيا .. هم ليس لديهم شىء غير الحرب .. ولا يفكرون في غير الحرب .. وكل خططهم للدفاع عن بلادهم .. ويضعون فى حسابهم أن مصر .. ومصر بالذات ـ هى إلى الأبد ـ العدو الأول لهم .. وهى العدو الرئيسى لهم .. أما نحن .. فيوم فى الكونغو .. ويوم فى اليمن .. وفى الجزائر .

وبعد أيام .. عاد الفريق فوزى وأخبرنى بأن المشير عامر يخطرنى بالسكوت ... و« عندما ندخل الحرب مع اسرائيل ربنا يفرجها » .

• • •

* وبمناسبة الحديث عن الفريق محمد فوزى ، يقول الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى :

ـ كان الفريق فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة .. ورئيس أركان حرب يعنى أنه خبير حرب ... أساس عمله الحرب .. القتال .. العمليات .. ولكن الفريق فوزى كان يوزباشا فى المدفعية أثناء حرب عام ١٩٤٨ اشترك في هذه الحرب كضابط مدفعية مضادة للطائرات .. فسقطت بجواره قنبلة .. فأدت هذه القنبلة الى ضعف سمعه تماما .. فنزل من الحرب على الكلية الحربية .. ومن يومها ظل فى الكلية الحربية .. ومن الكلية

الحربية الى رئيس عمليات ، ثم رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، ورئيس الأركان هو أخطر شخصية فى القتال ، لأنه الذى يقوم بتنسيق العمل بين كل القيادات والرئاسات .. ثم يضع أمام القائد العام قراره ..

ولكن .. لقد تم تعيينه فى هذا المنصب الخطير وهو غير مؤهل عسكريا له ، لأن عبد الناصر كان يطمئن اليه فقط ، لوجود صلة قرابة بينه وبين سامى شرف رجل عبد الناصر القوى ..

* الفريق عبد المحسن كامل مرتجى يتذكر :

- سأذكر هنا واقعة توضح كيف كانت تدار الأمور ، لقد أرسل المشير عامر مشروع قرار بتعييني رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، وأرسل هذا الترشيح الى الرئيس جمال عبد الناصر لكى يوقعه بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وتدخل ضمن اختصاصاته ، الا أن سامى شرف اتصل بالمشير عبد الحكيم عامر ، وطلب منه أن يضع أسما آخر لا يصلح لهذا المنصب ، حتى لا نضع عبد الناصر أمام خيار واحد فقط .. فقال المشير أنه سيضع أسم محمد فوزى لأنه لا يصلح لهذا المنصب ، ولانه قريب سامى شرف ، ومن هنا سوف يرفضه الرئيس ، ولكن الذى حدث أن عبد الناصر قد أختار فوزى لهذا المنصب ..

* الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى يتذكر :

- بعد الهزيمة .. وبعد خروجى على المعاش .. التقيت بعبد الناصر ثلاث مرات .. وفى أحد اللقاءات .. قلت للرئيس معاتبا وكان يتحدث عن المشير عامر :

- سيادة الرئيس .. عند الأعداد للحرب .. وأنت القائد الأعلى للقوات المسلحة .. ونحن قاعدتك العسكرية .. لماذا لم تجمع القادة فى مؤتمر .. وتسألنا .. هل نستطيع دخول الحرب ؟

* قال الرئيس جمال عبد الناصر :

- كانت عندى حساسية من القوات المسلحة .. تعود الى عام ١٩٦٠

فقلت للرئيس :

- ياأفندم مال الحساسية .. هذه قواتك المسلحة .. هذه حماية الأمن القومى الخارجى ..

فقال :

- لم أرغب فى التدخل فى أعمال القوات المسلحة ..

قلت :

- يا أفندم تشرشل بعد دنكرك .. جمع رؤساء هيئة أركان حرب القوات البرية والبحرية والطيران وكبار القادة للأمبراطورية البريطانية .. فى مؤتمر هام سجله فى مذكراته .. وقال له .. هل نستسلم للنازيين .. هل نحارب ؟ .. هل نذافع .. فقرر الجميع الأستمرار فى الحرب .

فعاد الرئيس يتحدث عن حساسيته من القوات المسلحة ..

* أذكر فى لقاء آخر .. وكنت قد قرأت كتاب لعبة الأمم لمليلز كوبلاند .. وفيه فقرة ذكرتها للرئيس .. حيث يقول أن جيشا لم يتمكن من القضاء على حفنة من مهربى المخدرات (يقصد قبائل اليمن) ، فلا يستطيع الدخول فى حرب حديثة ، علاوة على أن قائده (المشير عامر) متخلف عسكريا عن أى قائد ٢٠ سنة على الأقل ، فكيف ياسيادة الرئيس تدخل الحرب ؟

وسكت عبد الناصر وتغير الحوار ..

* * *

عبد الناصر لم يكن يتصور أن اسرائيل ستقوم بالحرب ، وأن المظاهرة العسكرية التى قام بها ، سوف تعيد له خسائر حرب عام ١٩٥٦ ؛ حيث يسحب القوات الدولية ، ويضع قوات مصرية فى شرم الشيخ ، ويغلق خليج العقبة .. ويعود الشارع العربى .. يقول : ناصر .. ناصر .. ناصر .. ثم تخرس بعد ذلك ألسنة الأعلام العربى التى تهاجم ناصر .

* * *

بعد الحرب .. كنت فى الأسماعيلية .. أساهم فى جمع شمل القوات مرة أخرى .. وبناء الدفاعات على القناة بما تبقى من قواتنا المسلحة .. فلقد كنت أخشى عبور اليهود قناة السويس .. وكان يمكنهم الوصول بسهولة الى القاهرة .. وفوجئت بأن المشير يريدنى أن أترك موقعى .. وأذهب لألتقى به .. وألح فى ذلك فذهبت الى القاهرة .. والتقيت به .. وكنت غارقا فى احزانى .. لما حدث .. بل انفعلت بشدة لما أصاب قواتنا .. ولكن الرجل قال لى أن الأرض التى ضاعت سوف نستردها .. وبعد أن هدأت نفسى .. سألته عن سبب استدعائى .. فأخبرنى بأنه يريد أن أبقى معه .. فأخبرته بأن وجودى هام جدا على قناة السويس .. لأن المسألة هناك فوضى .. وضرورة القضاء على هذه الفوضى بسرعة ..

فطلب منى أن أترك هذه المهمة لصلاح محسن وأحمد اسماعيل .. وعرفت السبب ، فلقد نشرت الصحف البريطانية أن الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى الرجل القوى فى الجيش يعد من قناة السويس انقلابا على عبد الناصر ، ولقد علمت هذه الرواية الغريبة من صديقى صلاح الشاهد ، وبناء عليه تقرر بقائى فى القاهرة بعيدا عن القوات ، وعندما قدمنا استقالاتنا .. قالوا لنا : مع السلامة ..

* * *

• الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى يتذكر لحظة أضخم مأساة مرت على مصر :

ـ كنا فى مطار بير تمادا انتظارا لوصول المشير ، ليأخذ مكانه فى القيادة المتقدمة ، كل قادة الفرق فى المطار ، وفجأة شاهدنا طائرات فى السماء فتصورنا أنها طائرات مصرية ، ثم ضربت المطار ، فانبطحنا أرضا ، وقمنا بسرعة كل إلى قيادته .. فلقد بدأت الحرب ..

عدت الى مركز القيادة .. وأنا لا أدرى ماذا أفعل ؟.. وتذكرت على الفور زيارة المشير لنا قبل الحرب .. وقول القادة له :

ـ احنا مش عارفين حنعمل أيه بالضبط ؟ ..

وتذكرت الاتصالات الكثيرة بالفريق صلاح محسن ، وأنا أسأله .. هل سندافع ؟ هل سنهاجم ؟ ..

حتى الخطة « قاهر » لم يعد لها وجود ، فلقد مزقتها تدخلات رئيس الجمهورية مرة ، والمشير مرة أخرى ، وشمس بدران ، والفريق عبد المنعم رياض .. كل هؤلاء أعطوا أوامر للقوات .. لذلك أصبحت كل القوات فى سيناء بلا خطة .. وتتسائل : احنا مش عارفين حنعمل أيه ؟ ..

وحتى قائد الجيش ، كان يسأل نفسه سؤالنا الى درجة أنه أرسل مندوباً الى هيئة العمليات يسأل عن مهمة القوات التى يقودها ..

لقد اطلقنا على اللواء المدرع الذى كان يقوده العميد عبد المنعم واصل باللواء الطائر ، لقد حركوه فى كل اتجاه ، وسارت دباباته حوالى الف كيلو متر قبل أن تبدأ القتال ، وهى مسافة العمر الافتراضى لجنزير الدبابة ..

• • •

* يقول الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى :

ـ كان قرار الأنسحاب جريمة ومأساة فى نفس الوقت ، بل كان اسلوبه قمة المأساة ، لقد حشدنا هذه القوات بصعوبة بالغة فى ٢٦ يوما ، ثم نطالبها بالانسحاب خلال ٢٤ ساعة ، فماذا حدث ؟

تحولت سيناء الى مايشبه الطوفان ، كل يريد انقاذ نفسه ، كان البعض يقفز من السيارة وهى « دائرة » عند سماعه صوت طائرة ، والبعض ترك أسلحته سليمة ، فلا وقت عنده لتدميرها ، بالاضافة الى أن ٨٥ ألف جندى من الأحتياط .. لاعلاقة لهم من قريب أوبعيد بالقتال .. أن الأنسحاب هو اصعب حالة من حالات الحرب ، ويحتاج الى سيطرة قوية وتامة ، فالمفروض أن تنسحب القوة الى موقع محدد .. وعند هذا الموقع يتم تجميعها والسيطرة عليها جيدا ، ثم إلى موقع آخر الى أن تصل للموقع المحدد لها ..

• • •

• الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى يقول :

ـ بعد ذلك جئنا بضباط شرفاء وقدمناهم للمحاكمة ، أن رأيى أن العسكرى لا يحاكم الا إذا جبن أو خان ، وهنا يجب أن يطلق عليه الرصاص لقد كانت المحاكمات صورية ، لذلك فقد شهدت مع الفريق أول صدقى محمود قائد الطيران ، وقلت في المحكمة أن صدقى محمود اعترض أمام عبد الناصر على مبدأ الضربة الأولى للأسرائيلين ، وقلت أن الرئيس عبد الناصر قد رد عليه وأمره بأن هذا قرار سياسى وعليه أن ينفذه وتتخذ الاجراءات الأخرى التى يمكن ان تقلل من حجم خسائر الضربة الأولى ..

أخطاء حرب يونيو كثيرة ، هناك مثلا خطأ فادح تسببت فيه المخابرات .. لقد قالوا أن طائرات الميراج التى تملكها اسرائيل بها خزان وقود يكفى لوصولها الى قناة السويس فقط ، ومعنى ذلك أنها لا تستطيع أن تضرب الطائرات الموجودة داخل مصر .. ولكن اليهود قاموا بتطوير خزان الوقود ، بحيث يمكنهم من الوصول الى المطارات العسكرية داخل مصر ، ولم تكن المخابرات تعلم ذلك .

والخطأ الثانى أن المخابرات قالت أن القنابل التى تلقيها الطائرات الأسرائيلية على الممرات ، من الممكن اصلاح الممر فى أقل من نصف ساعة ، ولكن اسرائيل كانت تمتلك قنابل ـ لم تكن معروفة لدى المخابرات ـ تحدث حفرة كبيرة فى الممر ، يصعب إصلاحها بسرعة .

ثم .. كان عدد المطارات العسكرية الموجودة لدينا محدوداً للغاية ولم يكن لدينا المطارات التبادلية .. مماسهل على اليهود ضرب كل المطارات فى وقت واحد .. لم تكن هذه أسراراً علي القيادة السياسية ، ولكن القيادة السياسية كانت تتصور أننا لن ندخل حرباً مع أسرائيل .

وأذكر بهذه المناسبة أن الرئيس عبد الناصر قد عقد مؤتمرا فى قاعدة أبو صوير الجوية ، وأعلن :

ـ « احنا مش حندخل حرب » ..

وتحدث كثيرا بصراحة بأن ما يقوم به هو تهويش .. وكان هذا مسجلا

على شريط .. وقد قام اللواء اسماعيل لبيب بناء على أوامر بنسخ الشريط ، وأعطى نسخة الى محمد حسنين هيكل ونسخة مرة اخرى الى قيادة القوات الجوية ، وقد تم سحب نسخة القوات الجوية بواسطة سامى شرف بعد الهزيمة مباشرة ..

• • •

بعد الهزيمة وفى منزل المشير عبد الحكيم عامر - يقول الفريق أول عبدالمحسن كامل مرتجى ، سألت المشير سؤالين :

* **الأول :**

هل كان عبد الناصر يعرف أمر الأنسحاب ؟

- قال عبد الحكيم عامر :

- وهل استطيع أن اصدر قرارا مثل هذا القرار الخطير دون علم عبد الناصر .

* **الثانى :**

عندما أعلن الرئيس عبد الناصر بأن الحرب سوف تبدأ يوم ٥ يونيو لماذا لم تتحول الى أوامر ورفع درجة الأستعداد فى سيناء ..

* قال المشير عامر :

- لماذا التصور بأنه صادق هذه المرة ، ففى عام ١٩٥٦ أخبرة بأن الأنجليز والفرنسيين والاسرائيليين سيهاجمون مصر ، وأكدت ذلك المخابرات ومصادر كثيرة ، الا أنه رفض تصديق هذا الكلام ، وقال لن يحدث هذا ..

يفسر الفريق أول مرتجى تصريح عبد الناصر بأن حرب يونيو ستقع صباح ٥ يونيو ، بأن هذا الخبر قد وصله من مندوب المخابرات العامة فى كينيا ، وكان اسمه على ماذكر « هلال » ، ولم يكن عبد الناصر متأكدا من معلومات هلال ، الا أنه القاها ، وقال أنه يتوقع الحرب خلال ٧٢ ساعة .. ولم يذكر بالتحديد ٥ يونيو .

• الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجي يقول :

ـ عندما كنت قائدا للقوات المصرية في اليمن ، جاء عبد الناصر ولقد كان زميلى لمدة عامين فى كلية أركان حرب ، هو وحده الذى تحدث عن المعركة مع اسرائيل ، وكان ذلك عام ١٩٦٤ ، قال لى عبد الناصر :

لقد كنت مخططا أن أصعد الأمور مع اسرائيل عام ١٩٦٥ ، ولكن بعد تورطنا هذه الورطة فى اليمن ، لا اعتقد أننى افكر فى هذا الموضوع قبل عام ١٩٧٠ وسوف افكر جيدا ، وأدرس الموقف دراسة عميقة قبل الدخول فى صراع مسلح مع اسرائيل .

وعن مسئولية الأتحاد السوفيتى عن الهزيمة ، يروى الفريق أول مرتجى رواية عن السلاح السوفيتى المقدم لمصر ، يقول :

ـ سافرت فى بعثة الى الأتحاد السوفيتى ، وكنا أول بعثة وقمنا بزيارة احدى القواعد الجوية ، ووقفنا حول طائرة ميج ١٧ ، وجاؤا لنا بدكتور فى الطيران يشرح لنا عمل الطائرة الميج ، ونحن فى المطار شاهدنا فوق رؤوسنا نوعا آخر تماما من تلك الطائرة ، فسألنا عنها فقال الدكتور لا أعلم . وعدنا نتحدث عن امدادنا بسلاح سوفيتى مختلف ومتخلف وشحيح ، فاذا اعطانا ـ حتى السلاح المتخلف ـ فلا يعطينا مايكفينا من ذخيرة لهذا السلاح ، أو يحجب عنا قطع الغيار لمدة سنوات طويلة .. المهم أننا وضعنا تقدم القوات المسلحة فى أيدى السوفيت ، والسوفييت مرتبطون ارتباطا وثيقا باستراتيجية عالمية خاصة بالشرق الأوسط وهى استمرار وجود اسرائيل فى المنطقة ، وعدم وحدة العالم العربى أو اتفاقه .

• ولكن .. يقول الفريق مرتجى :

ـ أقولها للتاريخ .. أن عبد الناصر هو المسئول الأول عن الهزيمة .. لقد ألقى بالجيش فى البحر وهو يعلم أنه لم يتعلم بعد السباحة ، ثم يحاسبه على أنه لم ينتصر ، ثم يأتى المشير عبد الحكيم عامر فى المرتبة الثانية من المسئولية .. ثم تأتى مسئولية السوفيت الذين أمدونا بمعلومات خاطئة عن الحشود الاسرائيلية .. ثم طلبوا منا عدم القيام بالضربة الأولى ثم قيدوا

السلاح عنا .. ثم خاف السوفيت على سوريا من اسرائيل فدفعوا بمصر حتى لاتهاجم اسرائيل سوريا ، ويبدو أنهم تصوروا أن المعركة المصرية الاسرائيلية سوف تكون محدودة ..

* * *

بعد الهزيمة ، وخلال لقائى بالرئيس عبد الناصر .. سألته :

- سيادة الرئيس .. هل صدقت على أمر الأنسحاب ؟

فقال :

- عامر .. قال لى أن الموقف خطير جدا .. وسوف نخسر أولادنا كلهم .. ولا مفر من الأنسحاب .. فقلت له (الكلام هنا لعبد الناصر) .. خلاص انسحب ياعبد الحكيم ..

اذن .. فالقيادة السياسية هى التى وافقت على أمر الأنسحاب ومسئولة عنه ، هى المسئولة عن ارسال الجيش الى اليمن ، حيث وصل عدد القوات هناك الى ٦٥ ألف جندى بدباباتهم واسلحتهم وهم صفوة القوات المسلحة .

* يقول الفريق مرتجى :

- وأيضا نحن مسئولون .. لقد كنا أشبه بالقطيع الذى يسير وراء كبش .. اذا اراد أن يوصله الى بر الأمان سار به الى بر الأمان واذا أراد أن يغرقه بالبحر .. نزل به البحر .. وقد نزل بنا عبد الناصر الى هاوية سحيقة .

الفريق أنور القاضي يتذكر

تجنبوا الحرب مع إسرائيل

صرخة رئيس هيئة العمليات

الفريق أنور القاضي واحد من قادة مصر العسكريين ، واحد ممن تفخر بهم الجندية المصرية .. واحد ممن قاتلوا فى حرب اليمن فأدى المهمة تأدية الأبطال .. واحد ممن وضعوا خطة عبقرية للدفاع عن مصر ضد التتار الجدد اسمها الخطة قاهر .. يحمل عشرات الأوسمة من مصر وخارج مصر ، كرمه الرئيس اليمنى عبد الله صالح لدوره الخالد فى المشاركة الفعالة في النقلة الحضارية لشعب اليمن ، هذه العبقرية العسكرية ، لم تتمكن من تأدية دور فى حرب يونيو ، لقد قيدت القيادة العليا للقوات المسلحة كل الطاقات المصرية حتى لا تنطلق ، فكانت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .

لقد كان الفريق أنور القاضى رئيس هيئة العمليات للقوات المسلحة أثناء حرب يونيو ، أى أنه المسئول عن قيادة الحرب المنسق بين القوات البرية والقوات الجوية والقوات البحرية قوات الدفاع الجوى ، وكان على قدر هذه المسئولية .

ولكن ..

لنترك الرجل يروى لنا مأساة مصر ، قبل حرب يونيو ، وأثناء حرب يونيو ويذيع أسرارا جديدة تعلن لأول مرة .. ان ابطال أسراره هم على قيد الحياة .. هم شهود على ما يقول ..

* يروى الفريق أنور القاضى :

- لم تكن البداية عام ١٩٦٧ ، بل البداية كانت قبل ذلك بكثير .. لقد كنا جدداً فى العالم عام ١٩٥٢ ، جدداً عسكريا وسياسيا ، جدداً بالصفة الجديدة ، فهناك ثورة جديدة ، وهناك آمال عظام نعمل على تحقيقها للشعب . ثم أقمنا قوات مسلحة جديدة ، قبل عام ١٩٥٢ لم يكن هناك قوات مسلحة الى حد ما ، فمما لا شك فيه ، أن هناك ثغرة منذ قوات محمد على باشا بقيادة ابراهيم باشا ، حتى بداية الثورة ، وبعد الثورة بدأنا فى اقامة قوات مسلحة .. وأحب هنا أن أقول أن اقامة قوات مسلحة عريقة ، تحتاج الى أجيال متعاقبة ، تتعلم ، ولكن كان لدينا جيل ريادة .. وهو موجود حتى يومنا هذا .. وهذا الجيل الرائد عمل على اتقان الاساليب العسكرية ، واستطاع استخدام أحدث الاسلحة العسكرية .. واستطاع أن يدرب ضباطه وجنوده ، والى حد ما قد أخذ ذلك عدة سنوات .

* ولكن .. هل كان هذا يكفى لمواجهة اسرائيل ؟

* وسوف أجيبً على هذا السؤال فيما بعد ..

• • •

* يتذكر الفريق أنور القاضى زيارة الرئيس جمال عبد الناصر الى اليمن ، ولقاء فى القيادة العامة للقوات المسلحة فى اليمن .. وحوار حول اسرائيل .. وكان ذلك عام ١٩٦٤ .. يقول الفريق القاضى :

- زميلى وصديقى الفريق أول مرتجى سأل عبد الناصر ، عما يكن أن نفعله لو أن اسرائيل تحرشت بنا ، ووضع الفريق عبد المحسن كامل مرتجى عدة ملاحظات ، بأن القوة الضاربة المصرية موجودة فى اليمن ، وان قواتنا لا تكفى لمسرح اليمن ومسرح سيناء معا ، فرد عبد الناصر على الفريق مرتجى بأن هناك استحالة أن ينقل القوات الضاربة المصرية من مسرح اليمن .. الى مسرح العمليات الرئيسية فى سيناء ، ولابد من مرور فترة طويلة بين المسرحين ، ولا بد أن أعيد فيها تجهيز القوات المسلحة ، ورفع الكفاءة القتالية .. ثم بعد ذلك يمكن ان اواجه اسرائيل .

* يقول الفريق أنور القاضى :

ـ والحق أن هذا الحديث قد جعلنا نطمئن ، بل لم يكن لدى مانع من تواجدنا فى اليمن خدمة لاهداف الأمة العربية .

* * *

فى عام ١٩٦٥ ، اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر مع قيادات المجلس الوطنى الفلسطينى ، وفى وجود أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية فى ذلك الوقت ، وأخطرهم بأن المواجهة مع اسرائيل مؤجلة لوجودنا فى اليمن ، وان اعادة تجهيز القوات المسلحة لمواجهة اسرائيل بعد عودة القوات من اليمن يحتاج الى سنوات .

* * *

فى عام ١٩٦٦ ، حدثت جلسة خاصة فى مجلس الأمة ، وكان موضوعها حرب اليمن ، وكانت جلسة مغلقة حضرها أربعة من الصحفيين فقط بينهم الاستاذ أحمد بهاء الدين ومحمد حسنين هيكل ، وتحدث عبد الناصر أن هناك مؤامرة دولية ضد مصر .. استغلالا لوجودنا فى اليمن .. وقال عبد الناصر أن الوضع الامريكى قد اختلف تماما من ادارة الرئيس الامريكى جون كنيدى ، الى الرئيس ليندون جونسون ؟ قال الرئيس عبد الناصر أيام كنيدى كانت هناك محاولات لاخراجنا من اليمن ، ولكن أيام جونسون هناك محاولات لنستمر فى اليمن لتكون لنا فيتنام جديدة ..

* يقول الفريق القاضى :

ـ اذن .. فلقد استقر عبد الناصر أن هناك مؤامرة تدبر ضد مصر ، ولم نتمكن من معرفة تفاصيلها ، وكان يجب معرفة ذلك ، وكان يجب أن يتجنب هذا الشرك . ولكن كان ـ كما كنا ـ جديدا فى اللعبة السياسية الدولية .. لقد كانت المؤامرة التى لم يستوعبها عبد الناصر وهو قتل وذبح القوات المسلحة المصرية .. والتى تصور عبد الناصر أنه يستطيع أن يصول ويجول بها خارج حدود مصر بدون تصريح من الدول العظمى فى هذا العالم .

ولقد حذر الرئيس عبد الناصر من نوايا الادارة الامريكيه تحت رئاسة جونسون - ولكن لم يتتبع ذلك أى اجراء لاتقاء اجراءات هذه النوايا الخبيثة لجونسون .

* * *

* يقول الفريق أنور القاضى :

- بعد أن ذهبنا الى اليمن عام ١٩٦٢ ، كانت هناك ثلاثة تصريحات للعدو ، تصريح لشيمون بيريز ، وآخر لجولدامائير وثالث لبن جوريون .. يؤكدون أن خروج القوات المصرية وذهابها الى اليمن خطرا يهدد أمن اسرائيل ويجب ايقافه والقضاء عليه .. معنى ذلك أن تحركات مصر - حتى يومنا هذا - مرصودة رصدا جيدا من اسرائيل والعالم . وكنا قد ارسلنا الى اليمن مائة جندى فقط قمنا - بعد ذلك - بتدعيمهم بسبعين الف جندى وضابط مصرى .. كان يجب أن تكون هناك دراسة علمية ، عن مدى امكانية دعم الثورة اليمنية عسكريا ، وتأثير ذلك على استراتيجية مصر ..

* * *

* يقول الفريق القاضى :

- فى النصف الثانى من عام ١٩٦٦ .. بادر العسكريون المصريون فى هيئة العمليات باعادة النظر فى الخطط كلها ، ووضع خطة دفاعية جديدة جيدة تماما ، تتعامل مع الواقع الجديد لوجود القوات فى اليمن .. وتعمل على الدفاع عن الجبهة الشرقية مع العدو الاسرائيلى .. وهى الخطة قاهر ، وهى خطة باختصار شديد ودون الدخول فى تفاصيل هى الدفاع عن مصر ضد أى هجوم تقوم به اسرائيل .. ثم خلق ظروف مناسبة يمكنها أن تقلب هذا الدفاع الى هجوم بسحق قوات العدو التى تجرأت وهاجمت كياننا ، وعرضت هذا الخطه على رئيس الاركان الفريق محمد فوزى وصدق عليها .. وعرضت على القيادة السياسية العليا .. وكان ذلك فى أول ديسمبر عام ١٩٦٦ ، وكانت هناك تحفظات واحتياطيات لتنفيذ هذه الخطة .. من بين

هذه التحفظات الاعداد الهائلة الموجودة فى اليمن ، واحتياجات منها اعادة التسليح .. وقد تم التصديق عليها .. ثم أرسلت الى قائد القوات الشرقية وبدأ التدريب عليها ، ولكن الاحتياجات لم تتوفر ..

• • •

• يلقى الفريق أنور القاضى بسر كبير فيقول :

ـ فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٦ ، وبرغم الانتهاء من تقديم الخطة « قاهر » ، أرسلت تقريرا هاما الى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الفريق محمد فوزى الذى وافق عليه ، وفيه تحذير من الدخول فى مواجهة مع العدو الاسرائيلى وقلت تجنبوا بكل ما يمكن بإقادة مصر مواجهة اسرائيل فى هذه المرحلةبقصد الامكان ، وقلت لهم فى هذا التقرير أن الكفاءة القتالية للقوات المسلحة ليست فى أحسن حالاتها ، ان التجهيزات دون المستوى .. وان المعدات متعبة لاستهلاكها فى اليمن ، حتى ان لدينا نقصا فى الافراد لا يقل عن ٣٧٪ .. وأن أرض المعركة لم يتم تجهيزها ، وأن القوات ينقصها السلاح .. حتى يمكن تنفيذ الخطة « قاهر » ، وأن الوقت الذى يمكن أن يتدارك فيه اعداد كل هذا يحتاج الى شهور طويلة وأموال طائلة ، لقد حرصت أن اقول بصوت مرتفع ان نتجنب الحرب مع اسرائيل حتى نستكمل استعداداتنا ..

• الفريق أنور القاضى أرسل هذا التقرير فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٦ .. وهذا التقرير موجود الآن فى القوات المسلحة .. ويناشد المسئولين بنشره على الناس ، فالعسكريون ابرياء مما حدث بعد ذلك ..

• • •

• يقول الفريق القاضى :

ـ كان تقديرى لاعداد الخطة قاهر للتنفيذ ، مع العمل المتواصل وتدفق السلاح المطلوب ، والتدريب الشاق ، كل هذا يستغرق ثلاث سنوات على الاقل .

* ورغم ذلك يقول الفريق أنور القاضى :

- عقد مؤتمران هامان فى فبراير عام ١٩٦٧ بأوامر القيادة العليا .. اشترك فيهما كبار قادة القوات المسلحة ، واعلن فى المؤتمر الأول أن الحالة الاقتصادية المصرية تمر بظروف غاية فى الصعوبة بسبب استنزاف حرب اليمن ، ولا يوجد أى أموال حتى وضع الميزانية فى يوليو عام ١٩٦٧ .. ثم عقد مؤتمر آخر فى ابريل عام ١٩٦٧ ، وكان هذا موعد وضع الميزانية واحتياجات القوات المسلحة فى الميزانية الجديدة واعلن فى هذا المؤتمر ان الحالة الاقتصادية سيئة للغاية ، ولن تكون هناك ميزانية للقوات المسلحة إلا للضروريات .. وانتهى الأمر بأن أصبحت ميزانية القوات المسلحة للمرتبات والاعاشة ، وليست للتدريب والاستعداد لتنفيذ الخطة « قاهر » ..

ومعنى ذلك أنه لا يوجد وقود للطائرات لتدريب الطيارين ، ولا يوجد ميزانية لاصلاح السفن الحربية ، ولا يوجد وقود يسير الدبابات للتدريب .. ولا توجد أموال لذخيرة يمكن التدريب بها .. توقفت القوات المسلحة تماما .. ومعنى عدم وجود ميزانية للقوات المسلحة فى الميزانية الجديدة ، يعنى شل حركة القوات المسلحة لمدة عام حتى ميزانية يوليو عام ١٩٦٨ ، وكل ما سبق كان بأوامر من القيادة السياسية .

* * *

* يقول الفريق أنور القاضى غاضبا :

- بعد أقل من شهر ، من تلك الصورة التى يعرفها جيدا الرئيس جمال عبد الناصر ، يصدر الرئيس عبد الناصر ثلاثة قرارات تؤكد أننا سوف ندخل الحرب :

١ - قرار سحب قوات الطوارىء الدولية .

٢ - قرار أغلاق خليج العقبة والكل يعلم أن اغلاق الخليج فى وجه الملاحة البحرية الاسرائيلية يعنى الحرب .. وقد قالها مرارا قادة اسرائيل وعلى رأسهم بن جوريون ..

٣ ـ قرار بضرورة الدفاع عن رفح ، ولقد صدر هذا القرار هذا يوم ٢٢ مايو .

ولقد أثرت القرارات الثلاثة تأثيرا مباشرا على القوات المسلحة ..

فبالنسبة للقرار الثانى الخاص باغلاق خليج العقبة ، كان لا بد من ارسال قوات الى هناك ، وهذه لم تكن موجودة فى الخطة « قاهر » .. وأدى ارسال قوات الى شرم الشيخ الى تغييرات فى الخطة « قاهر » ، منها تمركز الطائرات ، حيث تمركزت طائرات فى الغردقة لمعاونة القوة الموجودة فى شرم الشيخ ..كما تحركت وحدات بحرية إلى البحر الاحمر ولم يكن ذلك موجوداً فى الخطه قاهر .

وبالنسبة للقرار الثالث وهو الدفاع عن رفح ، فلقد كانت الحد الامامى لقواتنا طبقا للخطه قاهر يمر شرق العريش بعده كيلو مترات فقط ، ومعنى الدفاع عن رفح أن أدفع بقوات إلى هناك وتغيرت كل معالم الخطة واستلزم ذلك استخدام قوات جديدة ولم يكن ذلك موجودا إلا فى الاحتياطى وهكذا بدأت تتغير معالم الخطة قاهر ويضيع تماسكها قوتها .

• • •

ـ يقول الفريق أنور القاضى :

ـولكن أخطر القرارات هو القرار الذى اصدره الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢ يونيو ، فى القيادة العامة للقوات المسلحة وقد حضرت يومها .. بالاضافة الى قادة القوات المسلحة ، وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وهو القرار الذى أعلن فيه أن اسرائيل سوف تعتدى على مصر خلال يومين أو ثلاثة .. ولكن فى نفس الوقت حذر من قيام مصر بالضربة الأولى ، وأعلن أن الشرق والغرب قد حذروه من القيام بالضربة الأولى ، وقال ان العالم سوف يتدخل سياسيا بعد ذلك .. وقال أن الهدف من الضربة الأسرائيلية الأولى هو تدمير السلاح الجوى بالكامل ..

ومعنى ذلك أن يخفى الطائرات والرادارات والدبابات تحت الارض .. كيف يتم ذلك ـ بلا امكانيات ـ وخلال ٤٨ ساعة ؟

ثم .. ليس لدينا إدارات تكشف الطيران المنخفض للعدو وحتى يمكن مواجهته .. كان لدينا ٥٠٠ متر فوق سطح الأرض لا نملك أن نفعل بهما شيئا لو جاء الطيران الاسرائيلى تحت هذا الارتفاع .. وقد جاء ..

* * *

فى هذا المؤتمر اعترض الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية ، وأعلن أنه لو سمح للعدو بأن يقوم بالضربة الأولى فستكون الخسارة كبيرة جدا .

• يقول الفريق أنور القاضى :

ـ لقد كان هناك تخطيط آخر بأن تقوم الطائرات المصرية بضربة جوية وقائية ، تضرب فيها مطارات العدو يوم ٢٧ مايو ، وخاصة فى المنطقة الغربية للحدود المصرية ، حتى تشل فاعلية القوات الجوية الاسرائيلية وغطرستها وكان مخططا لها أحسن تخطيط ـ وصدرت الاوامر فعلا بالتنفيذ ولكن تدخلت القيادة السياسية .. والغت هذه المبادرة المصرية بعد ساعه واحدة من صدور امر القيام بها .

* * *

• يقول الفريق أنور القاضى :

ـ كان قرار الغاء المبادرة المصرية بضرب طيران العدو ، ثم قرار تلقى الضربة الأولى من العدو السبب الرئيسى فى تدمير القوات الجوية المصرية .

* * *

كان الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن ودرس هناك طبيعة الصراع فى المنطقة ، وأذكر أننى التقيت به قبل حرب يونيو ، وتحدث عن خطورة الوجود المصرى فى اليمن !! بعد ذلك ، لان مواجهة القوات المصرية المنتظرة لن تكون مع القبائل اليمنية ، بل ستكون فى « موقع آخر » وبشكل آخر .

* الفريق أنور القاضى يتذكر فترة قيادته - بعد اليمن - لهيئة عمليات القوات المسلحة :

- عندما قدمت تقريرا الى هيئة أركان حرب القوات المسلحة فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٦ ، لم يكن هذا التقرير من فراغ ، كنت أخشى الوقوع فى شرك ينصب لنا لأن قواتنا مازالت فى اليمن ، واذا قمت باستدعاء الاحتياطى ، فهو الاحتياطى الذى حارب فى اليمن ، وهو احتياطى قادم من جبال ، يحارب قبائل ، ولقواته الجوية السيطرة الكاملة ، لا علاقة له بمسرح العمليات الرئيسى فى سيناء ، لا يعلم شيئا عن الخطة قاهر ، لم يتدرب عليها ، يحتاج الى عامين على الاقل من التدريبات حتى يكون جاهزا للقتال .. لقتال اسرائيل .

* يقول الفريق أنور القاضى :

- لم يكن تقريرى فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٦ من فراغ ، وكنت أشعر بالمؤامرات من حولنا لتحجيم دور مصر ، بدأت هذه المؤامرات بالانفصال عام ١٩٦١ .. ثم كمين اليمن ، وكل هذا يهدف الى تحجيم دور مصر فى المنطقة بالقضاء على قواتها المسلحة .. فكان كمين عام ١٩٦٧ .. لماذا ؟

* بعد قرار الحكومة البريطانية بالانسحاب من شرق السويس أعلن عبد الناصر أنه لن ينسحب من اليمن الا بعد الانسحاب البريطانى من عدن ، ثم قال عبد الحكيم عامر مبالغا بأننا لن نخرج من اليمن ولو بعد ٢٠ سنة ، ثم قال الرئيس جمال عبد الناصر أن المشكلة ليست اليمن ، المشكلة هى الجزيرة العربية ، وتصور الرئيس جمال عبد الناصر أنهم سوف يتركوه يجول ويصول فى كل الجزيرة العربية ، فكان كمين عام ١٩٦٧ ..

* * *

* الفريق أنور القاضى يتذكر :

- أذكر - عندما أعلن المشير عامر أن قواتنا سوف تبقى فى اليمن ٢٠ عاما - لقد افزع هذا التصريح القادة العسكريين المصريين الواعين لدورهم ،.. وتساءلوا .. والميدان الرئيسى .. والمواجهة مع العدو

الحقيقى ؟.. وهنا بدأت اللبنة الأولى فى الخطة الدفاعية قاهر خوفا من قيام اسرائيل بعمل طائش اثناء وجودنا فى اليمن عشرين سنة .. وخاصة ان اسرائيل فى ذلك الوقت كانت متنمرة .. بل وتريد الاستيلاء بالقوة على المياه العربية ، من نهر الاردن والليطانى .. وكنا لا نملك أن نفعل لها شيئا ، حيث يوجد حوالى ١٣ لواء مصريا فى اليمن يمثلون ثلثى القوات المصرية ..

* * *

• الفريق أنور القاضى يتذكر :

ـ أثار هذا المناخ القلق فى هيئة عمليات القوات المسلحة ، فقررنا التخطيط للتحرك على أربع محاور رئيسية ..

• أولا :

التوصية ، والتأكيد بكل وضوح للقيادة السياسية ، صاحبة قرار السلم والحرب بعدم قدرة القوات المسلحة على الدخول فى حرب بأى شكل من الأشكال مع اسرائيل حاليا ، وأرسلنا التقرير كما ذكرت فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٦ .

• ثانيا :

سرعة تدقيق وتعديل خطط العمليات العسكرية ضد اسرائيل بما يتناسب مع ظروف التورط العسكرى المصرى فى اليمن ومحاولة الانتهاء من تجهيز مسرح العمليات بسيناء فى أسرع وقت ..

• ثالثا :

العمل على رفع الكفاءة القتالية للقوات المسلحة وبدء التخطيط لذلك بعمل مسح شامل وحقيقى للكفاءة القتالية للقوات المسلحة حتى يمكن معرفة أوجه النقص لكل واحد ومعالجته .. وهذا سوف يستغرق وقتا طويلا ..

• رابعا :

محاولة اتباع تخطيط عسكرى جديد فى اليمن يؤدى الى تقليل القوات العسكرية هناك الى الحد الأدنى ، بما يسمح باعادة تنظيم وتسليح .. واعداد

القوات المسلحة المصرية لتغطى مطالب المواجهة مع اسرائيل ..

* * *

• يقول الفريق أنور القاضى :

ـ كانت الدراسة طويلة .. وقدمناها فى نهاية عام ١٩٦٦ ، وقلنا بصريح العبارة فى كل فقرة ضرورة تجنب دخول مصر فى مواجهة مع اسرائيل فى الوقت الحالى .. بل لقد ذكرنا ذلك أكثر من مرة ، فلقد ذكرت ذلك ـ مرة أخرى ـ فى مراجعة الخطة ايلات ، وهى خطة محدودة تقوم على اساس رد سريع من القوات المصرية باحتلال ميناء ايلات الاسرائيلى فى حالة قيام اسرائيل بعملية محدودة ضد أى دولة عربية أو قطاع غزة ، حيث رأت هيئة العمليات ارجاء تنفيذ حتى هذه العملية المحدودة لحين عودة القوات المصرية من مسرح عملية اليمن ، وقلنا ان تنفيذ هذه العملية المحدودة مع وجود قواتنا فى اليمن ، سيزيد من أعباء الخطة الدفاعية الاصلية « قاهر » .

* * *

• الفريق أنور القاضى يتذكر :

ـ عندما كنت رئيسا لهيئة العمليات ، ما كان يشغلنا الا مسرح العمليات الرئيسى لمواجهة اسرائيل ، وسرعة تجهيز مسرح العمليات فى سيناء ، تقدمت هيئة العمليات بمذكرة الى نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة المشير عبد الحكيم عامر عن خطط العمليات فى مسرح الجمهورية العربية المتحدة ـ فى ذلك الوقت ـ تحت الاسم الكودى « صقر » .. وهى دراسة عسكرية بحتة ، ولقد بذلت فيها هيئة العمليات جهدا كبيرا وممتازا ، وهى عبارة عن تجميع لخطط العمليات فى مواجهة اسرائيل خلال عام ١٩٦٦ وما قبلها ، وتوقيتها ، وتطويرها ، وفقا لأى احتمالات تقوم بها اسرائيل .. وكان هناك ثمانية احتمالات ، ولكل احتمال مواجهته ، وحتى هذه المذكرة أو الدراسة العسكرية كان لنا عليها تحفظ وهو عودة القوات المصرية من اليمن ..

كانت هذه الخطط التى تؤكد عظمة الفكر العسكرى المصرى ، كانت فى حاجة الى :

- قوات تقوم بالتنفيذ ، تأخذ مهمتها .
- تدريب عالىٍ جدا ..
- أسلحة كاملة ..
- معنويات عالية ..
- اتصالات جيدة .

ولكن .. كانت هذه الخطط الجيدة ، فى الصعب تنفيذها لعدم وجود القوات المدربة والاسلحة والتجهيزات ، من هنا كان قولنا الدائم :

- تجنبوا الحرب مع اسرائيل حاليا ..

• يقول الفريق أنور القاضى :

- لقد أعلن قادة القوات المسلحة للقيادة السياسية حقيقة الوضع العسكرى . مع القول الصريح بضرورة تجنب المواجهة مع اسرائيل ، فالوحدات ناقصة ٣٧٪ والعربات ناقصة ٧٠٪ وكذلك المدفعية والطيران ، بل كان لدينا نقص شديد فى الطيارين بعد استشهاد عدد غير قليل منهم فى اليمن ..

• يقول الفريق أنور القاضى :

- رغم كل ما سبق ، قمنا نحن باعطاء اسرائيل ما تبحث عنه ، قمنا باستفزاز اسرائيل ، ولم نكن جادين فى الدخول فى معركة ، فالجنود فى الشوارع يتحركون نهارا وهم فى طريقهم الى ميدان القتال ، وكذلك المعدات والتصريحات السياسية العلنية ، وكأن القيادة السياسية تطلب من العالم التدخل وفض المعركة سياسيا .

* * *

• الفريق أنور القاضى يتذكر :

- يوم اربعة يونيو صباحا ، ذهبنا الى المطار للطيران الى تمادا مقر

قيادة القوات المتقدمة لنبقى هناك بعض الوقت ، وانتظرنا وصول المشير عبد الحكيم عامر .. ولكن المشير لم يحضر لاجتماعه مع الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان المناخ مطمئنا فأجلنا السفر الى صباح يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وفى يوم الخامس من يونيو سافرنا مع المشير ، وعند الاقتراب من تمادا ، شاهدنا مطار تمادا وهو يضرب وأبلغ قائد الطائرة المشير بأن مطار تمادا يضرب ، فعدنا الى القاهرة وذهبنا الى غرفة العمليات .. وجاءت البلاغات الأولى عن الطيران ، ولم تكن دقيقة بالمرة ، الا أنه بعد فترة من الوقت علمنا بحجم الكارثة .

رغم الكارثة التى حدثت للطيران المصرى ، بدأنا على الفور وضع خطط للدفاع واضعين وفى اعتبارنا سيادة طيران العدو ، وفى هذا الوقت كانت القوات الاسرائيلية قد استطاعت التسلل داخل خطوطنا الامامية ، الا ان بقية القوات بالكامل كانت سليمة ، ولكن فجأة صدر قرار الانسحاب ..

• • •

• الفريق أنور القاضى يتذكر :

ـ يبدو أن المشير قد اتخذ قرار الانسحاب وأبلغه ـ ولكنه لم يبلغه خلال أجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة، اذكر أننى بعد ذلك :

من الذى أصدر قرار الانسحاب ؟ ولمن ؟ كان الرد قرارا سياسيا .

• يقول الفريق أنور القاضى :

ـ القرار السياسى ، لا استطيع أن اناقشه ، ولكن القرار العسكرى يمكن مناقشته وتعديله .. ولقد أخذ هذا القرار من رئيس الاركان ومن هيئة العمليات مجهودات مضنيا لتصحيح جوانبه ، ولكنى أشك الوصول إلى الحد الامثل .

• • •

• يقول الفريق أنور القاضى :

ـ كان قرار الانسحاب هو أثقل قرار فى المعركة ، كان يمكن الدفاع

من المضايق حتى تنسحب كل القوات بكامل معداتها ، على ان يتم الانسحاب ليلا ، ولكن اتخاذ قرار الانسحاب بهذا الشكل أنهى الروح المعنوية للمقاتلين ، فلقد صدرت لهم الأوامر باعطاء ظهورهم للعدو .. وفى ضوء النهار والسيطرة الجوية الاسرائيلية على سماء المعركة .. كل هذا ادى الى حجم المأساة فى يونيو عام ١٩٦٧ ، وأدى الى نهاية الحرب لحظة ما بدأت ..

* * *

• ويعلن الفريق أنور القاضى رأيه فى تلك المحاكمات التى جرت لبعض قادة القوات المسلحة فيقول :

ـ لم يحدث فى التاريخ العسكرى محاكمات لقائد حتى لو أخطأ ، فنابليون ـ مثلا ـ أخطأ فى حملته على روسيا ، وعاد ليصبح امبراطور فرنسا ، وعندما هزمت بريطانيا فى دنكرك ، وعاد ٤٠٠ بريطانى بدون الملابس العسكرية ، وقامت البحرية البريطانية بانتشالهم اثناء محاولة عبورهم القناة الانجليزى ، فلم تحاكم بريطانيا قائدا واحدا .. لقد انتهت هزيمة بريطانيا فى دنكرك وبدأ التخطيط فورا للانتصار .. ولكن عندنا تمت محاكمة الابرياء ، وأقاموا لهم مذبحة . فلقد كانوا أبرياء .

* * *

• الفريق أنور القاضى يعلن بكل صراحة :

ـ الذين حوكموا ، لم يكونوا مسئولين عن الهزيمة .. والمسئولية التاريخية تقع على عاتق القيادة السياسية ، القيادة السياسية التى اتخذت القرارات الثلاثة التى تحدثت عنهم .. القيادة السياسية التى أمرت يوم ٢ يونيو بتلقى الضربة .. القيادة السياسية التى امرت بالدفاع عن رفح فى اللحظة الاخيرة .. ولقد رد الرئيس على اعتراضات البعض لعدم وجود قوات للدفاع عنها ، ولعدم وجودها ضمن الخطة قاهر قائلا .

ـ أدافع عنها وأخسرها .. مش مهم .. المهم أنى أدافع عنها .

• الفريق أنور القاضى يقول :

ـ لقد حدثت اخطاء كثيرة اثناء حرب يونيو ـ ولكنها .. كلها اخطاء منطلقة من قاعدة القرارات السياسية التى صدرت خلال مايو واوائل يونيو عام ١٩٦٧ بالاضافة الى علم القيادة السياسية بحالة القوات كما سبق وذكرت ، ثم قرار الانسحاب .. ولقد كان النقص فى امكانيات القوات المسلحة سببا فى ضياع فرص كثيرة .. فمثلا اقتحام القوات الاسرائيلية لموقع متقدم فى أم بسيس فى السابعة والنصف من صباح الخامس من يونيو ، لم يصل به معلومات الى هيئة العمليات أو وصلت متأخرة جدا ، وكذلك برقية عبد المنعم رياض من الاردن ، وصلت الى هيئة العمليات بعد أن قام العدو بتدمير الطائرات المصرية ، ثم المعلومات التى يجب ان تتدفق على هيئة العمليات من داخل اسرائيل ، كانت غير دقيقة ، وكانت تصل دائما متأخرة ..

• يقول الفريق أنور القاضى :

ـ عندما اريد أن اعرف ما يدور داخل اسرائيل ، واخترق حواجز أمنها ، وأرى تحركاتها لحظة بلحظة ، فهذا لا يجب ان يعتمد فيه على عملاء فى الداخل ، بل وعلى دقة المعلومات وتأخر وصولها إلى تخبط فى التحركات العسكرية .

أن أى خطه عسكريه ،لاتوضع إلا بناء على معلومات كاملة ودقيقة عن العدو ، وكان هذا ينقصنا بشده .. لماذا ؟ .



مذبحة الفرقة الرابعة المدرعة

شهادة قائدها

المأساة هنا .. ضخمة .. ضخامة الهزيمة نفسها ..

مأساة مصر ..

ومأساة القائد ..

ومأساة الفرقة ..

القصة هنا تحمل كل رموز المذبحة والهزيمة والقهر ..

لقد ذبحوا جوهرة القوات المسلحة .. وذبحوا قائدها .. لكي يبقوا على كراسى الحكم .. حتى لو ذهبت مصر الى الجحيم ..

الفرقة الذبيحة هى الفرقة الرابعة المدرعة ..

والقائد الذبيح هو اللواء صدقى عوض الغول ..

• • •

فى البداية .. ماهى الفرقة الرابعة المدرعة ؟ ..

هى جوهرة الجيش المصرى .. كما اشتهرت داخل القوات المسلحة هى .. متقدمة فى التدريب عن بقية القوات بعشر سنوات على الأقل .. كما جاء فى تقارير الخبراء السوفييت .

هى .. عندما دخلت سيناء قبل الحرب .. قال جنرالات العدو سرائيلى .. أن الحرب على الأبواب .. فلقد حشدت مصر الفرقة الرابعة .. وهى لم تأت الى الجبهة الا للقتال ..

هى .. عندما كثرت خسائر الأفراد فى حرب اليمن .. ذهبت الى هناك أطقم دبابات من الفرقة الرابعة .. فحسمت الخسائر ..

هى .. تضم أشجع الرجال .. وأعظم الرجال .. وأقوى الرجال .. الذين وهبوا أنفسهم لرفعة شرف العسكرية المصرية ..

هى .. فخر بلادى .. وعزة مصر .. وحماية للشعب وأمل مصر فى النصر ..

• • •

وقائدها .. عاشق لمصر .. ووهب نفسه لحمايتها .. ووجد الوسيلة فى السلاح .. فعشقه ..

قائدها .. من شدة عشقه لسلاحه .. امتلك كل أسرار الدبابة .. فعاش أجمل سنوات عمره فوق دبابة .. فى الصحارى .. والمعسكرات .. ولم يعرف حياة المكاتب المترفة ..

القائد باختصار .. هو رجل المهام العسكرية الصعبة ..

• • •

قبل أن التقى به ، سألت عنه كثيرا .. قال لى عنه اللواء أحمد رجائى عطيه : أنه واحد من فرسان مصر القلائل .. وواحد من أكفأ القادة لقيادة فرقة مدرعة .. وهذا ما حدث عندما وصل فى مأمورية إلى اليمن أثناء القتال .. وقال لى العميد محمد زين بركة (المحامى الآن) كان قدوة لكل أفراد القوات المسلحة فى الخلق والضبط والربط ، فالرجل تجسيد لشرف العسكرية المصرية .. وما حزنت فى حياتى قدر حزنى عندما علمت أنه مقدم للمحاكمة بتهمة التقصير .. وهو الذى لا يعرف التقصير ..

هذا هو اللواء صدقى عوض الغول قائد الفرقة الرابعة .. الذى قال عنه

عبد الناصر لثروت عكاشة بعد القائه ظلما في السجن « الراجل ده جه في الرجلين » وتركه في السجن .. وقال عنه محمد حسنين هيكل في الصحافة البريطانية : « الجنرال التعس » ولم يدافع عنه « بصراحة » !!

• • •

اللواء صدقي عوض الغول تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٩ ، وكان من أوائل الدفعة التي بلغ تعدادها ٣٠٠ ضابط فاختاروه لامتيازه في سلاح الفرسان مع ١٢ ضابطا فقط ، وكان مدير السلاح البرنس اسماعيل داود ، فالتحق في « آلاي » الدبابات الخفيفة ، وعشق الدبابة وحصل على كل الفرق المؤهلة لقيادة دبابة .. ووصل به الأمر إلى أنه يتمكن من فك وتركيب أدق الأجزاء في الدبابة ، وتدرج من قائد « أورطة » الى قائد ثان إلآى دبابات ، وكان يشرف على هنا الالاى « ثروت عكاشة » رئيس أركان السلاح وقتئذ الذي كلفه بمصاحبة خبير عسكري الماني ، وطلب منه الاستفادة الكاملة من خبرته لنقلها الى السلاح ، وعمل الخبير الالماني معه في معركة تصادمية بالذخيرة الحية .. وبعد المناورة كتب الخبير الألماني تقريرا الى ثروت عكاشة أبدى فيه اعجابه الشديد بالفارس صدقي الغول ، وبدأ النزاع حول الضابط الشاب ، الكل يريد الحاقه بوحدته ، حتى أن ثروت عكاشة استطاع أن يلغى نشرة عسكرية بنقل الغول الى معهد « الضباط العظام » .. حتى يبقى في سلاح الفرسان .

الغول :

* يقول اللواء صدقي

لخلافات بين أمين منصور لودن مدير السلاح ، والبرنس اسماعيل داوود نقلت مع بعض الضباط بمدرسة المدرعات الى سلاح الحدود لمدة أربع سنوات عدت بعدها - بأعجوبة - الى سلاح الفرسان ، ووجدت أن هناك امتحانا لبعثة الى بريطانيا . ولم يبق غير عشرة أيام على أداء الأمتحان ، وأديت الأمتحان ، وكنت الأول وسافرت الى بعثة في بريطانيا ، وعدت لأحصل على كلية أركان حرب عام ١٩٥٢ وعينت قائد مدرسة المدرعات .. ثم قائد لواء في السلاح .. وكان اللواء ١١ مدرع ثم قائدا للواء

الأول المدرع ، ثم رئيس أركان الفرقة المدرعة ، وقمت بعمل أول مشروع للمدرعات بالذخيرة الحية .. وكان المشروع ضخماً ، وكان ذلك فى عام ١٩٦٢ ، وحضره عبد الناصر والمشير وكنت أقود المشروع من سيارة القيادة ومعى المشير عبد الحكيم عامر .. وأذكر أن المشير قال لى :

- أوعى ياصدقى يكون فيه حد مدرب نص نص ، يقوم بضربنا ونروح استروبيا ..

فقلت له :

- اطمئن يافندم .

• • •

عاد المشير الى مكتبه بعد المناورة ، وأصدر قرارا بتعيين صدقى الغول قائدا للفرقة الرابعة المدرعة .. بعدها سافر الى موسكو فى بعثة عسكرية هى « بعثة القادة » وبعد عودته بذل جهدا جبارا حتى تفوقت الفرقة الرابعة على كل القوات المسلحة ، وكانت فخرا لمصر ..

اللواء صدقى الغول يتذكر مهام الفرقة الرابعة :

- لقد تورطنا فى حرب اليمن ، ولم يكن المشير عامر مؤيدا لهذه الحرب ، وكثرت الخسائر فى الأفراد بشكل مقلق جدا ، وعقد مؤتمر فى صنعاء لوقف هذه الخسائر ، حضره المشير وأنور السادات وبعض القادة وأنا وتقرر فى هذا المؤتمر الاستعانة بالفرقة الرابعة لوقف الخسائر ، و بعد ذلك تدخل أطقم من الفرقة وأوقف الخسائر وحسمها ، وفى هذا المؤتمر - والشهادة هنا للتاريخ - تأثر المشير بشدة عندما سمع أعداد الخسائر من الأفراد ، ونظر بجواره الى أنور السادات ، وقال له بألم شديد :

- مبسوط يا ابن البربرى .. عشان تروح تقول لصاحبك !!

ويقصد هنا بصاحب السادات الرئيس جمال عبد الناصر .

• • •

كانت الفرقة الرابعة لا ينقصها الا « حملة ميكانيكية سليمة » وبعض

النواحى الادارية ، وأمكن اعدادها بحيث جاء أول عام ١٩٦٦ ، والفرقة مستعدة تماما لدخول الحرب مع العدو الاسرائيلى ، ووضعت خطة للفرقة ضمن خطة قاهر ، بحيث تستطيع الفرقة الرابعة المدرعة تدمير أى قوات اسرائيلية تدخل سيناء من أى محور من المحاور ، كانت خطة الفرقة الرابعة المدرعة تدمير القوات الاسرائيلية فى ملف يرتفع الى حوالى ٢٠ سنتيمترا ، وبدأ التدريب الشاق على هذه الخطة عدة مرات ، بحيث أصبح أصغر فرد فى الفرقة يعرف واجباته تماما أثناء الحرب ، حتى لو بدل العدو الاسرائيلى خططه بالكامل والتى نعرفها فى التقدم فى سيناء ، بمعنى لو أن اسرائيل جاءت بقواتها من اتجاه المحور الشمالى ، تكون الخطة كذا لمواجهتها .. لو جاءت من المحور الأوسط يكون التعامل معها بشكل مختلف ، لو جاءت من المحور الجنوبى يصبح التعامل مختلفا أيضا .. حتى لو جاءت من كل هذه المحاور ..

كانت خطة دقيقة .. ويحفظها الأفراد عن ظهر قلب ..

وعقدنا مؤتمرا فى هيئة العمليات برئاسة أنور القاضى .. وتمت مناقشة الخطة .. وصدق عليها المشير عبد الحكيم عامر ..

يقول اللواء صدقى الغول :

ـ فى أوائل عام ١٩٦٧ سافرت الى لندن لعلاج زوجتى ، والتقيت فى لندن بالفريق عبد المحسن كامل مرتجى ، وطلب منى أن أعرض نفسى على الأطباء .. كان يعلم حالة النزيف التى اصابتنى قبل سفرى الى لندن ، ورحت فى غيبوبة وأعد المشير طائرة لنقلى الى لندن ، الا أن الأطباء المصريين تمكنوا من ايقاف النزيف وهم على المفتى وحسن صبرى .. عرض على الفريق مرتجى العلاج فى لندن ولكنى رفضت ، وأخبرته أننى سمعت أن هناك حالة طوارىء فى الجيش ، لذلك سأعود فوراً ..

وترك الرجل زوجته فى لندن للعلاج ، وعاد ليقود الفرقة الرابعة المدرعة .. وفى القاهرة أحس الرجل بجو الحرب ، وقاد فرقته المدرعة .. وبدأ فى تعبئة رجاله معنويا ، وكانوا سعداء بالحرب وأن ما بذلوه فى التدريبات سوف ينفذونه فى ميدان القتال ..

* يقول اللواء صدقى الغول :

- الروح المعنوية بين الرجال كانت عالية جداً .. بل على أشدها .. فكل فرد سيدخل الحرب وهو على علم وتدريب بواجبه .. ويعرف كل صغيرة وكبيرة .. بمساعدة المجهود الجوى .. فالدبابة بدون سيادة جوية لا قيمة لها ..

* * *

تلقيت الأمر بالتحرك الى سيناء من اللواء صلاح الحديدى قائد المنطقة المركزية .. وجمعت قادة الالوية .. وقادة الاستطلاع .. وقادة التجهيزات الهندسية .. ووضعنا خطة للتحرك ليلا .. وسبقنا الى منطقة الاحتلال .. قوات الاستطلاع والتجهيزات الهندسية .. كان المفروض أن نصل الى منطقة الاحتلال فى ٩٦ ساعة ولكن من دقة خطة التحرك وصلنا فى ٣٦ ساعة ، وأخذت كل قوة موقعها وهى تعلم جيدا واجباتها ، وتم ذلك ليلا ، حتى جاء النهار وكنا قد انتهينا تماما من احتلال بيرتمادا ..

بعد يومين من احتلالنا المنطقة .. شاهدت طائرة هليوكبتر فى الجو .. كانت طائرة مصرية .. أرشدناها لتهبط .. وهبطت ونزل منها الفريق أنور القاضى رئيس الأركان والفريق حليم إمام كاتم أسرار ، وبعض ضباط هيئة العمليات ، وأول ما هبطوا سألونى :

- أين الفرقة ؟

قلت : أنتم الآن وسط الفرقة الرابعة مدرعة ..

ودهشوا .. فلقد جابوا سيناء بحثا عن الفرقة ، فلم يشاهدوها .. وأخبرتهم بأسلوبى فى التحرك ، وكانوا سعداء بذلك .. وقضوا بعض الوقت وعادوا الى القاهرة ..

* * *

* يقول اللواء صدقى الغول :

- بدخول الفرقة الرابعة المدرعة سيناء ، تأكدت اسرائيل أن الحرب

على الابواب ، وليست مظاهرة عسكرية ، وأعلنوا أن دخول الفرقة الرابعة سيناء يعنى الحرب ..

• • •

* اللواء صدقى الغول يتذكر :

ـ عقد جمال عبد الناصر مؤتمر ٢ يونيو عام ١٩٦٧ ، حضره المشير عامر ورؤساء الهيئات وقادة التشكيلات الكبار وقائدا سلاح الطيران والمدفعية .. وأكد فيه أن مصر لن تبدأ بالضربة الأولى ، وكان هذا الكلام مفاجأة لنا جميعا .. ولكن الفريق صدقى محمود دخل معه فى نقاش مؤكدا له خطورة اعطاء اسرائيل فرصة المبادأة ، وتساءل الفريق صدقى محمود عن الأسباب التى تدفعنا لتلقى الضربة الأولى ، ولماذا لا يقوم بها سلاح الطيران المصرى ، فرد عبد الناصر بصلف وضيق :

ـ أنت عندك القدرة تحارب امريكا .

فرد صدقى :

ـ لا ياريس ..

فرد عبد الناصر بحسم :

ـ يبقى اسمع الكلام وزى ما بقول نفذ !!

* يقول اللواء صدقى الغول :

ـ معنى هذا أننا هزمنا قبل ان نطلق طلقة واحدة ، وأن احداث عام ١٩٥٦ نكررها من جديد ، إن القوات فى سيناء فى حاجة الى طيران .. ولا تستطيع القتال بدون غطاء جوى .. وهكذا بدأت حرب يونيو عام ١٩٦٧ .. بكارثة قبل أن نطلق رصاصة واحدة ..

• • •

فى صباح الخامس من يونيو ، جاءت لنا اشارة لأنتظار المشير عبد الحكيم عامر فى مطار بير تمادا ، حيث تصل طائرته فى التاسعة صباحا ،

وكان الغرض من وصوله البقاء فى القيادة العامة فى انتظار الضربة الأولى بناء على قرار وأوامر رئيس الجمهورية ، ووقف قادة التشكيلات فى انتظار وصول طائرة المشير عامر ، وبدلا من وصول طائرة المشير وصلت الطائرات الاسرائيلية ، وأمطرت المطار ضربا ، وانبطحنا على الأرض ، وأصيب رئيس أركان الجبهة أحمد أسماعيل بحالة عصبية شديدة لما حدث .. وكانت الفرقة الرابعة فى نفس المنطقة وحدثت عليها غارة فى نفس الوقت وعقب انتهاء الغارة ذهبت الى قيادة الفرقة ، وأخذت تمامات من قادة الألوية واسترحت لعدم وجود خسائر ، لم تحدث خسائر على الاطلاق من الغارة الاسرائيلية سوى لورى من ورشة الفرقة اصيب ، ولكن لاخدش فى الأفراد أو الاسلحة أو المعدات ..

حمدت الله ..

فعندى ١٨٨ دبابة سليمة .

السيارات سليمة .

الذخيرة سليمة .

الغذاء والماء متوفر .

الفرقة الرابعة .. قوة هائلة ، لو تحركت من القاهرة تكون مقدمة الفرقة فى السويس مثلا .. ونهايتها فى القاهرة ..

الفرقة الرابعة ، عبارة عن جيش كامل ، به لواءين مدرعين ، ولواء مشاة ميكانيكى (محمول على سيارات ٦ فى ٦) ومدفعية ميدان ، وصواريخ ومدفعية مضادة للطائرات ، ومهندسين واشارة وشئون ادارية ..

• • •

يتذكر اللواء صدقى الغول أحداث هذا اليوم :

- علمنا ان المشير قد عاد الى القاهرة ، و بدأ الأتصال بنا من غرفة العمليات ، وجاءت له معلومات بأن القوات الاسرائيلية سوف تتقدم من الجنوب ، وأصدر أوامر بتحريك لواء من عندى فى اتجاه الجنوب ، واصدرت أوامر قائد اللواء الثانى بالتحرك الى الجنوب لتعزيز الستارة التى

اقمناها لمواجهة الدبابات وتحرك اللواء واحتل المنطقة من الكونتلا للمظلة ..

كانت المعلومات التى وصلت الى القيادة العامة تؤكد ـ أن المجهود الرئيسى لاسرائيل قادم من الجنوب ، ولقد ثبت خطأ هذه المعلومات وجاء المجهود الرئيسى باتجاه الشمال ..

ووصل قائد اللواء الثانى كمال حسن على ، وأعطانى تماما ، واحتل المنطقة ، ثم جاءت اشارة من المشير عامر باعادة اللواء من الجنوب ، بعد أن اتضح أن المعلومات خاطئة ، فأصدرت أمرا لهذا اللواء بالعودة ، وقضى اللواء صباح الخامس من يونيو حتى آخر الليل فى التحرك من الجنوب الى موقع الفرقة .

والحمد لله .. لم تحدث خسائر فى اللواء المذكور أو فى الفرقة الرابعة حتى الآن الا على خفيف .. اصطاد الطيران الاسرائيلى ثلاث دبابات على ماانكر ، فى هذا الوقت ، كان خط الدفاع الأول قد انهار ، وكذلك خط الدفاع الثانى ..

وفى ليلة ٦ يونيو ، صدرت لى الأوامر بالانسحاب من بير تمادا كاملا بالفرقة .. واحتل المضايق ، لستر انسحاب القوات المسلحة .. وعلمت أن أوامر الانسحاب قد صدرت لكل الحشد فى سيناء على أن تعود القوات خلال ٢٤ ساعة .. ولم تكن هناك خطة للأنسحاب ، بل قيل ان المعدات الثقيلة تدمر ويعود الأفراد بأسلحتهم الخفيفة .. لقد دبت الفوضى فى القوات ، وتذكروا عام ١٩٥٦ ، لأن الكثير منهم حاربوا عام ١٩٥٦ وانسحبوا ..

حتى الآن لا خسائر تذكر فى الفرقة المدرعة ..

عقدت مؤتمراً عاجلاً لتنظيم الأنسحاب .. واحتلال المضايق .. ويجانبى رئيس العمليات يدون ماأقوله .. ويحوله الى أوامر ، وواجبات تبلغ فورا لقادة الألوية .. وكانت أوامرى بالشكل التالى :

ـ لواء بقيادة العميد / سعاد حسن يحتل مضيق ممر متلا القريب من السويس

- لواء بقيادة العميد / كمال حسن على يحتل مضيق الجدى ..

- لواء بقيادة العميد / أمين ماهر يحتل مضيق الختمية بالاضافة الى واجبات بقية القوات ..

اكرر .. لم تحدث خسائر فى الفرقة الرابعة سوى الخسائر التى حدثت فى اللواء الثانى المدرع .. وهى خسائر طفيفة .. حوالى خمس دبابات فقط أو ثلاثة .

• • •

يتذكر اللواء صدقى الغول :

- اتصل بى صلاح محسن قائد الجيش تليفونيا ، عليك احتلال المضايق يوم ٦ - ٧ وعليك أن تنسحب بالفرقة بعد ذلك غرب القناة الساعة ١٢ ظهرا .

واعترضت على هذه الأوامر ، وصرخت فى صلاح محسن ، أن فرقتى سليمة تماما ، ومعنى انسحابى ظهرا فإنى اعرضها للطيران الأسرائيلى ، وأضع دباباتى فى مصيدة ، ولايوجد لها غطاء جوى للفرقة ..

فرد صلاح محسن :

- هذه أوامر المشير .. وربما يكون قد أعد لك مظلة جوية ابتداء من الساعة الثانية عشرة ظهرا ..

- يا أفندم .. راجع المشير .. العدو عنده السيادة الجوية .. أرجوك أخطره بأن يتم الأنسحاب مع آخر ضوء .. أرجوك .. وكمان عشان استر القوات المنسحبة .. وكان بجوارى أثناء هذا الحوار اللواء صلاح رفاعى قائد المدفعية الفرقة وذكر ذلك فؤ شهادته أثناء المحاكمة كما سيرد فيما بعد .

فرد صلاح محسن قائد الجيش :

- دى أوامر المشير .. ولازم تنفذ .

أصبت بحالة نفسية سيئة من هذه الأوامر .. الفرقة الرابعة المدرعة سليمة .. والانسحاب بالفرقة فى وضح النهار يعنى كارثة ، لقد اعترضت بشدة .. ولكن على أن انفذ الأوامر ..

بدأنا الأنسحاب إلى المضايق .. ومع أول ضوء من صباح يوم ٧ يونيو كنت محتلا المضايق الثلاثة .. ولا خسائر على الأطلاق فى الفرقة الرابعة .. وأثناء مرورى على الفرقة .. وجدت كمال حسن على قادما من أمام مضيق الجدى فى اتجاه القناة .. وذلك قبل موعد انسحابنا بساعة .. حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا .. فقال لى بالحرف الواحد :

ـ كان فيه شاويش راجع بالدبابة .. وسيادتك عزلته ..

ـ هذا أقل عقاب .. أزاى ينزل بالدبابة فى طريقة إلى القناة العاشرة والنصف .. قبل موعد الأنسحاب بساعة ونصف .

وطلب منى الرجوع فى قرارى ، فطلب منه ارجاء هذا الموضوع لحين عودتنا غرب القناة .. ثم قال كمال حسن على :

ـ على فكرة يا افندم .. أنا قابلت اللواء عماد ثابت .. وسألنى عن أخبار الفرقة .. قلت له .. زى ماأنت شايف .. انسحبنا من بير تمادة .. واحتلينا المضايق .. وحننسحب الساعة الثانية عشرة ظهرا إلى غرب القناة .. فرد على اللواء عماد ثابت .. وأبدى رأيه بأنه من المستحسن أن تظل الفرقة محتلة المضايق لحين انسحاب كل القوات وقال أنه رايح لقيادة الجيش فى الأسماعيلية .. وحيبدى لهم رأيه .. ووجهة نظره هذه

فقلت له : عماد ثابت لم يحضر الأوامر الأخيرة اللى جت من قيادة الجيش وأبلغها إلى اللواء صلاح محسن ... وتقضى بالانسحاب من المضايق الساعة ١٢ ظهرا يوم ٧
إنتهت هذه الدردشة مع كمال حسن على ..

* * *

اللواء صدقى الغول يتذكر :

ـ وجاءت الساعة الثانية عشرة ظهرا ، وبدأنا التحرك ، أو الأنسحاب العملى .. وكانت خطة الأنسحاب ناجحة ، وهى خطة كثيرة التفاصيل ، فخطة الأنسحاب كخطة الهجوم ، كخطة الدفاع ..

بدأت الوحدات الأدارية فى الأنسحاب أولا .. لأنها وحدات غير مقاتلة .. فى حماية القوات المقاتلة ..

أبقيت القوات المقاتلة .. حتى يتم انسحاب القوات الأدارية ..

تنسحب كتيبة ، وتبقى كتيبتان للدفاع ..

تأخذ الكتيبة المنسحبة وضع الدفاع .. وتنسحب كتيبة أخرى تكون فى حماية الكتيبتين ..

باختصار .. كان الأنسحاب منظما ..

ووصلت الفرقة الرابعة غرب القناة سليمة تماما ..

• • •

اللواء صدقى الغول يتذكر مأساة على معبر جنوب البحيرات ، حيث يقف ضابط اسمه « فاروق رزق » ـ هو مدير سلاح المدرعات الآن ١٩٨٨ ـ وأخبرنى بأن الأوامر أن اخطركم بضرورة أن تتجمع الفرقة الرابعة المدرعة فى دهشور .. غرب القاهرة ..

فقلت له :

ـ دى كارثه .. دهشور .. أزاى .. يعنى الفرقة دى تمشى للقاهرة .. وتخترقها .. وتروح الهرم .. وتقطع طريق مصر الأسكندرية .. وتروح دهشور .. الهاكستب معقولة .. حيث موقعها الاساسى ..

استدعيت على الفور رئيس عمليات الفرقة .. وطلبت منه وقف القوات التى لم تعبر .. حتى أذهب إلى قيادة الجيش فى الاسماعيلية استوضح الأمر ..

كانت معظم قوات الفرقة قد عبرت .. وأخذت مواقعها .. البعض فى الاسماعيلية .. والبعض الآخر اتجه إلى القاهرة .. ووحدات ذهبت إلى قصر الطاهرة فى القاهرة .. كتعليمات ضباط إتصال الجيش على معابر القناه .

• • •

دخلت قيادة الجيش .. دخلت مكتب صلاح محسن .. وجدته يتحدث بالتليفون .. ونص حديثة كالآتى .. لا أنساه أبدا أبدا ..

ـ لا ياأفندم .. الفرقة مارجعتش .. دى بعض العناصر الخفيفة .. الفرقة ياأفندم بالمضايق .. أيوه ياأفندم بالكامل ..

حاولت خلال هذه المكالمة أن اتدخل .. فلم أتمكن .. طلبت منه أن يعطينى سماعة التليفون لأشرح الموقف .. سواء كان للرئيس جمال عبد الناصر أو للمشير عبد الحكيم عامر .. فلم يمكننى .. قلت له وهو يتحدث أن الفرقة عادت غرب القناة .. فلم يسمعنى .. وقد دهش كل من اللواء عبد الحميد دغيدى واللواء على صادق شرف الذان حضرا هذه الواقعة .. ثم وضع صلاح محسن سماعة التليفون .. والتفت إلى قائلا :

ـ أنت أيه اللى رجعك ؟

ـ الله ... أيه .. مش أنت متصل بى .. وقلت لى انسحب الساعة الثانية عشرة ظهرا .. ودخلت معاك فى مناقشة طويلة .. وقلت لى أنها أوامر المشير .. ويمكن مجهز لك غطاء جوى ..

ـ ياسيدى الأوامر دى اتغيرت .

ـ ما عنديش خبر .

ـ اسمع .. ارجع حالا .

ـ أرجع فين ؟

ـ المضايق ياصدقى ..

ـ أرجع .. ارجع ازاى .. هى عجلة . دى يا أفندم فرقة مدرعة .. دى عاوزة تجميع القوات . التى وجهة جزء منها وضباط الأتصال إلى القاهرة دى مسألة مش بسيطة .. كما أن الفرقة تحتاج إلى إعادة ملء بالوقود .

ـ عموما أنا قلت لك أرجع .. اتفضل حضرتك بقى .

* * *

وقعت فى حيرة ، فصلاح محسن يستطيع أن يقول أى شىء لم يحدث ،

ومن الممكن أن يقول أنني رفضت الأوامر ، فأمانة الأمر عنده ليست دقيقة ، ويمكن أن يقول غير الواقع ، ذهبت إلى قيادة الفرقة جنوب البحيرات ، أجمع مابقى منها بعد أن اتجهت الكثير من وحداتها فى أماكن بعيدة عن القناة .. وفى التاسعة والنصف مساء .. جاءنى صلاح محسن قائد الجيش وكان معه اللواء على عبد الخبير من القادة العامه عند معبر جنوب البحيرات .. وعندما رآنى قال :

- الله .. أنت لسه قاعد ..

- هو أيه .. أنت كل ما تشوفنى تقول لى أنت لسه قاعد .. أنت مارجعتش ليه .. أنا عاوز أمون الدبابات والعربات عشان أرجع .. (سحر ويزل وخلافه) كما سبق أن طلب مكنم هذا يمكنكم
فقال صلاح محسن :

- ياسيدى ارجع بأى حاجة .. أرجع وبس ..

كل القوات تنسحب ، وقواتى انسحبت - والحمد لله - سليمة ثم اتلقى الأوامر بالعودة - أرجع وبس ، واستطعت تكوين كتيبة عربات ٦ × ٦ ، وقلت لرئيس أركان اللواء السادس ، وكان معى وهو اسمه عبد الحميد حمدى ، شكل مجموعة من الفنيين واطلع امامى على محور الجدى ، واحتل المضيق ، وسأحضر خلفك فورا ..

قال الرجل : حاضر ياأفندم ..

وأخذ الكتيبة .. واتجه الى مضيق الجدى واحتله .

ووصلت خلفه بقيادة الفرقة على محور الجدى .. وفى الساعة السادسة مساء .. حاولنا الأتصال بقيادة الجيش فى الأسماعيلية .. حاولنا الأتصال بالمشير .. فلم نتمكن .. انقطعت الاتصالات تماما .. جئت برئيس الاشارة المرحوم العقيد / مصطفى الدكرورى .. وطلبت منه أن يبحث عن أى طريقة نتصل بها .. بالقيادات .. فأخبرنى بان جميع الأجهزة مقفولة .. لا أحد يرد .. وحتى غرفة العمليات الرئيسية فى القاهرة لا أحد يرد ..

• • •

في صباح يوم ٧ يونيو ، أحاول الاتصال بقيادة الجيش في الاسماعيلية فلم يرد على أحد ، وفي الصباح وجدت عميد كمال حسن على آتيا على الطريق ، من اتجاه القتال فأعطيت له الأوامر بالانضمام إلى المقدم عبد الحميد حمدي بمضيق الجدي لأنه يصرخ .. ويقول أن فيه دبابات اسرائيلية قادمة وليس لديه سلاح لمواجهته ، ليس لديه أسلحة مضادة للدبابات وقلت لكمال حسن على : أطلع بسرعة .. وخد منه القيادة واحتل النقطة .. واتصل بى أولا بأول ..

قال كمال حسن على : حاضر يا افندم .

وفور احتلال كمال المضايق .. بدأت المعركة وسمعت مدافع كمال حسن على وهي تضرب الدبابات الاسرائيلية .. ودمر عدة دبابات .. ولحظات وظهر الطيران الاسرائيلي .. اعطيت أوامر باغلاق الأبراج والاستمرار في الاشتباك .. وكنت على اتصال مستمر بالقوات أمامي .. وبدأ الطيران الاسرائيلي يلقى بصواريخه على الدبابات .. الصاروخ دبابة .. ثم انقطع الاتصال بكمال حسن على .. وتصورت أن دبابات القيادة باللواء قد أصيبت واستشهد من بها ..

أمرت رئيس أركان الفرقة اللواء رياض عبد الشافي أن يقود دبابة ويذهب إلى الموقع الامامي .. ليعرف الحقيقة واستطلاع الموقف لاتخاذ القرار المناسب .. وذهب اللواء رياض عبد الشافي .. ثم عاد وأخبرني أنه كانت مذبحة للدبابات .. لقد دمرت كل الدبابات فيما عدا دبابتين أو ثلاث .. والموقف من أسوأ مايكون ..

أذن .. لامفر من الانسحاب ..

فالمسألة تصبح كارثة لو وقعت قيادة الفرقة في الأسر .. ولم يعد لدينا دبابات أو سلاح ..

وأمرت من بقى حيا أن ينسحب غرب القناة ..

وأثناء انسحاب كمال حسن على .. في سيارة جيب أطلقت عليه الطائرات الاسرائيلية صاروخا .. فأصيب اصابة بالغة .. وتمكن بعض الضباط من نقله إلى مستشفى السويس ..

عدنا غرب القناة .. بعد أن دمر العدو دباباتنا التى كانت سليمة .. وتحطمت الفرقة الرابعة المدرعة الا قليلا .. وذهبت إلى صلاح محسن قائد الجيش .. ومن مكتبه اتصلت بالمشير عبد الحكيم عامر وأخبرته بالموقف كاملا وكان يستمع إلى وهو فى حالة سيئة للغاية ..

كانت الخسائر فى الفرقة فى الأنسحاب الأول خمس دبابات فقط ..

وبعد أمر الدخول مرة أخرى إلى سيناء .. ارتفعت الخسائر إلى اكثر من خمسين فى المائة .. من مجمل الفرقة بالإضافة إلى بعثرة الفرقة هنا وهناك .

وبدأت .. غرب القناة أحاول أن أعيد هيكل الفرقة الرابعة .. ثم .. صدر قرار بأحالتى على المعاش مع صدقى محمود واسماعيل لبيب .. وحزنت لذلك .. ولكنى أخذت الأمر بحسن نية ..

وقمت بزيارة المشير فى بيته .. وكان عبد الناصر قد تنحى وعاد .

• • •

أثناء زيارتى للمشير ، أخبرنى وكله حسرة ، أن عبد الناصر عرض عليه أن يختار أى مكان يقيم فيه فى الخارج ، ويأخذ معه مايشاء ، الا أن المشير رفض وأخبر عبد الناصر بأنه يعود إلى قيادة القوات المسلحة ، طالما أن عبد الناصر قد عاد إلى الرئاسة ، فلقد كان الأتفاق بين الأثنين أن يتركا مناصبهما ..

فى هذا الوقت التقيت بثروت عكاشة .. وكان وزيراً للثقافة فى ذلك الوقت .. فسألنى عن أحوالى .. فأخبرته أننى طلعت على المعاش .. ورويت له ما حدث .. فطلب منى أن أكتب تقريرا بما حدث .. وكتبت التقرير وقدمته لثروت عكاشة .. وأخذه .. وعرضه على الرئيس جمال عبد الناصر الذى أمر بعودتى إلى القوات المسلحة .

ثم فوجئت بأخطارى بالتوجه إلى قيادة المنطقة المركزية وقضيت أسبوع مع اللواء سليمان مظهر قائد المنطقة ، وطلبت مقابلة الفريق محمد فوزى وزير الدفاع . وإلتقيت بوزير الدفاع ، وطلبت منه تحديد المهام

الموكلة لى . فقال لى أثناء اللقاء .

أنت زعلان ليه .. مش رجعت الخدمه وبتأخذ ماهيه آخر الشهر ..

فقلت له على الفور .

ـ مش صدقى الغول الذى يقبل هذا الوضع ، فانا رجل تشكيلات ، وكان تصورى أن أعود لقيادة الفرقة الرابعة .

ثم قلت غاضبا :

ـ اللى يخدم مع المشير عبد الحكيم عامر .. مايخدمش معاك .. وأنا بالمنزل .. لما تحتاج لى .. اطلبنى .

• • •

تركته وخرجت .. وذهبت إلى منزلى .. بعد ذلك بأيام قليلة صدرت أوامر بأحالتى إلى المعاش لم يكن هناك سبب واضح لخروجى على المعاش وبعد فترة .. وبعد موت عبد الحكيم جاءنى ضابط شرطة عسكرية .. وطلب منى الحضور إلى النيابة العسكرية .

وذهبت إلى النيابة العسكرية ، والتقيت هناك برائد اسمه سمير البحيرى .. طلب منى أن أروى له مذبحة الفرقة الرابعة المدرعة .. وسردت له المأساه من بدايتها حتى نهايتها .

ثم فوجئت به يسألنى :

ـ أنت قابلت العميد كمال حسن على على الطريق ؟

ـ أيوه قابلته .

ـ ما قالكش حاجة ؟

ـ قال لى أن اللواء عماد ثابت قابله على الطريق .. وحصل بينهما شوية « دردشة » ، وأن اللواء عماد ثابت سأله عن موقف الفرقة .. فقال له كمال حسن على أنها محتلة المضايق وسوف تنسحب الساعة ١٢ ظهرا .. فرد عليه عماد ثابت بأن له رأيا شخصيا فى الأنسحاب ده .. والمفروض أن الفرقة تستمر فى أحتلال المضايق .. وما تنسحبش .. وقال عماد ثابت أنه

حيروح لقيادة الجيش ويقول رأيه لصلاح محسن .. فقلت لكمال أن عماد هذا لانه لم يحضر أوامر القيادة العامة الأخيرة ..

• • •

اللواء صدقى الغول يتذكر بحسرة :

- فى هذا الوقت لم تكن هناك قوات فى سيناء غير قوات الفرقة الرابعة .. بعد انسحاب جميع القوات وأن أى أوامر من المشير أو قائد الجيش صلاح محسن للفرقة الرابعة .. وكأمر بالعودة إلى المضايق أو الاستمرار فيها .. أو إلغاء انسحاب الفرقة .. كان عليها التأكد شخصيا بوصول الأوامر إما تليفونيا أو ارسال مندوب ضابط ليسلمنى هذه الأوامر كتابه .. لأنها القوة الوحيدة المتماسكة فى كل سيناء ..

وعندما عادت الفرقة .. وأمرنى بالعودة - رغم أعتراضى - جمعت ماتبقى من قوات وعبرت .. ودمرت هناك ..

خرجت من النيابة وعدت إلى البيت ..

ثم فوجئت بالشرطة العسكرية .. يطلبوننى .. ومعى ماكينة حلاقة وبيجامة .. وطلبت منهم أن يسبقونى .. وينتظروا بعيدا عن بيتى .. وأخذت حقيبة بها البيجامة وماكينة الحلاقة .. ولحقت بهم .. واتجهوا لى إلى أين ؟ الى السجن ..

ودخلت السجن الحربى بريئا ..

ثم جاء لى اخطار فى اليوم التالى .. بأن أمثل أمام محكمة عسكرية فى اليوم التالى .. لااله الاالله ..

ذهبت إلى المحكة .. كانت برئاسة ماهر الرمالى وعضوية زكى عبد اللطيف ومحمد حجازى .

واستمعت الجلسة إلى أكاذيب صلاح محسن ، وقدم تقريرا - هو الوحيد الذى قدم تقريرا كله افتراءات - اتهمنى بأننى انسحبت بدون أوامر ، والتهمة الثانية أننى لم أنفذ الأوامر التى أصدرها لى عماد ثابت وأبلغها للعميد كمال

حسن على ليقوم بابلاغها لى .. وجاء صلاح محسن بخمسة عشر شاهدا على أقواله .. وكل هؤلاء انقلبوا فى المحكمة إلى شهود نفى وجاءت كل شهاداتهم لصالحى لدرجة أن رئيس أركان الفرقة قال فى المحكمة ، أنا لو مكان اللواء صدقى الغول ، والموقف كان بهذا المنظر الموجود به ، ولا يوجد دبابات أمام الفرقة على مضيق الجدى كنت أمرت الفرقة بالانسحاب حتى لو كان هناك أمر بعدم الأنسحاب ، لأننى لو أنتظرت .. لسقطت قيادة الفرقة فى الأسر ، وأعلن أنه لم تصل الفرقة أى أوامر بالبقاء ..

فسأل رئيس المحكمة اللواء صلاح محسن :

ـ طب أنت أديت أوامر للواء صدقى بعدم الانسحاب ؟

ـ أيوه .

ـ ازاى ؟

ـ اتصلت باللواء نوفل فى العمليات ، وطلبت منه يبلغ اللواء صدقى قائد الفرقة الرابعة عدم الانسحاب من المضايق ..

وجاءوا باللواء نوفل وسألوه .. فقال :

ـ أنا لم ابلغ اللواء صدقى .. ولكن أبلغت مسعد الجنيدى .. ضابط اشارة القيادة العامة ..

وجاءوا بمسعد الجندى .. وسألوه .. فقال :

ـ أنا لم أرسل أى إشارة لقائد الفرقة الرابعة .

ثم عاد صلاح محسن وقال .

أنا أعطيت خبر لقائد اللواء الثالث العميد أمين ماهر ..

وجاءوا بقائد اللواء الثالث العميد أمين ماهر .. وقال :

ـ أنا أخذت هذه الإشارة فعلا .. وأبلغتها لرئيس الشرطة العسكرية للفرقة .. ليقوم بابلاغها لقائد الفرقة ..

وجاءوا برئيس الشرطة العسكرية ... فقال :

- أنا لقيت اللواء رياض عبد الشافى رئيس أركان الفرقة الرابعة بجوارى فى الاسماعيلية .. فسلمته الإشارة .. فنظر إليها وقال أيه ده يا أبنى .. دى الساعة ثلاثة .. والفرقة كلها انسحبت .. واللواء صدقى الغول حاليا فى الاسماعيلية فى مكتب صلاح محسن قائد الجيش .. قيمتها أيه يا أبنى الرسالة دى .. قيمتها إيه دلوقت ؟....

• • •

اللواء صدقى الغول يتذكر بحسرة :

- عاد صلاح محسن .. وبدأ يغير فى أقواله .. وقال أنه أبلغ حسين الجريدلى رئيس عمليات قيادة الجيش ... وجاءت المحكمة باللواء حسن الجريدلى .. وسألته :

- هل أرسلت إشارة إلى قيادة الفرقة الرابعة بعدم الإنسحاب من المضايق ؟

- لا ..

- لماذا ؟

- لأن الفرقة الرابعة تتبع القيادة العامة .. وليست تتبع قيادة الجيش ..

اندحرت التهمة الأولى .. كل الشهود أجمعوا أنه لم تصلنى هذه الإشارة ..

بقيت التهمة الثانية : أننى لم أنفذ أوامر اللواء عماد ثابت التى أعطاها للعميد كمال حسن على ..

وجاءت المحكمة باللواء عماد ثابت .. وسألته :

- هل أعطيت أوامر للعميد كمال حسن على بعدم انسحاب الفرقة الرابعة من المضايق .. لكى يبلغها لقائد الفرقة اللواء صدقى الغول .

فرد اللواء عماد ثابت :

- لم يحدث .. كل ماقلته للعميد كمال حسن على أن رأيى الشخصى أن

الفرقة تظل فى المضايق .. وقلت أننى سوف أذهب إلى قيادة الجيش فى الاسماعيلية لعرض وجهة نظرى ..

* * *

يتذكر اللواء صدقى الغول :

- العميد كمال حسن على قال فى النيابة العسكرية أنه أعطى أوامر من عماد ثابت إلى اللواء صدقى الغول بعدم الانسحاب .. وناقشته وقتها .. وقلت له أن اللواء عماد ثابت مستشار للمدرعات ولا أن يصدر أوامر للفرقة الرابعة يلغى بها أوامر القيادة العامة ..

طلب الدفاع عنى - وكان الأستاذ عبده مراد المحامى - أن تتم المواجهة بين اللواء عماد ثابت والعميد كمال حسن على ..

وتمت المواجهة ..

قال اللواء عماد ثابت للعميد كمال حسن على :

- أنا لم أعطيك أوامر ياكمال لإبلاغها للغول ..

فرد كمال حسن على :

- دى فعلا ماكانتش أوامر .. دى كانت دردشة !!

ويتضح من ذلك أن اللواء عماد ثابت قد أدحصن التهمة الثانية أيضا .

* * *

ويعود اللواء صدقى الغول بذاكرته .. ويسترجع أقوال الشهود .. إلا أنه لا ينسى شهادة رئيس اشارة الفرقة :

- كان اسمة مصطفى الدكرورى .. الله يرحمه .. قال أحنا كنا الوحيدين فى سيناء .. وفرقة عظيمة زى الفرقة الرابعة لم تجد من يسأل عنها .. لا ضابط اتصال .. ولا لاسلكى .. ولا أحد سأل فينا .. كنا ننادى . ونخبط .. علشان حد يرد علينا .. مفيش حد .. وبكى الرجل من شدة التأثر فى المحكمة كما أنه لاينسى شهادة اللواء صلاح الرفاعى .

كان أسمه صلاح الدين محمود الرفاعى .. قال الرجل أنا لم أفارق اللواء صدقى الغول منذ بدأت العمليات بحكم وظيفتى كقائد مدفعية الفرقة ، وعندما طلبه الفريق صلاح محسن قائد الجيش بالتليفون يوم ٧ يونيو ليبلغه أوامر المشير عبد الحكيم عامر بانسحاب الفرقة الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو بعد احتلال المضايق ، كنت بجزاره وأنكر جيدا أن سيادة اللواء صدقى طلب صلاح محسن فى نفس المكالمة تأجيل إنسحاب ـ الفرقة عند آخر ضوء بدلا من الظهر لنشاط العدو الجوى ، فرد عليه صلاح محسن بأن المشير جهز مظلة جوية الساعة ١٢٠٠ الستر إنسحاب الفرقة . وقال صلاح الدين محمود الرفاعى فى شهادته : وأذكر أثناء إصدار اللواء صدقى أوامره التفصيلية لمجموعة أوامر الفرقة أنه إتخذ قراراً أعتبره قراراً حكيما على مسئوليته الخاصة ، وبعد إنسحاب كافة العناصر الإدارية والغير مقاتلة فوراً حتى لاتدمر ، وكان هذا الأمر سببا فى إعادة تنظيم الفرقة بعد الانسحاب . وقال صلاح الدين محمود الرفاعى فى شهادته : ولقد لمست فى اللواء صدقى الغول أثناء إدارته للمعركة الثبات والذى لم نشاهده فى كثير من القادة .

يقول اللواء صدقى الغول : كانت المحاكمة عبارة عن مظاهرة لتأييد موقفى ، وإتضحت الحقيقة ، وشعرت أية لم يعد هناك حاجة لوجودى ، فقلت لرئيس المحكمة .

- أعتقد أن أعد حقيبتى لأعود إلى بيتى .
- لامانع وسأعطيك خير بذلك ..

بقيت فى السجن فى انتظار خبر الأفراج ..

. وبعد عدة أيام .. أخذونى إلى الكلية الفنية العسكرية من السجن الحربى .. حيث تعقد المحكمة .. لأسمع الحكم :

وجاء الحكم ..

- السجن ١٥ سنة .. والطرد من الخدمة .

كانت صدمة قاسية لى .. ولأسرتى ..

وكل ماقلته .. طرد من الخدمة .. وأنا على المعاش .. ولا أدرى لماذا

كررت هذه الجملة كثيرا ..

عدت مقهورا إلى السجن الحربى .. وقابلنى - أول مادخلت - الفريق صدقى محمود واللواء اسماعيل لبيب .. فقلت لهما على الحكم .. لم يكن مفاجأة لهما .. الا أن صدقى محمود قال :

- لا .. بصراحة .. أنت تستحق الأعدام .

ودهشت من صراحة صدقى محمود ..

- لأن كان لآزم أنت بالذات تشيل الهم ده كله .. أن شاء الله بدبابة واحدة ..

وبكيت .. وعشت مع دموعى سنوات .. فما أقسى أن يسجن برىء .. عشت شهورا لا أعرف للنوم طريقا .. عيناى كأنهما بلا جفون .. حاولت أن أنام على الحبوب المهدئه .. فلم تتمكن من أغماض عينى .. لم يستوعب عقلى هذه التمثيلية الرديئة .. وتلويث الشرفاء .. وسجن الأبرياء .. لقد بذلت أقصى ما أستطيع فى سبيل بلدى .. وتكون نهايتى فى السجن بتهمة مسئوليتى عن الهزيمة ..

يتذكر اللواء صدقى الغول :

- أمر واحد أسعدنى وأنا فى السجن .. عندما خرجت مصر كلها فى مظاهرات تهتف الهتاف الشهير .. « لا صدقى ولا الغول .. عبد الناصر هو المسئول » أحسست أن الشعب - حتى دون معرفة حقيقية بتفاصيل أحداث الهزيمة ، قام بحسه الوطنى بتبرئتى من هذه الهزيمة القذرة ، وأشار بأصابع الأتهام للمسئول الحقيقى عن الهزيمة وهو : جمال عبد الناصر ، بعد فترة جاءتنى إشارة تقول أنه تقرر بناء على مساعى السيدة حرمكم - تخفيف الحكم عليكم من ١٥ سنة إلى خمس سنوات ، لم يسعدنى الخبر ، فسجن يوم كسجن الدهر كله ، كنت اتوقع العدل ، والعدل هو البراءة ..

• • •

ونترك الحديث للسيدة حرم اللواء صدقى الغول :

ـ كان الحكم جائرا وظالما ، وكنت أريد أن اصرخ فى كل انحاء مصر بأن اللواءصدقى عوض الغول لم يكن سببا فى هزيمة مصر أمام العدو الاسرائيلى ..

ولم يكن هناك فى مصر كلها ـ وسط الأرهاب ـ من يستطيع الدفاع عن زوجى فكنت أذهب إلى مكاتب تلغرافات متفرقة بالقاهرة ، وأرسل برقيات إلى الرئيس جمال عبد الناصر من هذه المكاتب لكى يقرأها العاملون ويحكون لغيرهم بأن صدقى الغول برىء ..

تتذكر حرم اللواء صدقى الغول :

ـ أثناء المحاكمات .. خرجت علينا جريدة الجمهورية بمانشيت على عرض الصفحة الأولى باللون الأحمر الفاقع يقول أن العقوبة المنتظرة للواء صدقى الغول هى الأعدام ، ذهبت إلى رئيس تحرير الجمهورية فى ذلك الوقت وهو الأستاذ فتحى غانم ، فقلت له أن زوجى برىء ، وما تنشره جريدة الجمهورية هو تأثير على المحكمة .. كان الرجل مهذبا ، وأخرج رسالة بتوقيع الفريق محمد فوزى الذى أصبح قائدا عاما للقوات المسلحة ، يطلب منه نشر العقوبة المتوقعة وبالشكل الذى نشرت به ، لذلك لم أرسل له برقية مباشرة ، كنت أرسل له صورة من هذه البرقيات .. ولقد أتصل بى سامى شرف مدير مكتب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت وسألنى عن سر أرسالى برقية كل يوم من مكتب تلغراف مختلف ، فأخبرته حتى أقول للناس أن اللواء صدقى الغول برىء .. ليعرف الناس ولو على نطاق ضيق ..

قابلت الأستاذ الدكتور / ثروت عكاشة ، وطلبت منه التدخل ، إلا أن بعض صديقاتى قلن لى أن أقابل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام رجل مصر القوى فى ذلك الزمان ، وجمعت كل مستندات القضية وذهبت إليه فى مكتبه بشارع مظلوم .. وقابلت سكرتيرته السيدة نوال المحلاوى التى دهشت لتصورى أننى أستطيع لقاء هيكل بهذه السهولة .. وقالت « الأستاذ » مشغول لمدة شهر على الأقل !! فسألتها ولو رغبت فى مقابلة

رئيس الجمهورية فمتى أستطيع مقابلته !! ؟

خرجت وأنا فى شدة الأحباط من كل شىء ، وعدت إلى بيتى وكتبت ، للأستاذ هيكل رسالة كلها أسى من البلد والمسئولين فيها ، وأصحاب القرار ، واذا بالسكرتيره تتصل بى وتخبرنى بأن رسالتى وصلت ، الأستاذ ، وتحدد لى موعدا معه .. قابلنى الأستاذ هيكل وكان مهذبا جدا ، ورويت له رواية قائد الفرقة الرابعة ، وموقف الفريق محمد فوزى القائد العام منه ، وقدمت له كافة المستندات الدالة على صحة كلامى .. وأستمع الى .. وأخذ المستندات ووعدنى خيرا ..

* * *

تقول حرم اللواء صدقى الغول :

ـ لا أدرى .. هل كان هيكل السبب فى تخفيف الحكم ؟ ..

هل كان ثروت عكاشه ؟... هل كانت هذه البرقيات ؟ هل الخلاف بين الفريق محمد فوزى والأستاذ هيكل دفع هيكل لتخفيف الحكم على قائد الفرقة الرابعة ليثبت أنه الأقوى ؟.. الحق أقول لا أدرى حتى يومنا هذا ..

* * *

يتذكر اللواء صدقى أسباب الخلاف بينه وبين الفريق محمد فوزى ، فعندما عين الرئيس جمال عبد الناصر ، الفريق فوزى رئيس اركان القوات المسلحة ، كان بالنسبة لقادة التشكيلات ضابطا من الدرجة الثانية ، لا علاقة لها بالقتال ولا بالتشكيلات .. فلقد قضى عمره كله فى المكاتب .. ضابط شئون ادارية بالكلية الحربية ثم مديرا للكلية الحربية .. وأكثر من هذا قام بزيارة الفرقة الرابعة ، فيجد ـ مثلا ـ أحد الجنود قد نسى أن يربط رباط حذائه ، فيعملها ، قضية ، فكنت أرد عليه بأن يترك الشكليات ويسأل عن السلاح والتدريب ، وتعمير الدبابة والعمل بداخلها وقوة نيرانها ، وكان يتصور أننى بهذا اقوم باحراجه ثم كان الفريق فوزى مكروها على مستوى التشكيلات ، لأن هذا المنصب من حق أحد فى التشكيلاتْ .. من هنا كانت قسوته الزائدة على كل ضباط التشكيلات ..

يعود اللواء صدقى الغول بذاكرته إلى الفرقة الرابعة مرة أخرى فلقد علم من المشير أنه أصدر أمرا بانسحابها لتكون القوة التى تعتمد عليها مصر فى بناء القوات المسلحة ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر هو الذى اتصل بصلاح محسن وأمره بعودة الفرقة الى المضايق بعد صدور أمر الأنسحاب لكل القوات من سيناء ، وكان الهدف هو تدمير الفرقة فى سيناء ، حتى لا تعود وتصبح قوة يمكن أن تنقلب على نظام الحكم .. أو تعيد المشير عبد الحكيم عامر بالقوة إلى القوات المسلحة ، فلا يوجد تفسير آخر غير ذلك

* * *

ومرت السنوات .. والبرىء مذبوح فى السجن الحربى ..

وأصيب بمرض السكر .. وأصيب صدقى الغول بضمور فى الأعصاب ..

ووجد يده ، مطبوقة ، لا يعرف كيف يفتحها .. وتقرر اجراء عملية جراحيه له فى إحدى المستشفيات العسكرية .. ودخل المستشفى .. وأجريت له العملية .. ولأنه مريض بالسكر كان فى حاجة إلى نقل دم .. وكان نائما فى السرير .. مربط اليد .. خراطيم نقل الدم فى ذراعيه .. وفجأة دخل رجال الشرطة العسكرية .. ونزعوا خراطيم نقل الدم .. وأخذوه بالقوة إلى السجن الحربى .. وهو لا يدرى لماذا ؟

.. ورفض الجنود استراحام الاطباء والممرضات فى المستشفى .. كل ما قالوه :

ـ دى أوامر علينا ..

وكانت مأساة .. وكانت قسوة بأوامر عليا ...

وعاد الى السجن .. وهناك علم أن عبد الناصر قد مات .. ولتأمين البلد أصدر الفريق محمد فوزى أوامره ـ بصفته القائد العام للقوات المسلحة ـ بإعادة كل المسجونين إلى السجن من المستشفيات بلا رحمة ، ربما كان المقصود الوحيد هو اللواء صدقى الغول ، فلم يكن من ضحايا مذبحة

الأبرياء فى المستشفى غير اللواء صدقى الغول .. وعاد إلى المستشفى ، حتى أفرج عنه الرئيس الراحل أنور السادات وأسقط عنه كل التهم التى وجهت إليه ..

* * *

هذه مأساة أو مذبحة الفرقة الرابعة ..

وهذه قصة مذبحة قائدها ..

ولا إله إلا الله ..

وثيقة

الأخ العزيز جمال حماد ..

تحية طيبة وبعد :

دعنى أشكرك كل الشكر عما بذلت من مجهود ضخم لمحاولة كشف الحقائق فى القضايا المسماة بمحاكمة القادة العسكريين المسئولين عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ..

وشكرى الخاص لما لمسته من سيادتكم من مجهود كبير فيما يختص بمأساة الفرقة الرابعة المدرعة والحمد لله انك لمست منى كل المعاونة بعد صمت طويل دام عشرين عاما وبعد اطلاعى على مقالكم فى مجلة اكتوبر الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٢ وجدت بعض الامور التى تفرض على توضيحها لكم والرأى العام وهى :

• **أولا :**

ذكرت سيادتكم أن اللواء الثانى المدرع بقيادة العميد كمال حسن على عند عودته من المضايق يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ إلى غرب القناة تنفيذا لأوامر

الانسحاب الأول كانت أوضاعه كما يلى :

١٢ دبابة متحركة على طريق السويس القاهرة ..

٤ دبابات جنوب البحيرات المرة غرب القناة ..

٢٠ دبابة شرق القناة فى منطقة الكوبرى جنوب البحيرات تنتظر تزويدها بالوقود ..

باقى الدبابات عند مضيق الجدى ..

مجموعة مدفعية اللواء (اللواء ٤٥ مدفعية ميدان عدا كتيبة) وفوج المدفعية المضادة للطائرات فى القاهرة ..

أخـــى جمــــال :

لى رجاء صغير .. وهو أن أعلم من أين استقيت هذه المعلومات الدقيقة عن هذا التوزيع الغريب ..

فى تصورى أن هذه المعلومات مصدرها أما من قائد الجبهة اللواء صلاح محسن أو من قائد اللواء الثانى العميد كمال حسن على ..

وبرغم أننى ذكرت لكم كل الاحداث عن هذا الوضع أثناء تواجدكم بمنزلى فى لقائنا الأول وكنت واضحا معكم كل الوضوح .. فدعنا نتذكر معا الاحداث من جديد :

عندما انسحبت بقيادة الفرقة الى غرب القناة يوم ٧ يونيه كالأوامر الصادرة من القيادة العليا كان اللواء الثانى خلفى .. أى سيعبر بعد عبور قيادة الفرقة عبر جنوب البحيرات .. وعندما علمت من ضباط القتال على الامر المذكور أن التعليمات تقضى بتجمع جنوب البحيرات غربا حتى اتأكد من قيادة الجيش من صحة ذلك .. ومعنى هذا أن اللواء الثانى الذى سيعبر بعد قيادة الفرقة سيحجز غرب القناة بالكامل وهذا يخالف تماما التوزيع الذى جاء بمقالكم ..

فكيف تتمركز دبابات على طريق السويس / القاهرة ، وتتجمع دبابات شرق القناة وليس غربها مخالفة بذلك أوامر الانسحاب ؟؟

والعجيب أن باقى دبابات اللواء الثانى بمنطقة الجدى والأوامر تقضى بانسحاب جميع وحدات الفرقة من المضايق ..

وإذا كانت هناك دبابات شرق القناة .. ودبابات مازالت بمضيق الجدى فكيف يعقل أن اقوم كقائد بتشكيل قوة خفيفة (عربات ٦ × ٦ بدون مدفعية ميدان ومدفعية مضادة للطائرات) بقيادة المقدم عبد الحميد حمدى رئيس اركان اللواء السادس الذى كان متواجدا أمامى غرب القناة لدفعها إلى مضيق الجدى ..

ألم يكن الأجدى الاستغناء عن تشكيل القوة الخفيفة والاستعانة بالقوات فى مضيق الجدى وسهولة دفع الدبابات الموجودة شرق القناة فى انتظار اعادة (السمرديزل) .. هل هذا معقول ؟ شىء لا يصدقه عقل ..

وأود هنا ألا يفوتنى بمناسبة الحديث عن تشكيل القوة الخفيفة أن احيى المقاتل البطل المقدم عبد الحميد حمدى (لواء) لقيامه بهذه المهمة الانتحارية ..

أثار دهشتى أنك بعد حصولك على هذه المعلومات وغرابتها وأنت الدقيق فى بحثك وتنقيبك وراء الحقيقة .. لم تحاول التأكد كعادتك من صحة هذه المعلومات .. خصوصا وانه واضح أمامك كرجل عسكرى أن بعثرة وحدات اللواء بهذا الشكل تدل على عدم سيطرة قائد اللواء الثانى على وحداته ..

ثم أين كان يتواجد قائد اللواء الثانى ؟ هل كان مع القوات التى كانت تتحرك الى القاهرة ؟ أم مع العشرين دبابة التى كانت شرق القناة .. فى انتظار اعادة الكل .. أم مع الأربع دبابات التى كانت غرب القناة ؟ أم مازال متواجدا مع باقى الدبابات بمضيق الجدى .. كما ذكر بمقاله بجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٨٦ من أنه خالف الاوامر واستمر حتى الساعة الثالثة ظهرا فى مضيق الجدى وتمركز فى شرق القناة وليس غربها حسب الاوامر المعطاة له كتابة ؟؟ .. أم امضى الليلة معى حسب قوله فى جريدة الوفد من الساعة الخامسة مساء يوم ٧ يونيو حتى الساعة الثالثة من صباح يوم ٨ يونيو فى انتظار وصول وفود الدبابات ليعود مرة اخرى إلى

مضيق الجدى ..

أيضا ربما نكر في الجريدتين بالاضافة الى ما اوضحته سيادتك عن اوضاع اللواء وبعثرته يوم ٧ يونيو . ألم يكن يستحق هذا منكم الاهتمام لبيان الحقيقة للتاريخ وللرأى العام ؟ خاصة وانني اتهمت بالتقول على زميل سلاح بالباطل ..

سبق أن أوضحت لكم اثناء لقائنا أنني تحركت بقيادة الفرقة حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ٧ يونيو على محور (الجدى) لتفتح قيادة الفرقة خلف القوة الخفيفة بقيادة المقدم عبدالحميد حمدى حيث تم فتح قيادة الفرقة عند الكيلو ٣٥ على المحور المذكور ..

وقد أكدت لكم أنني لم اقابل العميد كمال حسن على منذ انسحاب وحدات الفرقة يوم ٧ يونيو إلا صباح يوم ٨ يونيو حوالى الساعة التاسعة صباحا وهو متحرك على طريق الجدى لاحتلال المضيق .. حيث اوضحت له الموقف في هذه المقابلة وأصدرت له الاوامر باتخاذ القيادة من المقدم عبد الحميد حمدى ..

* لى ملاحظة بسيطة عن تأكيدى بأنى لم اشاهد الأخ كمال منذ يوم ٧ يونيو بعد لقائي به على طريق الجدى ساعة ١١٣٠ صباحا حتى الساعة التاسعة صباح يوم ٨ يونيو ليس لأن قيادة الفرقة التى كانت مجهولة المكان والعنوان ولا يوجد أى اتصال لاسلكى بها كما نكر سيادته في مقاله بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٦/٩/١٣ طبعاً هذا الكلام يحمل شيئا من الحقيقة لأن اوامر الانسحاب التى صدرت إليه منى شخصياً أثناء مقابلتى له على الطريق الساعة ١١٣٠ صباح يوم ٧ يونيو كانت تقضى بإنسحابه خلف قيادة الفرقة إلى غرب القناة .

* ثانيا : لاحظت في سرد أحداث المحاكمة فيما يختص بالتهمة الثانية وهى (اهمال اطاعة الأوامر الصادرة شفاهية من اللواء عماد ثابت مدير المدرعات إلى العميد كمال حسن على) ..

إن كل ما ذكرته في مقالكم بخصوص شهادة العميد كمال بعيد كل البعد عما حدث داخل المحكمة وما ذكرته لكم شخصيا ودللت على ذلك بما سجل

كتابة بمعرفة محامى الدفاع عنى المرحوم الاستاذ « عبده مراد » ..

وأثار عجبى بأن الكلمات التى صورتها فى مقالكم بأنها شهادة كمال حسن على والتى ظهرت بصورة الدفاع الاختيارى عنى مأخوذة من كلمات وردت فى رده المنشور بجريدة الوفد . ولكن هذه الكلمات قيلت فى الجريدة بصورة اخرى وليست كشهادة فى المحكمة .. وقد انتهت شهادة كمال حسن على بأنها كانت كفيلة بشطب التهمة الثانية لو كان الهدف محاكمة عادلة وليس لتقديم كبش فداء ..

وهذا يعتبر مغايرا للحقيقة تماما وغبن فى حق الشهود الحقيقيين الذين وقفوا فى المحكمة (١٤ شاهد) يتحدون الظلم ويشهدون بكل الشجاعة والصدق والأمانة ..

وتقدم الشاهد الأول الأخ السيد اللواء عماد ثابت وقرر امام المحكمة (أننى لم اعط للعميد كمال حسن على أى أوامر لتبليغها الى اللواء صدقى الغـول) ..

ورغم مبادرة المحكمة والنيابة العسكرية له إلا انه اصر على شهادته بكل شهامة وأمانة ..

وهنا طلب محامى الدفاع عنى مواجهة السيد اللواء عماد ثابت بالعميد كمال حسن على ولحين استدعاء العميد كمال تتابع الزملاء الأوفياء المستدعين كشهود اثبات ولكن الكل كان يقوده ضميره وشرفه العسكرى لبيان الحقيقة . وحاولت المحكمة محاصرة الشهود والتشكيك فى شهادتهم بالزور ، وهنا انبرى الصديق الوفى اللواء صلاح الرفاعى قائد مدفعية الفرقة فكال للمحكمة وأعجزها مضحيا بكل شيء إلا ضميره وشرفه .. كذلك الأخ والصديق الفاضل اللواء رياض عبد الشافى الذى قرر أمام المحكمة قائلا : (اننى لو كنت مكان اللواء صدقى الغول لاتخذت نفس القرار الذى اتخذه بانسحاب الفرقة يوم ٨ يونيو ـ ولعدم الاطالة فى الرد بالنسبة للجريدة اكتفى بهذا واقول لجميع ضباط قيادة الفرقة الشرفاء جزاهم الله كل خير وأود أن يمن الله عليهم بالصحة والعافية ، أما من فارقونا منهم إلى رحاب الله فليجزهم الله كل الخير ..

وبعد وصول الأخ كمال حسن على تمت المواجهة بينه وبين السيد اللواء عماد ثابت حيث وافق الأخ كمال على شهادة اللواء عماد وقرر أن الحديث بينى وبينه كان مجرد (دردشه) ..

عزيزى الأخ جمـــال :

بعد هذه التفاصيل الدقيقة عما دار داخل المحكمة أصبح واضحا تماما للرأى العام أن صاحب الفضل فى دحض التهمة الموجهة لى هو الشاهد الأول السيد الفاضل اللواء عماد ثابت وجميع زملائى الشهود الأوفياء (وليس السيد كمال حسن على) وبشهادة اللواء عماد وجميع الزملاء أصبح عدد شهود النفى خمسة عشر شاهداً من ستة عشر شاهداً للاثبات ..

• أخيـــراً :

جاء فى مقالكم العبارة التالية : (أحاول أن أستخلص الحقائق المجردة من خلال اقوال غريمين عنيدين يتهم كل منهما الآخر بأبشع التهم) لعلك تذكر أن حديثى معك كان عبارة عن سرد أحداث انسحاب الفرقة وعودتها وابداء رأيى كقائد مسئول ومناقشة قائد الجيش واعتراضى على اوامر عودة الفرقة الى المضايق ثانية خشية تدميرها . وتأكيدى له أن يبلغ القيادة العليا التى كان معها على التليفون أن الفرقة عادت بالكامل يوم ٧ يونيو الى غرب القناة .. ومناقشتى له فى باقى الأمور الخاصة بوصول الاوامر من عدمه .. ونكرى لباقى الأمور الأخرى .. الخ .. (فهل يطلق على ذلك أشنع التهم ؟) وخصوصا وأن جلسة العمل التى جمعتنى واياك تركت فى نفسى الكثير عن حرصك الشديد فى اختيار اللفظ . وقد عشت طوال فترة خدمتى العسكرية عف اللسان ..

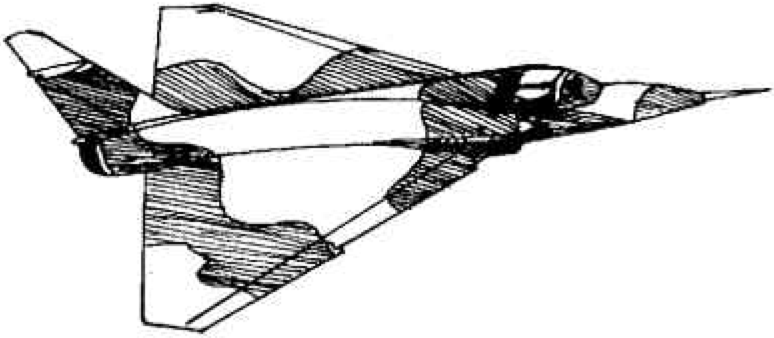
سامحـــك الله ...

دعنى مرة أخرى أشكرك كل الشكر على ما بذلته من مجهود فى كتابة مقالكم عن مأساة الفرقة الرابعة .

وأتمنى من كل قلبى ألا يغير هدا الرد من علاقتنا التى سعدت بها ومازلت واتمنى دوامها ..

والـــــى اللقاء .....

لواء ا . ح (متقاعد)
صدقى عوض الغـــول
رقم البطاقة العسكرية ٣٢٩١



سر تدمير الفرقة الرابعة المدرعة

شهادة هامة وخطيرة

للواء عمر هزاع

الشهادة من اللواء عمر هزاع ، وهو أحد ضباط الفرقة الرابعة المدرعة وكان وقتها قائد كتيبة مدرعة برتبة رائد ضمن كتيبة اللواء الثالث المدرع الذى كان يقوده اللواء سعاد حسن ، يقول اللواء عمر :

- اشتركنا فى وضع خطة منظمة للانسحاب ، حتى يمكن الاحتفاظ بالقوات سليمة ، وكان قد تحدد موعد للإنسحاب الساعة الثانية عشرة ظهرا من المضايق .. وهو وقت يكشفنا للطيران الاسرائيلى الذى أصبحت له السيادة الجوية فى المعركة وأمر قائد الفرقة قوات الشئون الادارية أن تنسحب فى الحادية عشرة ظهرا ، وفعلا انسحبت بدون خسائر الى الضفة الغربية للقناة ، واتجهت فورا الى قصر الطاهرة فى القاهرة ، وفور وصولها الى قصر الطاهرة صدرت الأوامر بعدم عبور أى دبابة من الفرقة الرابعة المدرعة فى سيناء ، كانت الأوامر صارمة للشرطة العسكرية على المعابر ، وسوف أروى السبب فيما بعد ، ووصلت الى المعابر ، وكانت بعض القوات قد عبرت فعلا الى الضفة الغربية ، والبعض فى الطريق ، وكان ضمن قوتى سيارة اسعاف بها اثنان من الجنود المصابين ينزفان بغزارة .. وأخبرنى ضابط الشرطة العسكرية بأن عنده أوامر مشددة ، جاءت اليه الآن بعدم عبور أفراد أو معدات الفرقة الرابعة ، وهذه الأوامر من اللواء صلاح محسن قائد الجيش فطلبت منه السماح لسيارة الاسعاف فقط بالعبور ، وشرحت له حالة الجنديين فرفض لأن الأوامر مشددة ، فاقترحت عليه

عبور الجنديين محمولين لانقاذهما من الموت المحقق ، وحتى يمكن ايداعهما احدى مستشفيات السويس ، ولكن رفض ، وبعد عدة ساعات قليلة فاضت روح الجنديين ، وقمت بدفنهما على شاطىء القناة ..

• • •

ثم صدرت الينا الأوامر بالعودة الى المضايق ، وعدنا ، وحدث ما حدث ، وكاد العميد كمال حسن على أن يفقد حياته اثر اصابة سيارته بصاروخ .. وأخذته على الفور مع مجموعة من الضباط ، وهو فاقد الوعى تماما .. وذهبنا به الى احدى مستشفيات السويس ، وأمكن أنقاذه ..

بعد هذه الحادثة .. أخذت أبحث عن سر الأوامر المشددة لعدم عبورنا رغم أوامر الانسحاب ، ثم دفعنا مرة ثانية الى المضايق ، بل وانسحابنا فى الثانية عشرة ظهرا تحت سمع وبصر الطيران الاسرائيلى الذى ساد سماء المعركة .

• • •

عندما وصلت طلائع الفرقة الرابعة الى قصر الطاهرة فى القاهرة ، اتصل المسئولون عن أمن القصور برئاسة الجمهورية ، وتصور الرئيس عبد الناصر أن هناك خطة لكى تقوم الفرقة الرابعة باحتلال القصور والقيام بانقلاب - ربما لصالح المشير - حيث كان اللواء صدقى الغول قائد الفرقة من المقربين للمشير عامر ، وكان يزوره فى بيته .. بل ويأخذه معه فى رحلات خارج البلاد ..

وكانت الفرقة الرابعة المدرعة ، هى القوة العسكرية الوحيدة فى كل مصر ، وبواسطة ما تملكه من مدرعات لم يدمرها العدو الاسرائيلى يمكنها فرض أى شىء بالقوة ، سواء كان ذلك انقلابا عسكريا ، أو اقصاء رئيس الجمهورية أو اعادة المشير للقوات المسلحة بعد ذلك ..

لذلك .. صدرت الأوامر بعودة الفرقة الرابعة الى سيناء واحتلال المضايق من جديد ، فسوف يدمرها الاسرائيليون كما دمروا كل القوات المسلحة المصرية وتنتهى هذه الفرقة التى يمكن ان تفرض - بالقوة - ما تشاء على المسئولين فى القاهرة . ولا يوجد ما يواجهها .

• • •

مذبحة الطيارين

أقيمت مذبحة للواء طيار اسماعيل لبيب ، قالوا أنه سبب الهزيمة .. وحكموا عليه بالسجن ، ولوثوا تاريخه أمام كل الناس ، ولم يكن مسئولا عن الهزيمة ، بل كان أبرز ضحايا مذبحة الأبرياء ، لقد عينوه بعد النكسة مباشرة قائدا للقوات الجوية ، خلفا للفريق صدقى محمود ، وأبلغوه بذلك ، وبعد ثلاثة أيام تم اعتقاله وتقديمه للمحاكمة ، وصدر الحكم عليه بالسجن ، وتم ترحيله الى السجن ..

كان يشعر بالقهر والمرارة .. فبعد أن اعطى مصر كل حياته ينتهى به المطاف فى زنزانة ، فما أقسى أن تظلم بريئا ..

ظل - وهو فى السجن - يبحث عن الاسباب التى دفعت به الى هذه الزنزانة .. فلم يجد سببا واحدا .. ان التقصير فى الحرب لا يؤدى الى السجن .. بل يؤدى الى الرمى بالرصاص .. وهو لم يقصر على الاطلاق ..

استمر الطيار اسماعيل لبيب فى السجن حتى لحق به سامى شرف بعد موت الرئيس عبد الناصر ، وفى السجن تخلع كل الأقنعة .. قناعا وراء الآخر .. وبدأ سامى شرف يخلع قناعا .. وراء قناع .. ثم اعترف بأنه سمع أن قائد الطيران الجديد اللواء اسماعيل الذيب يجلس مع الطيارين وينتقد الرئيس انتقادا مرا .. وهنا أبلغ عبد الناصر بما سمعه .. فقال قرارا عصبيا :

- يقال ويسجن ..

وبدأ على الفور البحث عن تهمة ، وتم العثور عليها ، ثم تقديمه الى المحاكمة فالسجن .. بتهمة عدم توصيل إنذار الرئيس بهجوم في ظرف ٣ أيام إلى الوحدات

وكانت مذبحة قاسية لرجل برىء .. لم تكن المذبحة له وحده ، بل كانت أيضا لأسرته ..

وقبل أن اترك الحديث للواء اسماعيل لبيب ، وطالما أن الحديث هنا عن القوات الجوية ، أحب أن اسجل هنا حادثتين خطيرتين :

*** الأولـــى :**

حفل انشاص .. والذى ادعت الموساد انها هى التى اقامته للطيارين المصريين .. حيث قضوا ليلة حمراء ، ـ كما تقول دعاية الموساد ـ مع الراقصات والخمر حتى الصباح .. أحب أن أسجل هنا أن الحفلة أقيمت بموافقة الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا ، وأن الذى جاء بالموافقة هو الطيار حسين عبد الناصر شقيق الرئيس عبد الناصر وزوج أبنة المشير ، وأبلغ الموافقة للواء طيار اسماعيل لبيب ، وتم ابلاغ الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية ، حيث اتصل بادارة التوجيه المعنوى للاعداد للحفل ، وتمت اقامته فعلا ، وانتهى فى السابعة مساء يوم الرابع من يونيو عام ١٩٦٧ ، وفى الصباح قام الطيارون بواجباتهم العادية .. وطاروا بطائرات ، وعادوا الى القاعدة ـ كالمعتاد ـ فى الثامنة صباحا .

هذه حقيقة حفل انشاص .. والذى تحدثت عنه كثيرا أجهزة الموساد الاسرائيلية فى حملتها القذرة عقب هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، مستغلة هول الهزيمة وعمقها ، ونسجت الخيالات عن الأبرياء من رجال القوات الجوية ..

*** الثانيـــة :**

اجتماع خطير برئاسة عبد الناصر ـ قبل اجتماع يونيو وتم فى احدى القواعد الجوية ، وحضره قادة القوات الجوية ، وطلب تسجيل هذا الاجتماع على شريط ، وقام اللواء اسماعيل لبيب بتسجيل هذا اللقاء الهام .. وأعلن

فيه عبد الناصر أنه لن تحدث حرب ، وأنه يقوم بمظاهرة عسكرية فقط .. وانه سحب قوات الطوارىء الدولية ، ولن تتحرك اسرائيل ، وسوف يعلن غدا قرار اغلاق خليج العقبة أمام الملاحة البحرية الاسرائيلية ، وطلب من الطيارين الهدوء .. فلا حرب ، وأكد أن لديه ضمانات بذلك من القوى الكبرى ، وقال أن روسيا وأمريكا لا تريدان الحرب فى الشرق الأوسط وأن اسرائيل نفسها ملتزمة بذلك ..

وبعد هذا .. طلب من اللواء طيار اسماعيل لبيب نسخ الشريط وارساله الى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، وشريط فى قيادة القوات الجوية ، وآخر عند سامى شرف ..

قام اللواء طيار اسماعيل لبيب بتنفيذ أوامر الرئيس عبد الناصر ..

ثم .. تداعت الاحداث .. وحدثت الهزيمة .. وأرسل سامى شرف رجاله لأخذ هذا الشريط الوثيقة ..

وتداعت ايضا احداث ما بعد النكسة .. ودخل اللواء اسماعيل لبيب السجن بريئا ..

وتداعت أحداث اخرى بعد موت عبد الناصر .. ودخل سامى شرف السجن أيضا .. وفى السجن روى قصة سرعة الاستيلاء على هذا الشريط الذى يؤكد فيه عبد الناصر انه لا يوجد حرب ، وان ما يقوم به هو مظاهرة عسكرية ، فقال ان عبد الناصر هو الذى طلب سرعة احضار هذا الشريط خوفا من تسربه الى الشارع المصرى .. وعلق على هذا :

- لو الناس سمعته .. يشنقونا فى الشوارع ..

هذا نص ما قاله سامى شرف فى السجن .. لزملاء السجن ..

* * *

محدثى هو اللواء طيار اسماعيل لبيب من مواليد ١٢ فبراير عام ١٩٢٥ ، التحق بالكلية الحربية عام ١٩٤٢ وتخرج عام ١٩٤٤ ، (شعبة الطيران) ، بدأ العمل على المقاتلات .. ثم عمل فى تدريس الطيران ، وكان من بين تلاميذه الطيار حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ..

كان الطيارون المصريون يتدربون مع القوات البريطانية فى القناة ، فقام الطيار اسماعيل لبيب بانشاء وحدة تدريب فى مطار الماظة .. وكانت هذه الوحدة للتدريب على المقاتلات ، ثم تطورت وبدأ التدريب على النفاثات ، ثم قائد قوات المظلات فى البداية (أى قائد الطائرة المعدة لاسقاط المظليين ..)

حصل محدثى على فرقة اركان حرب ، وبعثة فى بريطانيا ، وأخرى فى روسيا عام ١٩٥٩ ، وكان فى هذه البعثة الفريق عبد المنعم رياض وحصل على فرقة قادة جيوش فرونزا وموزينو جوية من روسيا واسمها (مونيت) ، ثم تولى مدير مكتب قائد القوات الجوية ، ورئيس فرع الامن للقوات الجوية ..

* * *

فى ١٩ ديسمبر ، حدثت حادثة مروعة .. اخترقت مجالنا الجوى الطائرات الاسرائيلية ، خرجت لها ٤ طائرات ميج ١٩ ، وحدثت معركة جوية .. سقطت طائراتنا على اثرها ، فطلب الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عامر لجنة دفاع جوى من الاتحاد السوفيتى ، وجاءت اللجنة برئاسة قائد الدفاع الجوى عن منطقة موسكو ، (جنرال بادجورنى) وبحثوا أوضاع الدفاع الجوى فى مصر ، وقدموا تقريرا هاما عن الدفاع الجوى فى مصر فى فبراير عام ١٩٦٧ إلى الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا وناقشوه معه ، ورشحوا اللواء طيار اسماعيل لبيب كأقدر رجل ليتولى الدفاع الجوى عن مصر ..

مأساة حدثت .. كان اللواء طيار اسماعيل لبيب أحدث من اللواء يحيى فؤاد قائد مدفعية الدفاع الجوى ، واللواء محمد على فهمى قائد القطاع المركزى .. واللواء اسماعيل الدلتى قائد الدفاع الجوى للمنطقة المركزية واللواء عبد الحميد الدغيدى قائد الدفاع الجوى عن منطقة القناة .. والمفروض أن يصدر لهم الأوامر .. وفى التركيبة العسكرية ، هذا لا يستقيم .. فالأقدمية قبل الكفاءة .. وتم الالتفاف حول هذه المسألة ، بأن

يصدر اللواء اسماعيل لبيب أوامره باسم قائد القوات الجوية ويكتبها لرئيس الأركان الفريق جمال عفيفي ليوقعها ويصدرها .

هذه المقدمة عن المتحدث ، لأوكد أن الرجل يجلس فى قمة انجازات كبيرة فى الطيران المصرى ، وانه فى نفس الوقت واحد من اكفأ الطيارين ورجال الدفاع الجوى ، وخرج لمصر مئات من المقاتلين ..

ولكن صباح الخامس من يونيو .. كان مذبحة لكل الابرياء .. لكل قادة وأفراد القوات المسلحة .. وكان على قمة الضحايا اللواء اسماعيل لبيب .. فلنسمع القصة أو المأساة منه :

• يقول اللواء اسماعيل لبيب :

ـ حوكمت بتهمة عدم إبلاغ انذار الرئيس جمال عبد الناصر إلى وحدات الدفاع الجوى مما تسبب فى هزيمة القوات المسلحة ولكى يكون واضحا للقارىء تسلسل الاوامر بالقوات المسلحة يجب أن يعرف نظامها :

اولا :

ـ قائد عام القوات المسلحة : المشير عامر رحمه الله .

ـ ينوب عنه ويصدر الاوامر للقوات رئيس اركان حرب القوات المسلحة الفريق أول محمد فوزى .

ـ يعاونه ويعتمد ويوزع الاوامر للقوات والوحدات رئيس هيئة عمليت القوات المسلحة الفريق القاضى ...

ـ وقد كان ثلاثتهم حاضرين لمئتمر ٢ / ٥ / ١٩٦٧ مع الرئيس جمال عبد الناصر ولم يصدر أحد منهم أى تعليمات أو اوامر وقد قال الفريق القاضى فى المحكمة عند سؤاله لم أصدر تعليمات لهذا المؤتمر لاننا لم نتصور أن هذه اوامر بل تصورناها تصور شخصى للرئيس ..

ثانيا :

الفريق أول جمال عفيفى وهو رئيس أركان حرب القوات الجوية الذى تتبعه شعبة عمليات الدفاع الجوى لم يصدر أى اوامر وقد صدر الحكم ببراءته لعدم وجود رابطة السبب مع هزيمة القوات المسلحة ..

اليس بالأحرى أن تنتفى هذه السببية لتابعه ؟ خاصة أنه قد أصدرت هذه

التعليمات شفاهة لجمع قادة القطاعات وقادة الوحدات ولكن انكرها الجميع للتنصل من المسئولية ..

فهل يعقل ان يستمر العمل ثلاثة أيام باقصى حالة طوارىء وتصدر اوامر تحركات الاسراب الثابتة ولايعلم قادة القطاعات لماذا ؟ بل أن جميعهم كانوا يطلبونى تليفونيا للاستفسار عن كيف الفريق صدقى يقبل هذا الوضع ..

ثالثا :

قوات الدفاع الجوى تتكون من المقاتلات والمدفعية المضادة للطائرات والانذار ..

فلماذا لم يحاكم مثلا قائد المدفعية المضادة للطائرات أو أى أحد من قادة وحداته ..

أم أن السبب هو أن الضابط الآمر بالمحاكمة الفريق أول فوزى مدفعية مضادة للطائرات (انوار كاشفة) كذا سامي شرف أيضا كان اصلا أنوار كاشفه ؟ .. ومن الطريف أنه اثناء المحاكمة الاولى والثانية عند سؤال الفريق أول عبد المنعم رياض رحمه الله من المحكمة هل لو كان انذار الرئيس عبد الناصر قد وصل إلى وحدات المدفعية المضادة للطائرات لاختلف الوضع وقد كان رده الوحدات كانت فى حالة استعداد ١٠٠٪ أى أن جميع الافراد والاطقم على مدافعهم ومستعدين للاشتباك فورا .

فهل هناك زيادة عن ١٠٠ ٪ ومن اين كذلك الثابت أن انذارنا لايكشف الاهداف على أقل من ٥٠٠ متر فكيف تأمرنى باصطياد عصفورا وانا لاأراه ..

كذلك فى كل من المحاكمة الاولى والثانية من اقوال الفريق رياض واللواء سعيد عبد الوهاب رحمه الله (مدفعية مضادة) .. الثابت أن هجوم العدو كانت الموجة الأولى منه ضد ممرات المطارات وبعدها بحوالى ٣ إلى ٥ دقائق بدأ أول ضرب للطائرات فلماذا لم تتمكن المدفعية والصواريخ من منع العدو من تدمير طائراتنا وظلت حتى نهاية العمليات فى أشتباك مستمر مع العدو دون ان تسقط طائرة واحدة له ..

ومن الطريف أن رئيس المحكمة فى المحاكمة الثانية كان الفريق الرمالى وقد ابترى يناقشنى عند سؤال اللواء سعيد عبد الوهاب السؤال السابق مناقشة فنية عن أن الامكانيات الفنية للمدفعية المضادة للطائرات والصواريخ لاتسمح لها بتدمير الاقل من ٥٤٠٠ متر ارتفاعا خاصه السريعه .. وذلك بصفته قائد المدفعية فى هذا الوقت وقد اتم فورا فرقة أكاديمية ناصر العسكرية .. وبالرغم من ذلك أصدر الحكم على ..

يقول اللواء اسماعيل لبيب : أول بداية للاحداث بالنسبة لى كان فى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ ، فى هذه الفترة كنت مسئولا - ضمن مسئولياتى عن تأمين الطائرات الهامة ..

وكان الرئيس أنور السادات ورئيس مجلس الشعب فى ذلك الوقت ، عائدا من دمشق ، وكنت فى استقباله بمطار القاهرة ، وبعد أن صافحته قال :

- يبدو أن المنطقة على أبواب حرب ، لقد أخبرنى السوريون بأن اسرائيل تحشد ٢٧ لواء على الجبهة السورية وكلفونى بأبلاغ ذلك للرئيس جمال عبد الناصر ..

فى اليوم التالى لهذا اللقاء ، صدرت اشارة من عمليات القوات المسلحة وصدرت عليها اشارة من عمليات القوات الجوية تحمل رقم ٧٥٧ بتاريخ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، برفع درجة الاستعداد فى القوات الجوية الى الدرجة القصوى ، وتم تنفيذ ذلك على الفور ، وفى اليوم التالى (١٦ مايو ١٩٦٧) ، جاءت الاشارة رقم ٧٥٩ من عمليات القوات الجويه بالغاء الاجازات والفرق واحتلال مواقع غرف العمليات بالكامل .. والأهم تنفيذ خطط الدفاع الجوى ، والتى وضعت من قبل .. تنفيذها بالدرجة القصوى ١٠٠ ٪

* * *

* يقول اللواء طيار اسماعيل لبيب :

- عقد مؤتمر يوم ١٧ مايو برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر حضره

المشير عبد الحكيم عامر والفريق صدقى محمود وقادة القوات المسلحة ، وتقرر فى هذا الاجتماع تنفيذ خطة احتلال ميناء ايلات الاسرائيلى ، وكان رأى عبد الناصر أن اسرائيل قد تتمكن من احتلال قطاع غزة ، فلابد من احتلال ايلات ، حتى يمكن المساومة على القطاع بميناء ايلات .. وأكد عبد الناصر فى هذا الاجتماع أن ، العملية ، لن تزيد على ذلك ، لأن الموقف الدولى ، والدول الكبرى لن تسمح بأكثر من هذا .. بعد هذا المؤتمر مباشرة اجتمعنا فى مكتب الفريق صدقى محمود قائد الطيران ووضعنا خطة الدفاع الجوى التى تصاحب خطة احتلال ايلات ، اما خطة الدفاع عن سماء مصر ، فهى موضوعة ومنفذة ودائمة ..

* * *

وقمنا بالاستعداد لضرب ايلات واحتلالها طبقا للخطة ، وكانت ساعة الصفر ، الساعة الثامنة صباح يوم ١٩ مايو ، وكان من الممكن نجاح هذه العملية .. ولكن جاءت التعليمات فى السادسة صباحا بالغاء عملية ايلات ..

* * *

* يقول اللواء طيار اسماعيل لبيب :

- فى ابو صوير عقد مؤتمر هام ، برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر وحضره المشير عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين ومحمد حسنين هيكل وقادة القوات المسلحة ، وقد حضرت بنفسى هذا المؤتمر فى هذا الوقت ، كانت الروح المعنوية عالية ، وكان الطيارون سعداء بأنهم على مقربة من موعد ضرب اسرائيل ، وخاصة أنه سيكون لنا الضربة الأولى ، وبدأ الرئيس جمال عبد الناصر بقوله :

- احنا مش حنحارب اسرائيل ..

- وحدثت همهمة عالية ، واعتراضات من طيارى القاعدة الذين حضروا المؤتمر ، وهنا وقف المشير قائلا :

- استنوا .. استنوا .. اسمعوا الريس للآخر ..

ثم بدأ الرئيس عبد الناصر يتحدث بعد أن سيطر المشير على الطيارين الغاضبين .. قال عبد الناصر :

- اسرائيل لها أن تحارب فى أربعة أوضاع :
أولا : الغاء القوات الدولية .. واحنا الغيناها يوم ١٦ مايو ..

- حشد قوات مصرية فى سيناء .. واحنا مطلعين النهاردة الصحفيين بطائرتين يصوروا ويشوفوا حشد القوات فى سيناء ..
- تصعيد العمليات الفدائية داخل اسرائيل ..
- اتفاق عسكرى مع الاردن .. وعبد المنعم راح الاردن .. واتفقنا مع الاردنيين ..
* ثم قال عبد الناصر :
- آخر حاجة قفل خليج العقبة .. وأنا بأعلن قفل خليج العقبة .. وبقول لكم اسرائيل مش حتحارب ..
فرد الطيارون بصوت مسموع :
- ده يبقى لعب قمار ..
فرد المشير على الطيارين :
- بلاش قلة أدب أنت وهوه ..

* * *

بعد أيام وضعت خطة لضرب مطارات اسرائيل ، على أن تكون الضربة الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢٧ مايو ، ووضعت الترتيبات لهذه الخطة .. وصدق على هذه الخطة واسمها « فهد » ، ولكن فى الخامسة وخمس واربعين دقيقة من صباح يوم ٢٧ مايو ، قبل قيام الطائرات بخمس واربعين دقيقة ، اتصل سامى شرف بالفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية ، يخطره بأوامر الرئيس جمال عبد الناصر بالغاء ضرب الطيران لمطارات اسرائيل ..

* * *

* يقول اللواء طيار اسماعيل لبيب :

يوم ٣٠ مايو وصل الملك حسين إلى القاهرة وتم الاتفاق معه على تنسيق التعاون بين البلدين واتفق على الاستفادة بمحطة رادار عجلون لإنذارنا ، وقد أرسل الفريق عبد المنعم رياض ومعه اللواء المنادى بجهاز إتصال مع المركز الرئيسى للدفاع الجوى ، ولكن تم تغيير موجة الاتصال بناء على أوامر من القيادة العامة دون إخطارنا مما تسبب عنه تأخر وصول إشارة « عنب عنب عنب » المتفق عليها والتى تعنى خروج الطائرات الاسرائيلية لمهاجمتنا .

ـ يوم ٢ يونيو ، عاد الفريق صدقى محمود ، من مؤتمر برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر ، وكانت الساعة تشير الى الحادية عشرة والنصف مساء ، وهو فى حالة معنوية سيئة للغاية ، بل كاد أن يبكى ، وعندما رآنى طلب منى ان أنادى على الفريق جمال عفيفى واللواء بركة ، وحسين عبد الناصر واجتمع بنا ونحن فى شدة التوتر من حالته النفسية التى جاء بها من المؤتمر .. وقال الفريق صدقى :

ـ احنا انقلبنا لوضع دفاعى ..

ونزل علينا الخبر كالصاعقة ، كيف يحدث هذا ؟.. المفروض ان تكون الضربة الجوية الأولى لنا .. لماذا ؟

موقفنا نحن واسرائيل واحد ، والمسافة بيننا قصيرة ، تقطعها الطائرة من سبع الى تسع دقائق ، وهذا وقت ضيق جدا للدفاع الجوى ، وميدان العمليات ـ سيناء ـ مكشوف ، ثم لدينا فى دفاعنا الجوى ثغرة خطيرة ، فالطائرة التى تدخل مصر على ارتفاع أقل من ٥٠٠ متر لا تطولها وسائل الدفاع الجوى ، فلم يكن فى ذلك الوقت لدينا وسائل للدفاع الجوى ضد الطيران المنخفض ، وأن الوسيلة الوحيدة التى امام مصر للدفاع الجوى هو البدء بالضربة الأولى الجوية على مطارات العدو ، ومن يبدأ بالضربة الأولى سوف تكون له السيطرة الجوية على مسرح العمليات ..

* * *

لم يكن هذا سرا على الرئيس جمال عبد الناصر أو المشير عبد الحكيم عامر أو قادة القوات المسلحة ، وكان هذا هو البند الأول فى تقدير الموقف بكل خطط العمليات .. سواء خطة قاهر أو فهد أو غيرها من الخطط ، وهى موجودة فى الصفحة الأولى فى كل الخطط التى عرضت على الرئيس عبد الناصر وصدق عليها المشير عبد الحكيم عامر ..

* نعود الى حديث الفريق صدقى محمود ..

ثرنا عليه .. قلنا له كيف تقبل هذا ؟.

فقال الرجل :

- والله أنا أجبرت عليها .. حاولت أعارضها كثيرا .. ولكنى فشلت .. وقالوا لى ان ده قرار سياسى .. ولازم تنفذه .. ولم يكن هناك أى تفاهم .

فقلنا له :

- كنت قدم استقالتك ..

فرد الفريق صدقى محمود :

- استقيل ازاى .. ودرجة الاستعداد القصوى معلنة ويستقيل القائد .. يبقى خائن .. واتحاكم .. الروس قالوا للريس ان مش حيكون فيه خسائر من الضربة أكثر من ٥ الى ١٠٪ وليس أكثر .. فقلت ان الخسائر حتكون اكثر من ٢٠٪ ..

* يقول اللواء اسماعيل لبيب :

- شعرنا بالكارثة .. وقلنا للفريق صدقى .. كيف يصل طيار اسرائيلى فوق مطار .. ومعه فى المدفع ٥٠٠ أو الف طلقة .. وأطالبه بألا يسبب خسائر أكثر من ٥ فى المائة .. هذا كلام نظرى ..

* فرد الفريق صدقى علينا :

- لم اتمكن من عمل أى شىء .. وتمسكوا بأن هذا هو قرار سياسى .. والأوامر تقضى بأن نتلقى الضربة الأولى ونرد عليها فى ظرف ٣٠ دقيقة .. حتى لا تتمكن الطائرات الاسرائيلية من اعادة التعمير والعودة .. مرة اخرى لتضرب المطارات .

* يقول اللواء اسماعيل لبيب :

ـ معنى هذا اننا لانستطيع توزيع الطائرات فى مطارات بعيد .. بل يجب أن تكون مستعدة للاقلاع من مطارات تسمح لمداها من تنفيذ ضرب إسرائيل كذا بقاؤها بكامل ذخيرتها ، لأن تعمير الطائرة يحتاج ـ عالميا ـ الى ٤٥ دقيقة ..

كارثة .. فعلينا أن نتلقى الضربة الأولى .. وعلينا الا نخفى طائراتنا .. ونضعها « فريسة » للطائرات الاسرائيلية .. فلم يكن لدينا « دشم » لحماية الطائرات .. طلبناها بعد كارثة عام ١٩٥٦ ، وكل سنة كانت تشطب من الميزانية .. لأنها تكلف كثيرا ، ثم اخيرا وافقوا على دشم عبارة عن « زكايب » رمل وبدأ ذلك فى غرب القاهرة ، وقمنا بتجربة ، قام الطيار الحناوى ـ حضر التجربة الفريق محمد فوزى ـ وضرب الطائرتين الموجودتين فى دشم « زكايب » الرمل .. فتحولت هذه الدشم الى مصيدة للطائرات ..

* * *

* يقول اللواء اسماعيل لبيب :

ـ فى ٧ مارس عام ١٩٦٧ ، تسلمت مسئولية شعبة عمليات الدفاع الجوى .. وضعت ميزانية بعشرين مليون جنيه لانشاء الدشم لحماية الطائرات ، على ان تنفذ السنة الأولى بما قيمته أربعة ملايين ثم فى السنة التى تليها تنفذ اقامة دشم بما قيمته ٨ ملايين جنيه ثم السنة الثالثة ٨ ملايين جنيه ..

* * *

* يقول اللواء طيار اسماعيل لبيب :

ـ كانت الخطط كلها ، والتقارير كلها ، سواء التى وضعها خبراء مصر أو خبراء الاتحاد السوفيتى تؤكد أن مصر لا تستطيع الدخول فى حرب قبل عام ١٩٧٠ للأسباب الآتية :

١ - اقامة الدشم التى تحدثت عنها ..
٢ - توريد السلاح السوفيتى طبقا لاتفاقية عام ١٩٦٥ ، حيث يتم توريد السلاح تباعا من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٠ ..
٣ - سد ثغرة الطيران المنخفض بوصول أجهزة كمبيوتر متطورة للدفاع الجوى لسد هذه الثغرة الخطيرة ..
٤ - تدريب الأطقم المصرية على الاجهزة الحديثة للدفاع الجوى .. وغيره من الاسلحة المتطورة الواردة فى اتفاقية عام ١٩٦٥ ..

كان هذا أيضا تقدير لجنة الدفاع السوفيتية التى جاءت الى القاهرة .. وقدمت تقريرها الى الرئيس جمال عبد الناصر وصدق على هذا التقرير المشير عبد الحكيم عامر ..

* * *

* ويتذكر اللواء طيار اسماعيل لبيب أحداث يوم ٢ يونيو ، الذى قال فيه عبد الناصر ان اسرائيل سوف توجه الضربة الأولى يوم ٥ يونيو ، وحضره المشير عامر والفريق صدقى ، والفريق فوزى .. كلام عبد الناصر لم يصدر به تعليمات أوامر من المشير عبد الحكيم عامر أو غيره ..

١ - لم تصدر به تعليمات أو توجيهات أو أوامر من الفريق محمد فوزى الذى حضر المؤتمر وهو رئيس الأركان المسئول الأول عن إصدار تعليمات المؤتمر ..
٢ - لم تصدر تعليمات أو أوامر من رئيس هيئة العمليات الفريق أنور القاضى .. بل قال فى المحاكمات بالحرف الواحد ردا على سؤال المحكمة لماذا لم تصدر تعليمات بذلك قال : « لم نتصور أن هذه أوامر ، تصورناها تخيلا شخصيا » ..
٣ - لم تصدر تعليمات أو أوامر من رئيس أركان عمليات القوات الجوية الفريق جمال عفيفى ..

* * *

فى مكتب الفريق محمود صدقى ، بعد عودته من المؤتمر ، طالب الفريق صدقى محمود بالعمل على رفع الروح المعنوية للطيارين بعد هذا القرار ، وقال الفريق جمال عفيفى انه سيمر غدا على قواعد سيناء والقتال ويحثهم فلأ ذلك .. ولكن حدث أمر هام .. كلفنى الفريق صدقى محمود ، وأنا والطيار حسين عبد الناصر شقيق الرئيس جمال عبد الناصر ، بالذهاب الى المجمع العسكرى ، واعداد غرفة عمليات لقائد القوات الجوية بجوار غرفة عمليات المشير عامر ، حتى ان اللواء بركة اقترح أن اكون بجانبه فى الرئاسه الا أن الفريق صدقى رفض ذلك ، وقال :

ـ لأ .. غرفة العمليات أهم ..

وفى خلال ساعات استطعت انا وحسين عبد الناصر اعداد غرفة العمليات .. واصبحت جاهزة تماما ، الا ان الفريق محمد فوزى رئيس اركان القوات المسلحة ـ ولسبب غير معروف ـ أمر بالغاء هذه الغرفة فى صباح اليوم التالى ..

* * *

فى الصباح المشئوم .. صباح الخامس من يونيو ، صدرت أوامر من الفريق محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، بتقييد نيران الدفاع الجوى ، وعلمنا فيما بعد ان السبب هو سفر المشير بالطائرة الى سيناء فى ذلك الوقت ، وسفر حسين الشافعى برفقة طاهر يحيى رئيس وزراء العراق الى قاعدة فايد ، وفى التاسعة إلا ربعا ضربت الطائرات الاسرائيلية المطارات المصرية ، ودمرت الطيران المصرى ..

* * *

ويتذكر اللواء اسماعيل لبيب هذا اليوم الاسود فيقول :

ـ بعد الهزيمة إتضح أنه كان هناك أكثر من إنزار .

لقد انذرنا أكثر من مرة .. ولو كان أى من هذه الانزارات وصل للطيران لكان الامر قد اختلفـ كان اول انذار الساعة الثالثة من صباح يوم

الخامس من يونيو ، قبل هجوم الطائرات بست ساعات كاملة ، ست ساعات كاملة ..

وصلت برقية من منطقة متقدمة فى الجبهة هى أم بسيس إلى قيادة العريش والقناة .. قالت الاشارة : يسمع حشد دبابات كثيرة للعدو فى مواجهة أم بسيس .. ولم يهتم بهذه الاشارة أحد ..

فى السابعة صباحا .. أى قبل ساعتين من بداية خروج الطائرات الاسرائيلية لتدمر طائراتنا .. جاءت الاشارة الثانية تقول .. شوهدت الدبابات على خط الفتح ..

فى الساعة السابعة وعشر دقائق .. جاءت الاشارة الثالثة .. بدأ هجوم الدبابات الاسرائيلية على أم بسيس .. أى بدأت اسرائيل الحرب .. ولم يهتم أحد .. ولم تصل أى أشارة من هذه الاشارات إلى قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى أو غُرفة العمليات الرئيسية .

* * *

يتحدث اللواء طيار اسماعيل لبيب بأسى :

ـ فى التاسعة والنصف ـ أى بعد توجيه الطائرات ـ جاءت لنا رسالة من عبد المنعم رياض عن طريق مكتب القيادة العامة برئاسة سعد الجنيدى .. تقول الاشارة : « عنب .. عنب .. عنب » .. ومعناها شوهدت طائرات اسرائيلية كثيرة فى اتجاه مصر ، واتضح الآتى بعد ذلك ..

١ ـ الفريق عبد المنعم رياض ارسل هذه الاشارة فى الموعد المناسب فور مشاهدته خروج الطائرات الاسرائيلية من قواعدها ..

٢ ـ كانت أوامر الفريق محمد فوزى رئيس الاركان بألا تتصل « عجلون » ـ الفريق رياض ـ بغرفة العمليات مباشرة ، بل تكون عن طريقه ، وهو الذى يقوم بتوزيعها ، فلم يعد فى امكاننا الاتصال أو استقبال اشارات من « عجلون » مباشرة .. لذلك لم نستلم الاشارة فى لحظتها .. بل بعد ان تم تدمير الطيران ..

لقد ارسل رياض برقيته فى الساعة الثامنة وعشرين دقيقة ، أى قبل

الضرب بـ ٢٥ دقيقة ، وكانت هذه الاشارة ، لو وصلت فورا ، لتغير وجه الحرب .. فهذه الدقائق تكفى لخروج كل الطائرات من المطارات .. وأكثر من هذا .. فان الطيار الاسرائيلى الوحيد الذى سقط فى أيدى القوات المصرية ، وبدأ التحقيق معه : كانت التعليمات المكتوبة على خريطة الطيران المصرى انه بمجرد رؤية فى الجو .. العودة فورا .. لأن هذا يعنى ان اسرائيل لم تحقق المفاجأة ..

* * *

يقول اللواء طيار اسماعيل لبيب تفسيرا لقول الرئيس جمال عبد الناصر انه كان يتوقع أن يأتى الطيران الاسرائيلى من الشرق فجاء من الغرب ، أن هذا الكلام غير علمى ولتهدئة الشعب ، الطيران الاسرائيلى جاء جميعه من ناحية رمانة شمال سيناء ، ومن رمانة بدأ كل طيار يتجه الى الهدف المكلف بتدميره ، وكان أول ما ضربوا .. هى محطة رادار أم رمانة ، وفى نفس الوقت كانت السفينة الامريكية ليبرتى تقوم بالتشويش على راداراتنا واتصالاتنا ..

* * *

ويروى اللواء طيار اسماعيل لبيب قصة تعيينه قائدا للقوات الجوية بعد النكسة :

- يوم ١١ يونيو ، دق جرس التليفون فى مكتب الفريق صدقى محمود ، قائد القوات الجوية ، وكان الفريق صدقى قد قدم استقالته مع بعض قادة القوات المسلحة ، وذهبت للرد على التليفون ، وكان المتحدث الفريق محمد فوزى وطلب منى أن اقوم بابلاغ الفريق صدقى بقبول الاستقالة التى تقدم بها ، وأخبرنى باختيارى قائدا للقوات الجوية ، وقال : أقعد فى المكتب الذى تتحدث منه ..

* * *

دهشت عندما صدر قرار باقالتى من القوات الجوية بعد تعيينى قائدا

لها ، ولا اعرف لذلك سببا ، ثم دهشت أكثر عندما جاءت الشرطة العسكرية للقبض على وايداعى فى السجن ، ودهشت أكثر واكثر عندما وجهت الى تهمة غريبة .. هذه التهمة تقول أننى لم ابلغ الانذار الى القوات الجوية مما ادى الى الهزيمة ، وهو حديث الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر ٢ يونيو ، والذى لم أحضره وحضره كل القادة بما فيهم الفريق فوزى ، ولم يصدر منهم أى تعليمات أو توجيهات بما سمعوه فى هذا المؤتمر ..

اذن .. فكان المفروض أن يحاكم الفريق محمد فوزى .. فلقد كان فى المؤتمر ولم يصدر أى أوامر أو تعليمات ..

وكان المفروض أن يحاكم الفريق جمال عفيفى ويدان ، لانه رئيس أركان القوات الجوية وقد حضر المؤتمر وأنا مساعده ..

• • •

قدمت لمحاكمة موجهة ، وجاءت كل الشهادات لصالحى ، وصدر الحكم بسجنى عشر سنوات وانا برىء تماما من هذه التهمة ، حتى ان اللواء طلعت حسن على - رفض التصديق على هذا الحكم .

وعندما قامت المظاهرات .. أعيدت محاكمتى مرة أخرى ، وجاءوا بالحكم الأول ، وقال اللواء الرمالى رئيس المحكمة الثانية بعد أن قرأ حيثيات حكم المحكمة الأولى :

- دى حيثيات حكم براءة .. مش حيثيات ادانة ..

وبدأت المحاكمة الثانية .. وصدر الحكم بسجنى ١٥ عاما مع الاشغال ونشرت بالخطوط العريضة فى الصحف كقربان لهزيمة لم نرتكبها ..

• • •

وعشت فى ألم ودهشة .. لقد اثبتت المحكمة أننى برىء ، وأثبت الشهود للمحكمة أننى برىء ، فما هو السبب الحقيقى وراء هذا الحكم ؟

واستمر التساؤل حتى مات عبد الناصر ، ودخل سامى شرف معنا فى سجن ليمان طره ، وهنا فقط عرفت السبب فبعد تعيينى قائدا للقوات الجوية

دخل ـ أحدهم ـ وقال لعبد الناصر أننى أشتم عبد الناصر وسط الطيارين فقال عبد الناصر :

ـ يقال ويسجن ..

وبدأ فورا تنفيذ أوامر رئيس الجمهورية .. اقالتى من قيادة القوات الجوية .. القبض على .. تقديمى للمحاكمة .. الحكم بسجنى عشر سنوات .. اعادة المحاكمة .. ثم السجن ١٥ عاما ..

* * *

يتحدث اللواء طيار اسماعيل لبيب عن اسباب النكسة ومسئولية جمال عبد الناصر والاتحاد السوفييتى .. فيقول :

ـ منذ عام ١٩٦٠ ، وانا عضو فى بعثات شراء السلاح من الاتحاد السوفيتى ، فموسكو هى الجهة الوحيدة التى تمدنا بالسلاح .. وكنا قبل ان نسافر نعقد أكثر من مؤتمر لنحدد احتياجاتنا من السلاح وفقا لخططنا العسكرية ، ثم نذهب بهذه الاحتياجات .. الا أن الروس يرفضون معظم طلباتنا من السلاح ، ولم يقدموا لنا أسلحة متطورة بحجة ان الاسلحة المتطورة المطلوبة لم يرسلوها لدول حلف وارسو . ونسأل ومتى ترسلوها الى حلف وارسو ؟ يقولون بعد ثلاث أو أربع سنوات .. وكان على قمة ما الححنا فى طلبه أجهزة الدفاع الجوى ورادارات لسد ثغرة الطيران المنخفض ..

ويذكر اللواء طيار اسماعيل لبيب حاجة مصر الى الصواريخ الموجهة التى تحملها طائرات (تى ـ يو ١٦) .. فقال السوفييت صراحة لن نعطيها لكم على الاطلاق .. خوفا من استخدامها ضد الاسطول السادس الامريكى فى البحر المتوسط وتسببون لنا أزمة مع الولايات المتحدة الامريكية ..

كان هناك نقص شديد فى امكانيات القوات المسلحة ، وكانت هناك ثغرات ، وكان المفروض الا نبدأ الحرب قبل عام ١٩٧٠ كما هو متفق ..

يتساءل اللواء طيار .. هل كان عبد الناصر يعلم جيدا حالة القوات المسلحة ؟.. وهل كان يعلم نفس تسليحها ؟.. وهل يعلم بالثغرات الموجودة

فى القوات المسلحة ؟ .. ويجيب اللواء طيار اسماعيل لبيب على تساؤله .. نعم .. كان يعرف .. والدليل ؟

عبد الناصر رجل عسكرى ، وكان يعمل معلمى عندما كنت طالبا فى الكلية الحربية ، وقد تخصص فى التكتيك والتاريخ العسكرى ، وحاصل على كلية اركان حرب ، والتى تعنى أنه اصبح على دراية بعمل كل اسلحة القوات المسلحة بالاضافة الى تواجده فى كل المؤتمرات العسكرية الهامة ، واذكر - مثلا - انه يوم مؤتمر مناقشة خطة الدفاع الجوى عن سماء مصر ، حضر عبد الناصر المؤتمر وناقش بعلم ووعى تفصيلات الخطة ، وكذلك يوم مناقشة الخطة قاهر ..

* * *

ويذكر اللواء اسماعيل لبيب حدثين لهما دلالة هامة ، لقد تقرر سفر وفد طلب سلاح الى موسكو عام ١٩٦٥ ، وكنت عضوا فى هذا الوفد ، وكان جمال عبد الناصر بنفسه هو رئيس الوفد .. ومن بين أعضاء الوفد أيضا الفريق عبد المنعم رياض واللواء يحيى فؤاد وانا عن الطيران والدفاع الجوى ، وأقام الوفد المصرى فى الفيلا التى كان يقيم فيها خروشوف ، وتحدثنا ثلاثتنا مع الرئيس عبد الناصر عن احتياجاتنا للدفاع الجوى ، وشكوت له مماطلة الجانب الروسى ، كما تحدثت معه عن الثغرة الموجودة فى الدفاع الجوى ، فقال عبد الناصر :

- أنا عارف الثغرة ..

ثم بدأ يتفاوض معهم .. على العديد من احتياجاتنا .. فوافقوا على بعضها وخاصة فيما يخص الدفاع الجوى ، الا انه تم الاتفاق على ان يبدأ التوريد عام ١٩٦٨ وما بعدها .

الحادثة الثانية التى تؤكد علم جمال عبد الناصر بالنقص الشديد فى تسليح القوات المسلحة ، عندما سافر شمس بدران الى الاتحاد السوفييتى فى ٢٠ مايو ١٩٦٧ طلب منى شخصيا أن اعد احتياجات الدفاع الجوى التى تنقصنا لعرضها على المشير . والرئيس قبل السفر ، وكتبت ذلك ، وطالبت

ان من الضروري ان ترسل روسيا الاسلحة المطلوبة مع اطقم تشغيلها ، لتعمل فورا فالتشغيل يحتاج الى تدريب مدة لا تقل عن عام ، وعرض شمس بدران طلبات الدفاع الجوى على الرئيس والمشير ، وسافر شمس بدران ، وعاد ليؤكد ان كل الطلبات التى تقدم بها للسوفييت وافقوا عليها ..

ثم .. يقول اللواء اسماعيل لبيب :

- ان التقرير الذى قدمه الخبير السوفيتى على اثر اسقاط اربع طائرات ميج ، يتحدث فيه عن ثغرة الطيران المنخفض .. وقد قدموا هذا التقرير شخصيا وحضر مناقشة هذا التقرير حسين عبد الناصر شقيق الرئيس عبد الناصر .

يتحدث اللواء طيار اسماعيل لبيب عن تهمة التقصير للدفاع الجوى ، بعد الضربة الاولى ، قامت مدفعية الدفاع الجوى باطلاق النيران بصفة مستمرة .. ولم تسقط طائرات تذكر .. وظلت هذه المدفعية تضرب بأقصى معدلات نيران ولمدة ثلاثة أيام متصلة .. لا فائدة بعد ان فقدت المبادأة مع العدو .. فلا عيار ولا معيار على النتيجة ، وخصوصا ان القيادة السياسية طلبت الرد على الضربة الأولى خلال ثلاثين دقيقة ، فلا بد ان تكون الطائرة جاهزة للانطلاق بالمطار ، ثم لا يوجد « دشم » تحميها من طائرات العدو ، ثم ثغرة الطيران المنخفض ..

لقد اتخذ عبد الناصر قرارات تصعيد التوتر التى تؤدى الى الحرب فى غير موعده .. فلقد كانت القوات المسلحة باختصار شديد كالآتى :

- نقص فى السلاح لن يستكمل قبل عام ١٩٧٠ .
- ثغرة فى الدفاع الجوى ..
- نقل وحدات من الدفاع الجوى الى سيناء لحماية القوات ..
- ٤٠ فى المائة من القوة المصرية الضاربة فى اليمن ..
- قوات الاحتياطى ذهبت الى المواقع بالجلاليب ..
- اعلان عبد الناصر بانه لا يوجد حرب .. ورغم ذلك كان يتخذ من القرارات ما يعجل بالحرب ، ومن القرارات ما يشل حركة القوات المسلحة الاستراتيجية،كتلقى الضربة الأولى ..

يستطرد اللواء اسماعيل لبيب :

ـ لم اكن مسئولا بشكل أو بآخر عن الهزيمة ، كان المسئول عبد الناصر ، لقد جرت محاكمات موجهة وشخصية ، لقد كان معنا ـ مثلا ـ في المحاكمات الفريق جمال عفيفي ، ومسئوليته تسبق مسئوليتي ، فلقد كان رئيسا لهيئة اركان القوات الجوية ، وأنا معاونه كرئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى وقد برىء لعدم رابطة السببية .

* * *

يروى اللواء اسماعيل لبيب :

ـ عندما استولى اليهود على مطارى بير تمادة والعريش ، وسقطت فى ايديهم خطط القوات الجوية ، ذهلوا من دقتها ، وقال قائد الطيران الاسرائيلي في ذلك الوقت مردخاى هود : « لو نفذ الطيران المصرى هذه الخطط لوضع اسرائيل موضع مصر تماما ، وانا مستعد ان اقول هذا فى محاكمة صدقى محمود ..

* يقول اللواء طيار اسماعيل :

ـ لو ان المحاكمات كانت مستندة على واقع وليست موجهة ، وتصفية حسابات ، لكانت العقوبة الاعدام وليست السجن ..

* * *

ان كل طيار ـ بعد الضربة الأولى أمكنه انقاذ طائرته ، خرج بها بلا هدف ولا خطة سوى أن يتلقى العدو ويضربه ، خرج الطيارون بما تبقى من طائرات مطارات بير تمادة وأبو صوير وفايد وانشاص ، وكانوا ثلاثين طيارا استشهد منهم ١٢ طيارا ، وفى انشاص كان أول من طلع بطائرته هو الطيار سامى فؤاد وكان قائد لواء طيران ، وقد استشهد فور خروجه بطائرته .. وبصاروخ من مصر ، ورغم ان استشهاده كان امام الطيارين إلا أن هذا لم يمنع بقية الطيارين من الخروج .. رحم الله الشهيد سامى فؤاد ..

ما كنا نخشى الا الحق ، أذكر ان المخابرات الحربية ، جاءت بكشف به ١٧٣ ضابطا وطلب طردهم من الخدمة بتهمة التدين وعجبت من أمر هذا الاتهام اخذت الكشوف وذهبت الى المشير عامر ، وقدمت له الكشف .. ثم كتبت أسمى فى أول الكشف .. فنظر الى المشير قائلا :

- انت بتهرج ..

فقلت اذا كان التدين تهمة ، فأنا متهم لأننى ايضا متدين .. وقرر المشير الغاء هذا الكشف الا مجموعة ضئيلة منهم كانوا قد التحقوا فعلا فى تنظيمات حزبية ..

* * *

لقد خرجنا من السجن ، ودخل بدلا منا الذين اقاموا لنا المذبحة ورد اعتبارى بالقرار الجمهورى رقم ٦٠٥ لعام ١٩٧٤ ، بعد ان قضيت سبع سنوات بريئا داخل الاسوار ، وهو القرار الذى الغى الاحكام التى صدرت ضدنا والغى جميع القرارات والأوامر المترتبة على هذه الاحكام ..

* * *

جلال وحلمى

القائد .. يتذكر

فى عام ١٩٦٧ .. فوجىء الناس .. بنداء من إذاعات القاهرة ، وسط ضجيج الحرب : « جلال وحلمى .. عودوا إلى قواعدكم » ..

وتكرر هذا النداء وسط دهشة المستمعين فى كل العالم العربى .. من هما ، جلال وحلمى ، وأين هما ؟ .. ولماذا هذا النداء ؟ .. وكان هذا النداء يمثل قمة الانهيار فى غرفة العمليات ، وقمة الفوضى فى الاتصالات .. فلقد انقطعت دون سبب معروف الاتصالات بين غرفة العمليات التى اكتظت بالزوار .. وبين قيادات التشكيلات .. هل السفينة الأمريكية ليبرتى التى جاءت .. ووقفت على شاطىء العريش هى التى قامت بالشوشرة على الاتصالات السرية ؟ هل هى رداءة الاتصالات المصرية ؟ ..

كان النداء موجها إلى جلال هريدى .. وأحمد حلمى ، وكانا يقودان قوات الصاعقة المصرية فى الأردن ..

لقد التقيت باللواء أحمد حلمى ، حيث يعمل الآن فى شركة سياحية .. ويروى القصة الكاملة ، بعفوية وصدق .. يقول :

ـ كنت أقود قوات الصاعقة فى اليمن .. وجاءت إشارة عاجلة لى بالحضور إلى القاهرة ، ووصلت القاهرة أول يونيو عام ١٩٦٧ ، وعلى الفور التقيت بالفريق محمد فوزى بصفته رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، قال لى سوف تسافر فورا إلى عمان ، وسوف تصلك قواتك خلال

٢٤ ساعة ، وستعرف دورك من الفريق عبد المنعم رياض الذى فوض بقيادة القوات الأردنية .. وصباح اليوم التالى كنت أعطى التمام للفريق رياض فى الأردن .. وقال مهمتكم دخول إسرائيل ومهاجمة القواعد الجوية الاسرائيلية ومطاراتها ..

ويوم ٣ يونيو وصل إلى الأردن ٨٠٠ ضابط وصف ضابط وعسكرى من جنود الصاعقة ، ولقد وصلوا إلى مطار عمان على ١٣ طائرة أنتينوف .. وكان الملك حسين يقف سعيدا وهو يستقبل هؤلاء الرجال .. وعندما شاهدت فرحته بالرجال .. قلت له :

- يا جلالة الملك .. الصاعقة المصرية .. تدربت .. وعاشت لمثل هذا اليوم ..

كانت هذه القوات قد سحبت من اليمن .. وهى من خير الرجال .. ودفعت إلى سيناء .. وفى سيناء قاموا بعمليات استطلاع ثم تم سحبهم مرة أخرى من سيناء إلى الأردن مباشرة .. كان الرجال مجهدين جدا ..

وتم عمل مجموعتين ..

• **الأولى** : بقيادتى أنا وجلال هريدى ، ولهذا اتجهت إلى القدس ورام الله ..

• **الثانية** : بقيادة فتحى عباس والمقدم أحمد عبد الله .. وهذه القوة اتجهت إلى الشمال لنابلس وجنين ..

• • •

كما ذكرت .. كان الرجال مجهدين ، قضوا الليلة فى نوم عميق .. وفى صباح ٤ يونيو ، حصلنا على معلومات عاجلة من المخابرات الأردنية عن المطارات والقواعد الجوية الاسرائيلية على الجبهة الأردنية .. وكانت المعلومات سطحية تماما ، كما لم نحصل على معلومات عن هذه القواعد من مخابراتنا .. مما دفعنا إلى الاستعانة ببعض الأدلة .. وطلعت دورية استطلاع على مطار اللد والرملة .. وهناك مدرسة للمظليين ولواءا قاذفات

نقل .. وعندما ذهبت الدورية إلى هناك لم نجد أى مخلوق .. وكنا فى دهشة ، ثم علمنا فيما بعد أنهم غيروا كل مواقعهم عندما دخل الأمر فى دائرة حرب .. بحيث تكون المعلومات الموجودة لدينا لا قيمة لها ..

• ثم ملاحظة أخرى .. رغم صغر مساحة اسرائيل ، فإذا بهم يقيمون حوالى ٦٠ مطارا ، وفى أماكن مختلفة ، بينما فى مصر لا يزيد عدد المطارات عندنا عن خمس هذا العدد .

• • •

• يقول اللواء أحمد حلمى :

ـ كانت المعلومات غير كافية ، وكان الأدلة يهربون فى منتصف الطريق .. لذلك أصدرت أوامر إلى قادة الدوريات ، بربط « الدليل » فى يد قائد الدورية حتى لا يهرب ..

• • •

الساعة التاسعة صباحا .. يوم ٥ يونيو ، جاءت أشارة من الفريق عبد المنعم رياض بمقابلته فورا .. وذهبت أنا وجلال هريدى إلى الفريق رياض وكنا علمنا أن العمليات الحربية قد بدأت .. وأخبرنا بأن هناك برقية عاجلة جاءت من المشير عبد الحكيم عامر .. تقول البرقية :

ـ بدأت العمليات العسكرية .. قام العدو بضرب قواعدنا الجوية .. حلمى وجلال يدخلوا فورا ..

وعدت إلى القدس ، وأخبرت الرجال ببرقية المشير ، وكانوا سعداء بدخولهم اسرائيل لتدمير قواعدهم .. دخل الرجال ، وساروا وسط المستعمرات .. ولم يلتقوا بأهداف عسكرية .. المطارات التى لدينا عنها معلومات خالية ، لا يوجد فى المستعمرات غير الأطفال وبعض النساء والعواجيز والشيوخ .. كانوا عندما يشاهدون القوات المصرية يدخلون بيوتهم ويغلقون الشبابيك ، وطبعا لم نطلق عليهم رصاصة واحدة ... أحدى الدوريات شاهدت اتوبيسا مكتظا بالضباط والجنود .. تعاملت معه ونسفته تماما ...

عدنا من اسرائيل .. وانتشرنا على الجبهة الأردنية ، وفى هذا الوقت .. كان الطيران الاسرائيلى قد أنهى تدميره للقواعد الجوية المصرية .. وبدأ يكثف عملياته على الجبهة الأردنية ، وكنت فى جبل المكبر عندما صدر النداء ، لم أسمعه ، ولكنى ذهبت إلى الفريق رياض .. طلبت منه أن ننظم مقاومة فى القدس ورام الله ، وكنا نستطيع أن نواجه العدو مواجهة حاسمة لا يقدر عليها ، لأنه لن يستطيع أن يستخدم طيرانه على القدس وداخل المدن ، فكانت مواجهة أفراد لأفراد .. إلا أن الأوامر التى جاءت من القاهرة تقضى بأن نتجمع فورا فى مدينة الزرقاء الأردنية ، تمهيدا للعودة إلى مصر ..

وتجمعنا فى الكرامة .. ثم أنسحبنا إلى مدينة الزرقاء فى شرق الأردن ، ثم تم الأتفاق على وقف اطلاق النار ، فاتجهنا إلى عمان .. ومن عمان إلى بيروت بالأتوبيس ، عبر الأراضى السورية ، ومن بيروت إلى الأسكندرية .. وكنا قد تركنا عددا قليلا من الشهداء فى الضفة الغربية واسرائيل ..

* * *

* اللواء أحمد حلمى يتذكر تلك الأيام السوداء .. يقول :

ـ تدهور الموقف بسرعة فى سوريا ، وسقط جبل الشيخ وطلبوا من المشير عامر سجب قوات الصاعقة المصرية من الأردن ، لتحارب على الجبهة السورية .. الا أن المشير رفض الطلب السورى .. وقال أن الصاعقة تقف بجوار الجيش الأردنى ..

* * *

* اللواء أحمد حلمى يتذكر :

ـ سأظل أذكر أن قوات الجيش الأردنى الذى اشترك فى المعركة .. ادوا أداء عسكريا علميا مخلصا .. ولم يحدث من أى فرد أن تخاذل ، لقد شعرت أنه جيش منضبط تماما ، وهو نموذج لما يجب أن تكون عليه القوات المسلحة فى أى مكان فى العالم .. وقد حارب ببسالة على قدر حجمه

وتسليحه .. أمام قوات متفوقة فى التسليح والعدد ، وهنا صدرت إليه الأوامر بالانسحاب إلى الضفة الشرقية من الأردن ..

• يتذكر اللواء أحمد حلمى كيفية انسحاب القوات الأردنية فيقول :

ـ لقد نفذ الجيش الأردنى كما جاء فى الكتب العسكرية تماما .. بأعصاب فولاذية .. وأوامر منتظمة ، فكان ينسحب الى الموقع الثانى .. ويكون قد نسف المعدات التى لن يتمكن من حملها حتى لا يستفيد منها العدو ، ثم ينظم قواته فى موقع الأنسحاب ، ويصدر القائد الأمر بالأنسحاب إلى موقع آخر .. وهكذا ، فلم تحدث أى فوضى فى الأنسحاب الأردنى .. لهذا لم تكن مفاجأة أن يتمكن الملك حسين من تنظيم جيشه خلال ثلاثة شهور ، بل ويدخل معركة شرسة فى ٢١ مارس عام ١٩٦٨ ، وهى معركة الكرامة ، وتخسرها اسرائيل ..

* * *

• يتحدث اللواء أحمد حلمى عن الجيش الأردنى فيقول :

ـ أننى أحترم جدا الملك حسين كقائد عسكرى .. لقد استطاع أن يدخل قلب كل جندى .. وكل ضابط فى القوات المسلحة الأردنية ، فلكى يقدم الضابط حياته ـ وهى أغلى شىء ـ لابد أن يكون مقتنعا تماما بقائده الأعلى .. ومن هذا المنطلق كان أداء الجيش الأردنى فى حرب عام ١٩٦٧ ..

• اللواء أحمد حلمى يتذكر :

ـ عدنا .. وعلمنا ونحن على المركب فى الطريق إلى الأسكندرية بحجم الهزيمة ، فأخذنا نبكى بشدة .. نبكى كالنساء ؟ لماذا ؟.. لأننا كان يمكن أن نفعل الكثير ، لم تكن الأوامر واضحة ، لم يكن لدينا معلومات كافية .. وصلنا قبل الحرب بأقل من ٢٤ ساعة ، سافرنا إلى الأردن بدون خطة .. لو وصلنا قبل هذا الموعد بيومين اثنين فقط .. ولدينا معلومات كافية وأوامر واضحة لتغير مجرى الحرب ، كان هؤلاء الرجال المدربون تدريبا جيدا .. كان فى إمكانهم تفجير اسرائيل من الداخل .. صدقونى .. كان يمكن للصاعقة المصرية أن تدمر اسرائيل من الداخل .. كنا نتحدث عن قلقيلية

فى الضفة الغربية ، والتى لا يفصلها عن البحر المتوسط عدة كيلو مترات ما بين ٩ كيلو مترات و ١١ كيلو مترا .. وكانت الصاعقة المصرية يمكنها قطع اسرائيل من النصف وفصل الجليل الأعلى عن جنوب اسرائيل .. وكان هؤلاء الرجال يمكنهم تدمير كل المواقع الاستراتيجية فى اسرائيل من مصانع حربية ومطارات ..

اه .. كان ينقصنا المعلومات الواضحة .. والأوامر الواضحة .. ولم تكن تنقصنا الشجاعة أو التدريب أو اللياقة أو القدرة على التنفيذ ..

ولكن .. هؤلاء الرجال العظام لم يمنحوا الفرصة أبدا ..

• • •

وصلنا إلى الأسكندرية .. وفوجئنا على رصيف الميناء بوجود اللواء عز الدين مختار نائب مدير المخابرات الحربية .. وطلب جلال هريدى .. وأخذه .. واختفى جلال هريدى وعلمنا أنه أعتقل لأنه من رجال المشير ..

• • •

ذهبت مع قواتى إلى الشاطىء ، ونحن فى حالة نفسية سيئة للغاية .. وبعد عدة أيام فوجئنا بقرار من الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة بتعيين العقيد سعد الشاذلى قائدا للقوات الخاصة ، وعلمنا بعد ذلك أن مهمة الشاذلى هى القضاء على قوات الصاعقة ، خوفا من القيام بأنقلاب عسكرى ، وخاصة أن هناك اشاعة تقول أن قوات الصاعقة هم رجال المشير ، ولابد من القضاء على رجال المشير عامر فى القوات المسلحة .. ولقد كنا رجال مصر ..

ذهبت للفريق محمد صادق ، وكان مديرا للمخابرات الحربية .. وقلت له أما أن تعيدونى الى اليمن ، حيث كنت قائدا لقوات الصاعقة ، أو أن تتركونا نحارب اليهود فى سيناء ، ندمرهم كما تعلمنا .. ولسنا فى حاجة الى طيران أو أسلحة ثقيلة .. وطلبت السفر الى بورسعيد فورا ، حيث كان يوجد بها ثلاث كتائب صاعقة بلا قيادة ، لأقودهم داخل سيناء ..

• • •

وافق الفريق محمد صادق أن أذهب الى بورسعيد لأقود قوات الصاعقة هناك ، وفى انتظار الأوامر لدخول سيناء ، وهناك حدثت معركة رأس العش ، ولقد بدأت المعركة بمعلومات تقول أن اليهود بدأوا فى التحرك من القنطرة شرق الى بورتوفيق .. وأخذت أحد ضباط الصاعقة وهو سيد الشرقاوى باشا ومجموعة من عشرة أفراد ،.. وعبرنا القناة الساعة الحادية عشرة صباحا .. كان هناك نقطة ملاحظة يهودية على الضفة الشرقية ، وبمجرد أن رأونا ، لم يطلقوا النار كما توقعنا بل حدث لهم ارتباك .. وهربوا ..

قمنا بزرع ١١ لغما فى الطريق ، وبدأت القوات الاسرائيلية تتحرك .. وسقطوا فى حقل الألغام ، ونسفت الألغام عربة أف دابليو ، وعربة أم ١١٩ وعربة ١١٣ ، فأنسحبوا على الفور ..

قمنا بدفع فصيلة صاعقة الى رأس العش ، هذه الفصيلة يجب أن نقيم لكل فرد فيها تمثالا من ذهب ، كانت فصيلة مخفضة من ٢٧ فردا ، ظلت تدافع عن رأس العش حتى استشهدت بالكامل فيما عدا فردين فقط ، وبدأ الأمل عندى فى مواجهة العدو فى سيناء ، والقيام بعمليات فدائية تقلقه ..

بعد عملية رأس العش تلقيت أمرا بالتوجه الى المخابرات الحربية ،.. وذهبت الى هناك .. فقالوا لى :

ـ أنت حتقعد عندنا يومين ..

تم التحفظ على شخصى ، أنا وثمانية من قيادات الصاعقة ، بتهمة الولاء للمشير عامر .. ما كان لى ولاء لغير مصر .. ولكننا رحنا ضحية الخلافات بين عبد الناصر والمشير ، وبين سامى شرف وشمس بدران .. سألنا عن سر التحفظ فقالوا لنا اجابة غريبة جدا :

ـ أصل المشير عامر كان بيحبكم ..

* * *

لم نكن وحدنا الذين تم التحفظ عليهم ، لقد بدأت حركة اعتقالات لكل

من كانت له علاقة من قريب أو بعيد بالمشير عبد الحكيم عامر أو شمس بدران .. وأصبحنا فى موقع واحد حوالى ٧٠ ضابطا .. وعشنا فى « التحفظ » أكثر من ١١ شهرا .. بعدها أصدر الفريق محمد فوزى قرارا بأحالتنا جميعا الى الاستيداع ..

والاستيداع يعني عقابا على جريمة ، ونحن لم يحقق معنا ولم نرتكب جريمة أو حتى خطأ ..

• • •

خرجنا .. ومرت أحداث كثيرة .. وهؤلاء الذين كانوا فى معتقل الفريق محمد فوزى ، عادوا مرة أخرى الى القوات المسلحة ، وكانوا قيادات النصر فى حرب أكتوبر ، لقد كانت مهمة الفريق محمد فوزى اخراج الكفاءات من الجيش .. كان كل يوم يصدر نشرة تتضمن أحالة ٥٠ ضابطا من أكفأ الضباط الى الاستيداع .. وهؤلاء الذين خرجوا ـ كما ذكرت ـ هم أبطال أكتوبر ..

• • •

التواطؤ الأمريكى

شهـــــادة الملحـــــق العســـكرى بواشنطـن

اللواء أركان حرب محمد عبد العزيز قابيل ، قائد الفرقة الرابعة المدرعة فى حرب أكتوبر ، وهو خريج الكلية الحربية عام ١٩٥٠ ، عاش حرب يونيو عام ١٩٦٧ عندما كان قائدا للكتيبة المدرعة ، وعندما عين ملحقا عسكريا لمصر فى واشنطن خلفا للمشير عبد الحليم أبو غزالة ، عرف أسرارا كثيرة عن حرب يونيو ، وهنا يروى أحداثا عاشها ، وأحداثا عرفها من خلال موقعه الرفيع كملحق عسكرى فى واشنطن .

* * *

يروى .. فيقول :

ـ تحركنا يوم ١٤ مايو ، وكنت قائدا للكتيبة ٢٤٢ من اللواء الثالث الذى يقوده اللواء أمين ماهر ، ووصلنا الى جفجافة ، وسألت القائد عن المهمة فقال نحن فى انتظار الأوامر ، وعشنا فى انتظار الأوامر حتى نهاية الهزيمة ، لم نتلق أى مهام قتالية ، لم نعرف ما إذا كنا سننفذ خطة الدفاع قاهر ، أو سنقوم بالهجوم ، وأخيرا اقنعنا ـ من خلال التعليمات ـ أن القوات فى سيناء تقوم بتمثيلية هجومية ، أو مظاهرة عسكرية لكسب أهداف سياسية ، ولكن اسرائيل خاضت المعركة لأنها كانت على علم كامل بما تقوم به ، أو بمعنى أدق كانت تقوم به القيادة السياسية ، وأن هذا « المهرجان العسكرى » فى سيناء ما هو الا بالونة كبيرة فتخيل الحرب وقد قامت بالشكل الآتى :

- القائد العام معلق فى الهواء .

- قيادة القوات المتقدمة ليس لها صلاحيات الاتصال بقائد الجيش أو البحرية أو الطيران .

- المقاتلون بالجلاليب ، وبلا سلاح ، ومن حصل على سلاح لم يحصل على ذخيرة ، ومن حصل على ذخيرة كانت مخالفة لنوع السلاح الذى يستخدمه .

* * *

جاءت لنا أوامر الانسحاب عجيبة .. أن ننسحب نهارا ، ونحدد أماكن للفرقة بعيدة عن سيناء ، وكنا فى المضايق ، ورغم غارات الطيران الاسرائيلى تمكنا من الانسحاب دون خسائر تذكر .

وعندما وصلنا الى الاسماعيلية .. ذهب اللواء أمين ماهر الى قائد الجيش اللواء صلاح محسن ، وعندما شاهد اللواء ماهر ، هاج وماج وأصدر أوامره بعودة الفرقة الرابعة الى المضايق ، وناقشه اللواء ماهر فى امر الانسحاب الذى اصدره ، الا أن اللواء صلاح محسن ، تنكر لأوامره السابقة .

* * *

وذهبنا .. مع السيطرة الجوية الكاملة للعدو ، والذى دمر دباباتنا واستشهد العشرات داخل الدبابات ، فقد دفعت الفرقة الرابعة مرة أخرى للانتحار بدون تخطيط .

* * *

اللواء اركان حرب محمد عبد العزيز قابيل ينفى تماما ، بأن اللواء صدقى الغول قد تلقى أمرا بالبقاء فى المضايق وعدم العودة ، بل العكس هو الصحيح ، فلقد ظل يتلقى أوامر بتحريك القوات بلا هدف حتى قبل الحرب بساعات ، وأثناء الحرب ، حتى تمكن العدو فى النهاية من تدمير الفرقة الرابعة .

اللواء قابيل يؤكد ان اللواء صدقى الغول برىء من كل التهم التى وجهت اليه ، وانه كان كبش الفداء للمسئولين الحقيقيين عن النكسة ، وأن محاكمته باطلة وظالمة ، وأن الفريق محمد فوزى قد تدخل للوصول الى سجن اللواء صدقى الغول صديق المشير ، وأن الفريق فوزى قد تلقى هذه الأوامر من الرئيس جمال عبد الناصر .

• يقول اللواء قابيل :

ـ ان اللواء صدقى الغول قائد الفرقة الرابعة المدرعة ، كان مثالا للشجاعة ، ومثالا للعسكرى الملتزم ؛ واستطاع أن يحول الفرقة الى زهرة القوات المسلحة ، وما تركه فى الفرقة ، مكنها بعد ذلك من خوض معارك أكتوبر ، حيث كانت المهام واضحة ، وسحقت العدو الاسرائيلى .

• • •

اللواء قابيل يؤكد ان لدى الولايات المتحدة تقريرا .. يؤكد هذا التقرير ان عبد الناصر لن يحارب ، لأنه لا يملك القدرة على ذلك ، وان ما يقوم به هو مظاهرة عسكرية ، وقد انتقل هذا التقرير الى اسرائيل فى عهد الرئيس الامريكى الأسبق جونسون . وقد قام جونسون باعطاء الضوء الاخضر لاسرائيل للقيام بالضربة الأولى وقد تم ارسال السفينة ليبرتى للتشويش على اتصالات القوات والرادارات المصرية ، وسرعة فك شفرة الاتصالات فى الوقت الذى رحبت فيه الادارة الامريكية بزيارة زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية قبل بداية الحرب كنوع من الخداع .

• • •

• ويقول اللواء قابيل :

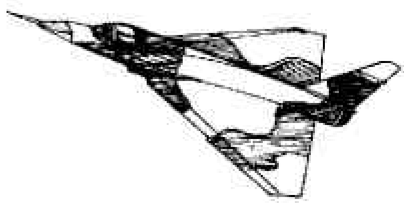
ـ ان عبد الناصر هو الذى اصدر أوامره بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة بعدم القيام بالضربة الأولى ، وكان متأكدا بأن اسرائيل لن تقوم بالحرب وان المشكلة كلها ستذهب الى اروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وكان يتصور ان الولايات المتحدة لا تريد حربا فى الشرق الأوسط ، وهذا مخالف للواقع تماما .

• ويضيف :

- وان امر الانسحاب قد اصدره الرئيس جمال عبد الناصر ، وابلغه للمشير عندما علم ان خط الدفاع الأول قد انهار تماما وحاول ان يعيد احداث عام ١٩٥٦ ، إلا ان الاحداث هنا مختلفة تماما .. وقام المشير عبد الحكيم عامر بابلاغ هذه الأوامر لقيادات بعض التشكيلات ، وهناك قيادات عرفت بأمر الانسحاب من القوات المنسحبة ..

ويقول : هذه شهادتى للتاريخ . والله على ماتقول شهيد .

* * *



الخاتمة

(لماذا الحديث عن الهزيمـــــة)

مضى أكثر من عشرين عاما على هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .. فلماذا الحديث عنها ؟ .. لقد انتصر نفس الرجال فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .. ألا يكفى هذا الأنتصار .. حتى نتوقف عن الحديث عن حرب يونيو التى أصبحت - الأن - فى ذمة التاريخ .. هل نحن شعب ، نعشق تعذيب النفس .. فنبحث عما يدر دموعنا فى الوقت الذى يجب أن نبتسم فيه ؟ ..

لا أتصور أن الشعب ، سوف يتوقف عن هزيمة الخامس من يونيو على الأطلاق ، إلا فى حالة قيام محكمة التاريخ لمحاكمة المسئولين عن النكسة كما أطلقوا هم أنفسهم عليها ، وعندما تزول من منطقتنا ومن مجتمعنا ، ومن نظامنا كل آثار النكسة ..

فلم تكن الهزيمة عسكرية فحسب ، بل كانت أزمة ديمقراطية ، وأزمة سياسية ، وأزمة نظام ، وأزمة حرية ، وأزمة اقتصادية واجتماعية بل وأزمة علاقات دولية ..

ثم كانت الهزيمة شاملة وعميقة ومروعة ، بل هى أقل بكثير من هزيمة محمد على عام ١٨٤٠ وما ترتب عليها من آثار ...

ولقد جاءت الهزيمة ، بعد صبر شعبى طويل على كل شىء ابتداء من رغيف العيش حتى حرية المواطن ، أملا فى الأنتصار على اسرائيل ، وفى نفس الوقت ، كان الأعلام المصرى - بقيادة محمد حسنين هيكل - يعزف كل يوم جمعة أنشودة لأنتصار النظام ، فتصور الناس ، كل الناس حتى حكيمنا

توفيق الحكيم أننا نعيش فى عصر الأنتصارات .. فاذا بنا نكتشف .. وفى ساعات محدودة أننا كنا ننتقل من هزيمة إلى أخرى .. وكانت هذه الهزيمة هى أعظم الهزائم وأكثرها دويا وأثرا ، وشقت فى قلوب جيل كامل قطعا يدمى حتى الآن .. فقلوبنا تنزف بدون توقف ..

• • •

جاءت حرب أكتوبر .. وبكل المقاييس أنتصر الجيش المصرى فى هذه المعركة .. ولكنه أنتصار جزئى .. وفى تصورى أننا لو حذونا حذو اسرائيل .. التى قامت - بعد حرب أكتوبر - بتشكيل لجنة تحقيق فى أسباب تقصير الجيش الاسرائيلى فى حرب أكتوبر ، فلو أننا قمنا على الفور ، وشكلنا لجنة تحقيق فى أسباب هزيمة الخامس من يونيو ، ونشرناها بكل أمانة على الناس ، وقضينا على أسبابها .. لوصلنا بنتائج فى حرب أكتوبر أروع مما وصلنا إليه .. لأننى أعرف طبيعة المقاتل المصرى الذى ذكره الله فى كتابه الكريم ..

بعد أكثر من عشرين سنة .. هل أنتهت آثار الهزيمة .. هل أنتهى الصراع العربى الاسرائيلى .. هل عرفت اسرائيل حدودها ؟ .. ألا تنوى اسرائيل القيام بجولة مصرية اسرائيلية جديدة ؟ .. هل حرب اكتوبر أقعدتها تماما .. وشلتها عن الحركة ، وعاشت ساكنة ؟ ..

وأمامى الآن .. مقال خطير .. نشرته مجلة (يو . س . نيوز) الأمريكية - فى يونيو عام ١٩٨٧ - وهذه ترجمته حرفيا .. لعله يجيب على هذا السؤال :

فى مثل هذا الأسبوع منذ عشرين عاما قامت قوات الدفاع الاسرائيلى - زاحال - بحملة عسكرية لا تزال أكثر الحملات العسكرية روعة وحسما منذ الحرب العالمية الثانية .. ففى ستة أيام دمرت جيوش الدول العربية المجاورة لها وقواتها الجوية .. ومدت حدود اسرائيل إلى نهر الأردن وقناة السويس وعكست ميزان القوى فى الشرق الأوسط .. ولا تزال نتائج الاستراتيجية راسخة حتى الآن .. ربما تشعر اسرائيل ببعض القلق ولايزال الأرهاب

مستمرا .. ولكن أمنها العسكرى الاساسى أصبح أمرا مؤكدا ..

هل تستطيع اسرائيل أن تكسب حرب الأيام الستة مرة أخرى ؟

ربما كانت الأجابة نعم .. فميزانية الدفاع التى تبلغ ٥,٤ مليار دولار مقابل ٩,٥ مليار دولار خصصها أعداء اسرائيل السابقون - أكثر بكثير مما كانت عليه منذ عشرين عاما .. والقوات العربية أقل تنظيما .. وقواتها الجوية التى تتألف من أكثر من ٦٠٠ طائرة مقاتلة تصنف على أنها أفضل القوات الجوية تدريبا وعتادا فى العالم تتفوق على الميزة العددية للقوات الجوية للدول العربية المجاورة لاسرائيل التى لديها ١٠٠٠ طائرة ..

ومن ناحية هامة لم تعد هناك حاجة لذلك .. فلا تزال اسرائيل تحتفظ بالضفة الغربية - رغم الأضطرابات التى تسود سكانها حتى الأن - وتحتفظ بالجولان .. أقامت مصر سلاما مع اسرائيل .. ويسعى الأردن للتوصل إلى إتفاق .. ولا تزال سوريا قوة عسكرية قوية يزودها الاتحاد السوفيتى بمعدات وفيرة .. ولكنها قد تتقلص بسبب حرب قد تضطر لخوضها بمفردها ..

ويمكن للمد المتزايد من التطرف الاسلامى أن يغير دلائل المستقبل المرتقب لأن استقرار مصر والأردن يعتمد بدرجة كبيرة على بقاء زعيميهما .. وهذا الأمر غير مؤكد لأن الرئيس حسنى مبارك والملك حسين عاهل الأردن يعيشان فى ظل احتمالات الأغتيال ..

قبل حرب ١٩٦٧ كانت اسرائيل تخضع لتهديد بالغ ولم تكن قد ظهرت بعد كقوة عسكرية .. حققت الاستقلال فى عام ١٩٤٨ وفى عام ١٩٥٦ هزمت مصر بسرعة .. ورغم هذا يرجع الفضل فى انتصار السويس إلى التدخل البريطانى والفرنسى .

لم توفر الحربان حدودا دفاعية فى عام ١٩٦٧ لم تعترف أى دولة من الدول المجاورة لاسرائيل بوجودها المشروع .. ولكن علاقاتها مع مصر أثناء حكم جمال عبد الناصر كانت أسوأ علاقة ..

وفى أول مايو بدأت مصر سلسلة من الخطوات العدائية بلغت ذروتها باعلان جمال عبد الناصر يوم ٢٢ مايو اغلاق مضيق تيران الممر الحيوى لاسرائيل إلى المحيط الهندى .. وقررت اسرائيل بدلا من انتظار الهجوم عليها أن تقوم هى بضربة وقائية .. وحشدت قوات الدفاع الاسرائيلى خلال ٤٨ ساعة .. وفى الخامس من يونيو شنت هجومها .. وفى ضربة جوية رائعة حطمت الطائرات الحربية لمصر وسوريا والأردن ، وهى رابضة على الممرات .. وتم تدمير ٣٠٩ طائرات من بين ٣٤٠ طائرة تمتلكها مصر .. ما وفر للقوات البرية الاسرائيلية الحرية لشن هجماتها التى قامت بها فى وقت متزامن تقريبا ..

وقعت الهجمات الأولى على سيناء أكثر الجبهات الاسرائيلية عرضة للهجوم .. فقد عرف ضباط قوات الدفاع الاسرائيلى سيناء معرفة جيدة منذ عام ١٩٥٦ .. وكانت أهداف العمليات فى عام ١٩٦٧ هى نفس الأهداف آنذاك - أن يمر الجزء الأعظم فى منتصف وعند خط قناة السويس .. وتحقق الأنتصار بسرعة ملفته للنظر .. حفرت القوات المصرية خنادق دفاعية على الحدود الاسرائيلية حتى أن القوات المصرية التى تجاهلتها القوات الاسرائيلية لم تستطع مساعدة القوات التى تعرضت للهجوم ..

وبحلول اليوم الثانى للهجوم أصبح النصر مضمونا .. وتمكنت القيادة العليا من بدء عملية نقل قواتها المدرعة من سيناء إلى الجبهة الاردنية ..

وجعل احتلال الاردن للضفة الغربية منذ عام ١٩٤٨ - تاركا اسرائيل مفتوحة على اتساعها لمسافة تسعة أميال عند أحدى النقاط .. تحقيق الأنتصار أمر ضرورى .. كانت القوة الدافعة العاطفية مدمرة .. كان الاردن يحتفظ بمدينة القدس القديمة التى تضم أماكن يهودية مقدسة .. وعندما وصلت التعزيزات كانت قوات الاحتياط الاسرائيلية تقترب من تحقيق النصر .. وبحلول الساعة العاشرة من صباح ٧ يونيو كان الجنود الأسرائيليون يؤدون صلواتهم عند الحائط الغربى للمعبد .

وأدت سرعة تنفيذ جدول (العمليات) التى تحرر القوات المدرعة

للعمل على الفور على الجبهة الثالثة مع السوريين فى مرتفعات الجولان فوق الجليل .. فمن فوق هذه المرتفعات سببت المدفعية السورية مضايقات لفترة طويلة للمستوطنات الاسرائيلية .. واضطرت الدبابات الاسرائيلية المهاجمة على الاردن أن تسير فوق خنادق دفاعية تقريبا .. وكانت الخسائر ثقيلة .. واضطر السوريون تحت وطأة هجوم جوى عنيف إلى الإنسحاب .. وفى منتصف العاشر من يونيو - اليوم السادس للحرب - سيطرت اسرائيل على الجولان ..

وكانت سهولة الانتصار في الحرب مدهشة تماما مثل انتهائها .. حرب الاستقلال الاسرائيلى ٦,٠٠٠ قتيل .. وحرب الأيام الستة كلفت اسرائيل ٧٦٦ قتيلا .. وسقطت كميات ضخمة من المعدات السوفيتية الصنع فى أيدى اسرائيل .. كانت اسرائيل يوم العاشر من يونيو أقوى مما كانت عليه يوم ٥ يونيه .. وهى نتيجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحرب .. وعلى المدى البعيد كان من الصعب تقييم الفوائد .. كانت الحرب ضرورية : وكما كان يرى الاسرائيليون لم يكن أمامهم سوى القتال .. ومع اختيار هذا الخيار تغلبوا على عيوبهم الجغرافية ..

لم تكن جميع النتائج ايجابية .. فعلى الصعيد المحلى اصاب بعض الاسرائيليين (بمرض الانتصار) أى احتقار القوة العسكرية العربية وهو مرض أصاب حتى قوات الدفاع الاسرائيلى .. وليس بمقدور جيش قتالى متفوق بين القوات المسلحة فى العالم أن يحقق مرة أخرى ما حدث يوم الخامس من يونيه .. رغم أن اسرائيل استردت تماسكها بطريقة مثيرة للأعجاب بعد الهجوم المفاجىء المصرى فى عام ١٩٧٣ .. إلا أنها ارتكبت أخطاء لم تكن لتحدث منذ ست سنوات .. وأثبتت العمليات التى قامت بها منذ ذلك الوقت ، وخاصة فى لبنان ، أن اسرائيل فقدت سلاحها الحاسم ..

وعلى عكس ذلك كان لأنتصار اسرائيل أثر بناء على العرب .. فقد تحول العسكريون خلال حكم السادات الذى تولى السلطة فى البلاد بعد عبد الناصر عام ١٩٧٠ إلى تعلم رفقة السلاح والتضحية .. وظهرت النتائج

بوضوح فى حرب ١٩٧٣ ـ رغم الهزيمة استردت مصر كبرياءها الوطنى ووضعها الدولى ..

ومن المتناقضات العديدة فى الشرق الأوسط أن جاء استرداد مصر لوضعها السابق لصالح اسرائيل : فتم التوصل إلى أتفاقية السلام عام ١٩٧٩ التى توسط فيها الرئيس الامريكى السابق جيمى كارتر ..

ولا تزال قوات الدفاع الاسرائيلى أفضل قوات المنطقة تجهيزا بالعتاد الحربى .. وخلف الأسلحة التقليدية توجد الأسلحة النووية التى لا تنفى اسرائيل امتلاكها .. ويفترض العالم أنها تمتلكها ، ويأمل الجميع ألا تستخدم ..

وهذا هو الفرق الكبير .. انضمت اسرائيل تقريبا إلى القوى النووية .. ولهذا السبب أكثر من أى شيء آخر ربما يمكن القول بأن العصر البطولى لحرب الأيام الستة ينتمى الآن للماضى ..

هل قاد الجنرالات عبد الناصر ـ وأنفسهم ـ الى الحرب ؟ هل أخطأ الرئيس المصرى جمال عبد الناصر والملك الأردنى حسين خطأ فادحا بالدخول فى حرب ١٩٦٧ وخدعهم الجنرالات الذين تسببوا فى الهجوم ؟ ..

تزعم وثائق سرية أمكن لمجلة يو . أس . نيوز مؤخرا الاطلاع عليها أنه تم تضليل عبد الناصر وتجاوز الملك حسين فى عملية اتخاذ القرارات الحاسمة .. وتسرد الوثائق تتابع الأحداث كما يلى :

• **١٤ مايــو :**

تلقى ناصر تقريرا مطمئنا للمخابرات يسخر من المزاعم السوفيتية والسورية بأن اسرائيل تحشد قواتها فى الجليل .. وكان ذلك يناسب عبد الناصر الذى كان يعتقد أن الحرب أمر غير مرغوب فيه فانها أحتمال بعيد ..

• **١٥ مايــو :**

أمر عبد الناصر قواته المسلحة بعد أن تأكد من ذلك بعبور قناة السويس

إلى سيناء .. لماذا ؟ اعتقد أن بمقدوره استغلال الأزمة وإهانة اسرائيل .. كان مقتنعا بأن اسرائيل - كما حدث عام ١٩٥٦ عندما أجبرت الولايات المتحدة اسرائيل وبريطانيا وفرنسا على الأنسحاب من قناة السويس - سوف تنسحب وتتجنب القتال بدون حليف من بين القوتين العظميين .. ولكن وزير الدفاع المصرى شمس بدران والقائد الأعلى للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر كانا ينفذان - بدون أوامر - خطة قديمة لاغلاق مضيق تيران مدخل اسرائيل على البحر الأحمر من ميناء ايلات ..

• ١٧ مايــو :

أقترح عامر فى أجتماع هيئة الأركان برئاسة عبد الناصر وضع قوات المظلات فى شرم الشيخ المطل على المضيق بعد انسحاب قوات الأمم المتحدة بناء على طلب مصر .. وعارض عبد الناصر وجنرالات أخرون هذا الأقتراح بشدة .. وأوضح الرئيس أنه يريد أزمة يمكن السيطرة عليها وليس حربا ..

• ١٩ مايــو :

رغم ذلك أرسل عامر كتائب المظلات إلى شرم الشيخ ومعها مدفعية لأغلاق المضيق .. ولم يكن عبد الناصر أو القائد العسكرى لسيناء يدرك ذلك حتى بعد أن أمر عامر قوات المظلات بأقامة المدفعية المضادة للدبابات .. ربما كان الاسرائيليون يعلمون أكثر مما كان يعلم به عبد الناصر ..

• ٢٢ مايــو :

علم عبد الناصر بالأمر واستدعى جنرالاته .. وكان الاجماع - فى ضوء تلك الأوضاع - على ضرورة الأعلان عن اغلاق المضيق وتم تنفيذ ذلك .. وبسبب شكوكه المتزايدة أرسل عبد الناصر وفدا عسكريا إلى موسكو للحصول على تأييد .

• ٢٨ مايــو :

تعهد نائب وزير الخارجية المصرى أحمد حسن الفقى فى مأدبة أقيمت فى موسكو بأن (مصر ستواجه اسرائيل) .. وحذر رئيس الوزراء السوفيتى اليكس كوسيجين سرا من الدخول فى حرب .. ولكن فى اليوم التالى ودع وزير الدفاع السوفييتى المارشال أندريه جريتشكو الفقى بعبارة (نحن معكم) .. وتعلق شمس بدران بهذه الملاحظة كدليل على تأثير موسكو ونقلها إلى عبد الناصر ولكنه لم ينقل إليه التحذير .. وكان عبد الناصر لايزال يعارض الحرب .. أما شمس بدران وعبد الحكيم عامر فقد اختارا الحرب ..

• ٢ يونيــة :

حذر قائد القوات الجوية المصرية عبد الناصر من أنه اذا قامت اسرائيل بضربة وقائية فانه سيخسر معظم طائراته .. وعندما اقترح عامر الإستيلاء على ايلات رد عليه عبد الناصر بأن الاستيلاء على ايلات لا يستحق خسارة قطاع غزة .. وفى اليوم التالى (تم ابلاغ) عبد الناصر بأن هجوما اسرائيليا أصبح وشيك الوقوع .. ورغم ذلك فأنه لم يعتقد أن اسرائيل ستشن هجوما بدون تأييد أمريكى ..

• ٥ يونيــة :

فى الساعة الرابعة صباحا تجاهلت القيادة العليا نبأ من سيناء بأنه لم يتبق سوى دقائق على الضربة الاسرائيلية .. وأبلغ الرادار المصرى الذى كان فى الاردن آنذاك بأن الطائرات الاسرائيلية فى طريقها إلى مصر .. ولكن بينما كان الضابط النوبتجى فى القاهرة يحاول البحث عن الشفرة التى تغيرت فى اليوم السابق كان الطيارون الاسرائيليون يضربون القواعد الجوية المصرية .. وبعد ذلك مباشرة شعر القائد المصرى فى الاردن أنه يوجد خطأ ما فى القاهرة .. وأصدر أوامره إلى الضباط الاردنيين ـ دون استشارة الملك حسين ـ بفتح النار على اسرائيل .. ووجد الملك حسين نفسه فى حرب قبل أن يدرك ذلك ...

انتهى مقال المجلة الأمريكية الموثق بالمستندات .. ومازال السؤال هل حرب أكتوبر قضت على كل الآثار المترتبة على هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ؟ .. وأقصد بذلك أيضا الآثار المترتبة على احتلالها أرضا عربية ، هي في ذات الوقت أمانة في عنق مصر .. ورجال مصر ..

في الذكرى العشرين ، سافر الكاتب البريطاني ايان موراى إلى اسرائيل .. وعاد ليكتب مقالين ، هما إجابة هامة عن السؤال .. يقول مدراى :

منذ عشرين عاما وبضربات متتالية كالبرق دمرت اسرائيل القوات الجوية لمصر وسوريا والاردن .. وفى المقالة الأولى من المقالتين اللتين كتبتا فى ذكرى حرب الأيام الستة التى غيرت وجه الشرق الأوسط تغييرا جذريا ، يصف أيان موراى مشاعر جيل من اليهود والعرب الذين ولدوا بعد انتهاء الصراع ويعيشون فى الضفة الغربية ..

اندفعت جماعة متماكة فوق جبل الغواية من صغار الاسرائيلين الاصحاء واسلحتهم متدلية من فوق اكتافهم ، ومروا على اللافته التى تقول (مرحبا فى اسرائيل) وصاح أحدهم (أتمنى أن تحب بلدى) .

وجبل الغواية فى الحقيقة ليس فى اسرائيل ، فقمة الصخرة الحمراء التى تطل على واحة أريحا الخضراء الخصبة هى ووفقا للمعتقدات الدينية المكان الذى بنى فيه الشيطان للمسيح كل ممالك العالم فى فترة قصيرة لا تتعدى .. الدقيقة .. لكن المملكة الوحيدة التى يمكن رؤيتها من قمة الجبل التى تعصف بها الرياح هى مملكة الاردن ، وهى سراب الحرارة الشديدة وفى اتجاه الشرق يستمر المشهد الجميل بامتداد الضفة الغربية المحتلة ..

وقد ولد هؤلاء الصغار خلال شهور قليلة من أنتهاء حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، ولم يكونوا على قيد الحياة عندما لم يكن هذا الجبل فى ايدى اسرائيل .

وبالنسبة لهم فهذا الجبل جزء طبيعى من بلدهم فهم لا يعبرون أى حدود للوصول إليه ، فقد لقنهم معلموهم فى الجيش أن التاريخ اليهودى يبدأ من

القمة فهم يشيرون بأيديهم نحو الاردن إلى جبال موآب وهي في انجيل العهد القديم مملكة قديمة تقع شرق البحر الميت ، ومكانها الآن جنوب غرب الاردن .. حيث رأى موسى أرض الميعاد وبالنسبة للأسرائيلى العادى فلا وجود لذلك الخط الأخضر ..

ويرجع أصل تسمية (الخط الأخضر) إلى الأشجار التى زرعتها اسرائيل على أمتداد خط وقف اطلاق النار بعد حرب ١٩٤٨ .. ويوجد الآن فى هذا المكان طريق السيارات الموصل بين تل أبيب والقدس ، وتوجد اشجار اسرائيل الخضراء باتجاه الجنوب والتلال العارية للاردن المحتلة باتجاه الشمال ، وتوضح تلك الأشجار الخط الفاصل أكثر من أى سور من الأسلاك الشائكة ...

ويتذكر الجيل الأكبر سنا سور الأسلاك الشائكة قبل حدوث مايسميه الكثيرون (المعجزة) أو نصر ١٩٦٧ السريع ، لكن صغار الاسرائيليين لا يكادون يشعرون به أو يلحظونه ..

وشعور العرب مغاير لهذا تماما .. فهناك حوالى ٦٠٪ من تعداد المناطق المحتلة قد ولدوا منذ وقوع الحرب ، و ٢٠٪ منهم كانوا لازالوا أطفالا أثناءها .. ورغم هذا فهؤلاء الصغار يشعرون بوطأة الأحتلال أكثر من آبائهم .. فاشتياقهم وحنينهم للارض أشد واقوى والخطر الأخضر بالنسبة لهم حقيقة واقعة .

لم يعرف هؤلاء الصغار من العرب أى حياة أخرى ، لكنهم رغم ذلك نشأوا وهم يحتقرون الأحتلال ومستعدون للمقاومة ومن قسوة الحياة فى المخيمات أصبحوا لا يخشون السجون ويطلقون عليها (الخدمات الوطنية للفلسطينيين

لذلك فقد أصبحت المقاومة شيئا سهلا ومرضيا ..

ولازال سمير رانتيسى وهو طالب من البيره يبلغ من العمر ٢٣ عاما يتذكر كم كان فزعا عندما فرت اسرته إلى الاردن قبل أن تتقدم القوات الاسرائيلية ، ويصف الأجيال الأكبر سنا بقوله (أنهم شعب الصدمة) إنهم

لا يحاولون أن يفعلوا أى شيء وذلك بسبب التمزق الذى أصابهم من مفاجأة النصر الاسرائيلى وعدم توقعهم له .. والأرقام والأحصائيات الحديثة من اللجنة الدولية للصليب الأحمر تظهر أن هناك نصف مليون حالة القاء قبض أو اعتقال من بين ١,٣ مليون نسمة فقط يعيشون فى المناطق المحتلة وبعضهم دخل السجن مرتين أو ثلاث .. وهذه الأرقام تعنى أن هناك ٣٠٠ ألف على الأقل يعرفون معنى القبض عليهم والأعتقال ، وقد أصبح هذا أمرا عاديا حتى الأطفال سئموا الحديث عنه ..

وقد ألقى القبض على سمير عندما كان فى الخامسة عشرة وذلك فى مظاهرة مع مدرسته ، حيث القيت الأحجار على القوات الاسرائيلية .. ويتذكر ماحدث قائلا : (لقد سعد الجنود بالقبض علينا .. وكأنهم اعتقلوا أرهابيين) .. لقد لووا ذراعى وضربونى وفى تلك السن الصغيرة كان أمرا طبيعيا أن أشعر بالخوف ..
لكن عندما تدخل مركز البوليس ويبدأ الأستجواب ينتهى تفكيرك بأن عمرك ١٥ عاما فقط .

ولا زال القاء الحجارة أكثر المشاكل المستمرة التى تواجهها قوات الأمن الاسرائيلية أثناء قيامها بدورياتها فى الضفة الغربية .. ويبدو أنها أصبحت لعبة بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، يلعب بها الأطفال بدلا من لعبة الشرطة واللصوص .. ولهذا فقد أصبح القاء حجر على اسرائيلى عابر أو سيارة شيئا سهلا ، وأصبح الأمر مثيرا كالمغامرة والجائزة على اصابة سيارة أو شخص اسرائيلى هو الفوز بلقب البطل وما يصاحبه من شعور بالفخر ..

وقوات الأمن المعروفة والمرهوبة الجانب كالشين بيت ، لديها ملف لكل شاب صغير ، فكل صبى يبلغ من العمر ١٧ عاما يتوقع أن يدعى إلى مقابلة .. ويتم فتح ملف باسمه به كافة التفصيلات عن حياته ، ولقد تحول بعض هؤلاء الصغار إلى وشاة عن طريق المعاملة الطيبة .. أو بدافع الخوف ..

والنتيجة هى نجاح كبير لجهاز الشين بيت فى تعقب رجال المقاومة .. حتى محامى الدفاع الفلسطينيين يعترفون أن اعترافات المشتبه فيهم دقيقة عادة رغم أنهم يدعون أنها استخلصت منهم تعذيبا ..

ويبدو أن معدل النجاح المرتفع فى القاء القبض الصحيح قد غير من نوعية وطبيعة الاحتجاج .. فقد أصبحت الزنزانات التى تضم المقاتلين المسلحين قليلة ، لكن عدد حوادث العنف وليدة اللحظة التى يقوم بها الصغار قد ارتفعت نسبتها كثيرا .. وقد بدأ هذا الأرتفاع بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ .. وتزايدت حدتها خلال الحرب اللبنانية عام ١٩٨٢ ..

وفى عام ١٩٧٧ كان معدل بلاغات القاء الحجارة لا يتعدى بلاغاً أو اثنين فى اليوم ، وفى عام ١٩٨٣ كان هناك ١٥ بلاغا على الأقل يوميا وقد ثبت هذا المعدل من البلاغات اليومية تقريبا ..

ويكره الجنود الذين تدربوا على خوض المعارك الحربية أعمال السيطرة على حشود المتظاهرين ، فليس لديهم الأجهزة المناسبة للتعامل معهم .. وعند أرسالهم فى دوريات فى مدن الضفة الغربية كنابلس والخليل يعترف أولئك الجنود بشعورهم بالوحدة وسط بيئة معادية ، ويعلق على ذلك جندى من المشاة بحيفا يبلغ من العمر ٢٠ عاما (تستطيع أن تشعر بكل هذه العيون تنظر إليك بكراهية) ..

وينفث بعض صغار الجنود غضبهم فى العرب فهم أى الجنود لا يخفون أحتقارهم للعرب ، وعلى سبيل المثال واثناء وجودهم فى مراكزهم فوق اسطح المنازل وردت عنهم بلاغات بأنهم يغتسلون أو يتبولون فى صهاريج المياه ، وبعض صغار الجنود الذين أفزعتهم هذه التصرفات رفضوا الخدمة فى الضفة الغربية ..

وبعضهم يوافق على الخدمة فى الضفة الغربية حتى يوقفوا الجنود الذين يستمتعون بأيقاف أى عربى عابر وضربه بأوهى حجة ..

وكما يلعب العرب الأطفال العابهم الخاصة ، كذلك يفعل اليهود وفى أحد الألعاب يرسم الطفل صليباً فى احدى راحتيه ونجمة داود فى الأخرى

ويرفعهما ليختار زملاؤه فى اللعب أياً منهما .. وتقول فتاة مجندة تبلغ من العمر ١٩ عاما من بتاح تكفا موضحة اللعبة (اذا اختار اليد التى بها الصليب يضحك الجميع عليه ويعتبرونه عربيا غبيا ، واذا فعلت أى شىء احمق فى المدرسة يسمونك عربيا) .

وفى مقالته الثانية عن الذكرى العشرين لحرب الأيام الستة ، يكتب إيان ميرى عن التوتر المستمر فى منطقة الضفة الغربية التى احتلتها اسرائيل ولا زالت تحتفظ بها ، فيقول :

- إن التحيز والجهل جعل صغار العرب بمعزل عن بعضهم البعض فى الضفة الغربية ، والعلاقات بينهم نادرة جدا .. وكذلك الصداقات . ورغم هذه الفرقة الا أن ٢٠ عاما من الاحتلال والاستيطان ربطت بين أجزاء الأرض برباط قوى ..

وتقريبا يذهب ثلث القوى العاملة فى المناطق للعمل داخل اسرائيل كل يوم .. ويربح هؤلاء حوالى خمس ثروة الأقليم .. وهناك عدد من العاملين يعادل نصف العدد السابق عمله غير قانونى داخل اسرائيل فهم يحصلون على أجر أكبر مما يحصلون عليه من العمل فى المناطق .. ورغم هذا فلا زال ما يحصلون عليه من أجور أقل من الحد الأدنى للأجور المنصوص عليه فى القانون الاسرائيلى ..

لقد أصبحت العمليات غير المنظمة لشراء الأراضى فى الضفة الغربية فضيحة .. وهناك المئات من قضايا التحايل لا زال التحقيق فيها جاريا ، وذلك بعد قرار ١٩٧٩ الذى نص على رفع الحظر على شراء الأفراد من اليهود للأراضى فى المناطق .. وقد فرضت الاردن عقوبة الأعدام على أى عربى يبيع أرضه لليهود ، لكن مع ارتفاع الأسعار فريع الأكر اصبح يساوى ٨٠٠٠ دولار ، تجرأ العديد من العرب وركبوا المخاطرة ، وهناك حوالى ٣٠ ألف أكر قد تغيرت ملكيتها ويعتقد أن حوالى خمس هذه المساحة قد تمت حيازتها بالتحايل على القانون .

وذلك لأنه من غير المحتمل أن تستولى اسرائيل على أرض قد تم البناء عليها ، وكل الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية جعلوا قروض بناء المنازل

متاحة للجميع مع تدفق الأموال من الفلسطينيين العاملين فى الخليج وأمريكا .. ولذلك فأعمال البناء فى ازدهار .. كما زاد عدد المبانى فى الخليل منذ عام ١٩٦٧ بنسبة ٢٠٠٪ وفى بيت لحم بنسبة ١٥٠٪ وفى رام الله ١٠٠٪ والسبب وراء اندفاع العرب وراء انشاء المبانى فى الخليل هو انشاء مستوطنة كريات أربع اليهودية عام ١٩٦٨ والواقعة على أقل من ميل من مركز الخليل المدينة العربية ..

والسيد جارى كوبربيرج أحد المستوطنين هناك وهو يهودى من نيويورك حضر لاسرائيل لاكتشاف جذوره ، وهو يذهب سيرا على الأقدام كل صباح للصلاة فى مقبرة البطارقة ثانى اقدس مكان فى الديانة اليهودية ، وهو الآن موجود داخل مسجد بنى داخل كنيسة تحولت الى الاسلام فى عصر الحروب الصليبية ..

يذهب للصلاة وفى جيبه مسدس ورغم هذا فهو يشعر بالأمن والسعادة أكثر من شعوره بهما فى نيويورك ، ولا يخامر السيد كوبيربرج أى شك بأن الضفة الغربية جزء من الأراضى الاسرائيلية ..

ويصف حرب الأيام الستة بأنها (معجزة لم يستوعبها زعماؤنا آنذاك) ، فقد انتزعوا النصر من أنياب الهزيمة .. وقد فر العرب وسمحنا لهم بالعودة فقد كان العرب واقعيين وكنا مثاليين) .

ولا فرق عند السيد كوبربيرج فى أى مكان يعيش عليه فى المنطقة ويقول (أن وجود يهودى واحد فى تل أبيب يمثل عبئا ثقيلا على العرب فلم يحل السلام بعد) .. وهو مستعد لأن يعيش بين العرب على الأرض وذلك اذا اعترفوا بأنها دولة يهودية لا صوت لهم فيها ..

وتعيش أمل حماد التى تبلغ من العمر ٢٠ عاما فى طولكرم وتذهب للجامعة فى نابلس ، وتريد أن يكون لها حق التصويت (لقد حرمت من حقى فى اختيار مستقبلى والمطالبة بحرية شعبى فلا حرية بدون أرض) ..

وقد اعتاد أبوها أن يروى لها عن قتاله فى الماضى ضد الأحتلال البريطانى لكنها تعتقد أن نضال شعبها الآن أكثر صعوبة (فالبريطانيون كان لديهم وطنا يعودون إليه) ..

وتتركز مقاومة الشعب العربى فى الجامعات التى تتصدى للسلطات الاسرائيلية عادة .. والسيد ميرون بينفنسى نائب عمدة القدس السابق والذى تنبأ بفشل الاحتلال وضع تعريفا للمشكلة بقوله (بينما الكبار مشغولون بالمشاكل المالية وهو مايدفعهم لتجنب المواجهة مع الاسرائيليين نجد الشباب الذين تحسنت مستويات معيشتهم يجدون متسعا من الوقت للدراسة ..

ويبدو أن أقوى حافز للعرب كرد فعل لوصفهم أقلية لا حول لها ولا قوة هو الدراسة والتعليم ، فتحدى الاحتلال مضافا إليه الحاجة النفسية بعدم الاستسلام لمشاعر العجز قد أدى لوجود أقليه فلسطينية عاجزة والتى رغم عجزها قد شكل مجتمعا نابضا بالحياة ومتماسكا) ..

ويرى حمائم اسرائيل أن هذا الوضع سيؤدى حتما للأنفجار ، وطبقا للجنرال شلومو جازيت وهو رئيس سابق للمخابرات الحربية (فالمتظاهرون متأكدون أن احتجاجاتهم ستدفع بالجيش إلى خارج البلاد ، فهناك غضب شعبى كبير بين العرب ورغبة شديدة فى الشعور بأنهم ينجزون شيئا .. وإذا لم نجد الوسيلة لايقاف هذا وابطاء سرعته .. أو حتى عكس اتجاه النزعات الحالية .. فالفتيل الذى اشعل فوق برميل العلاقات اليهودية الاسرائيلية مع العرب والملىء بالمتفجرات سوف يستمر فى الاحتراق مستهلكا ما تبقى من حسن النوايا .. ولا يزال الفتيل يحترق ويقترب من البرميل ويقترب معه موعد الأنفجار) ..

وأكثر الأخطار وضوحا هو الأتجاه لزيادة النسل ، فخلال ال ١٥ عاما القادمة وطبقا لتقديرات المكتب المركزى للأحصائيات فهناك حوالى ١,٣ مليون عربى يعيشون فى المناطق سيزداد عددهم ليصبح ٢,٤ مليون مضافا إليهم مليون آخر يعيشون داخل اسرائيل ، وهذان التعدادان سيتساوى عددهما خلال عشر سنوات تقريبا ..

ويرى أب طالب جامعى عمره ٢٠ عاما من الضفة الغربية قتل فى مظاهرة فى شهر نوفمبر من العام الماضى .. أن خلاص شعبه فى زيادة عددهم ويقول (على دولة اسرائيل ان تستغل ميزة أنها فى أوج قوتها

وشبابها لتحقيق السلام ، فعندما تشيخ وتضعف لن تستطيع أن تحصل على نفس السلام) .

اذن .. نحن لم نتخلص - بعد - من كل آثار حرب يونيو عام ١٩٦٧ .. فكيف يطالبنا محمد حسنين هيكل أن ننسى هذه الحرب .. أن ننسى هزيمة ١٩٦٧ ، والتى حولت اسرائيل من دويلة .. إلى دولة تأمر وتنهى فى الشرق الأوسط .. ومزقت خريطة العالم العربى تمزيقا .. وقيدت أذرع مصر التى كان من الضرورى أن تكون طويلة ..

لقد طرح الأستاذ أنور الهوارى المحرر فى جريدة الوفد سؤالا على بعض المفكرين المصريين .. هل تخلصت مصر من الآثار النفسية لهزيمة ١٩٦٧ ؟

فقالوا ....:

- يرى الدكتور حسن نافعة استاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة أن الشعب لم ينس هزيمة يونيو على الاطلاق .. فالذين عاشوها فى مرحلة النضج السياسى اصيبوا بجرح لن يندمل حتى بعد فترة طويلة ، ولعدم أندمال الجرح أسباب متعددة :

• ضخامة الصدمة ، فقد جاءت فى وقت كنا نتغنى فيه بالانتصارات .. ولكنها كشفت الحقيقة ، فقد كنا نعانى من استرخاء نفسى واجتماعى ..

• ومن الأسباب التى جعلت الجرح اكثر غورا ، تطورات مابعد ٥ يونيو ، فقد كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر خائفا من البحث فى اسباب الهزيمة حتى لا تتأثر الجبهة الداخلية ، وانشغل بحرب الاستنزاف وساعد أيضا على عدم فتح الملف الحقيقى للهزيمة - أنه بعد وفاة عبد الناصر - ظهرت قوى أجتماعية وسياسية اشتغلت فى شن الحملات المضادة لسياسات عبد الناصر ، دون أن تفكر فى فتح ملفات الهزيمة ..

• وكان يمكن للجرح أن يندمل بعض الشيء - بعد أن أدى الجيش المصرى أروع البطولات العسكرية فى تاريخ المواجهة العربية الاسرائيلية فى أكتوبر ١٩٧٣ .. ولكن هذا الأنجاز سرعان ما أنهار سياسيا بعد زيارة

الرئيس السادات للقدس وظهور المتناقضات في الصف العربي بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد ..

• ويختتم الدكتور حسن نافعة قائلا : الشعب المصرى - الان يعانى من حالة التناقضات .. و الصراعات والبلبلة العامة .. وغياب الرؤية السياسية الواضحة .. واهتزاز القيم لدى الشباب .. وهذا يعود لما حدث فى ٥ يونيو .. لأنها قضت على المشروع الناصرى الذى كان هو بداية الحلم للشعب المصرى ..

مدة كافية للنسيان :

أما المستشار طارق البشرى المؤرخ ونائب رئيس مجلس الدولة فيرى :

أن هزيمة ٥ يونيو مثل هزيمة محمد على ١٨٤٠ بالنسبة للآثار الضخمة التى ترتبت على كل منهما - على الصعيد السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، غير أنه بالنسبة للآثار النفسية لهزيمة ١٩٦٧ ومدى استمرارها - فاني اتصور أن ٢٠ عاما مدة كافية جدا لكي ينفض المصريون عن أنفسهم أية آثار تكون قد علقت بهم بسبب حادث ما مهما جل أو عظم هذا الحادث ..

ويضيف المستشار البشرى :

- أن الأثر النفسى للهزيمة العسكرية قد أمكن لحرب ١٩٧٣ أن تزيله في جوهره ، ثم أن النظام السياسى قد تغير تشكيله فى عدد هام من ركائزه الأساسية .. والأوضاع الاقتصادية والخارجية قد تردت إلى ماهو ملحوظ ، ووعود الرخاء التى داعبت الأحلام تبددت وشيكا ..

ويؤكد المستشار البشرى :

- يجب علينا أن ننظر للمستقبل ، وإلا نلتفت للماضى الا فى حدود استخراج المثل والعبرة ، والأستفادة من خبرة التاريخ ..

• **غياب الديمقراطية :**

ويذهب لطفى واكد نائب الأمين العام لحزب التجمع إلى أنه لو نجح

نظام ثورة يوليو فى اقرار الديمقراطية وسيادة القانون ، لكان لأحداث ٥ يونيو آثار أقل مما حدث ، ويقول : كانت ٥ يونيو مؤامرة ضخمة على مصر ، ولو كانت الديمقراطية وسيادة القانون متواجدة لما نجحت المؤامرة .. وأود أن أقول أن القائد وهو مهزوم رفض الأعتراف باسرائيل .. وفى أعقابها رفض اجلاء القوات الاسرائيلية من سيناء بالطريقة التى تم أجلاؤهم بها عقب النصر فى عهد السادات .. ويكفى أن ٥ يونيو كان بداية لحرب الاستنزاف والاستعداد لحرب أكتوبر ..

*** هزيمة شاملة وانتصار جزئى :**

ويرى الدكتور عبد الرحمن الفرماوى الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجلس الشعب عن حزب الأحرار . أن ٥ يونيو ١٩٦٧ لا يزال يجثم بظلالة الكئيبة على صدورنا .. لأنها كانت هزيمة عامة وشاملة ..

أما انتصار أكتوبر ١٩٧٣ فكان جزئيا .. بدليل أن الهزيمة فى ١٩٦٧ كانت من دويلة لدول ، ومن عصابة ارهابية لأمة عريقة .. ونصر أكتوبر لم يغسل العار كله ، فلا تزال الأرض منزوعة السلاح ، ويضيف الدكتور الفرماوى بعدا جديدا فيقول

ـ يبدو أن العملية من ترتيب قوى كبرى ، هزيمة شاملة فى ١٩٦٧ .. ثم نصر جزئى فى ١٩٧٣ ، ثم كامب ديفيد المرفوضة فى ١٩٧٧ ، ١٩٧٩ ..

ويؤكد الفرماوى أن الأمة لن تتخلص من آثار الهزيمة الا اذا أعلنت هويتها الأسلامية ..

*** الأمة سقطت خلف القائد :**

* أما الدكتور محمود اباظة فيقول :

ـ أن هزيمة يونيه أكثر حضورا فى الحياة السياسية المصرية ـ الآن ـ من أى وقت مضى .. لأنها نقطة اليقظة لجيل كامل ، تفتحت عيونه على الحقيقة صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ـ أذ أدرك فجأة أن الأمة سقطت خلف قائدها فى هاوية عميقة ، وبدأ هذا الجيل يعانى من ألم وتمزق شديد حين واجه

الحقيقة عارية فى ظل أزمة عنيفة لم تمر بها مصر فى تاريخها الحديث .. وهو الجيل الذى خرج فى مظاهرات فبراير ١٩٦٨ ينادى بعودة الحريات .. وهو نفس الجيل الذى أفرز التنظيمات المتطرفة يمينا ويسارا ..

ويؤكد الدكتور محمود اباظة :

ـ أن الاثار السياسية والأقتصادية والفكرية للهزيمة ـ ستظل جاثمة على صدر هذه الأمة لمدة قرن ويؤكد الدكتور السقا أنه بعد مرور عشرين عاما لا تزال آثار الهزيمة كما هى ..

* فلماذا لم يقدم المسئولون عنها إلى المحاكمة ؟

* ولماذا لم ننشر أسباب الهزيمة على المجتمع المصرى ؟

إن الذى يتهاون فى شرف الأمة وكرامتها ، قادر على أن يعاود الكرة ثانية وثالثة ، وكل المصائب التى نعيشها الآن لا تقل خطورة عن نكسة ١٩٦٧ ، وتتم دون أن تحمل أحدا مسئولية ..

* * *

معنى ذلك .. أننا لم نتخلص من آثار هزيمة الخامس من يونيو .. واسمحوا لى أن اطرح هذا السؤال .. لماذا هذا الكتاب ؟ ..

واسمحوا لى أن أقول ، وقلبى يقطر دما .. إننى من جيل ، أمسك بالقلم فى بداية الثورة ، وآمن بها وبأهدافها ، وعاش لها ومن أجلها .. وحارب معاركها ، بل ربما برر بعض الأخطاء الظاهرة لها ، وتصور أنه يعيش عصر الأنتصارات . والوحدة العربية .. ونهاية الصراع العربى الاسرائيلى .. فلدينا القوة ولدينا الشعب .. ولدينا الزعيم ..

ثم يتسرب إلى قلبه الشك .. عندما أرسلنا قوات مصر إلى اليمن لتحارب معركة حاولنا أن نحدد لها معالم وأهدافا ولكنها كانت أهدافا غير واضحة .. ثم تسرب الشك عندما اعتقلت السلطات رفاقه .. بلا جريمة .. ولا ذنب .. ولكن لم يتسرب الشك ولو لحظة واحدة بأن بنيان القوات المسلحة ، سليم ، وأن قواتنا الجوية تحمى سماء مصر بل سماء الدول

العربية ، وأننا أقوى قوة رادعة فى الشرق .. ورفض أى محاولة لتسريب هذا الشك إلى قلبه ..

ولكن ..

فجأة .. وبدون مقدمات ..

وعلى غرة .. سقط القناع ..

واذا بالوجوه كالحة .. صفراء .. حاقدة .. خاسرة .. لاهم لها الا ملذاتها وسلطانها .. وجبروتها ..

واذا بالزعماء ... نمور من ورق .. سقطوا من الضربة الأولى .. واذا بالملهم .. والعبقرى .. والعظيم ... والعملاق .. والأوحد .. لا يملك ولا يحكم الا الميكروفون .. وهياج الشارع ..

لقد طعنونا فى آمالنا ..

لقد أغتالوا ـ بجهلهم ـ طموحاتنا ..

لقد اشتروا كراسى الحكم التى جلسوا عليها .. بشرف مصر .. وشرف جيل كامل من المفكرين والمدنيين ..

وانتظرنا .. أن نقضى تماما على آثار الهزيمة .. ولكن حتى الأن .. مازالت آثار الهزيمة باقية .. وكل مايرجوه كل مواطن أن نعمل على القضاء على آثار هذه الهزيمة .. أو على الأقل نخطط للقضاء عليها .. ولن نتمكن من القضاء عليها الا إذا عرفنا ـ بعمق ـ أسبابها .. ونتجنب فى المستقبل كل أسباب الهزيمة ..

والله الموفق ،،،،

«وجيه أبو ذكرى »
أبريل ١٩٨٨

المراجع

أولاً ـ لقاءات مع القادة العسكريين الذين اشتركوا فى حرب يونيو :

١ ـ المشير عبد الغنى الجمسى .

٢ ـ الفريق أول كمال حسن على .

٣ ـ الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى .

٤ ـ الفريق أنور القاضى .

٥ ـ اللواء صدقى عوض الغول .

٦ ـ اللواء طيار اسماعيل لبيب .

٧ ـ اللواء عبد العزيز قابيل .

٨ ـ اللواء عمر العزاوى .

٩ ـ اللواء أحمد رجائى عطية .

١٠ ـ اللواء أحمد حلمى .

١١ ـ العميد طيار تحسين زكى (قبل وفاته) .

١٢ ـ بعض الضباط والجنود الذين اشتركوا فى الحرب .

ثانياً ـ مراجع عربية :

١ ـ الفريق أول محمد فوزى ـ حرب الثلاث سنوات .

٢ ـ حمدى لطفى ـ مأساة عبد الحكيم عامر .

٣ ـ عاطف الغمرى ـ خفايا النكسة .

٤ ـ أنور السادات ـ البحث عن الذات .

٥ ـ جمال الدين الرمادى ـ حصاد الأيام الستة .

٦ ـ عبد اللطيف البغدادى ـ مذكرات (الجزء الأول والثانى) .

٧ ـ الفريق صلاح الدين الحديدى ـ شاهد على حرب عام ١٩٦٧ .

٨ ـ الدكتور ابراهيم دسوقى أباظة ـ الخطايا العشر من عبد الناصر إلى السادات .

٩ ـ حسين ذو الفقار صبرى ـ أضواء على حرب ٥ يونيو .
١٠ ـ ثروت عكاشة ـ مذكراتى فى السياسة والثقافة (الجزء الثانى) .
١١ ـ سعد التائه ـ نكسة أم مؤامرة .
١٢ ـ د . عبد العزيز رفاعى ولواء محمد طنطاوى السيد ـ الاستراتيجية وحرب السادس من أكتوبر .
١٣ ـ محمد حسنين هيكل ـ لمصر .. لا لعبد الناصر .
١٤ ـ د . عبد العظيم رمضان ـ تحطيم الآلهة (جزء أول وثان) .
١٥ ـ كمال حسن على ـ محاربون ومفاوضون .
١٦ ـ عبد المحسن كامل مرتجى ـ الفريق مرتجى يروى الحقائق .
١٧ ـ سيد مرعى ـ أوراق سياسية .
١٨ ـ سامى جوهر ـ الصامتون يتكلمون .
١٩ ـ الفريق محمد على فهمى ـ تاريخ الدفاع الجوى .
٢٠ ـ جلال كشك ـ كلام لمصر .
٢١ ـ موسى صبرى ـ وثائق ١٥ مايو .
٢٢ ـ سامى الجندى ـ عرب ويهود .
٢٣ ـ د . جمال الدين الرمادى ـ حصاد الأيام الستة .
٢٤ ـ د . يوسف صايغ وآخرون ـ حرب عبد الناصر الأخيرة .
٢٥ ـ هيئة الاستعلامات المصرية ـ نظرة جديدة على حرب الأيام الستة .
٢٦ ـ محمد حسنين هيكل ـ الحل والحرب .
٢٧ ـ مصطفى بهجت بدوى ـ كلام عنا وعن اسرائيل .
٢٨ ـ د . أحمد شلبى ـ حرب ٦٧ ـ ٧٣ دراسة مقارنة .
٢٩ ـ محمد جبر ـ مراسل حربى فى الجبهة .
٣٠ ـ مها عبد الفتاح ـ خطوة على طريق السلام .
٣١ ـ محمود عوض ـ وعليكم السلام .
٣٢ ـ حسين ذو الفقار صبرى ـ أضواء على ٥ يونيو .

ثالثاً - مراجع أجنبية :

١ - أ سليايف - ن . كوليستنشيكو - ى . بريماكوف - اطلاق الحمامة ، ترجمة ماهر عسل .

٢ - تريفور ن . دويوى - النصر المحير - ترجمة هيئة الاستعلامات المصرية .

٣ - ابراهام وجنر - القرار الاسرائيلى فى حربى عام ١٩٦٧ - ١٩٧٣ ترجمة ميخائيل خورى .

٤ - بيتر دلفن - المرأة التى حكمت مصر - إعداد حاتم خورى .

٥ - ادجار أوبلانس - حرب أكتوبر - العبور والثغرة - ترجمة سامى الرزاز .

٦ - ذفى الدوبى - الجاسوسية الاسرائيلية وحرب الأيام الستة ترجمة غسان التوفلى .

٧ - أنتونى ناتنج - ناصر - ترجمة شاكر ابراهيم سعيد .

٨ - يورى دان - ابلى لانداو - الموساد .

٩ - يشعيا بن وآخرون - التقصير - ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

١٠ - روجيه جارودى - ملف اسرائيل - ترجمة د . مصطفى فوده .

١١ - سرجى سيدون - الصهيونية ونهج الارهاب - ترجمة عادل الجيورى .

١٢ - ايلان هاليفى - اسرائيل من الارهاب إلى مجازر الدولة - ترجمة منى عبد الله .

١٣ - بريماكوف وآخرون - العدوان المسلح على مصر - دار الطبع باللغات الأجنبية - موسكو .

رابعاً - صحف عربية :

١ - الأخبار (القاهرة) - من ٦ يونيو إلى ١٨ يونيو ١٩٦٧ .
٢ - الأهرام (القاهرة) من ٦ يونيو إلى ١٨ يونيو ١٩٦٧ .
٣ - مجلة المصور (القاهرة) سلسلة مقالات حمدى لطفى .
٤ - جريدة الوفد - مذكرات مدكور أبو العز - ١٠ يونيو ١٩٨٧ .
٥ - جريدة الرأى العام (الكويت) يونيو عام ١٩٨٧ .

خامساً - مجلات عالمية :

١ - مجلة لايف الأمريكية - (أعداد يونيو عام ١٩٦٧) .
٢ - مجلة بارى ماتش الفرنسية (أعداد يونيو عام ١٩٦٧) .

سري للغايـة

بسم الله الرحمن الرحيم

وثيقة

الجمهورية العربية المتحدة

القيادة العامة للقوات المسلحة

التاريخ : ١٩٦٧/٥/١٤

« الملحق ب »

صورة رقم (٢)

تعليمات عمليات حربية

تؤكد المعلومات من مصادرها المختلفة نية اسرائيل فى العدوان على الجمهوريةالعربية السوريـة .

وفي ضوء اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهوريةالعربية السورية قررت القيادة العليا للقوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة التدخل جوا وبرا فى حالة قيام اسرائيل بعدوان شامل على الاراضى السورية بقصد احتلالها أو جزء منها او تدمير القوات الجوية السورية .

القـــرارات :

١ ـ ترفع درجات استعداد القوات الجوية والدفاع الجوى ، والقوات البرية ، والقوات البحرية ، وقوات الدفاع المدنى اعتبارا من سعت ١٢٠٠ يوم ١٩٦٧/٥/١٤ الى درجة الاستعداد الكاملة .

٢ ـ اتمام التعبئة العامة للقوات المسلحة العربية قبل ١٩٦٧/٥/١٧، وايقاف فرق التعليم بالمعاهد والمنشآت التعليمية فى الجمهورية العربية المتحدة فورا وتوزيع الضباط لتدعيم القيادات والوحدات .

٣ ـ اتمام التحشدات أمام جبهة الجمهورية العربية المتحدة فى اتجاه اسرائيل برا وجوا قبل يوم ١٩٦٧/٥/١٧ .

٤ ـ تجهيز الخطط التعرضية والدفاعية المشتركة المقررة بالاتفاق مع القيادة العامـة السورية .

٥ ـ يتم التوزيع الاستراتيجى للقوات البحرية طبقا للخطط المقررة مع التجهيز لتنفيذ العمليات التعرضية البحرية .

٦ ـ باتمام الاستعداد الكامل للدفاع الجوى يبدأ سطع جوى فى اسرائيل .

فريق اول

رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة

(امضـــاء)

هذه هى بداية الإعداد للهزيمة .. بعدها تلاحقت الأوامر .. حتى أمر الإنسحاب .

خسائرنا فى الحرب(*)

(أ) أفراد :

١ ـ خسائر القوات الجوية والدفاع الجوى ٤٪ من القوة للطيارين .

٢ ـ خسائر القوات البحرية صفر ٪ من القوة .

٣ ـ خسائر القوات البرية ١٧٪ من القوة .

(ب) معدات :

١ ـ فى القوات الجوية والدفاع الجوى ٨٥٪ .

٢ ـ فى القوات البحرية صفر ٪ .

٣ ـ فى القوات البرية ٨٥٪ .

(جـ) خسائر القوات الجوية بالتفصيل :

١ ـ القاذفات الثقيلة ١٠٠٪ .

٢ ـ القاذفات الخفيفة ١٠٠٪ .

٣ ـ المقاتلات القاذفة والمقاتلة ٨٥٪ .

الخسائر بالعدد :

تمكنت قواتنا من خلال تمركزها فى أماكنها ، قبل انسحابها عند بدء القتال من التعرف على بعض الشهداء بصعوبة . إلى درجة أن قائد الفرقة السابعة للمشاة اللواء عبد العزيز سليمان ، لم نتأكد من استشهاده من أقرب الناس إليه ، وهم أفراد قيادته ، فتم تقييده فى سجل المفقودين إلى أن أعلن استشهاده عام ١٩٧١ . واقتصر عدد الشهداء من الضباط والجنود حينئذ على ٢٠٠٠ فرد فى المعركة .

لكن عند إتمام الاتصال بطرف الصراع الآخر « اسرائيل » بواسطة الصليب الأحمر الدولى ، استطعنا حصر الشهداء والمفقودين والأسرى .

كان الرقم الاجمالى هو ١٣,٦٠٠ فرد ، عاد منهم ٣٧٩٩ فرداً أسيراً « ٤٨١ ضابطاً و ٣٢٨٠ جندياً ، ٣٨ مدنياً » مقابل ٢١٩ فرداً اسرائيلياً تمت عملية مبادلتهم بهم فى يناير ١٩٦٨ .

أما بقية المفقودين وعددهم ٩,٨٠٠ مفقود فقد ظل التعامل معهم قانوناً كأنهم أحياء ، حتى سنة ١٩٧١ حيث أعلن استشهادهم .

(*) تقديرات الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة فى حرب يونيو .

الخسائر من تقديرات محايدة(*)

	قتلى	جرحى	أسرى ومفقودون	العدد الكلى	الدبابات المفقودة	الطائرات المفقودة
إسرائيل	٩٨٣	٤٥١٧	١٥	٥٥١٥	٣٩٤	٤٠
(فى مقابل مصر)	٣٠٣	١٤٥٠	١١	١٧٦٤	١٢٢	—
(فى مقابل الأردن)	٥٥٣	٢٤٤٢	صفر	٢٩٩٥	١١٢	—
(فى مقابل سوريا)	١٢٧	٦٢٥	٤	٧٥٦	١٦٠	—
العـرب	٤٢٩٦	٦١٢١	٧٥٥٠	١٧٩٦٧	٩٦٥	٤٤٤
مصـــر	٣٠٠٠	٥٠٠٠	٤٩٨٠	١٢٩٨٠	٧٠٠	٣٥٦
الأردن	٦٩٦	٤٢١	٢٠٠٠	٣١١٧	١٧٩	١٨
ســوريا	٦٠٠	٧٠٠	٥٧٠	١٨٧٠	٨٦	٥٥
العـراق	—	—	—	—	—	١٥

١ ـ تم إصلاح حوالى نصف هذا العدد وعاد إلى حالته الأصلية تماماً .

٢ ـ قام الإسرائيليون بتعديل حوالى ١٥٠ دبابة من طراز تى ٥٤ ، ٥٥ ووضع هذا العدد فى قائمة ما بعد الحرب مما عوضها كثيراً عن خسائرها التى لم يتم إصلاحها خلال الحرب .

٣ ـ منها ٣٢٢ طائرة فقدت فى اليوم الأول .

٤ ـ الأرقام الحديثة وهى رسمية باستثناء تقدير المفقودين ـ أضيف ٢٠٪ من عامل التعديل للقتلى والجرحى لتقدير الخسائر بين المفقودين .

٥ ـ من بين هؤلاء ٥٣٠ كانوا أسرى حرب .

(*) المؤلف الأمريكى العسكرى تريفور ن . ديوبى .

قادة حرب يونيو عام ١٩٦٧

القائد الأعلى للقوات المسلحة	الرئيس جمال عبد الناصر
نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة	المشير عبد الحكيم عامر
رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة	الفريق أول محمد فوزى
رئيس هيئة العمليات	الفريق أنور القاضى
القائد الأعلى للجبهة	الفريق أول عبد المحسن مرتجى
رئيس هيئة أركان الجبهة	اللواء أحمد اسماعيل على
قائد الجيش الميدانى	الفريق صلاح الدين محسن
الفرقة الثانية للمشاة	اللواء سادى نجيب
الفرقة الثالثة للمشاة	اللواء عثمان نصار
الفرقة الرابعة المدرعة	اللواء صدقى الغول
قوة العمليات المدرعة	اللواء سعد الشاذلى
الفرقة السادسة الميكانيكية	اللواء عبد القادر حسن
اللواء الأول المدرع	العميد حسين عبد المناف
اللواء ١٢٥ المدرع	العميد أحمد البنى
الفرقة السابعة للمشاة	اللواء عبد العزيز سليمان
الفرقة ٢٠ لجيش التحرير الفلسطينى (غزة)	اللواء محمد عبد المنعم حسن
لواء مشاة مستقل (شرم الشيخ)	العميد محمد عبد المنعم خليل
القوات الجوية	الفريق أول محمد صدقى محمود
القوات البحرية	أمير البحر سليمان عزت
القائد الأعلى للقيادة العربية الموحدة	الفريق أول على عامر

التشكيل الاسرائيلى للمعركة
حرب ١٩٦٧

وزير الدفاع	جنرال موشى ديان
رئيس الأركان	ليفتنانت جنرال اسحق رابين
القيادة الجنوبية	بريجادير جنرال يشاياهو جافيش
فرقة مدرعة	بريجادير جنرال اسرائيل تال
لواء مدرع (السابع)	كولونيل شمويل جونين
لواء مدرع	كولونيل مناحم أفيرام
لواء مظلات	كولونيل رافييل ايتان
قيادة قوة العمليات (فرقة مدرعة)	كولونيل يورى باردن
(قوة عمليات جرانيت)	كولونيل جرانيت اسرائيل
فرقة مدرعة	بريجادير جنرال أفراهام لوفى
لواء مدرع	كولونيل ايسكا شادنى
لواء مدرع	كولونيل الهانان سيلا
فرقة مدرعة	بريجادير جنرال أريل شارون
لواء مدرع	كولونيل موردخاى زيبورى
لواء مشاة	كولونيل كوتى آدم
لواء مظلات	كولونيل دانى مات
لواء مدرع مستقل	كولونيل البرت مندلر(**)
لواء مشاة مستقل(*)	كولونيل يهدد أرشيف (منطقة غزة)
قوة عمليات مظلية مستقلة	كولونيل أهارون دافيدى (منطقة شرم الشيخ)
القيادة المركزية	بريجادير جنرال يوزى تاركيس

لواء مشاة (القدس ، اتزيونى)	كولونيل اليزير امتياى
لواء مظلات	كولونيل موردخاى جور
لواء ميكانيكى (اهاريل)	كولونيل يورى بن آرى
لواء مشاة	كولونيل زيف شيهم (قلتيلية)
لواء مشاة	كولونيل موشى يوتفات
القيادة الشمالية	بريجادير جنرال دافيد العازار

(*) وحدة محولة شمالا إلى سوريا .
(**) قائد ومركز قيادة منقولا شمالا إلى سوريا .

صورتان من جريدة الأخبار الصادرة يومى ٦ ، ٧ يونيو ١٩٦٧ وعليهما بيانات القيادة السياسية والعسكرية التى ظلت تكذب على الشعب حتى كُشف الغطاء عن الفاجعة .